عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات

للإمام العالم
زكريا بن محمد بن محمود القزويني
(٦٠٠ - ٦٨٢هـ)

مكتبة الإيمان

بطاقة الفهرسة

فهرسة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود ، ١٢٠٨ - ١٢٨٣

عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات /لزكريا بن محمد بن محمود القزويني . - ط٢ -

المنصورة : مكتبة الإيمان ،٢٠٠٦

٣٨٤ص ،١٧ x٢٤سم .

تدمك 4 - 249 - 290 - 977

١- الفلك . أ - العنوان. ٥٢٠

رقـــم الإيـــداع : ٢٠٠٦/٧١٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

العظمة لك والكبرياء لجلالك، اللهم يا قائم الذات ويا مفيض الخيرات، واجب الوجود وواهب العقول وفاطر الأرض والسماوات مبدئ الحركة والزمان، ومبدع الخير والمكان، فاعل الأرواح والأشباح وجاعل النور والظلمات، محرك الأفلاك ومزينها بالثوابت والسيارات، ومقر الأرض وممهدها لأنواع الحيوان وأصناف المعادن والنبات، دام حمدك وجل ثناؤك وتعالى ذكرك وتقدست أسماؤك، لا إله إلا أنت وسعت رحمتك وكثرت آلاؤك ونعماؤك. أفض علينا أنوار معرفتك، وطهر قلوبنا عن كدورات معصيتك، وأمطر علينا سحائب فضلك ومرحمتك، واضرب علينا سرادقات عفوك ومغفرتك، وأدخلنا فى حفظ عنايتك ومكرمتك، وصلِّ على ذوى الأنفس الطاهرات، والمعجزات الباهرات، خصوصًا على سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين «محمد» بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، الذى اخترته للنبوة وآدم بين الماء والطين، وأرسلته رحمة للعالمين، وأيدته بنصرك وبالمؤمنين، وختمت به الأنبياء والمرسلين، وعلى إخوانه من النبيين والصالحين وآله وصحبه أجمعين.

يقول العبد الأصغر زكريا بن محمد بن محمود القزوينى، تولاه الله بفضله وهو من أولاد بعض الفقهاء الذين كانوا موطنين بمدينة قزوين، وينتهى نسبه إلى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ:

لما حكم الله تعالى ببعد الدار والوطن ومفارقة الأهل والسكن، أقبلت على مطالعة الكتب على رأى من قال:

* وخير جليس فى الزمان كتابى *

وكنت مستغرقًا بالنظر فى عجائب صنع الله تعالى فى مصنوعاته، وغرائب إبداعه فى مبتدعاته، كما أرشد الله سبحانه إليه حيث قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق:٦]، وليس المراد من النظر تقليب الحدقة نحوها، فإن البهائم تشارك الإنسان فيه. ومن لم ير من السماء إلا زرقتها، ومن الأرض إلا غبرتها فهو مشارك للبهائم فى ذلك، وأدنى حالاً منها وأشد غفلة كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ...﴾ إلى أن قال: ﴿أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ

أَضَلُّ﴾ [الأعراف:١٧٩]، والمراد من هذا النظر التفكر في المعقولات والنظر في المحسوسات والبحث عن حكمتها وتصاريفها ليظهر له حقائقها، فإنها سبب اللذات الدنيوية والسعادات الأخروية، ولهذا قال ﷺ: «اللهم أرني الأشياء كما هي» وكلما أمعن النظر فيها ازداد من الله تعالى هداية ويقينًا ونورًا وتحقيقًا، ولهذا قال ﷺ: «تفكروا في خلق الله». والفكر في المعقولات لا يتأتى إلا لمن له خبرة بالعلوم والرياضيات بعد تحسين الأخلاق وتهذيب النفس، فعند ذلك ينفتح له عين البصيرة ويرى في كل شيء من العجب ما يعجز عن إدراك بعضها، فلو ذكر طرفًا منها لغيره لأنكره، ولله در القائل:

إني سمعت عجيبًا كنت أحسبه ... طيفًا من النوم أو هجرًا من السمر
لما ألفت به ألفيت صحته ... وقد رأيت ألوفًا مثل ذا العبر

ومن هذا القبيل ما أخبر الله تعالى في كتابه عما جرى بين الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام، وما ذكر أيضًا أن موسى اجتاز بعين ماء في سفح الجبل فتوضأ ثم ارتقى الجبل ليصلي إذ أقبل فارس وشرب من ماء العين وترك عندها كيسًا فيه دراهم، فجاء بعده راعي غنم فرأى الكيس فأخذه ومضى، ثم جاء بعده شيخ عليه أثر البؤس والمسكنة على ظهره حزمة حطب فحط حزمته هناك واستلقى ليستريح، فما كان إلا قليل حتى عاد الفارس يطلب كيسه، فلما لم يجده أقبل على الشيخ يطالبه به فلم يزل يضربه حتى قتله، فقال موسى: يا رب كيف العدل في هذه الأمور؟ فأوحى الله عز وجل إليه: إن الشيخ كان قد قتل أبا الفارس، وكان على أبي الفارس دين لأبي الراعي مقدار ما في الكيس، فجرى بينهما القصاص وقضي الدين، وأنا حكيم عادل.

ولقد حصل لي بطريق السمع والبصر والفكر والنظر حكم عجيبة وخواص غريبة فأحببت أن أقيدها لتثبت وكرهت الذهول عنها مخافة أن تفلت؛ وقد كثرت على عواطف المولى الصاحب الصدر الكبير العادل المؤيد المظفر شمس الدولة ظهير الملة علاء الدين عماد الإسلام نظام الملك غياث الأمة عطاء الملك بن محمد بن محمد ضاعف الله جلاله وأدام في العز والعلاء إقباله، فإنه مع شريف منزلته وعلو مرتبته مشهور بالكرم والإحسان مذكور لوفور الفضل عن أهل الزمان، وقد خصه الله تعالى بمكارم الأخلاق وفضائل الحسب والمجد الموروث والمجد المكتسب فخدمت بهذا الكتاب مجلسه الرفيع أدام الله رفعته وكبت أعداءه وحسدته، فإنه منبع الخيرات ومعدن المسرات شكرًا لأياديه السابقة وقضاء لحقوقه اللاحقة ورجاء أن يتخلد اسمي بتخليد ذكره الشريف ويتأبد وسمي بتأبيد عزه المنيف، والله ولي التوفيق وعلى ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

فصل

وعلى الناظر فى كتابى هذا أن يعنى فى جمع ما كان مبددًا وتلفيق ما كان مشتتًا، وقد ذكر فيه أسبابًا تأباها طباع الغبى الغافل، ولا ينكرها نفس الذكى العاقل، فإنها وإن كانت بعيدة عن العادات المعهودة والمشاهدات المألوفة، لكن لا يستعظم شىء مع قدرة الخالق وجبلة المخلوق، وجميع ما فيه: إما عجائب صنع البارى تعالى وذلك إما محسوس أو معقول لا ميل فيهما ولا خلل، وإما حكاية طريفة منسوبة إلى رواتها لا ناقة لى فيها ولا جمل، وإما خواص غريبة وذلك مما لا يفى العمر بتجربتها ولا معنى لترك كلها لأجل الميل فى بعضها، فإن أحببت أن تكون منها على ثقة فشمر لتجربتها، وإياك أن تغتر أو تلم أو تمل إذا لم تصب فى مرة أو مرتين فإن ذلك قد يكون لفقد شرط أو حدوث مانع، وحسبك ما ترى من حال المغناطيس وجذبه الحديد فإنه إذا أصابه رائحة الثوم بطلت تلك الخاصية فإذا غسلته بالخل عاد إليه، فإذا رأيت مغناطيسًا لا يجذب الحديد فلا تنكر خاصيته فاصرف عنايتك إلى البحث عن أحواله حتى يتضح لك أمره، على أنى أشهد الله تعالى أن شيئًا منها ما افتريته بل كتبت الكل كما اقتريته، فإن نظرت إليها بعين الرضا فإنها عن كل عيب كليلة، وإن نظرت بعين السخط فإن المساوئ كثيرة، وعين الكريم عن المعائب عمياء وأذنه عن المساوئ صماء، ولله در القائل:

فقلت لهم لا تنسوا الفضل بينكم ... فليس يرى عين الكريم سوى الحسن

وسميته: «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات».

ولابد من ذكر مقدمات أربع فى شرح هذه الألفاظ ليتبين منها مقصود الكتاب والله الموفق للصواب.

* * *

المقدمة الأولى: فى شرح العجب

قالوا: العجب حيرة تعرض للإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشىء أو عن معرفة كيفية تأثيره فيه، مثاله أن الإنسان إذا رأى خلية النحل ولم يكن شاهده قبل لكثرته حيره لعدم معرفة فاعله، فلو علم أنه من عمل النحل لتحير أيضًا من حيث إن ذلك الحيوان الضعيف كيف أحدث هذه المسدسات المتساوية الأضلاع التى عجز عن مثلها المهندس الحاذق مع الفرجار والمسطرة، ومن أين لها هذا الشمع الذى اتخذت منه بيوتها المتساوية التى لا تخالف بعضها بعضًا كأنها أفرغت فى قالب واحد، ومن أين لها هذا العسل الذى أودعته فيها ذخيرة للشتاء؟ وكيف عرفت أن الشتاء يأتيها وأنها تفقد فيه الغذاء؟ وكيف اهتدت إلى تغطية خزانة العسل بغشاء رقيق ليكون الشمع محيطًا بالعسل من جميع جوانبه فلا ينشفه الهواء ولا يصيبه الفأر ويبقى كالبرنية المنضمة الرأس فهذا معنى العجب، وكل ما فى العالم بهذه المثابة، إلا أن الإنسان يدركه فى زمن صباه عند فقد التجربة ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلاً قليلاً وهو مستغرق الهم فى قضاء حوائجه وتحصين شهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته فسقط عن نظره بطول الأنس بها، فإذا رأى بغتة حيوانًا غريبًا أو فعلاً خارقًا للعادات انطلق لسانه بالتسبيح فقال: سبحان الله، وهو يرى طول عمره أشياء تتحير فيها عقول العقلاء وتدهش فيها نفوس الأذكياء.

فمن أراد صحة أو صدق هذا القول فلينظر بعين البصيرة إلى هذه الأجسام الرفيعة وسعتها وصلابتها وحفظها من التغير والفساد إلى أن يبلغ الكتاب أجله، فإن الأرض والهواء والبحار بالإضافة إليها كحلقة ملقاة فى فلاة، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

ثم إلى دورانها مختلفًا فإن بعضها يدور بالنسبة إلينا وحوية وبعضها حمائلية وبعضها دولابية وبعضها يدور سريعًا وبعضها يدور بطيئًا.

ثم إلى دوام حركتها من غير فتور وإلى إمساكها من غير عمد تعمد بها أو علاقة تدلى بها.

ثم لننظر إلى كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فإن بعضها يميل إلى الحمرة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى لون الرصاص.

ثم إلى مسير الشمس وفلكها مدة سنة وطلوعها وغروبها كل يوم لاختلاف الليل والنهار ومعرفة الأوقات تمييز وقت المعاش عن وقت الاستراحة.

ثم إلى إمالتها عن وسط السماء حتى وقع الصيف والشتاء والربيع والخريف. وقد اتفق الباحثون على أنها مثل كرة الأرض مائة مرة ونيفا وستين مرة، وفى لحظة تسير أكثر من قطر كرة الأرض، وقد عرض ذلك جبريل عليه السلام حيث قال للنبى ﷺ «من وقت لا، إلى أن قلت نعم سارت الشمس خمسمائة عام».

ثم لينظر إلى جرم القمر وكيفية اكتسابه النور من الشمس لينوب عنها بالليل، ثم إلى امتلائه وانمحاقه، ثم إلى كسوف الشمس وخسوف القمر. ومن العجائب السواد الذى فى جرم القمر فإنه لم يسمع فيه قول شاف إلى زماننا هذا، وكذلك فى المجرة وهى البياض الذى يقال له شرج السماء وهو على ذلك يدور بالنسبة إلينا رحوية.

وعجائب السماوات لا نستطيع إحصاء عشر عشرها لكن القدر الذى جرى فى جرم القمر ذكرناه تبصرة لكل عبد منيب.

ثم لينظر إلى ما بين السماء والأرض من انقضاض الشهب والغيوم والرعود والبروق والصواعق والأمطار والثلوج والرياح المختلفة المهاب وليتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف اجتمع فى جو صاف لا كدورة فيه، وكيف حمل الماء وتسخير الرياح فإنها تتلاعب به وتسوقه إلى المواضع التى أرادها الله تعالى فترش وجه الأرض وترسله قطرات متفاضلة لا تدرك قطرة منها قطرة ليصيب وجه الأرض برفق، فلو صبه صبا لأفسد الزرع بخدشه وجه الأرض، ويرسلها مقدارًا كافيًا لا كثيرًا زائدًا عن الحاجة فيعفن النبات، ولا قليلاً ناقصًا عن الحاجة فلا يتم به النمو كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ [المؤمنون:١٨].

ثم إلى اختلاف الرياح فإن منها ما يسوق السحب ومنها ما ينشرها ومنها ما يجمعها ومنها ما يعصرها ومنها ما يلقح الأشجار ومنها ما يربى الزرع والثمار ومنها ما يجففها.

ثم لينظر إلى الأرض وجعلها قرارًا لتكون فراشًا ومهادًا ثم إلى سعة أكنافها وبعد أقطارها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها: ﴿وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الذاريات:٤٨]، ثم إلى جعل ظهرها محلاً للأحياء وبطنها مقرًا للأموات، فتراها وهى ميتة: ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج:٥]، وظهرت أجناس المعادن وأنبتت أنواع النبات وأخرجت أصناف الحيوان.

ثم إلى إحكام أطرافها بالجبال الشامخات كأوتاد لها يمنعونها من أن تميد.

ثم إلى إيداع أوشال المياه فى خزانات ليخرج منها قليلاً قليلاً فتنفجر منها العيون وتجرى منها الأنهار دائمًا.

ثم لينظر إلى البحار العميقة التى هى خلجان من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض، حتى إن جميع المكشوف من البوادى والجبال بالإضافة إلى الماء كجزيرة صغيرة فى بحر عظيم وبقية الأرض مستورة بالماء.

ثم إلى ما فيها من الحيوان والجواهر، وما من صنف من أصناف حيوان البر إلا وفى البحر أمثاله وأضعافه وفيها أجناس لا يعهد لها نظير فى البر.

ثم لينظر إلى خلق اللؤلؤ فى صدفه تحت الماء. ثم إلى إنبات المرجان فى صميم الصخر تحت الماء وهو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر. ثم إلى ما عداه من العنبر وإلى أصناف النفائس التى يقذفها البحر ويستخرج منه. ثم إلى السفن كيف سيرت فى البحار وسرعة جريها، وإلى إيجاد الأنهار، ومعرفة النواتى موارد الرياح ومهابها وسواقيها.

وعجائب البحار كثيرة لا مطمع فى إحصائها. وقد قيل: «حدث عن البحر ولا حرج». وفيما ذكرناه كفاية.

ثم لينظر إلى أنواع المعادن المودعة تحت الجبال: فمنها ما ينطبع كالذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص، ومنها ما لا ينطبع كالفيروزج والياقوت والزبرجد. ثم إلى كيفية استخراجها وتنقيتها واتخاذ الحلى والآلات والأوانى منها. ثم إلى معادن الأرض كالنفط والقير والكبريت وغيرها وأقلها الملح، فلو خلت منه بلد لتسارع الفساد إلى أهلها.

ثم لينظر إلى أنواع النبات وأصناف فواكهها مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والأراييح: ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤]. مع اتحاد الأرض والهواء والماء فيخرج من نواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب، وبرة: حبة: ﴿سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١].

ثم لينظر إلى أرض البوادى وتشابه أجزائها فإنها إذا نزل القطر عليها اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ثم إلى كثرتها واختلاف أصنافها متشابهة وغير متشابهة. ثم إلى كثرة أشكالها وألوانها وطعومها وروائحها واختلاف طبائعها وكثرة منافعها، فلم ينبت من الأرض ورقة إلا وفيها منفعة أو منافع يقف فهم البشر دون إدراكها.

ثم لينظر إلى أصناف الحيوان وانقسامها إلى ما يطير ويقوم ويمشى، وانقسام الماشى إلى ما يمشى على بطنه وإلى ما يمشى على رجلين وإلى ما يمشى على أربع، وإلى أشكالها وألوانها وصورها وأخلاقها وأفعالها ليرى عجائب تدهش منها العقول، بل فى

البقة أو النمل أو العنكبوت أو النحل فإنها من ضعاف الحيوانات ليرى ما يتحير منه من بنائها البيت وجمعها الغذاء وادخارها القوت لوقت الشتاء وحذقها فى هندستها ونصبها الشبكة للصيد، وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب ما لا يحصى وإنما سقط التعجب هنا للأنس وكثرة المشاهدة. وعجائب السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس:١٠١]. بحار لا يدرى سواحلها ولا يعرف أوائلها ولا أواخرها، والله الموفق للصواب.

* * *

المقدمة الثانية: فى تقسيم المخلوقات

المخلوق كل ما هو غير الله سبحانه وتعالى. وهو إما أن يكون قائمًا بالذات أو قائمًا بالغير والقائم بالذات إما أن يكون متحيزًا أو لم يكن، فإن كان متحيزًا فهو الجسم وإن لم يكن فهو الجوهر الروحانى، وهو إما أن يكون متعلقًا بالأجسام تعلق التدبير وهو النفس أو لا يكون وهو إما أن يكون سليمًا عن الشهوة والغضب وهو الملك أو لا يكون وهو الجن القائم بالغير، فإن كان قائمًا بالمتحيزات فهو الأعراض الجسمانية وإن كان قائمًا بالمفارقات فهو الأعراض الروحانية كالعلم والقدرة، والأعراض الجسمانية، إما أن يلزم من صدقها حصول صدق النسبة أو صدق قبول النسبة أو لا هذا ولا ذاك، فإن كان الأول فالنسبة إما حصول فى المكان وهو الأين أو فى الزمان وهو الشىء أو نسبة متكررة وهو الإضافة أو تأثير الشىء فى الشىء وهو الفعل أو تأثر الشىء عن الشىء وهو الانفعال، وكون الشىء محيطًا بالشىء يجب أن ينتقل المحيط بانتقال المحاط به وهو الملك، أو هيئة حاصلة بمجموع الجسم بسبب حصول النسب بين أجزاء بعضها إلى بعض وبين أجزائه والأمور الخارجية وهو الوضع، وإن كان يلزم من حصولها صدق قبول النسبة فهو إما أن يكون بحيث لا يحصل بين أجزائه حدود مشتركة وهو العدد أو يحصل وهو المقدار، وإن كان لا يلزم من حصولها صدق قبول النسبة فإما أن يكون مشروطًا بالحياة أو لم يكن، فإن كان فإما أن يتوقف على الشهوة والنفرة وهو التحريك أو لا يتوقف وهو الإدراك، ثم الإدراك إما إدراك الكليات وهو العلوم والظنون والجهالات أو إدراك الجزئيات وهو الحواس الخمس. وإن لم يكن مشروطًا بالحياة فهو الأعراض المحسوسة بالحواس الخمس، أما المحسوسات بالقوة الباصرة فكالأضواء والألوان، وأما المحسوسات بالقوة الشامة فكالطيب والنتن، وأما المحسوسات بالقوة

السامعة فالأصوات والحروف، وأما المحسوسات بالقوة اللامسة فكالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والثقل والخفة والصلابة واللين والخشونة والملاسة فهذه جملة أقسام الممكنات، وسيأتى الكلام فى كل قسم منها إن شاء الله تعالى.

* * *

فصل

ذكر أهل السير أنه وجد فى السفر الأول من التوراة: أن الله تعالى خلق جواهر ثم نظر إليها نظر الهيبة فذاب الجوهر وصعد منه دخان ورسب منه رسوب، فخلق سبحانه من الدخان السموات ومن الرسوب الأرض، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]. وأحكم جلت قدرته خلق المجموع فى ستة أيام.

قال بعض العلماء: إن اليوم فى اللغة الكون الحادث والأيام هاهنا مراتب مصنوعاته لأن قبل الزمان لا يمكن تجدد الزمان، فمن الأيام الستة يوم لمادة الأرض ويوم لصورتها، ويوم لمادة السماء ويوم لصورتها، ويوم لمكملاتها من الجبال والكواكب والنفوس وغيرها، وقال أيضًا: كل ما فوق الأرض فهو سماء فى طريق اللغة، يقولون: ما علاك فهو سماؤك وما دونك فلك القمر فهو بالنسبة إلى الأفلاك أرض قال تعالى: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]. يعنى سبعًا، فالأولى كرة النار والثانية كرة الهواء والثالثة كرة الماء والرابعة كرة الأرض، وثلاث طبقات ممتزجات بين الأربعة الأولى من النار والهواء والثانية من الهواء والماء والثالثة من الماء والأرض، ثم دبر بعنايته بعد الجماد أمر المعادن الداخلة فى الجماد ثم النبات ثم الحيوان هذا هو القول الكلى فى المخلوقات، وسيأتى القول فى جزئياتها فى مقالتين إن شاء الله تعالى، والله الموفق للصواب.

* * *

المقدمة الثالثة: فى معنى الغريب

الغريب كل أمر عجيب قليل الوقوع مخالف للعادات المعهودة والمشاهدات المألوفة، وذلك إما من تأثير نفوس قوية أو تأثير أمور فلكية أو أجرام عنصرية كل ذلك بقدرة الله تعالى وإرادته.

فمن ذلك: معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانشقاق القمر، وانفلاق البحر، وانقلاب العصا ثعبانًا، وكون النار بردًا وسلامًا، وخروج الناقة من الصخرة الصماء، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، ومنها كرامات الأولياء الأبرار فإن تأثير نفوسهم يتعدى إلى غير أبدانهم حتى يحدث عنها انفعالات غريبة فى العالم فيشفى المريض باستشفائهم وتسقى الأرض باستسقائهم، وربما يحدث الخسف والزلزلة والطوفان والصواعق بدعواتهم، ويصرف الوباء والموتان باستدعائهم، وتبدل لهم نفرة الطيور بالهدوء والوقوع وصولة السباع وشدتها باللين والخضوع.

ومنها: إخبار الكهنة، والكهانة اندرست بمبعث النبى ﷺ، وكانوا يأتون فى الجاهلية بأمور غريبة زعموا أنها كانت بواسطة اختلاط نفوسهم بنفوس الجن.

ومنها: الإصابة بالعين فإن العائن إذا تعجب من شىء كان تعجبه مهلكًا للمتعجب منه بخاصية لنفسه لا يوقف عليها.

ومنها: اختصاص بعض النفوس من الفطرة بأمر غريب لا يوجد مثله لغيرها كما ذكر أن فى الهند قومًا إذا اهتموا بشىء اعتزلوا عن الناس وصرفوا همتهم إلى ذلك الشىء فيقع على وفق اهتمامهم.

ومن هذا القبيل: ما حكى أن السلطان محمودًا غزا بلاد الهند، وكان فيها مدينة كل من قصدها مرض، فسأل عن ذلك، فقالوا: إن عندهم جمعًا من الهند يصرفون هممهم على ذلك فيقع المرض على وفق اهتمامهم، فأشار إليه بعض أصحابه بدق الطبول ونفخ البوقات الكثيرة ليشوش هممهم، ففعلوا ذلك فزال المرض واستخلصوا المدينة.

ومن هذا القبيل: ما ذكر أن رجلاً فيلسوفًا فى زمن خوارزم شاه محمد بن نكش جاء من بلاد الهند إلى خراسان فأسلم، وكان يقال له داناى هند يستخرج طالع كل إنسان أراد حتى ضربوه بالطوالع الرصدية فلم يخط شيئًا، وزعم أن ذلك له بواسطة حساب يعرفه فرفع أمره إلى السلطان فقال له: هل تقدر على استخراج غير الطوالع؟ قال: نعم. قال: أخبرنى عما رأيت البارحة فى نومى؟ فرجع إلى نفسه وحسب ثم قال: رأى

السلطان أنه فى سفينة وبيده سيف: فقال السلطان: لقد أصاب لكنا لا نقنع بهذا القدر لأنى على طرف جيحون كثيرًا ما أركب السفينة والسيف لا يفارقنى فربما قال اتفاقًا، فامتحنه مرة أخرى فأصاب فقربه من نفسه وكان يستعين به فى أموره.

ومن ذلك: أمور سماوية كظهور الكواكب ذوات الأذناب والتماثيل والشنانين وانقضاض شهب يستضىء الجو منها.

ومنها: سقوط جسم من الجو ثقيل كما ذكر الشيخ الرئيس: أنه سقط فى زمانه بأرض جوزجان جسم كقطعة الحديد قدر خمسين منا مثل حبات الجاورش المنضمة، فأرادوا كسرها فما كان يعمل فيها الحديد ألبتة.

ومنها: سقوط ثلج أو برد فى غير أوانه كما حكى عن بعض شيوخ قزوين أنه أتاهم فى زمن الشمس برد عظيم كل واحدة على قدر الجوزة فأهلك كثيرًا من الحيوان والنبات، والمشمش لا يدرك بقزوينه إلا فى الصيف.

ومنها: سقوط أحجار من الحديد والنحاس فى وسط الصواعق وذلك يوجد ببلاد الترك، وربما يوجد بأرض جبلان أيضًا.

وحكى أبو الحسن على بن الأثير الجزرى فى تاريخه: أنه نشأت بإفريقية فى سنة إحدى عشرة وأربعمائة سحابة شديدة الرعد والبرق، فأمطرت حجارة كثيرة وأهلكت كل من أصابته.

وأغرب من هذا ما حكاه الجاحظ أنه نشأت سحابة بإيدج وهى مدينة بين أصبهان وجوزستان سحابة طحيا تكاد تمس رؤوس الناس وسمعوا منها كهدير الفحل، ثم إنها دفعت بأشد مطر ثم استسلموا للغرق ثم دفعت بالضفادع والشبابيط العظام السمان، والشبوط نوع من السمك فأكلوا وملحوا وادخروا كثيرًا.

ومن ذلك: أمور أرضية مثل صيرورة اليبس بحرًا كأرض اليونان فإنها كانت بلادًا معمورة والآن استولى الماء عليها، وصيرورة البحر يبسًا كأرض ساوة فإنها كانت بحرًا والآن لا يرى فيها أثر البحر.

ومنها: ما زعموا أنه يصعد من الأرض بخار لا يصيب شيئًا من الحيوان والنبات إلا جعله صلبًا، وآثار ذلك ظاهرة من أرض مصر ومثله ثم بأرض قزوين.

ومنها: وقوع خسف بناحية من الأرض وخروج ماء أسود منها، وقد شوهد ذلك فى كثير من النواحى منها مدينة عنجرة بأرض الروم وقرية دركزين من أعمال همدان، ومنها زلزلة تبقى شهرًا أو أكثر ببعض النواحى. وقد شوهد ذلك بأرض نيسابور والرى

وحدثنى أبو القاسم الرافعى قدس الله روحه أنه شاهد فى هذه الزلزلة سقفًا قد انشق حتى رأى الكواكب من جانبه ثم عاد إلى حاله ولم يظهر عليه أثر الشق.

ومنها: ظهور معدن ببعض الأصقاع لم يعرف قبل ذلك من الزمان، كظهور معدن الذهب عند الإسماعيلية.

ومنها: ظهور نبت بأرض لا عهد للناس بوجوده هناك كظهور الترنجبين بأرض ساوة.

ومنها: تولد حيوان غريب الشكل لم ير مثله، كما روى عن الشافعى رضى الله تعالى عنه أنه رأى باليمن إنسانًا من وسطه إلى سفله بدن امرأة، ومن وسطه إلى فوق بدنان مفترقان بأربع أياد ورأسين ووجهين وهما يأكلان ويشربان ويختصمان ويصطلحان. وذكر أن امرأة بكلوسامان من قرى بلخ ولدت شخصًا له نصف بدن ونصف رأس ويد واحدة ورجل واحدة على سورة النسناس الذى يوجد فى غياض الشجر باليمن، ثم حملت مرة أخرى فولدت بدنًا له رأسان.

وزعم الحكماء أنهم وجدوا ثلاثة معان من الأمور غريبة وقد وضعوا لكل معنى اسما:

وأحد هذه المعانى: الآثار النفسانية والانفعالات التابعة للتصورات من غير واسطة أمر طبيعى، فاستعمال تلك التصورات فى الخير معجزة من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكرامة من الأولياء عليهم الرحمة والرضوان، واستعمالها فى الشر سحر من النفوس الشرية.

وثانيها: أمور غريبة تحدث من قوى سماوية، وأجسام عنصرية مخصوصة بهيئات وأشكال وأوضاع تسمى الطلسمات.

وثالثها: أمور غريبة تحدث من أجساد أرضية كجذب المغناطيس الحديد وتسمى النيرنجات، وهذا هو القول الكل فى الأمور الغريبة، وسيأتى الكلام فى جزئياتها إن شاء الله تعالى.

* * *

المقدمة الرابعة: فى تقسيم الموجودات

كل موجود سوى الواحد سبحانه مخلوق، وكل ذرة من جوهر وعرض وصفة وموصوف فيها غرائب وعجائب يظهر فيها حكم الله تعالى وقدرته، وإحصاء ذلك غير ممكن لكنا نشير إلى ذلك ونقول إجمالا، فنقول:

الموجودات منقسمة إلى ما لا نعرف أصلها ولا يمكننا النظر فيها فكم من موجود لا نعلمه كما قال الله تعالى: ﴿**وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل:٨]، وإلى ما نعرف جملها ولا نعرف تفصيلها، وهى منقسمة إلى ما لا يدرك بالبصر كالعرش والكرسى والملائكة والجن والشياطين وغيرها فمحال النظر فيها، ولا يمكن أن يقال فيها إلا ما صح بالنصوص والأخبار والآثار.

وأما المدركات بالبصر كالسموات والأرض وما بينهما والسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها ودورانها، والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها وبحارها وأنهارها ومعادنها ونباتها وحيوانها، وما بين السماء والأرض وهواء الجو مدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعودها وبروقها وصواعقها وشهبها وعواصف أرياحها فهذه أجناس المشاهدات من السموات والأرض وما بينهما، وكل جنس منها ينقسم إلى أنواع، وكل نوع ينقسم إلى أصناف، وكل صنف ينقسم إلى أقسام ولا نهاية لاستيعاب ذلك، وانقسامها فى اختلاف صفاتها وهيئاتها ومعانيها الظاهرة والباطنة. وفى جميع ذلك مجال البصر فلا تتحرك ذرة فى السموات والأرض إلا وفى تحريكها حكمة أو حكمتان أو عشرة أو ألف، وكل ذلك دليل على وحدانيته وكبريائه وعظمته كما قال بعضهم:

وللّه فى كل تحريكة   وتسكينة أبدا شاهد
وفى كل شىء له آية   تدل على أنه واحد

* * *

المقالة الأولى: فى العلويات والنظر فيها فى أمور

النظر الأول: فى حقيقة الأفلاك وأشكالها وأوضاعها وحركاتها بطريق الإجمال

ذهب الحكماء إلى أن الفلك جسم بسيط كروى مشتمل على الوسط متحرك عليه ليس بخفيف ولا ثقيل ولا بارد ولا حار ولا رطب ولا يابس ولا قابل للخرق ولا للالتئام ولهم على ذلك أدلة مذكورة فى الكتب الحكمية، وكتابنا هذا ليس بصددها، والأفلاك كرات محيطة بعضها ببعض حتى حصلت من جملتها كرة واحدة يقال لها العالم، وأدناها إلى العناصر فلك القمر، ثم فلك عطارد، ثم فلك الزهرة، ثم فلك الشمس، ثم فلك المريخ، ثم فلك المشترى، ثم فلك زحل، ثم فلك الثوابت، ثم فلك الأفلاك.

واعلم أن لكل فلك مكانًا لا ينتقل عنه لكنه متحرك فيه بأجرامه لا يقف طرفة عين، وسرعة حركتها أسرع من كل شىء شاهده الإنسان حتى صح فى الهندسة أن الفرس فى حالة الركض الشديد من الوقت الذى رفع يديه إلى أن يضعها يتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف فرسخ، ثم إن من الأفلاك ما يتحرك من المشرق إلى المغرب كالفلك الأعظم.

ومنها ما يتحرك من المغرب إلى المشرق كفلك الثوابت وأفلاك السيارات.

ومنها ما يتحرك بالنسبة إلينا دولابية.

ومنها ما يتحرك حمائلية.

ومنها ما يتحرك رحوية.

ومنها ما يشتمل على الوسط ولكن ليس مركزه مركز العالم كالأفلاك التسعة.

ومنها ما يشتمل على الوسط لكن ليس مركزه مركز العالم كخارج المراكز.

ومنها ما ليس مشتملاً على الوسط كأفلاك التداوير، وسيأتى شرحها إن شاء الله تعالى ومن الأفلاك ما لم يعرف له إلا كوكب واحد كأفلاك السيارات.

ومنها ما لم يعلم عدد كواكبها إلا الله تعالى كفلك الثوابت.

ومنها ما ليس له كوكب أصلاً كالفلك الأعظم ويقال له الفلك الأطلس.

وجميع الحركات الموجودة فى العالم بحسب ما عرف من آراء المتقدمين وأصحاب الأرصاد ولاسيما بطليموس فإن اعتماد القوم على رصده خمسة وأربعين حركة للفلك الأعظم وحركة لفلك الثوابت، وثمانى عشرة حركة لأفلاك الكواكب العلوية لكل واحد منها ست حركات وحركتان لفلك الشمس وست حركات لفلك الزهرة وتسع حركات لفلك عطارد، وست حركات لفلك القمر وحركتان لما دون فلك القمر وهما حركتا الثقل والخفة، هذا ما بلغ إليه فهم العقلاء وذهن الأذكياء والله هو الموفق.

* * *

النظر الثانى: فى نظرية القمر

وهو يحده سطحان كرويان متوازيان مركزهما مركز العالم السطح الأعلى منهما لمقعر فلك عطارد. والأدنى لمحدب كرة النار، ويتم دورته فى كل ثمانية وعشرين يومًا بحركته التى تختص به من المغرب إلى المشرق، وفلك تدويره يدور فى الفلك الحاوى فى كل أربعة عشر يومًا مرة، ففى الدورة الأولى يكون القمر بوجهه الممتلئ إلى مركز الأرض. ثم إن فلكه الكل ينقسم إلى أربعة أفلاك ثلاثة منها شاملة للأرض وواحد صغير غير شامل.

أما الشاملة: فالأول منها: يسمى فلك الجوزهر وهو الذى يماس السطح الأعلى منه السطح الأدنى من فلك عطارد.

والثانى منها: يماس السطح الأعلى منه مقعر فلك الجوزهر.

والثالث منها: فلك خارج المركز فى الفلك المائل من مركزه خارج عن مركز العالم مائل إلى جنب من الفلك الملكى بحيث يماس مقعر سطحيه السطح الأدنى من الفلك الكلى على نقطة مشتركة بينهما ويسمى الأوج ويماس مقعر سطحيه السطح الأدنى من الفلك الكلى على نقطة مشتركة بينهما ويسمى الحضيض، فيحصل سطحان مختلفا الثخن أحدهما حاو للفلك الخارج المركز والآخر محوى فيه ورقة الحاوى مما يلى الأوج. وغلظه مما يلى الحضيض ورقة المحوى وغلظه بالعكس، يقال لكل واحد منهما المتمم. أما الفلك الصغير فهو فى ثخن الفلك الخارج المركز يقال له فلك التدوير والقمر مركوز فيه يتحرك بحركته، وحركة هذا الفلك حركة مختصة به مغايرة لحركة الفلك الكلى. وزعموا أن ثخن فلك القمر وهو بعد ما بين سطحه الأعلى وسطحه الأدنى مائة ألف وثمانية عشر ألفا وستة وستون ميلا، وبطليموس قد ذكر ثخن الأفلاك ومقادير أجرام

الكواكب ودوائرها وأقطارها، ولا تستصعبن ذلك فإنه لا يصعب إلا على من لا دراية له بعلم الهندسة. وأما من حل الثانية من إقليدس فيسهل عليه ذلك إن كان فطنا.

* * *

فصل: وأما القمر

فهو كوكب مكانه الطبيعى الفلك الأسفل من شأنه أن يقبل النور من الشمس على أشكال مختلفة ولونه الدانى إلى السواد يبقى فى كل برج ليلتين وثلث ليلة ويقطع جميع الفلك فى شهر، وهو أصغر الكواكب فلكا وأسرعها سيرا، وزعموا أن جرم القمر جزء من تسعة وثلاثين جزءا أو ربع جزء من جرم الأرض، ودورة القمر أربعمائة واثنان وخمسون ميلا بالتقريب، هذا ما وصل إليه آراء الحكماء بحكم المقدمات الحسابية.

* * *

فصل: فى زيادة ضوئه ونقصانه

القمر جرم كثيف مظلم قابل للضياء إلا القليل منه على ما يرى فى ظاهره. فالوجه الذى يواجه الشمس مضىء أبدا فإذا كان قريبا من الشمس كان الوجه المظلم مواجها للأرض، وإذا بعد عن الشمس إلى المشرق ومال النصف المظلم من الجانب الذى يلى المغرب إلى الأرض تظهر من النصف المضىء قطعة هى الهلال، ثم يتزايد الانحراف وتزداد بتزايده القطعة من النصف المضىء حتى إذا كان فى مقابلة الشمس ينقص الضياء من الجانب الذى بدأ بالضياء على الترتيب الأول حتى إذا صار فى مقابلة الشمس كان النصف المواجه للشمس هو النصف المواجه لنا فنراه بدرا، ثم يقرب من الشمس فينقص الضياء من الجانب الذى بدأ بالضياء على الترتيب الأول حتى إذا صار فى مقابلة الشمس ينمحق نوره ويعود إلى الموضع الأول، وينزل كل ليلة منزلا من المنازل الثمانية والعشرين ثم يستتر ليلة، فإن كان الشهر تسعة وعشرين استتر ليلة ثمانية وعشرين، وإن كان ثلاثين استتر ليلة تسعة وعشرين، ويقطع فى استتاره منزلا ثم يتجاوز الشمس فيرى هلالا، وذلك قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩] يريد أنه ينزل كل ليلة منزلا منها حتى يصير كأصل العذق إذا قدم ورقّ واستقوس.

* * *

فصل: فى خسوفه

وسببه توسط الأرض بينه وبين الشمس، فإذا كان القمر فى إحدى نقطتى الرأس والذنب أو قريبا منه عند الاستقبال تتوسط الأرض بينه وبين الشمس فيقع فى ظل الأرض ويبقى على سواده الأصلى فيرى منخسفا. والشمس أعظم من الأرض فيكون ظل الشمس مخروطا قاعدته دائرة صفحة الأرض، لأن الخطوط الشعاعية التى تخرج من الشمس إلى جرم الأرض لا تكون متوازية فإذا اتصلت بمحيط الأرض ونفذت فى الجهة الأخرى تلاقيا عند نقطة فيحصل ظل الأرض على شكل المخروط، فإذا لم يكن للقمر عرض عن فلك البروج عند الاستقبال وقع كله فى جرم المخروط فيخسف كله حينئذ، وإن كان له عرض يخسف بعضه، وربما يماس جرم القمر مخروط الظل ولا يقع فيه شىء، وذلك إذا كان عرض القمر مساويا لنصف مجموع القطرين أعنى قطر القمر وقطر الظل، وإذا كان أقل من نصف القطرين يخسف بعضه.

* * *

فصل: فى خواص القمر وتأثيراته العجيبة

زعموا أن تأثيراته بواسطة الرطوبة كما أن تأثيرات الشمس بواسطة الحرارة، ويدل عليها اعتبار أهل التجارب.

ومنها: أمر البحار، فإن القمر إذا صار فى أفق من آفاق البحر أخذ ماؤه فى المد مقبلا مع القمر، ولا يزال كذلك إلى أن يصير القمر فى وسط سماء ذلك الموضع فإذا صار هناك انتهى المد منتهاه، فإذا انحط القمر من وسط سمائه جزر الماء ولا يزال كذلك راجعا إلى أن يبلغ القمر مغربه فعند ذلك ينتهى الجزر منتهاه، فإذا زال القمر من مغرب ذلك الموضع ابتدأ المد مرة ثانية إلا أنه أضعف من الأولى. ثم لا يزال كذلك إلى أن يصير القمر فى وتد الأرض فحينئذ ينتهى المد منتهاه فى المرة الثانية فى ذلك الموضع. ثم يبتدئ بالجزر والرجوع ولا يزال كذلك حتى يبلغ القمر أفق مشرق ذلك الموضع فيعود المد إلى ما كان عليه أولا فيكون فى كل يوم وليلة بمقدار مسير القمر فيهما فى ذلك البحر مدان وجزران.

ومنها: أمر أبدان الحيوانات، فإنها فى وقت زيادة القمر وضوئه تكون أقوى والسخونة والرطوبة والنمو عليها أغلب وتكون الأخلاط فى بدن الإنسان ظاهرة

والعروق تكون ممتلئة، وبعد الامتلاء تكون الأبدان أضعف والبرد عليها أغلب والنمو أقل والأخلاط فى غور البدن. والعروق أقل امتلاء وذلك أمر ظاهر عند علماء الطب.

ومنها: أن الأطباء ذهبوا إلى أن أحوال البحر أنات وتقارب أيامها مبنية على زيادة ضوء القمر ونقصانه، وكتب الطب ناطقة بذلك، وزعموا أن الذين يمرضون فى أول الشهر أبدانهم وقواهم على دفع المرض أقوى، والذين يمرضون فى آخر الشهر بالضد.

ومنها: أن شعور الحيوانات يسرع نباتها ما دام القمر زائد النور ويغلظ ويكبر، وإذا كان ناقص النور أبطأ نباته ولم يغلظ.

ومنها: أن الحيوانات تكثر ألبانها من ابتداء زيادة نور القمر إلى الامتلاء وتزداد أدمغتها، وبياض البيض المنعقد فى أول الشهر أكثر، وإذا نقص نور القمر نقصت غزارة الألبان ومادة الأدمغة وكثرة بياض البيض.

ومنها: أن الإنسان إذا أكثر القعود أو النوم فى ضوء القمر تولد فى بدنه الكسل والاسترخاء ويهيج عليه الزكام والصداع. وإذا كانت لحوم الحيوانات بادية لضوء القمر تغيرت رائحتها وطعمها.

ومنها: أن السمك يوجد فى البحار والأنهار من أول الشهر إلى الامتلاء أكثر مما يوجد من الامتلاء إلى آخر الشهر، ويكون أيضا فى النصف الأول من الشهر أسمن منه فى النصف الأخير.

ومنها: أن حشرات الأرض خروجها من أجحرتها فى النصف الأول من الشهر أكثر من خروجها منه فى النصف الأخير، وكل حيوان يلسع أو يعض فإنه فى النصف الأول من الشهر أقوى فعلا منه فى النصف الأخير وسمه أشد تأثيرا.

ومنها: أن السباع فى النصف الأول أشد طلبا للصيد منها فى النصف الأخير.

ومنها: أن الأشجار إذا غرست والقمر زائد النور علقت وأسرعت النشوء والحمل، وإن وقع اللقاح والحمل والقمر زائد النور كانا جيدين، وإن وقع والقمر ناقص النور أو زائلا من وسط السماء لم يسرع النبات وأبطأت فى الحمل وربما يبست.

ومنها: أن الفواكه والرياحين والزرع والبقول والأعشاب زيادتها من وقت زيادة القمر إلى الامتلاء أكثر من زيادتها ونموها من الامتلاء إلى المحاق، وهذا أمر ظاهر عند أرباب الفلاحة حتى عند عامتهم فضلا عن علمائهم، فإنهم يجدون تأثير ذلك ظاهرا ولاسيما فى البقول والخوخ والبطيخ والسمسم والقثاء والخيار والقرع من أول الشهر إلى نصفه يزيد أكثر مما يزيد من نصف الشهر إلى آخره.

ومنها: أن الفواكه إذا وقع عليها ضوء القمر أعطاها لونا عجيبا من حمرة أو صفرة فالتى يقع عليها الضوء فى النصف الأول من الشهر أحسن لونا مما يقع عليها فى النصف الأخير.

ومنها: أن نبات القصب والكتان إذا وقع عليها ضوء القمر فى النصف الأول أشد تقطعا مما وقع عليها آخر الشهر.

ومنها: أن المعادن التى تتكون يكون جوهرها وصفاؤها أشد إذا كان تولدها من أول الشهر ولو كان فى آخره لا يكون كذلك.

* * *

خاتمة: فى المجرة

وهو البياض الذى يرى فى السماء يقال لها شرج السماء إلى زماننا هذا لم يسمع فى حقيقتها قول شاف. زعموا أنها كواكب صغار متقاربة بعضها من بعض، والعرب تسميها أم النجوم لاجتماع النجوم. وفيها زعموا أن النجوم تقاربت من المجرة فطمس بعضها بعضا فصارت كأنها سحاب، وهى ترى فى الشتاء أول الليل فى ناحية من السماء وفى الصيف أول الليل فى وسط السماء ممتدا من الشمال إلى الجنوب، وبالنسبة إلينا تدور دورًا رحويا فتراها نصف الليل ممتدة من المشرق إلى المغرب، وفى آخر الليل من الجنوب إلى الشمال، فما كان منها شماليا يكون جنوبيا، وما كان جنوبيا يكون شماليا والله أعلم بحقيقتها. وتكون على فلك يختص بها يدور بالنسبة إلينا رحويا أو على شىء من الأفلاك المذكورة.

* * *

النظر الثالث: فى فلك عطارد

وهو يحده سطحان كرويان متوازيان مركزهما مركز العالم السطح الأعلى منهما مماس لمقعر فلك الزهرة والأدنى لمحدب فلك القمر، ويتم دورته التى تختص به من المغرب إلى المشرق فى سنة واحدة، وينفصل عنه فلك خارج المركز بمنزلة الفلك الخارج المركز للقمر فى داخل ثخن الفلك الكلى ويقال له المدير، وينفصل عن فلك المدير فلك آخر خارج المركز يقال له خارج المركز الثانى والكوكب فى فلك التدوير، ويلزم أن يكون لعطارد أوجان أحدهما فى الفلك الكلى والثانى فى المدير، ويكون له أيضًا حضيضان،

وزعموا أن ثخن فلك عطارد وهو مسافة ما بين سطحه الأعلى وسطحه الأدنى ثلثمائة ألف وثمانمائة وثمانون ألفا واثنان وثمانون ميلا على رأى بطليموس صاحب الرصد، فإنه استخرج ذلك بالبراهين الهندسية، والله أعلم.

* * *

فصل

وأما عطارد فسماه المنجمون منافقا لكونه مع السعد سعدًا ومع النحس نحسا على زعمهم، وجرمه جزء من اثنين وعشرين جزءا من جرم الأرض، ودورة جرمه مائتان وستة وثمانون فرسخا وقطر جرمه مائتان وثلاثة وسبعون ميلا، ويبقى فى كل برج سبعة وعشرين يوما تقريبا، وهو كثير الرجعة والاستقامة يدور حول الشمس.

* * *

النظر الرابع: فى فلك الزهرة

وهو يحده سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم، الأعلى منها مماس لفلك الشمس والأدنى لفلك عطارد، وتتم دورته المختصة به من المغرب إلى المشرق فى سنة واحدة مثل فلك الشمس، غير أن فلك تدويره يسرع تارة فتصير الزهرة قدام الشمس ويبطئ أخرى فتصير الزهرة خلف الشمس، وثخن جرم فلك الزهرة وهو مسافة ما بين سطحه الأعلى والأدنى ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسة وتسعون ميلا، وصورته مشابهة لصورة فلك القمر سواء وفلك الشمس على تقدير أن يكون جرم الشمس فلك التدوير من غير فرق.

* * *

فصل

وأما الزهرة فسماها المنجمون السعد الأصغر، لأنها فى السعادة دون المشترى، وأضافوا إليها الطرب والسرور واللهو، وجرم الزهرة جزء من أربعة وثلاثين جزءا وثلث جزء من جرم الأرض، وقطر جرمها أربعمائة وتسعة وأربعون ميلا وسدس ميل، تبقى فى كل برج سبعة وعشرين يوما. وأما خواصها فزعموا أن النظر إليها مما يوجب فرحا وسرورا، وإذا كان بالناظر إليها حرارات السل تخفف عنه، وزعموا أن من شأنها الشبق

والباه والألفة، حتى لو نكح رجل امرأة والزهرة حسنة الحال وقع بينهما من المحبة والألفة ما يتعجب به.

* * *

النظر الخامس: فى فلك الشمس

وهو يحده سطحان كرويان مركزهما مركز العالم الأعلى منهما مماس لمقعر فلك المريخ، والأدنى منهما مماس لمحدب فلك الزهرة، ودورته من المشرق إلى المغرب تتم فى ثلثمائة وستين يوما وربع يوم، وينفصل عنه فلك شامل للأرض مركزه خارج المركز كما ذكره فى أفلاك الكواكب الثلاثة من غير فرق إلا أن الشمس هاهنا بمنزلة فلك التدوير إذ ليس للشمس فلك التدوير، وذلك من لطف الله تعالى وعنايته بالعباد، لأنه لو كان لها فلك التدوير كما لسائر الكواكب السيارة رجعت وبرجعتها يتمادى الصيف ستة أشهر وكذلك الشتاء فيؤدى إلى هلاك الحيوان والنبات، لأن الشمس إذا بقيت مسامتة لرءوس قوم ستة أشهر لتغير مزاج حيوانهم واحترق نباتهم، وإن بعدت عن قوم ستة أشهر استولى البرد على مزاجهم وانطفأت حرارتهم وفسد نباتهم، وثخن جرم فلك الشمس ثلثمائة ألف وخمسة وخمسون ألفًا وأربعة وسبعون ميلا.

* * *

فصل: فى الشمس

وهى أعظم الكواكب جرما وأشدها ضوءا، ومكانها الطبيعى الكرة الرابعة، وهى بين الكواكب كالملك وسائر الكواكب كالأعوان والجنود؛ فالقمر كالوزير وولى العهد، وعطارد كالكاتب، والمريخ كصاحب الجيش، والمشترى كالقاضى، وزحل كصاحب الخزائن، والزهرة كالخدم والجوارى، والأفلاك كالأقاليم، والبروج كالبلدان، والحدود والوجوه كالمدن، والدرجات كالقرى، والدقائق كالمحال، والثوانى كالمنازل، وهذا تشبيه جيد؛ ومن لطف الله تعالى جعلها فى وسط الكواكب السبعة لتبقى الطبائع والمطبوعات فى هذا العالم بحركاتها على حدها الاعتدالى، إذ لو كانت فى فلك الثوابت لفسدت الطبائع من شدة البرد، ولو انحدرت إلى فلك القمر لاحترق هذا العالم بالكلية، وخلقها سائرة غير واقفة وإلا لاشتدت السخونة فى موضع والبرودة فى موضع ولا يخفى فسادهما بل تطلع كل يوم من المشرق ولا تزال تمشى موضعًا بعد موضع إلى أن تنتهى

إلى المغرب فلا يبقى موضع مكشوف مواز لها إلا ويأخذ موضع شعاعها، وتميل كل سنة مرة إلى الجنوب ومرة إلى الشمال لتعم فائدتها. وأما جرمها فضعف جرم الأرض مائة وستة وستين مرة، وقطر جرمها أحد وأربعون وتسعمائة وثمانية وسبعون ميلا.

* * *

فصل: فى كسوفها

وسببه كون القمر حائلا بين الشمس وبين أبصارنا لأن جرم القمر كمد فيحجب ما وراءه عن الأبصار، فإذا قارن الشمس وكان فى إحدى نقطتى الرأس والذنب أو قريبا منه فإنه يمر تحت الشمس فيصير حائلا بينها وبين الإبصار. لأن الخطوط الموهومة الشعاعية التى تخرج من أبصارنا متصلة بالبصر على هيئة مخروط رأسه نقطة البصر وقاعدته المبصر، فإذا حال بيننا وبين الشمس يتحصل مخروط الشعاع أولا بالقمر، فإن لم يكن للقمر عرض عن فلك البروج وقع جرم القمر فى وسط المخروط فتنكسف الشمس كلها، وإن كان للقمر عرض ينحرف المخروط عن الشمس بمقدار ما يوجب العرض فينكسف بعضها، وذلك إذا كان العرض أقل من مجموع نصف القطرين، فإن كان يماس جرم القمر مخروط الشعاع لا تنكسف الشمس، ثم الشمس إذا انكسفت لا يكون لكسوفها مكث، لأن قاعدة مخروط الشعاع إذا انطبق على صفحة القمر انحرف عنه فى الحال فتبتدئ الشمس بالانجلاء، ولكن يختلف قدر الكسوفات باختلاف أوضاع المساكن بسبب اختلاف المنظر، وقد لا تنكسف فى بعض البلاد أصلا.

* * *

فصل: فى خواص الشمس وعجيب تأثيرها فى العلويات والسفليات

وأما فى العلويات: فإخفاؤها جميع الكواكب لكمال شعاعها وإعطاؤها للقمر النور بسبب قربه منها وبعده عنها، وجميع ما ذكرنا من فوائد القمر فائدة من فوائد الشمس.

وأما فى السفليات:

فمنها: تأثيرها فى البحار فإنه إذا أشرقت على الماء صعدت منه أبخرة بسبب السخونة، فإذا بلغ البخار إلى الهواء البارد تكاثف من البرد وانعقد سحابا ثم تذهب به الرياح إلى الأماكن البعيدة عن البحار فينزل مطرًا يحيى الله به الأرض بعد موتها،

وتظهر منه الأنهار والعيون فيصير سببا لبقاء الحيوان وخروج النبات وتكون المعادن، وقد قال عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الأعراف: ٥٧].

ومنها: أمر المعادن فإن العصارات التى تتحلب فى باطن الأرض من مياه الأمطار إذا اختلطت بالأجزاء الأرضية تصحبها الشمس فتتولد منها الأجساد المعدنية بحسب موادها كالذهب والفضة وسائر الفلزات والياقوت والزبرجد وسائر الأحجار النفيسة وكالزئبق والكبريت والزرنيخ والملح والنوشادر ولا يخفى عموم فوائد هذه الأشياء كلها.

ومنها: أمر النبات فإن الزروع والأشجار لا تنبت إلا فى المواضع التى تطلع عليها الشمس، وكذلك لا ينبت تحت النخل والأشجار العظيمة التى لها ظلال واسعة شيء من الزروع لأنها تمنع شعاع الشمس عما تحتها، وحسبك ما ترى من تأثير الشمس بسبب الحركة اليومية فى النيلوفر والأذريون وورق الخروع فإنها تنمو وتزداد عند أخذ الشمس فى الارتفاع والصعود فإذا زالت الشمس أخذت فى الذبول حتى إذا غابت ذبلت وضعفت ثم عادت فى اليوم الثانى إلى حالها.

ومنها: تأثيرها فى الحيوانات فإنا نرى الحيوان إذا طلع نور الصبح خلق الله تعالى فى أبدانها قوة فتظهر فيها قوة حركة وزيادة نشاط وانتعاش، وكل ما كان طلوع نور الشمس أكثر إلى أن تصل إلى وسط أسمائهم أخذت حركاتهم وقواهم فى الضعف ولا تزال تزداد ضعفا إلى زمان غيبوبتها، فإذا غابت الشمس رجعت الحيوانات إلى أماكنها ولزمتها كالموتى فإذا طلعت الشمس عليهم فى اليوم الثانى عادوا إلى الحالة الأولى. ومن عجيب تأثيرها فى الحيوانات أن تجعل أهل البلاد القريبة عن مسامتتها كبلاد السودان الذين هم الإقليم الأول سودا محترقين وتجعل وجوههم من شدة الحرارة قحلة وجثثهم خفيفة وأخلاقهم وحشية شبيهة بأخلاق السباع، والمواضع البعيدة عن مسامتتها كبلاد الصقالبة والروس تجعلهم لضعف حرارتها بيضا وتجعل شعورهم سبطة شقراء وأبدانهم رخصة عظيمة وأخلاقهم شبيهة بأخلاق البهائم.

ومنها: ما زعمت البراهمة أن أوج الشمس فى كل برج ثلاثة آلاف سنة وتقطع الفلك فى ست وثلاثين ألف سنة؛ والآن فى وقتنا هذا وهو إحدى وستون وستمائة فى برج الجوزاء زعموا أن الأوج إذا انتقل إلى البروج الجنوبية انقلبت أحوال الأرض وهيئاتها فصار العامر غامرا والغامر عامرا والبحر يبسا واليبس بحورا والجنوب شمالا والشمال جنوبا.

النظر السادس: فى فلك المريخ

وهو يحده سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم فالأعلى منهما مماس لفلك المشترى والأدنى مماس لفلك الشمس، وتتم دورته التى تختص به من المغرب إلى المشرق فى سنة واحدة وعشرة أشهر واثنين وعشرين يوما، وصورته كفلك القمر وفلك الزهرة من غير فرق ولا حاجة إلى إعادته، وكذلك فلك زحل، وعلى رأى بطليموس ثخن فلك المريخ وهو المسافة التى بين سطحه الأعلى وسطحه الأسفل عشرون ألف ألف وثلثمائة ألف وستة وسبعون ألفا وتسعمائة وثمانية وتسعون ميلا.

* * *

فصل

والمنجمون يسمون المريخ النحس الأصغر لأنه دون زحل فى النحوسة وأضافوا إليه البطش والقتل والقهر والغلبة، وجرم المريخ مثل جرم الأرض مرة ونصف مرة بالتقريب، وثخن جرمه تسعمائة ألف وثمانمائة وخمسة وثمانون ميلا، ويبقى فى كل برج إذا كان مستقيما أربعين يوما.

* * *

النظر السابع: فى فلك المشترى

وهو يحده مسطحان متوازيان الأعلى منهما مماس لفلك زحل والأدنى مماس لفلك المريخ. مركزهما مركز العالم، ويتم دورته المختصة به من المغرب إلى المشرق فى إحدى وعشرين سنة وعشرة أشهر وخمسة عشر يوما، وصورته كصورة فلك المريخ والزهرة وقد مضى ذكرهما، وثخن جرمه وهو المسافة التى بين سطحه الأعلى وسطحه الأسفل عشرون ألف ألف وثلثمائة واثنان وثلاثون ألفا وأربعمائة واثنان وثلاثون ميلا بالتقريب.

* * *

فصل

وأما المشترى فسماه المنجمون السعد الأكبر لأنه فوق الزهرة فى السعادة وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة والسعادة العظيمة، وجرم المشترى مثل جرم الأرض أربعة وثمانون مرة

وثلث وربع، وقطر جرم المشترى كقطر جرم الأرض أربع مرات وربعا وسدسا يقطع فى كل يوم خمس دقائق.

* * *

النظر الثامن: فى فلك زحل

وهو يحده سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم. الأعلى منهما مماس لفلك الكواكب الثابتة والأدنى منهما مماس لفلك المشترى، وتتم دورته المختصة به من المغرب إلى المشرق فى تسع وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة أيام. قال بطليموس: ثخن جرم فلك زحل أحد وعشرون ألف ألف ميل وستمائة وستة وثلاثون ألفا وستمائة وستة أميال.

* * *

فصل

وسماه المنجمون النحس الأكبر لأنه فى النحوسة فوق المريخ وأضافوا إليه الخراب والهلاك والهم والغم، وجرم زحل كجرم الأرض إحدى وثمانين مرة، وقطره كقطر جرم الأرض أربعين مرة وثلثى مرة، وزعموا أن النظر إليه يفيد غما وحزنًا كما أن النظر إلى الزهرة يفيد فرحا وسرورا.

* * *

النظر التاسع: فى فلك الثوابت

وهو يحده سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم فالأعلى منهما مماس للفلك الأعظم المحيط بجميع الأفلاك المحرك لكلها، والأدنى منهما مماس لفلك زحل، وهذا الفلك أيضا يتحرك من المغرب إلى المشرق حركة بطيئة فيقطع فى كل مائة سنة جزءا من الأجزاء التى بها تكون الدائرة ثلثمائة وستين جزءا، ودورته تتم فى ستة وثلاثين ألف سنة، وقطباها قطبا دائرة البروج التى ترسمها الشمس وسيأتى ذكر ذلك إن شاء الله تعالى، وقد وجد فى رصد بطليموس وأرصاد من كان قبله أن جميع الكواكب الثابتة مركوزة فى جرم هذا الفلك ولذلك لا تختلف أوضاعها، وكلها تتحرك بحركة فلكها البطيئة على محيط دائرته غير مفارقة لها، وهى كثيرة مختلفة الأقدار مثبتة فى جميع

جرم هذا الفلك. قال بطليموس ثخن فلك الثوابت وهو المسافة التى بين سطحه الأعلى وسطحه الأدنى أربعة وثلاثون ألفًا وسبعمائة وأربعة وأربعون ميلا بالتقريب، وهذا المقدار هو قطر الكواكب الثابتة التى هى فى العظم الأول، وجرم الكوكب الذى هو فى العظم الأول مثل جرم الأرض أربعة وسبعين مرة وخمس، وجرم أصغر الكواكب الثابتة وهو الذى يكون فى العظم السادس مثل جرم الأرض ثمانية عشر مرة، وقطر فلك الكواكب الثابتة وهو محدد فلك البروج مائة وأحد وخمسون ألف ألف ميل وخمسمائة وسبعة وثلاثون ألفا ومائة وأربعة وثمانون ميلا، ولعل البعض يستبعد معرفة مقادير هذه الأجرام ويخطر أن الذى على سطح الأرض كيف يدرى ثخن الفلك الثامن وأجرام كواكبه، فالأولى تركه الاستبعاد، فإن الأمر الذى لا يعرفه هو لا يستحيل أن يعرفه غيره. ومن مارس علم الهندسة لا يتعذر عليه براهين هذه الأمور، فإن لكل عمل رجالا. فسبحان من أبدع هذه الأجسام الرفيعة وزينها بهذه الأجسام المنيرة وخص كل واحد منها بما شاء من المقدار وأعطى الإنسان آلة يدرك بها هذه الأمور الغامضة فقال تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].

* * *

فصل: فى الكواكب الثابتة

اعلم أن عددها مما يقصر ذهن الإنسان عن ضبطه لكن الأولين قد ضبطوا منها ألفا واثنين وعشرين كوكبا ثم وجدوا من هذا المجموع تسعمائة وسبعة عشر كوكبا تنتظم منها ثمانية وأربعون صورة كل صورة منها تشتمل على كوكبها، وهى الصور التى ثبتها بطليموس فى كتاب «المجسطى» بعضها فى النصف الشمالى من الكرة وبعضها على منطقة فلك البروج التى هى طريقة السيارات وبعضها فى النصف الجنوبى، فسمى كل صورة باسم الشىء المشبه بها فوجد بعضها على صورة الإنسان كالجوزاء، وبعضها على صورة الحيوانات البحرية كالسرطان، وبعضها على صورة الحيوانات البرية كالحمل، وبعضها على صورة الطير كالعقاب، وبعضها خارجا عن شبه الحيوانات كالميزان والسنبلة، ووجدوا من هذه الصور ما لم يكن تام الخلقة مثل قطعة الفرس، ومنها ما بعضه من صورة حيوان وبعضه الآخر من صورة حيوان آخر كالرامى، ومنها ما لم تتم صورته حتى جعل من صورة أخرى كوكب مشترك منهما مثل ممسك الأعنة، فإن صورته لم تتم حتى جعل الكوكب النير الذى على طرف القرن الشمالى من الثور

مشتركا بينهما فصار على قرن الثور وعلى رجل ممسك الأعنة، وإنما ألغوا هذه الصورة وسموها بهذه الأسماء ليكون لكل كوكب اسم يعرف به متى أشاروا إليه، وقد ذكروا موقعه من الصورة وموضعه من فلك البروج وبعده فى الشمال أو الجنوب عن الدائرة التى تمر بأوساط البروج لمعرفة أوقات الليل والطالع فى كل وقت.

وأما الكواكب الأخر وهى مائة وثمانية عشر كوكبا فإنها لم ينتظم منها شىء من الصور فأضافوا كل ما وجدوه منها قريبا من صورة إلى تلك الصور وسموها خارج الصورة مثل النير الذى فوق رأس الحمل الذى تسميه العرب الناطح.

وأما عدد الصور ومواقعها من الفلك فهى ثمان وأربعون صورة منها فى النصف الشمالى من الكرة إحدى وعشرون صورة، ومنها على البروج اثنتا عشرة صورة، ومنها فى النصف الجنوبى من الكرة خمسة عشر صورة، فلنذكر الآن كوكبة كل صورة على الانفراد وعدد كواكبها وأسمائها وألقابها على مذهب العرب ومذهب المنجمين ليستدل بأحدهما على الآخر، ويعمل صورها المسماة باسمها المشبهة بها، ويرسم كل كوكبة على مواقعها من الصورة ليكون مشاكلا لما يرى فى السماء، والتى هى خارجة عن الصورة ليستدل الإنسان بأخذ ارتفاعها على الأوقات وبها على قدرة الله تعالى صانعها جلت قدرته وتقدست أسماؤه له الحمد كثيرا.

* * *

فصل: فى الصور الشمالية

وهى إحدى وعشرون صورة، وعدد كوكبها من نفس الصورة ثلثمائة وأحد وثلاثون كوكبا، والتى حوالى الصورة وليست من نفسها تسعة وعشرون كوكبا، فجميع الكواكب التى فى هذا النصف من الكرة ثلثمائة وستون كوكبا وهذه أسماؤها:

• **كوكبة الدب الأصغر:** هى أقرب كوكبة إلى القطب الشمالى، كواكبها من نفس الصورة سبعة والخارج عن الصورة خمسة، والعرب تسمى هذه السبعة بنات نعش الصغرى، فالأربعة التى على المربع نعش، والثلاثة التى على الذنب بنات، وتسمى النيرين من الأربعة الفرقدين، والنير الذى على طرف الذنب الجدى وهو الذى يتوخى به القبلة، وجميع الكواكب الداخلة فى الصورة والخارجة عنها تشبه بحلقة سمكة، وتسمى الفأس لشبهها بفأس الرحا الذى يكون القطب فى وسطه، وقطب معدل النهار عنده أقرب شىء إلى كوكب الجدى.

• **كوكبة الدب الأكبر:** كواكبه تسعة وعشرون كوكبا من الصورة وثمانية حوالى الصورة والعرب تسمى الأربعة النيرة التى على المربع المستطيل، والثلاثة التى على ذنبه بنات نعش الكبرى، فالأربعة التى على المربع المستطيل، والثلاثة التى على الذنب بنات وتسمى الذى على طرف الذنب القائد. والذى على وسطه العناق، والذى يلى النعش وهو الذى على ذنب الجوزاء وفوق العناق كوكب صغير ملاصق له تسميه العرب السها، وهو الذى يمتحن الناس به أبصارهم. زعموا أن من نظر إليه وقال: أعوذ برب السهية من كل عقرب وحية أمن ليلته، وتسمى السنة التى على الأقدام الثلاثة على كل قدم منها اثنان قفزات الظباء كل اثنين منها قفزة، والقفزة الأولى وهى التى على الرجل اليمنى تتبعها الصرفة وهى الكوكب النير الذى على ذنب الأسد، والكواكب المجتمعة التى فوق الصرفة تسميها العرب الهقعة. تقول العرب ضرب الأسد بذنبه الأرض فقفزت الظباء، والكواكب السبعة التى على عنقه وصدره وعلى الركبتين كأنها نصف دائرة تسمى سرير بنات نفش وتسمى الحوض أيضا، والكواكب التى على الحاجب والعينين والأذن والخطم تسمى الظباء، تقول العرب: إن الظباء لما قفزت من الأسد وردت الحوض، وأما الثمانية التى حول الصورة اثنان منها ما بين الهقعة والقائد وأحدهما أنور من الآخر، تسميه العرب كبد الأسد والستة الباقية تحت القفزة الثالثة التى على اليد اليسرى ثلاثة منها أنور هى ظباء والبواقى خفية أولاد الظباء.

فصل: فى خواص القطب الشمالى:

ظاهر حوله بنات نعش الصغرى وكواكب خفية إذا جمعتها صارت فى صورة سمكة والقطب فى وسط هذه السمكة والسمكة تدور حول القطب.

زعموا أن لهذا القطب فوائد: .

منها: أن النظر إليه وإلى الدب الأصغر يشفى من الرمد وجرب العين، وذلك أن يقوم صاحب الجرب أو الرمد ليلة الأحد إذا ظهرت النجوم بعد ساعتين من غيبوبة الشمس حيال القطب الشمالى والدب الأصغر فينظر إليه ثم يأخذ ميلاً من فضة يغمسه فى الماورد الخالص ويكحل به العين، وإن كان المريض إحداهما فعل ذلك من ليلة الأحد فى كل ليلة، وكلما كان أكثر كان أجود فإن الرمد والجرب يذهبان بإذن الله إلا أن الرمد أسرع.

ومنها: ما زعموا أن الأسد والببر والنمر والدب إذا قامت حيال هذا القطب وأطالت

النظر إليه شفيت.

ومنها: أن اللبؤة إذا حملت فإنه ينالها عناء فربما بقيت تلك الليلة لا تأكل شيئًا ثم تأتى إلى نهر فيه ماء حار أو عين ينبع منها ماء فتقوم فى الماء إلى نصف ساقها وتنظر إلى القطب الشمالى فإنها تبرأ من الوصب.

• **كوكبة التنين:** التنين كواكبه أحد وثلاثون كوكبًا فى الصورة وليس حواليها شىء من الكواكب المرصودة، والعرب تسمى الكوكب الذى على اللسان الرابض والأربعة التى على الرأس العوائد، وفى وسط العوائد كوكب صغير جدًا تسميه العرب الربع وهو ولد الناقة، وتسمى النيرين اللذين على مؤخرة الذئبين والاثنين اللذين هما فى غاية الخفاء قبل الذئبين أظفار الذئب، وقد وقعت العوائد بين الذئبين وبين النسر الواقع منعطفين على الربع فشبهت العرب النيرين بذئبين قد طمعا فى استلاب الربع وشبهت العوائد بأربع أينق قد عطفن على الربع، وفى أصل الذنب كوكب يسمى الذيخ وهو ذكر الضباع.

• **كوكبة قيفاوس:** كواكبه أحد عشر كوكبًا فى الصورة وعشرة خارج الصورة وهى من كوكبة ذات الكرسى وبين كواكب الجدى وهو النير الذى على ذنب الدجاجة الذى يسمى الردف، والعرب تسمى الكوكب الذى على صدره النثرة، والذى على منكبه الأيمن الفرقد، والدائرة التى تحصل من كواكب ذراعه ومما هو خارج وهو من كوكب الدجاجة من جناحها الأيمن تسمى القدر، والذى على الرجل اليسرى يسمى الراعى، وبين رجليه كوكب يسمى كلب الراعى، وبين رجليه وبين الجدى كواكب صغار تسميها العرب الأغنام.

• **كوكبة العواء:** كواكبها اثنان وعشرون كوكبًا فى الصور وواحدة خارجها وهو صورة رجل بيده اليمنى عصا فيما بين كواكب الفكة وبنات نعش الكبرى، وتسمى العرب الكوكب الذى على الرأس والذى على المنكبين عصا الضباع، والذى على يده اليسرى وعلى الساعد من هذه اليد وما حول اليد من الكواكب الخفية أولاد الضباع، والخارج عن الصورة كوكب أحمر نير بين فخذيه يسمى السماك الرامح، والسماك يسمى مفردًا حارس السماء وحارس الشمال لأنه يرى أبدًا فى السماء لا يغيب تحت شعاع الشمس، والكوكب الذى على الساق اليسرى يسمى الرامح.

• **كوكبة الفكة:** كواكبها ثمانية يقال لها بالفارسية كاسة دورشان، وهى على استدارة خلف عصا الضباع، وفى استدارتها ثلمة، لأجل ثلمتها يقال لها قصعة

المساكين، ومن كواكبها كوكب يقال له النير من الفكة.

• **كوكبة الجاثى:** ويقال هى الراقص له صورة رجل قد مد يده وجثا على ركبتيه إحدى رجليه على طرف عصا العوار وهى اليمنى والأخرى عند الأربعة التى على رأس التنين التى تسمى العوائذ، وكواكبه ثمانية وعشرون كوكبًا فى الصورة خلاف الكوكب المشترك بينه وبين العواء وواحد خارج الصورة.

• **كوكبة السلياق:** كواكبه عشرة والنير منها يسمى النسر الواقع، شبهته العرب بنسر قد ضم جناحيه إلى نفسه كأنه واقع على شىء، والعامة تسميه الأثافى، وقدام النير كوكب خفى تسميه العرب الأظفار.

• **كوكبة الدجاجة:** كواكبها سبعة عشر كوكبًا فى الصورة واثنان خارج الصورة، والعرب تسمى الأربعة المصطفة الفوارس، وقد قطعت المجرة عرضًا، والنير الذى على الذنب الردف لأنه يتلو الأربعة، وجعله بعضهم الذى على الصدر فى الوسط واثنان عن يمينه واثنان عن يساره والردف خلفه.

• **كوكبة ذات الكرسى:** هى صورة امرأة قاعدة على كرسى له قائمتان كقائمة المنبر وعليه مسند وقد أدلت رجليها وهى فى نفس المجرة فوق الكوكب الذى على رأس قيقاوس وكواكبها ثلاثة عشر كوكبًا، والعرب تسمى النير من هذه الكواكب الكف المخضب وهى كف الثريا اليمنى المبسوطة، فشبهت العرب تلك الكواكب بيد مبسوطة والكواكب النيرة منها بأنامل مخضوبة.

• **كوكبة سياوس:** وهو حامل رأس الغول، وهو صورة رجل قائم على رجله اليسرى وقد رفع رجله اليمنى ويده اليمنى فوق رأسه وبيده اليسرى رأس غول، وكواكبها ستة وعشرون كوكبًا فى الصورة وثلاثة خارجة الصورة.

• **كوكبة ممسك الأعنة:** هى صورة رجل قائم خلف رأس الغول بين الثريا وبين كوكبة الدب الأكبر، وكواكبه أربعة عشر كوكبًا، وفى وسط الصورة كواكب تسميها العرب الخباء، والنير الذى على المنكب الأيسر تسميه العرب العيوق، والذى على المرفق الأيسر العنز، والاثنين اللذين على المعصم الأيسر الجديين، وتسمى العيوق معها العناق ويسمى أيضًا رقيب الثريا، ويسمى الذى على المنكب الأيمن، والاثنان اللذان على الكعبين توابع العيوق.

• **كوكبة الحور والحية:** أما الحور فصورة رجل قائم قد قبض بيديه على حية، وكواكبه أربعة وعشرون فى الصورة وخمسة خارجها. وأما الحية فكواكبها ثمانية عشر

وعلى عنقها كوكب يسمى عنق الحية، وتسمى الكواكب المصطفة على رأس الحية نسقًا شاميًا والمصطفة تحت عنقه نسقًا يمانيًا، ويسمى ما بين النسقين الروضة والكواكب التى بين النسقين فى الروضة الأغنام الذى على رأس الحور يسمى الراعى، والذى على رأس الجاثى كلب الراعى.

• **كوكبة السهم:** هى خمس كواكب بين منقار الدجاجة وبين النسر الطائر فى نفس المجرة العظيمة نصله إلى ناحية المشرق وتفوق إلى ناحية المغرب، وطول السهم فى رأى العين إذا كان فى كبد السماء نحو ذراعين.

• **كوكبة العقاب:** كواكبه تسعة فى الصورة وستة خارجها وفى الصورة ثلاثة مشهورة تسمى النسر الطائر وبإزائه النسر الواقع، والعامة تسمى الثلاثة المشهورة من خارج الصورة الميزان لاستواء كواكبه، والاثنين اللذين فوقها الظليمين.

• **كوكبة الدلفين:** كواكبه عشرة مجتمعة تتبع النسر الطائر، والنير الذى على ذنبه يسمى ذنب الدلفين، والعرب تسمى الأربعة التى فى وسط العنق الصليب، والذى على الذنب عمود الصلب.

• **كوكبة قطعة الفرس:** كواكبها أربعة تتبع الدلفين اثنان منها متضايقان بينهما شبر واثنان بينهما ذراع، والأول فى موضع الفم والآخرون على الرأس.

• **كوكبة الفرس الأعظم:** كواكبه عشرون وهى على صورة فرس له رأس ويدان وبدن إلى آخر الظهر وليس له كفل ولا رجلان، والأول من كواكبه على السرة وهو على رأس المرأة المسلسلة مشترك بينهما ويسمى سرة الفرس، وآخر على متنه يسمى متن الفرس، وكوكب على منكبه الأيمن يسمى منكب الفرس، وآخر عند منشأ العنق يسمى عنق الفرس، وآخر على حجفلته خلف الأربعة التى على قطعة الفرس يسمى فم الفرس. والعرب تسمى الأربعة النيرة التى على المربع أحدها عند منتهى العنق متن الفرس ومنكب الفرس وجناح الفرس، والكوكب المشترك الدلو، وتسمى الاثنين المتقدمين عليها العرقوة والاثنين اللذين فى البدن النعائم، والكرب أيضًا شبهتها العرب بمجموع العرقوتين فى الوسط فى رأس الدلو حيث يشد فيه الحبل وذلك الموضع من الدلو يسمى الكرب، وتسمى الاثنين اللذين على الرأس سعد البهائم، والاثنين اللذين على العنق سعد الهمام، والاثنين المتقاربين اللذين فى الصدر سعد البارع، والاثنين اللذين على الركبة اليمنى سعد المطر.

• **كوكبة المرأة المسلسلة:** كواكبها ثلاثة وعشرون من الصورة سوى النير الذى على

الرأس فإنه على سرة الفرس، وسميت هذه المرأة المسلسلة لامتداد إحدى يديها وهى اليمنى نحو الشمال والأخرى نحو الجنوب ولاجتماع الكواكب بين رجليها شبهوها بمن سلسل ويسمى الكوكب النير الذى فوق مئزرها بطن الحوت.

• **كوكبة الفرس التام:** هو أحد وثلاثون كوكبًا وهو فرس آخر أحسن شبهًا بالفرس من الأول وبعض الفرس الأول داخل فيه ومن السطر الذى من الكوكب على وجهه ورأسه تولدت صور الرأس وتمر على عرفه على تقويس فيفصل بكوكب على متنه وهو من كواكب الفرس الأعظم الذى على طرف اليد اليمنى ثم يمر على كوكبين على كفله ثم على كوكبيين على ذنبه وهو طرف اليد اليسرى الفرس الأعظم ثم على كوكبين أحدهما فى وسط ذنبه والآخر على طرف الذنب، ويخرج من الجحفلة سطر يمر على الغلصمة والنحر وبه تتم ضورة العنق والصدر.

• **كوكبة المثلث:** كواكبه أربعة بين الشرطين وبين النير الذى على الرجل اليسرى من صورة المرأة، وهو على شكل مثلث فيه طول أحدها على رأس المثلث ويسمى هذا الاسم وثلاثة على قاعدتها.

* * *

فصل: فى البروج الاثنى عشر

هذه صورة قريبة من الدائرة التى تمر على أوساط البروج فى المائل عن طريقة الكواكب السيارة، وهى التى سميت البروج الاثنا عشر بأسمائها كل اسم باسم الصور التى كانت فيه، فلتذكر كوكبة كل صورة وعدد كواكبها وموقعها من الصورة وألقاب بعضها على رأى المنجمين والعرب. ولنبدأ بالصورة التى فى الوجه الأول منها:

• **كوكبة صورة الحمل:** كواكبه ثلاثة عشر فى الصورة وخمسة خارجها مقدمه إلى جهة المغرب ومؤخره إلى المشرق ووجهه على ظهره، والنيران اللذان على القرن يسميان الشرطين، والنير الخارج عن الصورة يسمى النطح، واللذان على الإلية مع الذى على الفخذ وهو على مثلث متساوى الأضلاع تسمى البطين، والعرب جعلت بطن الحمل منزلاً للقمر كبطن السمكة وسمته البطين.

• **كوكبة الثور:** صورته صورة ثور مؤخره إلى الغرب ومقدمه إلى الشرق وليس له كفل ولا رجلان تلتفت رأسه إلى جنبه وقرناه إلى ناحية المشرق، وكواكبه اثنان وثلاثون سوى النير الذى على طرف قرنه الشمال فإنه على الرجل اليمنى من ممسك الأعنة

مشترك بينهما والخارج عن الصورة أحد عشر كوكبًا على موضع القطع منه أربعة مصطفة، والنير الأحمر العظيم الذى على عينه الجنوبية يسمى الدبران وعين الثور أيضًا وتالى النجم وحادى النجم والفنيق وهو الجمل الضخم، والتى حواليه من الكواكب القلاص وهى صغار النوق، والعرب تسمى الكواكب التى على كاهل الثور الثريا وهما كوكبان نيران فى خلالهما ثلاث كواكب صارت مجتمعة متقاربة كعنقود العنب ولذلك جعلوها بمنزلة كوكب واحد وسموها النجم، وزعموا أن فى ذلك المطر عند نوئها الثروة وتسمى الإثنين المتقاربين على الأذنين الكلبين ويزعمون أنهما كلبا الدبران، والعرب تتشاءم بالدبران وتقول: أشأم من حادى النجم، ويزعمون أنهم لا يمطرون بنوء الدبران إلا وسنتهم مجدبة.

• **كوكبة التوأمين:** كواكبها ثمانية عشر فى الصورة وسبعة خارجها وهى صورة إنسانين رأسهما فى الشمال الشرقى وأرجلهما إلى الجنوب والغرب وقد اختلطت كواكب أحدهما بكواكب الآخر، والعرب تسمى الإثنين النيرين اللذين على رأسهما الذراع المبسوطة، واللذين على ثدى التوأم الثانى الهقعة، واللذين على قدم التوأم المتقدم وقدام قدمه البخاتى.

• **كوكبة السرطان:** كواكبه تسعة من الصورة وأربعة خارجها، والعرب تسمى الكوكب النير منها النثرة وفى المجسطى ذكر النثر باسم المعلف واسم الكوكبين التاليين للنثرة الحماران، والكوكب النير الذى على الرجل المؤخرة الجنوبى الطرف.

• **كوكبة الأسد:** كواكبه سبعة وعشرون فى الصورة وثمانية خارجها، والعرب تسمى الكوكب الذى على وجهه مع الخارج عن الصورة سرطان الطرف، وتسمى الأربعة التى فى الرقبة والقلب الجبهة، وتسمى التى على البطن وعلى الحرقفة الزبرة، والذى على مؤخر الذنب قلب الأسد، وتسميه أيضًا الصرفة لانصراف البرد عند سقوطه بالغرب بالغدوات وانصراف الحر عند طلوعه من تحت شعاع الشمس بالغدوات.

• **كوكبة العذراء:** وهى ستة وعشرون فى الصورة وستة خارجها وهى صورة امرأة رأسها على جنوب الصرفة وقدمها الزبانان اللذان على كفتى الميزان، والعرب تسمى التى على طرف منكبها الأيمن العواء وهو المنزل الثالث عشر من منازل القمر، وزعم بعضهم أن الكواكب التى على بطنها وتحت إبطها كأنها كلاب تعوى خلف الأسد، وتسمى عواء البرد أيضًا لأنها إذا طلعت أو سقطت جاءت ببرد، والكوكب النير الذى بقرب يدها التى فيها السلسلة السماك الأعزل سمى أعزل لأنه بإزائه السماك الرامح ويسمى أعزل لأنه لا

سلاح معه، والمنجمون يقولون لهذا الكوكب السنبلة، ويسمى أيضًا ساق الأسد، والذى على قدمه اليسرى والغفر، وإنما سمى بالغفر لنقصان ضوء كواكبه كأنه قد سترها.

• **كوكبة الميزان:** ثمانية كواكب فى الصورة بين كوكبة العذراء وكوكبة العقرب وتسعة خارجها، وليس فيها شىء من الكواكب المشهورة.

• **كوكبة العقرب:** أحد وعشرون كوكبًا من الصورة وثلاثة خارجها وهى صورة مشهورة، والعرب تسمى الثلاثة التى على الجبهة الإكليل، وتسمى النير الأحمر الذى على البدن قلب العرب، وتسمى الذى قدام القلب والذى خلفه النياط، وتسمى الذى فى الخزوات الفقرات، وتسمى الاثنين اللذين على طرف الذنب الشولة.

• **كوكبة الرامى وهو القوس:** أحد وثلاثون كوكبًا فى الصورة وليس حواليه شىء من الكواكب المرصودة، والعرب تسمى الأول الذى على النصل والذى على مقبض القوس والذى على الطرف الجنوبى من القوس والذى على الطرف اليد اليمنى من الدابة النعام الواردة، لأن المجرة شبهتَ بنهر والنعام قد وردت النهر، وتسمى الذى على المنكب الأيسر والذى فوق السهم والذى على الكتف الأيسر والذى تحت الإبط وهو بعيد عن المجرة إلى ناحية المشرق النعام الصادرة، شبهتها بنعام شرب الماء وصدر عن النهر، وتسمى اللذين على الستة الشمالية من القوس الظليمين واللذين على الفخذ اليسرى والساق الصردين.

• **كوكبة الجدى:** كواكبه ثمانية وعشرون كوكبًا فى الصورة وليس حوالى الصورة شىء من الكواكب المرصودة، والعرب تسمى الاثنين اللذين على القرن الثانى سعد الذابح سمى ذابحًا للصغير الملاصق له، قيل الصغير شأنه الذى يذبحه، وتسمى الاثنين النيرين اللذين على الذنب المحبين.

• **كوكبة ساكب الماء وهو الدلو:** كواكبه اثنان وأربعون كوكبًا فى الصورة وثلاثة خارجها، والعرب تسمى اللذين على منكبه الأيمن سعد الملك، واللذين على منكبه الأيسر مع الذى على ذنب الجدى سعد السعود، والثلاثة التى على اليد اليسرى سعد بلع وإنما سميت بهذا الاسم لأن البعد بين هذين الاثنين أوسع من البعد بين الذابح فشبهتها بفم مفتوح ليبلع، وتسمى الذى على ساعده مع الثلاثة التى على يده اليمنى سعد الأخبية وإنما سمى بذلك لأنه إذا طلع اختبأت الهوام تحت الأرض من البرد، وتسمى النير الذى على فم الحوت الجنوبى الضفدع الأول.

• **كوكبة السمكة وهى الحوت:** وكواكبها أربعة وثلاثون فى الصورة وأربعة خارجة

وهما سمكتان إحداهما السمكة المتقدمة وهى التى على ظهر الفرس الأعظم فى الجنوب والأخرى على جنوب كوكبة المرأة المسلسلة، وبينهما خيط من كواكب يصل بينهما على تعريج.

* * *

فصل: فى الصورة الجنوبية

هى الكواكب التى فى النصف الجنوبى من الكرة وهى خمسة عشر صورة نذكر مواضع كواكبها من الصورة إن شاء الله تعالى، ومواضع صورها وأسماءها على مذهب العرب والمنجمين على ما رسمنا فيما تقدم.

• **كوكبة قيطس:** هى صورة حيوان بحرى مقدمة فى ناحية المشرق على جنوب كوكبة الحمل ومؤخره فى ناحية المغرب خلف الثلاثة الخارجة عن صورة ساكب الماء وكواكبه اثنان وعشرون، والعرب تسمى الكواكب التى فى الرأس الكف الجذماء لأن امتداده دون امتداد الكف الخضيب، وتسمى الخمسة التى على يديه النعامات، والكواكب التى على أصل الذنب تسمى النظام، والتى على الشعبة الجنوبية من الذنب تسمى الضفدع الثانى، والأول مذكور فى الدلو.

• **كوكبة الجبار:** كواكبه ثمانية وثلاثون كوكبًا فى الصورة وهو صورة رجل قائم فى ناحية الجنوب على طريقة الشمس بيده عصا وعلى وسطه سيف، والعرب تسمى الكواكب الثلاثة التى على الوجه الهنعة، والنير الأعظم الذى على منكبه اليمنى منكب الجوزاء ويد الجوزاء أيضًا، والكوكب النير الذى على المنكب اليسرى الناجذ والمرزم أيضًا، والثلاثة المصطفة التى على وسطه منطقة الجوزاء، والثلاثة المنحدرة المتقاربة سيف الجبار، والنير الأعظم الذى على قدمه اليسرى رجل الجبار، وتسمى التسعة المقوسة التى على الكم تاج الجوزاء.

• **كوكبة النهر:** كواكبه أربعة وثلاثون فى الصورة وليس حواليه شىء من الكواكب المرصودة يبتدئ من عند النير الذى على قدم الجوزاء فيمر فى المغرب على تعريج إلى قرب الأربعة التى على صدر قيطس، ثم يمر فى الجنوب على ثلاثة كواكب، ثم ينعطف إلى المشرق فيمر على ثلاثة كواكب أيضًا، ثم ينعطف إلى الجنوب فيمر على ثلاثة كواكب مجتمعة، ثم ينقطع فيمر فى الجنوب على كوكبين متقاربين، ثم ينعطف إلى الغرب فيمر على كوكبين متقاربين أيضًا، ثم على ثلاثة كواكب متقاربة، ثم ينتهى

إلى كوكب نير على آخر النهر، والعرب تسمى الأول والثانى والثالث من كوكبة الكرسى الجوزاء، وتسمى الأربعة التى فى وسط النهر مع الخمسة التى فى جانبه الآخر أدحى النعام وهو عشه، والتى حوالى هؤلاء الكواكب تسمى البيض، والنير الذى على آخر النهر يسمى الظليم، وبين هذا الظليم والظليم الذى على فم الحوت كواكب كثيرة تسمى الرئال وهى فراخ النعام.

• **كوكبة الأرنب:** هى اثنا عشر كوكبًا فى الصورة وليس حواليه شىء من الكواكب المرصودة وهى تحت رجل الجبار وجهه إلى المغرب ومؤخره إلى المشرق، والعرب تسمى الأربعة التى اثنان منها على يديه واثنان على رجليه كرسى الجوزاء وعرش الجوزاء أيضًا.

• **كوكبة الكلب الأحمر:** كواكبه ثمانية عشر فى الصورة وأحد عشر خارجها وهى صورة كلب خلف كوكبة الجوزاء وكذلك سمى كلبًا، والعرب تسمى النير الأعظم الذى على موضع الفم الشعرى العبور، وكان قوم فى الجاهلية يعبدونه لأنه يقطع السماء عرضًا دون غيره من الكواكب وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾ [النجم:٤٩].

وسمى عبورًا لأنه عبر المجرة إلى سهيل وتسمى اليمانية لأن مغيبها فى شق اليمن، وتسمى الأربعة التى منها على كتفه وعلى ذنبه ما بينهما وعلى فخذه العذارى، والأربعة المصطفة التى على الاستقامة خارج الصورة تسمى القرود، والنيران من خارج الصورة حضار الوزن، ومن العرب من يسميها مختلفين لأنهما يطلعان قبل سهيل فيظن أحدهما سهيلاً فيخلف عليه والآخر يعلم أنه غير سهيل فيخلف له.

• **كوكبة الكلب المتقدم:** وهما كوكبان بين النيرين اللذين على رأس التوأمين وبين النيرين اللذين على فم الكلب الأكبر يتأخر عنهما إلى المشرق وأحدهما أنور، وتسميه العرب الشعرى الشامية لأنها تغيب فى شق الشام، وتسميه الشعرى الغيمصاء لأنه عندهم أحب سهيلاً، وقد عبرت اليمانية المجرة إلى ناحية سهيل وبقيت هذه فى الشمال الشرقية فبكت على سهيل وغمصت عيناها، وتسمى الاثنين أيضًا ذراع الأسد المقبوض، وسميت مقبوضة لتأخرها عن الذراع الآخر وهما النيران اللذان على رأس التوأمين.

• **كوكبة السفينة:** كواكبها خمسة وأربعون كوكبًا من الصورة وليس حواليها شىء من الكواكب المرصودة. وذكر بطليموس أن النير العظيم الذى على المجداف الجنوبى هو سهيل وهو أبعد كوكب عن السفينة فى الجنوب يرسم على الإسطرلاب. وأما العرب فالروايات عنها فى سهيل وفى كواكب السفينة مختلفة الرأى بعضهم أن النير الذى على طرف المجداف الثانى يسمى سهيلاً على الإطلاق.

فصل: فى فوائد القطب الجنوبى:

أما القطب الجنوبى فإنه فى مقابلة القطب الشمالى وإنه خارج عن كواكب السفينة بقرب نير المجداف وتدور حوله كواكبه أسفل من سهيل. وزعموا أن لهذا القطب فوائد:

منها: أن كل حيوان أنثى إذا تعثرت ولادتها تنظر إلى القطب وإلى سهيل تضع فى الحال.

ومنها: أن من انقطعت عنه شهوة الباه من غير شرب دواء يداوم النظر إلى القطب الجنوبى فى ليالى متوالية ترجع إليه شهوته.

ومنها: أن صاحب الثآليل إذا أخذ بعدد كل ثؤلول ورقة من شجر الغرب ويومئ إلى سهيل وإلى القطب ويقول هذا لقلع الثآليل حتى يقول اثنين وأربعين مرة إما فى ليلة واحدة أو فى ليال، ثم يدق الورق فى هاون أسفيدوز ويجعله على الثآليل فإنها تجف وتنفرك، وزعموا أنها من الخواص العجيبة المجربة.

ومنها: أن صاحب الماليخوليا إذا أدام النظر إلى القطب وسهيل مرة بعد أخرى أو فى ليلة مرات يزول عنه ذلك، وزعموا أنهم جربوه فوجدوه صحيحًا.

ومنها: أن النظر إلى هذا القطب وسهيل يحدث للإنسان طربًا وسرورًا، ولهذا صنف من الزنج مخصوصون بمزيد الطرب لأنهم متقاربون من مدار القطب وسهيل.

ومنها: أن صاحب الظفرة فى العين إذا أدام النظر إلى القطب وسهيل تزول ظفرته، وذلك بأن يديم النظر إلى القطب وسهيل ويحدق النظر إليهما ويكون النظر متواليًا أوله ليلة الثلاثاء ولا يقطعه إلا أن تزول الظفرة فإنها تذهب إلى تمام اثنين وأربعين أو تسع وأربعين.

● **كوكبة الشجاع:** كواكبه خمسة وعشرون كوكبًا فى الصورة واثنان خارجها رأسه على زبانى الجنوبى من صورة السرطان وهى بين الشعرى-الغميصاء وقلب الأسد يميل عنهما إلى الجنوب ميلاً يسيرًا ثم ينعطف إلى كوكب نير على آخر عقدته عند منشئ الظهر فوقه أربع كواكب على شمال النير، والعرب تسمى الذى على آخر العنق الفرد لانفراده عن أشباهه، وأما سائر كواكب الشجاع فعن العرب فيها روايات كثيرة لا طائل تحتها.

● **كوكبة الباطية:** هى سبع كواكب على شكل كوكبة الشجاع، والعرب تسمى هذه الكواكب الملتف.

• **كوكبة الغراب:** وهى سبع كواكب خلف البلطية على جنوب السماك الأعزل، والعرب تسمى هذه الكواكب عجز الأسد، وتسميها أيضًا عرش السماك الأعزل، وتسميها أيضًا الأحمال.

• **كوكبة قيطورش:** هى سبعة وثلاثون كوكبًا وصورته صورة حيوان ومقدمه مقدم إنسان من رأسه إلى آخر ظهره ومؤخره مؤخر فرس من منشأ ظهره إلى ذنبه، وجهه إلى المشرق ومؤخر ذنبه إلى المغرب وبيده شمراخان، وقد قبض بيده الأخرى على يد السبع وعلى بطن الدابة نير يسمى بطنًا وعلى حافر يده اليمنى كوكب حضار وعلى يده الأخرى الوزن، وهما اللذان يسميان المخلفين ما ذكرنا من قبل.

• **كوكبة السبع:** وهى تسعة عشر كوكبًا من الصورة خلف كوكبة قيطورش وبعضها مختلط بكوكبة قيطورش وقد قبض قيطورش على يده، والعرب تسمى كوكبة قيطورش والسبع الشماريخ الجملة لكثرتها وكثافة جميعها، وليس حولها شيء من الكواكب المرصودة.

• **كوكبة المجرة:** كواكبها سبعة فى الصورة، ولم يقع عن العرب شيء فى هذه الكواكب.

• **كوكبة الإكليل الجنوبى:** وهى ثلاثة عشر كوكبًا فى الصورة قدام الاثنين الذين على عرقوب الرامى، فمن العرب من يسمى هذه الكواكب القبة لاستدارتها، ومنهم من يسميها أدحى النعام وهو عشه لأنها على جنوب النعامين الصادر والوارد اللذين قد مضى ذكرهما.

• **كوكبة الحوت الجنوبى:** وهى أحد عشر كوكبًا فى الصورة على جنوبى كواكب الدالى رأسه إلى المشرق وذنبه إلى المغرب، ويسمى النير الذى على فمه الحوت تمت الكواكب الثابتة وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

فصل: فى منازل القمر

وهى ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كل ليلة بواحد منها من مستهله إلى ثمان وعشرين ليلة من الشهر ثم يستسر، واستسراره محاقه حتى لا يرى منه شيء فإن كان الشهر تسعًا وعشرين استسر ليلة ثمان وعشرين وإن كان ثلاثين استسر ليلة تسعة وعشرين، وهو فى السرار يقطع منزلة، فهذه المنازل الثمانية والعشرون يبدو منها أبدًا

أربعة عشر بالليل فوق الأرض وأربعة عشر تحت الأرض وكلما غاب منها واحد طلع رقيبه، والعرب تسمى أربعة عشر من هذه المنازل شامية وأربعة عشر يمانية، فأول الشامية الشرطين وآخرها السماك الأعزل وأول اليمانية الغفر وآخرها الرشا، والعرب تسمى سقوط النجم فى الغرب وطلوع مقابله مع الفجر نوءًا، وسقوط كل نجم منها فى ثلاثة عشر يومًا خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يومًا فيكون انقضاء سقوط الثمانية والعشرين مع انقضاء السنة ثم يرجع الأمر إلى الأول فى ابتداء السنة المستقبلة، وما كان فى هذه الثلاثة عشر يومًا من مطر أو ريح أو حر أو برد فهو من نوء ذلك النجم الساقط عند الحكماء ولهم أقوال طويلة فى أحكام نزول النيرين، فأول هذه المنازل:

● **الشرطين:** يقال لهما قرنا الحمل ويسميان الناطح وبينهما فى رأى العين قاب قوسين، وإذا حلت الشمس بها اعتدل الزمان واستوى الليل والنهار: وطلوعهما لست عشر ليلة تخلو من نيسان وسقوطهما لثمانى عشرة ليلة تخلو من تشرين الأول، وحلول الشمس بهما لعشرين ليلة تخلو من آذار، وكلما نزلت الشمس الشرطين فقد مضت سنة، وإنما سميا شرطين لأنهما علامة دخول أول السنة، وفى نوء الشرطين يطيب الرمان وتكثر المياه وتنعقد الثمار ويحصد الشعير، ورقيب الشرطين الغفر.

● **البطين:** يقال له بطن الحمل وهو ثلاثة كواكب خفية كأنها أثافى وهذه صورتها:

وهو بين الشرطين والثريا، وطلوعه لليلة تبقى من نيسان وسقوطه لليلة تبقى من تشرين الأول وعند سقوطه يرتج البحر فلا تجرى فيه جارية ويذهب الحداء والرخم والخطاطيف إلى الغور ويستكن النمل، وتقول العرب إذا طلع البطين فقد اقتضى الدين، وحكى ابن الأعرابى أنهم يقولون: ما أتى البطين والدبران أو أحدهما وكان لنوئه مطر إلا كاد أن يكون ذلك العام جديبًا. وقالوا: إنه أشر الأنواء وأقلها مطرًا وفى نوئه يجف العشب ويتم حصاد الشعير ويأتى أول حصاد الحنطة، ورقيب البطين الزبانا.

● **الثريا:** ويقال له النجم وهو أشهر هذه المنازل وهى ستة أنجم وهذه صورتها:

وفى خلالها نجوم كثيرة خفية، والعرب تقول: إن طلع النجم غدية ابتغى الراعى كسبه، وطلوعها لثلاث عشرة ليلة تخلو من أيار وسقوطها لثلاث عشرة ليلة تخلو من تشرين الآخر، والثريا تظهر فى المشرق عند ابتداء البرد ثم ترتفع فى كل ليلة حتى تتوسط السماء مع غروب الشمس، وفى ذلك الوقت أشد ما يكون البرد، ثم تنحدر عن

وسط السماء فتكون فى كل ليلة أقرب من أفق المغرب إلى أن يهل الهلال معها. ثم تمكث يسيرًا وتغيب نيفًا وخمسين ليلة وهذا المغيب هو استسرارها، ثم تبدأ بالغداة من المشرق فى قوة الحر، وقال النبى ﷺ «إذا طلع النجم لم يبق من العاهة شىء» أراد عاهات الثمار لأنها تطلع بها بالحجاز وقد أزهر البسر. وأما نوؤها فمحمود وهو خير نجوم الوسمى لأن مطره فى الوقت الذى فقدت الأرض فيه الماء، فإذا طلعت الثريا ارتج البحر واختلفت الرياح وسلط الله الجن على المياه، وقال ﷺ «من ركب البحر بعد طلوع الثريا فقد برئت منه الذمة» وفى نوء الثريا تتحرك الرياح ويشتد الحر ويدرك التفاح والمشمش ويجف العنب، وفى آخره يمد النيل ويكثر اللبن، ورقيب الثريا الإكليل.

● **الدبران:** وهو كوكب أحمر منير يتلو الثريا ويسمى تابع النجم وسمى دبرانًا لاستدبار الثريا، وهذه صورته:

ونوؤه غير محمود والعرب تتشاءم به، وطلوعه لست وعشرين ليلة من آيار، وسقوطه لست وعشرين ليلة من تشرين الأول. قال الساجع: إذا طلع الدبران يبست الغدران، وفى نوئه يشتد الحر وهو أول البوارح وتهب السمائم ويسود العنب، ورقيب الدبران القلب.

● **الهقعة:** هى رأس الجوزاء وهى ثلاثة كواكب صغار تشبه الأثافى وهذه صورتها:

وإنما سميت هقعة تشبهًا بعرض الفرس الذى يقال له الهقعة، وتطلع لتسع خلون من حزيران وتسقط لتسع خلون من كانون الأول، ونوؤها لا يكادون يذكرونه إلا بنوء الجوزاء، والعرب تقول: إذا طلعت الهقعة رجع الناس عن النجعة، وفى نوئها يدرك البطيخ وسائر الفواكه ويشتد الحر ويكثر هبوب السمائم، ورقيب الهقعة الشولة.

● **الهنعة:** هى كوكبان أبيضان بينهما قيد سوط فى المجرة وهذه صورتها:

يقال لأحد الكوكبين الزر والآخر لنيسان وثلاثة تحيط بهما فمجموعهما خمسة: أربعة متتابعة إلى جانب وواحد فى جهة العرض على هيئة الألف الكوفى، وطلوع الهقعة لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من حزيران وسقوطهما لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من كانون الأول، ونوؤها من أنواء الجوزاء وتقول العرب: إذا طلعت الجوزاء كسب الصبا، وفى نوئها انتهاء شدة الحر وإدراك الرطب والتين وتغيير المياه، ورقيب الهنعة النعائم.

● **الذراع:** هو ذراع الأسد المقبوضة وللأسد ذراعان مقبوضة ومبسوطة فالمبسوطة تلى

اليمن والمقبوضة تلى الشام: وطلوعها لأربع ليال تخلو من تموز وسقوطها لأربع تخلو من كانون الآخر. ونوؤها محمود قل ما يخلف، وزعمت العرب أنه إذا لم يكن فى السنة مطر لم يحلف الذراع، والعرب قد تقول إذا طلع الذراع ترقرق الشراب فى كل قاع، وفى نوئها تشتد بوارح الصيف حرا وسموما، وفيه يدرك الرمان ويحمر البسر ويقطع القصب النبطى، ورقيب الذراع البلدة.

• **النثرة:** هى ثلاثة كواكب متقاربة وهى أنف الأسد، وطلوعها لسبع عشرة ليلة من تموز وتسقط لسبع عشرة ليلة تخلو من كانون الآخر، وتقول العرب: إذا طلعت النثرة قنأت البسرة أى اشتدت حمرتها وعند سقوط النثرة يجرى الماء فى العود ويصلح تحويل الفسيل وفى نوئها غاية شدة الحر وفيه سموم حارة حتى قيل إن فى نوئها كل يوم تظهر آفة تفسد شيئا من الزرع والثمار، ورقيب النثرة سعد الذابح.

• **الطرفة:** هو طرف الأسد، وهما كوكبان صغيران مثل الفرقدين، وطلوعه لليلة تخلو من آب وسقوطه لليلة تبقى من كانون الثانى، وتقول العرب: إذا طلعت الطرفة كثرت الطرفة، وعند ذلك قطاف أهل مصر، وفى نوئه بوارح وسموم وفيه يؤكل الرطب ويقطف العنب، ورقيب الطرف سعد بلع.

• **الجبهة:** هى جبهة الأسد وهى أربعة كواكب فيها عوج بين كل كوكبين فى رأى العين قيد سوط، وهى معترضة من الجنوب إلى الشمال والجنوبى منها يسميه المنجمون قلب الأسد وطلوعها لأربع عشرة ليلة تمضى من آب مع طلوع سهيل وسقوطه لاثنتى عشرة ليلة تخلو من شباط، وعند سقوطها ينكسر حد الشتاء وتوجد الكمأة ويورق الشجر وتهب الرياح اللواقح، وتقول العرب: لولا طلوع الجبهة ما كان للعرب رفهة، ونوؤها محمود يقال ما امتلأ واد من نوء الجبهة ماء إلا امتلأ عشبا، وسهيل يطلع بالحجاز مع طلوع الجبهة ومع طلوعها يصير البسر رطبا وفى نوئها ينكسر البرد ويكثر الرطب ويسقط الطل، ورقيب الجبهة سعد السعود.

• **المبرة:** هى زبرة الأسد أى كاهله وهى كوكبان نيران بينهما قيد سوط، والزبرة شعر الأسد الذى ينزل عند الغضب وأحدهما أنور من الآخر وفيهما قليل عوج، وطلوعهما لأربع ليال تخلو من آب وسقوطهما لخمس ليال تخلو من شباط، ويكون فى نوئها مطر شديد فإن أخلق قصر، وعند طلوع الزبرة يرى سهيل بالعراق ويبرد الليل مع السموم بالنهار، ورقيب الزبرة سعد الأخبية.

• **الصرفة:** هى كوكب واحد على أثر الزبرة أزهر مضىء جدا عنده كواكب صغار

طمس، ويزعمون أنه قلب الأسد وسميت صرفة لانصراف الحر والبرد عند طلوعها وسقوطها وطلوعها لتسع ليال تخلو من أيلول وسقوطها لتسع ليال تخلو من آذار، ومع طلوعها يزيد النيل وأيام العجوز فى نوئها وزعموا أن الصبى إذا فطم بنوء الصرفة لم يكد يطلب اللبن، وفى نوئها مطر ورياح وبرد بالليل ويأتى المطر الوسمى، ورقيب الصرفة فروع الدلو المقدم.

● **العواء:** هى أربعة أنجم على أثر الصرفة تشبه الهاء المردودة الأسفل بالخط الكوفى، والعرب شبهوها بكلاب تتبع الأسد، وقال قوم هى وركا الأسد وطلوعها لاثنتى عشرة ليلة تخلو من أيلول وسقوطها لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من آذار، ونوؤها يسير، والعرب تقول: إذا طلعت العوا طاب الهوا، وفى نوئها يستوى الليل والنهار ويأخذ الليل فى الزيادة والنهار فى النقصان وهى ابتداء الخريف، ورقيب العواء فرع الدلو المؤخر.

● **السماك:** هو السماك الأعزل، وأما السماك الرامح فلا ينزله القمر، وهو كوكب أزهر وإنما سمى أعزل لأن الرامح عنده كوكب يقال له راية السماك وأما الأعزل فلا شىء عنده والأعزل هو الذى لا سلاح معه، والعرب يجعلون السماكين ساقا الأسد، وطلوع السماك الأعزل لخمس ليال ماضين من تشرين الأول وسقوطه لأربع ليال تخلو من نيسان، ونوؤه غزير قلما يخلف مطر إلا أنه مذموم لأنه ينبت البسر وهو نبت إذا رعته الإبل مرضت، والعرب تقول: إذا طلعت السماك ذهبت العكاك، وفى نوئه صرام النخل وقطع العنب ويأتى المطر الولى، ورقيب السماك بطن الحوت، وهذا آخر المنازل الشامية. وأما المنازل اليمانية فأولها:

● **الغفر:** وهو ثلاثة كواكب خفية، وإنما سمى غفرا لأن عند طلوعه تستتر نضارة الأرض وزينتها، وطلوعه لثمانى عشرة ليلة تخلو من تشرين الأول وسقوطه لست عشرة ليلة تخلو من نيسان. قال الساجع: إذا طلع الغفر اقشعر السفر وذبل النضر وفى نوئه يؤبر النخل ويقطع القصب الفارسى ومطره ينبت الكمأة، ورقيب الغفر الشرطين.

● **الزبانا:** هى زبانا العقرب أى قرناهما وهما كوكبان مفترقان بينهما فى رأى العين مقدار خمسة أذرع، وطلوع الزبانا آخر ليلة من تشرين الأول وسقوطها لليلة تبقى من نيسان والعرب يصفونها بهبوب البوارح وهى الشمال الشديدة الهبوب وتكون فى الصيف حارة. قال الساجع: إذا طلعت الزبانا فاجمع لأهلك ولا تتوان، وفى نوئه يدخل الناس بيوتهم فى إقليم بابل ويشتد البرد ومطره ينبت الكمأة والزبانا رقيبه البطين.

• **الإكليل:** هو رأس العقرب وهو ثلاثة كواكب زاهرة مصطفة معترضة، وطلوع الإكليل لثلاث عشرة ليلة تخلو من تشرين الثانى وسقوطه لثلاث عشرة ليلة تخلو من أيار، والعرب يقولون: إذا طلع الإكليل هاجت السيول فإذا سقط غارت مياه الأرض ولا تزال تغور إلى سقوط بطن الحوت، وذلك لخمس مضين من تشرين الأول، وفى نوئه تكثر الأمطار والغيوم، ورقيب الإكليل الثريا.

• **القلب:** هو قلب العقرب وهو الكوكب الأحمر وراء الإكليل بين كوكبين يقال لهما النياط وليسا على حمرته، وأول النتاج بالبادية عند طلوع القلب وطول النسر الواقع وهما يطلعان معا فى البرد وذلك لست وعشرين ليلة تخلو من تشرين الثانى وسقوطه لست وعشرين ليلة تخلو من أيار، وما نتج فى هذا الوقت يكون سيىء الغذاء لشدة البرد وقلة اللبن والزيت، والعرب يقولون: إذا طلع القلب جاء الشتاء كالكلب، ونوء القلب تتشاءم به العرب ويكرهون السفر إذا كان القمر نازلا فى العقرب، وفى نوئه يشتد البرد وتهب الرياح الباردة ويسكن الماء فى عروق الشجر، ورقيب القلب الدبران.

• **الشولة:** هى كوكبان متقاربان يكادان يماسان ذنب العقرب، وسميت شولة لارتفاعها يقال شال بذنبه وبعدها إبرة العقرب كأنها لطخة غيم، وهى تطلع لتسع ليال خلون من كانون الأول وتسقط لتسع تخلو من حزيران، وتقول العرب: إذا طلعت الشولة اشتدت على العيال العولة، وفى نوئها يسقط الورق كله وتكثر الأمطار وتتفرق الأعراب الذين حضروا المياه، ورقيب الشولة الهقعة.

• **النعائم:** هى ثمانى كواكب على أثر الشولة أربعة فى المجرة وهى النعائم الواردة، سميت واردة لأنها شرعت فى المجرة كأنها تشرب: وأربعة خارجة عن المجرة وهى النعائم الصادرة، سميت صادرة لأنها خارجة كأنها شربت ثم صدرت عن الماء وكل أربعة منها على تربيع، وطلوعها لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من كانون الأول وسقوطها لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من حزيران، والعرب تقول: إذا طلعت النعائم توسعت البهائم، وفى نوئها أول الشتاء واستواء الليل والنهار، ورقيب النعائم الهنعة.

• **البلدة:** هى فضاء فى السماء لا كوكب بها بين النعائم وبين سعد الذابح وليس فيه إلا نجم واحد خامد لا يكاد يرى، وهى ست كواكب مستديرة صغار خفية تشبه القوس، ويسميها بعض العرب القوس، وطلوع البلدة لأربع ليال خلون من كانون الآخر وسقوطها لأربع ليال مضين من تموز، وتقول العرب: إذا طلعت البلدة حمت الجعدة، وفى نوئها يجمد الماء ويشتد كلب الشتاء وتنقى البساتين من الأدغال والحشيش

وتكرب الكروم، ورقيب البلدة الذراع.

• **سعد الذابح:** هو كوكبان غير نيرين بينهما فى رأى العين قدر ذراع وأحدهما مرتفع فى الشمال والآخر هابط فى الجنوب، وطلوعه لسبع عشرة ليلة تخلو من كانون الآخر، وسقوطه لسبع عشرة ليلة تمضى من تموز، والعرب تقول: إذا طلع سعد الذابح حمى أهله النابح، وفى نوئه يصعد الماء إلى فروع الشجر ويدرك الجوز واللوز ويرجى المطر، ورقيب سعد الذابح النثرة.

• **سعد بلع:** هو نجمان مستويان فى المجرى أحدهما خفى وسمى الأكبر بالعا كأنه بلع الآخر الخفى وأخذ ضوءه. وطلوعه لليلة تبقى من كانون الآخر وسقوطه لليلة تبقى من آب، وتقول العرب: إذا طلع سعد بلع صار فى الأرض لمع، وفى نوئه يكثر المطر وتنق الضفادع وتتزاوج العصافير ويبيض الهدهد وتهب الجنوب ويقل اللبن، ورقيب سعد بلع الطرف.

• **سعد السعود:** هو ثلاثة كواكب أحدها نير والآخران دونه والعرب تتيمن به فلهذا سمى بهذا الاسم، وطلوعه لاثنتى عشرة ليلة تمضى من شباط وسقوطه لأربع عشرة ليلة تمضى من آب، وتقول العرب: إذا طلع سعد السعود كره فى الشمس القعود، ونوؤه محمود وفى نوئه يتحرك أول العشب ويصوت الطير وتهيج السنانير ويورق الشجر وتأتى الخطاطيف، وتصيب الإبل مرعاها ويدرك الورد وسائر الرياحين، ورقيب سعد السعود الجبهة.

• **سعد الأخبية:** هو أربعة كواكب متقاربة واحد منها فى وسطها وهو مثل رِجْل بطة اثنان منها على الطول واثنان منها على العرض، يقال إن السعد منها واحد وهو أنورها والثلاثة خفية، وقيل إنما سمى سعد الأخبية لأن عند طلوعه تخرج الحشرات المختبئة فى الأرض، وطلوعه لخمس وعشرين ليلة تخلو من شباط وسقوطه لأربع ليال تبقى من آب، تقول العرب: إذا طلع سعد الأخبية خلت من الناس الأبنية، ونوؤه غير محمود يكثر فيه المطر جدا ويقطع الكرم، ورقيب سعد الأخبية الزبرة.

• **الفرع الأول:** هو فرع الدلو المقدم، والدلو أربعة كواكب واسعة مربعة فاثنان منها هما الفرع الأول واثنان هما الفرع المؤخر، وفرع الدلو هو مصب الماء بين العرقوتين، وطلوع الفرع الأول لتسع ليال خلون من آذار وسقوطه لتسع ليال مضين من أيلول والعرب تقول: إذا طلع الدلو طلب اللهو. ونوؤه محمود وفيه تسقط الجمرة الثالثة وينعقد اللوز والتفاح والمشمش بالحر وبرده يهلك الثمار، ورقيب الفرع الأول الصرفة.

● **الفرع الثانى:** قد وصف عند الفرع الأول وطلوعه لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من آذار وسقوطه لاثنتين وعشرين ليلة تمضى من أيلول، ونوؤه محمود وطلوع الفرعين وغروبهما يكون فى إقبال البرد وإدباره، وعند سقوط الفرع المؤخر يجز النخل بالحجاز وتهامة وكل غور وبشتار والعسل، وفى نوئه آخر أمطار الشتاء وفيه يكثر العنب ويدرك النبق والباقلاء ويستوى الليل والنهار، ورقيب الفرع الثانى العواء.

● **بطن الحوت:** هى كواكب كثيرة فى مثل حلقة السمكة وتسمى الرشاء أيضا. وهى كواكب معترضة ذنبها نحو اليمن ورأسها نحو الشام، وطلوعها لأربع ليال تخلو من نيسان وسقوطها لخمس تمضى من تشرين الأول، وعند سقوطه ينتهى غور المياه ويطلع بعده الشرطين ويعود الأمر إلى ما كان عليه فى السنة الأولى، وتقول العرب: إذا طلعت السمكة أمكنت الحركة، ورقيب بطن الحوت السماك، ونوؤه غزير المطر قلما يخلف وهو أوان حصاد الشعير بالجروم. قال أبو إسحاق الزجاجى: إن السنة أربعة أجزاء كل جزء منها سبعة أنواء كل نوء منها ثلاثة عشر يوما وزادوا فيها يوما لتتم السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وهو مقدار قطع الشمس فلك البروج، والله الموفق.

* * *

النظر العاشر: فى فلك البروج

اعلم أنه ليس فلكا كسائر الأفلاك بل هو أمر موهوم، وذلك لأنهم ذهبوا إلى أن لكل كوكب من الكواكب كرة تخصه وأن لكل كرة حركة تخصها، وأن الكوكب مركوز فى جرم الفلك كنقطة وأن كل كرة تتحرك على قطبين وأن النقطة التى عليها برسم دائرة موهومة على سطح الكرة فإذا تحرك فلك الشمس من المشرق إلى المغرب كانت حركته قسرية، وإنما حركة فلك الشمس المختصة به من المغرب إلى المشرق فإذا تمت دورته حدثت من مركز الشمس دائرة عظيمة فى فلك الشمس، وتتوهم هذه الدائرة قاطعة للعالم فتحدث فى سطح الفلك الأعلى دائرة عظيمة مركزها مركز العالم وهى الدائرة التى تسمى فلك البروج، ثم إن الدائرة التى هى أعظم الدوائر التى تمر بمركز العالم وتقطع العالم نصفين وقطباها قطبا العالم اللذان يسميان الشمالى والجنوبى تسمى دائرة معدل النهار فنقول: دائرة فلك البروج تقطع دائرة معدل النهار نصفين على نقطتين متقابلتين تسمى إحداهما نقطة الاعتدال الربيعى، والأخرى نقطة الاعتدال الخريفى، ثم تتوهم دائرة أخرى تمر بنقطتى معدل النهار وهما قطبا العالم ونقطتى فلك البروج فتقطع

دائرة فلك البروج على نقطتين متقابلتين إحداهما مما يلى الشمال والأخرى مما يلى الجنوب أما الشمالية فيسمى نقطة الانقلاب الصيفى وأما الجنوبية فيسمى نقطة الانقلاب الشتوى، فهاتان الدائرتان تقسمان فلك البروج أربعة أقسام متساوية، أما الربع الذى بين نقطتى الاعتدال الربيعى وبين الانقلاب الصيفى فهو الذى يحدثه زمان الربيع لأن الشمس ما دامت بحركة فلكها الخاص مسامتة لهذا القوس يسمى ذلك الزمان ربيعا، وأما الربع الذى بين نقطتى الانقلاب الصيفى والاعتدال الخريفى فهو الذى يحدثه زمان الصيف لأن الشمس ما دامت مسامتة لهذا القوس يسمى ذلك الزمان صيفا. وأما الربع الذى بين نقطتى الاعتدال الخريفى والانقلاب الشتوى فهو الذى يحدثه زمان الخريف، لأن الشمس ما دامت مسامتة لهذا القوس يسمى الزمان خريفا، وأما الربع الذى بين نقطتى الانقلاب الشتوى والاعتدال الربيعى فهو الذى يحدثه زمان الشتاء لأن الشمس ما دامت مسامتة لهذا القوس يسمى الزمان شتاء، وتتوهم أيضًا دائرتان عظيمتان تخرجان من قطبى دائرة البروج فيقطعان الربع الربيعى ثلاثة أقسام متساوية ويقطعان أيضا الربع الخريفى المقابل لهذا الربع ثلاثة أقسام متساوية، وتتوهم أيضا دائرتان عظيمتان تخرجان من قطبى دائرة البروج وتقطعان الربع الصيفى والربع الشتوى المقابل له كل واحد منها ثلاثة أقسام متساوية فتصير جملة الدوائر الخارجة من قطبى دائرة البروج ستة، فإذا توهمنا ست دوائر قاطعة للعالم تمر بقطبى الدائرة بنقطتين متقابلتين انقسم كل واحد من الأفلاك التسعة اثنى عشر قسما يسمى كل قسم منها برجا وكل برج منها مقسوم ثلاثين قسما يسمى كل قسم منها درجة، فالدوائر بجملتها ثلاثمائة وستون درجة ثم قسموا فلك الثوابت بهذه الدوائر الست اثنى عشر قسما فى كل قسم كواكب متشكلة بأشكال مختلفة، ففى أحد هذه الأقسام كواكب متشكلة بشكل يشبه صورة الحمل فسمى ذلك القسم برج الحمل ثم يلى هذه القطعة قطعة عليها كواكب متشكلة بصورة شبيهة بالثور فيسمى هذا القسم برج الثور، وهكذا إلى آخر الأقسام.

وذكر بطليموس أن دائرة البروج أربعمائة وستة وثمانون ألف ألف ومائتان وتسعة وخمسون ألفا وسبعمائة وأحد وعشرون ميلا وسبع ميل، فطول كل برج تسعة وثلاثون ألف ألف وثلاثمائة وثمانية وثمانون ألفا وثلاثمائة وعشر أميال ونصف ميل، وعرض كل برج ألف ألف وثلاثمائة واثنان وعشرون ألفا وتسعمائة وثلاثة وأربعون ميلا وثلث ميل، والله الموفق للصواب.

* * *

النظر الحادى عشر: فى فلك الأفلاك

سمى بهذا الاسم لإحاطته بجميع الأفلاك وتحريكه كلها، ويقال له الفلك الأعظم لأنه أكبر الأفلاك، ويقال له الفلك الأطلس لأنهم لم يعرفوا له كوكبا، وحركة هذا الفلك من المشرق إلى المغرب على قطبين ثابتين يقال لأحدهما القطب الشمالى وللآخر القطب الجنوبى وتتم دورته فى أربع وعشرين ساعة وبحركته تتحرك الأفلاك كلها مع كواكبها، وحركته أسرع من كل شيء شاهده الإنسان، حتى صح فى الهندسة أن الشمس تتحرك بحركتها القسرية وهى حركة الفلك الأعظم فى مقدار ما يرفع الإنسان قدمه للخطو إلى أن يضعها ثمانمائة فرسخ، ويشهد بصحة هذا ما روى عن رسول الله ﷺ «أنه سأل جبريل عليه السلام عن دخول وقت الصلاة فقال لا نعم، فسأل رسول الله ﷺ عن قوله لا نعم؟ فقال: من وقت أن قلت لا إلى أن قلت نعم مرت الشمس خمسمائة فرسخ» وبحركة هذا الفلك يتكون الليل والنهار، فإذا طلعت الشمس بدوران هذا الفلك على جانب من الأرض أضاء جوها وأشرق سطحها وتحركت حيواناتها وربى نباتها وفاح نسيمها، وإذا غابت بدوران هذا الفلك عن جانب من الأرض أظلم جوها واسود وسكنت حيواناتها وذبل نباتها فما دامت هذه الحركة محفوظة فهذه الحالة موجودة، وأشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص:٧٣]، والحكماء سموا هذا الفلك محددا لاعتقادهم أن ليس وراء ذلك خلا وملا.

وقال أبو عبد الله محمد بن عمر الرازى بعد ما أظهر فساد القول بالمحدد: من أراد أن يكتال مملكة البارى تعالى بمكيال العقل فقد ضل ضلالا بعيدا، وقد أحب بعض السلف التوفيق بين الآيات والأخبار وقول الحكماء فزعم أن الكرسى هو الفلك الثامن الذى ذكرنا سعته وعجائبه والعرش هو الفلك التاسع الذى هو أعظم الأفلاك، والله تعالى أعلم بصحة هذا القول أو فساده، ولا شك فى وجود العرش والكرسى لنصوص الآيات ولما رواه أبو الدرداء رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما السموات السبع فى الكرسى إلا كحلقة ملقاة فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة». وأما العرش فإنه مخلوق عظيم من مخلوقات الله تعالى قبلة لأهل السموات كما أن الكعبة قبلة لأهل الأرض فسبحان العظيم.

* * *

النظر الثانى عشر: فى سكان السموات وهم الملائكة

زعموا أن الملك جوهر بسيط ذو حياة ونظر وعقل والاختلاف بين الملائكة والجن والشياطين كالاختلاف بين الأنواع واعلم أن الملائكة جواهر مقدسة عن طلب الشهوة وكدورة الغضب لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس وأنسهم بذكر الله تعالى وفرحهم بعبادته، خلقوا على صور مختلفة وأقدار متفاوتة لإصلاح مصنوعاته وإسكان سمواته، وقال ﷺ: «أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها قدر شبر إلا وفيه ملك راكع أو ساجد».

وقال بعض الحكماء: إن لم يكن فى فضاء الأفلاك وسعة السموات خلائق فكيف يليق بحكمة البارى جلت قدرته تركها فارغة مع شرف جوهرها، فإنه لم يترك قعر البحار المالحة المظلمة فارغا حتى خلق فيه أجناس الحيوانات وغيرها، ولم يترك جو الهواء الرقيق حتى خلق له أنواع الطير، ولم يترك البرارى اليابسة والآجام والجبال حتى خلق فيها أجناس الهوام والحشرات.

وأما أصناف الملائكة فلا يعرفهم غير خالقهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] غير أن صاحب الشرع أعلم ببعضهم، وبحسب وقوع الحوادث اهتدى العقل إلى بعضهم حتى قيل: ما من ذرة من ذرات العالم إلا وقد وكل بها ملك أو ملائكة، وما من قطرة إلا ومعها ملك ينزل بها من السحاب ويدعها فى المكان الذى قدر الله تعالى، هذا حال الذرات والقطرات فما ظنك بالأفلاك والكواكب والهواء والغيوم والرياح والأمطار والجبال والقفار والبحار والعيون والأنهار والمعادن والنبات والحيوان؟ فبالملائكة صلاح العالم وكمال الموجودات بتقدير العزيز العليم.

ولنذكر بعض من أخبر بهم صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه وهم الملائكة المقربون عليه وعليهم السلام.

• **فمنهم حملة العرش** صلوات الله عليهم وهم أعز الملائكة وأكرمهم على الله تعالى، تتقرب إليهم سائر الملائكة ويسلمون عليهم بالغدو والرواح لمكانتهم عند الله تعالى وهم يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا. فمنهم من هو على صورة النسر، ومنهم من هو على صورة الثور، ومنهم من هو على صورة الأسد، ومنهم من هو على صورة البشر.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: خلق الله حملة العرش وهم اليوم أربعة فإذا كان

يوم القيامة أمدهم الله تعالى بأربعة أخرى فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧]، وهو عظم لا يوصف فمنهم كما تقدم من هو على صورة ابن آدم يشفع لبنى آدم فى أرزاقهم، ومنهم من هو على صورة الثور يشفع للبهائم فى أرزاقها، منهم من هو على صورة النسر يشفع للطيور فى أرزاقها، ومنهم من هو على صورة الأسد يشفع للسباع فى أرزاقها.

● **ومنهم الروح الأمين** عليه السلام وهو ملك يقوم صفا والملائكة كلهم صفا لكرامته عند الله تعالى وعظمته وإنما سمى روحا لأن كل نفس من أنفاسه يصير روحا لحيوان، وقد وكله الله تعالى بإدارة الأفلاك وحركات الكواكب وبما تحت فلك القمر من العناصر والمولدات من المعادن والنباتات والحيوانات وهو أجود من الفلك وأقوى منه وأعظم وأشرف وأعلى من الجسمانيات، وهو قادر على تسكين الأفلاك كما هو قادر على تحريكها بإذن الله تعالى.

● **ومنهم إسرافيل** عليه السلام وهو مبلغ الأوامر ونافخ الأرواح فى الأجساد، قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وأصغى بالأذن حتى يؤمر فينفخ».

قال مقاتل: القرن: الصور، وذلك أن إسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن وهو كهيئة البوق ودائرة رأس البوق كعرض السموات والأرض، وهو شاخص ببصره نحو العرش ينظر متى يؤمر فينفخ فإذا نفخ صعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله تعالى.

قالت عائشة رضى الله عنها: قلت لكعب الأحبار رضى الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول «يا رب جبريل وميكائيل وإسرافيل أما جبريل وميكائيل فسمعت بهما فى القرآن. وأما إسرافيل فأخبرنى عنه؟ فقال كعب إنه ملك عظيم الشأن له أربعة أجنحة: أحدهما سد به المشرق، والآخر سد به المغرب، والثالث ينزل به من السماء إلى الأرض، والرابع التثم به من عظمة الله تعالى، قدماه تحت الأرض السابعة ورأسه ينتهى إلى أركان قوائم العرش، وبين عينيه لوح من جوهر، فإذا أراد الله عز وجل أن يحدث أمرًا فى عباده أمر القلم أن يخط فى اللوح، ثم أدنى اللوح من إسرافيل فيكون بين عينيه، ثم هو ينتهى إلى ميكائيل صلوات الله عليهم، فهم له أعوان فى جميع العالم حتى على الأركان والمولدات ينفخون أرواحها فيها فيصير معدنا ونباتا وحيوانا وهى القوى التى بها صلاحها وحياتها، فسبحان الخالق البارئ المصور.

• **ومنهم جبريل الأمين** عليه السلام، وهو أمين الوحى وخازن القدس ويقال له الروح الأمين وروح القدس والناموس الأكبر وطاوس الملائكة. جاء فى الخبر «إن الله تعالى إذا تكلم بالوحى سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون ولا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام فإذا جاءهم فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم. قالوا: الحق فينادون الحق بالحق» وجاء فى الخبر أيضا أن النبى ﷺ قال لجبريل عليه السلام «إنى أحب أن أراك على صورتك التى صورك الله فيها؟ فقال: إنك لا تطيق ذلك، فقال ﷺ: أرنى، فواعده جبريل بالبقيع فى ليلة مقمرة فأتاه فنظر إليه النبى ﷺ فإذا هو قد سد الآفاق فوقع مغشيا عليه، فلما أفاق عاد جبريل عليه السلام إلى صورته الأولى فقال ﷺ: ما ظننت أن أحدا من خلق الله تعالى هكذا، فقال له جبريل عليه السلام: كيف لو رأيت إسرافيل، وإن العرش على كاهله وإن رجليه قد مرقتا تحت تخوم الأرض السفلى، وإنه ليتصاغر من عظمة الله تعالى حتى يصير كالوصع، والوصع: العصفور الصغير وقال كعب الأحبار رضى الله عنه: إن جبريل عليه السلام من أفضل الملائكة له ستة أجنحة فى كل واحد مائة جناح، وله وراء ذلك جناحان لا ينشرهما إلا عند هلاك القرى «ولما نزل على رسول الله ﷺ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ﴾ [التكوير:١٩، ٢٠] سأله رسول الله ﷺ عن قوته؟ فقال: رفعت قرى قوم لوط بجناحى وصعدت بها حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ثم قلبتها» وأعوانه موكلون على جميع العالم من شأنهم إحداث القوة الغضبية والحمية لدفع الشر والإيذاء.

• **ومنهم ميكائيل** عليه السلام وهو موكل بالأرزاق للأجساد والحكمة والمعرفة للنفوس، قال كعب الأحبار: فى السماء السابعة البحر المسجور وعليه من الملائكة ما شاء الله، وميكائيل قائم على البحر المسجور لا يعرف وصفه وعدد أجنحته إلا الله تعالى، ولو أنه فتح فاه لم تكن السموات فيه إلا كخردلة فى بحر، ولو أشرف على أهل السموات والأرض لاحترقوا من نوره. وله أعوان موكلون على جميع العالم من شأنهم إحداث قوة النهوض فى الأركان والمولدات وغيرها التى بها الوصول إلى الغايات وبلوغ الكمال فى الكائنات.

• **ومنهم عزرائيل** عليه السلام وهو مسكن الحركات ومفرق الأرواح من الأجساد قال كعب الأحبار: عزرائيل فى السماء الدنيا وخلق الله تعالى رجليه فى تخوم الأرضين ورأسه فى السماء العليا ووجهه مقابل اللوح المحفوظ، وله أعوان بعدد من يموت

والخلق كلهم بين عينيه لا يقبض روح مخلوق إلا بعد أن يستوفى رزقه وينقضى أجله.

وعن أشعث بن أسلم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام سأل ملك الموت عليه السلام فقال له: ماذا تصنع إذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان بأخرى؟ فقال أدعو الأرواح بإذن الله تعالى فتكون بين أصبعى هاتين.

وعن وهب بن منبه رضى الله عنه أن سليمان بن داود عليهما السلام تمنى أن يرى ملك الموت ليتخذه صديقا، فلم يشعر سليمان حتى أتاه كأنه خرج من تحت سريره. فقال له سليمان من أنت؟ فقال: ملك الموت، فصعق سليمان عليه السلام، فلما رأى ملك الموت ذلك قال اللهم إن عبدك سليمان تمنانى ونزل به ما ترى. اللهم إنى أسألك أن تقويه على رؤيتى، فأوحى الله تعالى إليه أن ضع يدك على صدره ففعل ذلك فأفاق سليمان عليه السلام. وقال: يا ملك الموت إنى أراك عظيم الخلق أو كل الملائكة مثلك؟ فقال: والذى بعثك بالحق نبيا إن رجلى الآن على منكبى ملك قد جاوزت رأسه السموات السبع وارتفع فوق ذلك بمسيرة خمسمائة عام، ورجلاه قد جاوزتا الثرى بمسيرة خمسمائة عام، وهو فاتح فاه رافع رأسه باسط يديه، فلو أذن الله تعالى له أن يطبق شفتيه العليا والسفلى لأطبق على ما بين السماء والأرض فقال له سليمان عليه السلام: لقد وصفت أمرا عظيما، فقال له: كيف لو رأيتنى على صورتى التى أقبض فيها أرواح الكفار؟ فصار ملك الموت صديقا له ويأتيه كل خميس ويقعد عنده إلى أن تزول الشمس، فقال له سليمان عليه السلام يوما: ما لى أراك لا تعال بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا؟ فقال له ملك الموت: ليس المسئول بأعلم من السائل إنما هى كتب فيها أسماء المقبوضين تلقى إلىّ ليلة الصك وليلة النصف من شعبان إلى مثلها من السنة القابلة، فأما أهل التوحيد فأقبض أرواحهم بيمينى فى حريرة بيضاء مغموسة فى المسك وترفع إلى عليين، وأما أهل الكفر فأقبض أرواحهم بشمالى فى سربان من قطران وتنزل إلى سجين، وأمرهم إلى عالم الغيب والشهادة فينبئهم بما كانوا يعملون.

وعن الأعمش عن خيثمة قال: دخل ملك الموت على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر إلى أحد جلسائه ويديم النظر إليه، فلما خرج ملك الموت قال الرجل: يا نبى الله من كان هذا؟ قال: إنه ملك الموت. قال: رأيته ينظر إلى كأنه يريدنى أريد أن تخلصنى منه بأن تأمر الريح لتحملنى إلى أقصى بلاد الهند، فأمر سليمان الريح بذلك ففعلت، فلما عاد ملك الموت إلى سليمان عليه السلام قال له: رأيتك تديم النظر إلى بعض جلسائى؟ قال: كنت أعجب منه لأنى أمرت أن أقبض روحه بأقصى بلاد الهند فى

ساعة قريبة ورأيته عندك.

وقال وهب: قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة، فقالت الملائكة لملك الموت: لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت أرواحهم؟ فقال: أمرت بقبض روح امرأة فى فلاة من الأرض فأتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه فى فلاة لا أحد بها، فقالت الملائكة: الجبار الذى قبضت الآن روحه هو ذلك المولود، فقال ملك الموت: سبحان اللطيف بعباده.

• **ومنهم الكروبيون** عليهم السلام، وهم العاكفون فى حظيرة القدس لا التفات لهم إلى غير الله تعالى لاستغراقهم بجمال حضرة الربوبية يسبحون الليل والنهار لا يفترون: وفى الخبر «إن لله تعالى أرضا بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوما محشوة خلقا من خلق الله تعالى لا يعلمون أن الله تعالى يعصى طرفة عين. وقالوا يا رسول الله أمن ولد آدم هم؟ قال: لا يعلمون أن الله تعالى خلق آدم. قيل: يا رسول الله أنى غفل عنهم إبليس؟ قال: لا يعلمون أن الله تعالى خلق إبليس ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٨].

• **ومنهم ملائكة سبع سموات:** قال كعب الأحبار: هؤلاء ملائكة مداومون على التسبيح والتهليل فى القيام والقعود والركوع والسجود يسبحون الليل والنهار لا يفترون حتى تقوم الساعة، فإذا قامت الساعة يقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: ملائكة سماء الدنيا على صورة البقر وقد وكل الله تعالى بهم ملكًا اسمه إسماعيل، وملائكة السماء الثانية على صورة العقاب ووكل الله بهم ملكًا اسمه ميخائيل، وملائكة السماء الثالثة على صورة النسر والملك الموكل بهم اسمه صاعد يابيل، وملائكة السماء الرابعة على صورة الخيل والملك الموكل بهم اسمه صلصاييل، وملائكة السماء الخامسة على صورة الحور العين والملك الموكل بهم اسمه كلكاييل، وملائكة السماء السادسة على صورة الولدان والملك الموكل بهم اسمه سمخائيل، وملائكة السماء السابعة على صورة بنى آدم والملك الموكل بهم اسمه روفاييل. قال وهب: وفوق السموات السبع حجب فيها ملائكة لا يعرف بعضهم بعضًا لكثرة عددهم يسبحون الله تعالى بلغات مختلفة كالرعد القاصف.

• **ومنهم الحفظة** عليهم السلام وهم الكرام الكاتبون: قال ابن جريج: هما ملكان موكلان بابن آدم أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره. وقال بعضهم: هم أربعة اثنان بالليل واثنان بالنهار وخامس لا يفارق ليلاً ولا نهارًا. وللكفار أيضًا حفظة لأن آية

الحفظة نزلت فى شأن الكفار وهى قوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ٩ - ١٢]. وفى الخبر «إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإذا تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبه» وفى رواية أخرى «فإذا كتبه عليه وعمل حسنة، قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمين عليه: اتق هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة من تضعيف العشرة وأرفع تسع حسنات، فيفعل صاحب الشمال». وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فإذا مات قالا: يارب قبضت عبدك فلان فإلى أين نذهب؟ قال الله تعالى: سمائى مملوءة من ملائكتى يعبدوننى وأرضى مملوءة من خلقى يطيعوننى، اذهبا إلى قبر عبدى فسبحانى وكبرانى وهللانى واكتبا ذلك فى حسنات عبدى إلى يوم القيامة».

● **ومنهم المعقبات** عليهم السلام وهم الملائكة الذين ينزلون بالبركات ويصعدون بأرواح بنى آدم وأعمالهم بالليل والنهار، فإذا واظب الإنسان على الصلوات فى أول أوقاتها فإذا صلى الفجر أتاه ملائكة النهار وجدوه مصليًا وفارقوه ملائكة الليل وتركوه مصليًا وهكذا إذا صلى المغرب، وما بين الصلاتين من الذنوب تكفرها الصلاة، وإذا كان كذلك فلا يرفعون له غير الحسنات، ويحقق أمر هذه الملائكة ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: يقول الله تعالى «يا ابن آدم ما تنصفنى أتحبب إليك بالنعم وتمقت إلى بالمعاصى خيرى إليك نازل وشرك إلى صاعد ولا يزال ملك كريم يأتينى عنك فى كل يوم وليلة بعمل قبيح، يا ابن آدم لو سمعت وصفك من غيرك وأنت لا تعلم من الموصوف لأسرعت إلى مقته».

● **ومنهم منكر ونكير** عليهما السلام وهما ملكان فظان غليظان يسألان فى القبر كل أحد عن ربه ونبيه. عن أنس بن مالك رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وهو يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ يعنى محمدًا ﷺ ، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدل بمقعد من الجنة فيراهما جميعًا، وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول: لا أدرى، أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطراق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين».

● **ومنهم السياحون** عليهم السلام وهم صنف من الملائكة يحبون مجالس الذكر

فإذا رأوا مجالس الذكر احتووا عليها، وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن لله تعالى ملائكة سياحون فى الأرض فضلاً عن كتاب الناس، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تعالى ينادون هلموا إلى بغيتكم فيجيئون بهم إلى السماء الدنيا. فإذا انصرفوا يقول الله تعالى: على أى شىء تركتم عبادى يصنعونه؟ فيقولون: تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويقدسونك: فيقول الله تعالى: وهل رأونى؟ فيقولون: لا، فيقول: كيف لو رأونى؟ فيقولون: لو رأوك لكانوا أشد تسبيحًا وتحميدًا وتمجيدًا، فيقول لهم: من أى شىء يتعوذون؟ فيقولون: من النار، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد هربًا منها وأشد تعوذًا، فيقول: أى شىء يطلبون؟ فيقولون: الجنة، فيقول وهل رأوها؟ فيقولون: لا، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد طلبًا لها، فيقول: أشهدكم أنى قد غفرت لهم، فيقولون: كان فيهم فلان لم يردهم إنما جاء لحاجة، فيقول: هم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم».

● **ومنهم هاروت وماروت** هما ملكان معذبان ببابل عن ابن عباس رضى الله عنهما: «لما خرج آدم ﷺ من الجنة عريانًا نظرت إليه الملائكة وقالت: إلهنا هذا آدم بديع فطرتك أقله ولا تخذله فمر بملأ من الملائكة فوبخوه على نقضه عهد ربه، وكان ممن وبخه يومئذ هاروت وماروت، فقال آدم: يا ملائكة ربى ارحموا ولا توبخوا فذلك الذى جرى على كان قضاء ربى، فأبلاهما الله تعالى حتى عصيا ومنعا من الصعود إلى السماء، فلما كان أيام إدريس عليه السلام صارا إليه وذكرا له قصتهما ثم قالا له: هل لك أن تدعو لنا حتى يتجاوز عنا ربنا؟ فقال إدريس عليه السلام: كيف لى العلم بالتجاوز عنكما؟ قالا: ادع لنا فإن رأيتنا فهو الاستجابة وإن لم ترنا هلكنا، فتوضأ إدريس عليه السلام وصلى ودعا الله تعالى ثم التفت فلم يرهما،فعلم أن العقوبة قد حلت بهما واختطفا إلى أرض بابل، ثم خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا، فهما مسلسلان معذبان فى بئر بأرض بابل منكسين إلى يوم القيامة» وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «أشرقت الملائكة على أهل الدنيا فرأوهم يعصون الله فقالوا: يا ربنا ما أقل معرفة هؤلاء بعظمتك؟ فقال الله تعالى: لو كنتم فى سلاحهم لعصيتمونى. قالوا: كيف يكون هذا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ فقال: اختاروا ملكين فاختاروا هاروت وماروت، ثم أهبطا إلى الأرض وركبت فيهم شهوات بنى آدم ومثلت لهما فما عصما حتى وقعا فى المعصية، فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال له: ما تقول؟ فقال: أقول إن عذاب الدنيا ينقطع وعذاب الآخرة لا ينقطع، فاختارا عذاب الدنيا، فهما اللذان ذكرهما الله تعالى فى قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ [البقرة:١٠٢]. وفى رواية أخرى: «قال لهما إنى أرسل رسولاً إلى الناس وليس بينى وبينكما رسول انزلا ولا تشركا بى شيئًا ولا تقتلا ولا تسرقا. قال كعب. فما استكملا يومهما الذى نزلا فيه حتى أتيا ما حرم عليهما».

● **ومنهم الملائكة الموكلون بالكائنات لإصلاحها ودفع الفساد عنها؛** وقد وكل بكل فرد من أفرادها من الملائكة ما شاء الله تعالى. وروى أبو أمامة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وكل بالمؤمن مائة وستون ملكًا يذبون عنه ما لا يقدر عليه من ذلك بالبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الذباب عن قصعة العسل فى اليوم الصائف» وأما المائة والستون فأمر عرفه النبى ﷺ بنور النبوة، ولكنا نمثل جهة التغذى فإنه أمر مشترك بين الحيوان والنبات، وأنت تقيس عليه غيره من الجهات.

فنقول: إن جزءًا من الغذاء لا يصير جزءًا من المتغذى حتى يعمل فيه عدة من الملائكة، ومعنى التغذى أن يصير جزءًا من الغذاء جزءًا من المتغذى، فإن الغذاء جماد لا يصير دمًا ولحمًا وعظمًا بنفسه كما أن البر لا يصير طحينًا وعجينًا ورغيفًا حتى تعمل فيه الصناع فصناع الظاهر أناس وصناع الباطن ملائكة، فقد أسبغ الله عليك نعمه ظاهرة وباطنة. وأقول: أولا لابد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه، ولابد من ثان يمسكه حتى تعمل فيه الحرارة، ثم لابد من ثالث يلبسها صورة الدم؛ ثم لابد من رابع يدفع القدر الفاضل عن الغذاء، ثم لابد من خامس يميز العظم واللحم والعروق وما يليق بها، ثم لابد من سادس يلصق ما اكتسب صورة العظم بالعظم وما اكتسب صورة اللحم باللحم، ثم لابد من سابع يراعى المقادير فى الإلصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يبطل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد مقدار حاجته ويدفع الزائد، فإنه لو جمع على الأنف من الغذاء مقدار ما يجمع للفخذ لتشوهت الصورة بل ينبغى أن يسوق إلى الأجفان رقيقها وإلى الحدقة صافيها وإلى الأفخاذ غليظها وإلى العظم صلبها مع مراعاة القدر والشكل وإلا بطلت الصورة، فلو لم يراع هذا الملك هذا القسط فساق الغذاء إلى جميع البدن ولم يسق إلى رجل واحدة مثلاً لبقيت تلك الرجل كما كانت فى أيام الصغر وكبر جميع البدن. فترى شخصًا فى ضخامة رجل وله رجل كأنها رجل صبى ولا ينتفع بنفسه ألبتة، فمراعاة هذه الهندسة مفوضة إلى هذا الملك فهذا حال

بعض الملائكة الموكلين ببدن بنى آدم فهم مشتغلون بك وأنت فى النوم أو تتردد فى الغفلة وهم يصلحون بدنك: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] هكذا حال جميع الكائنات، فما من شىء إلا وقد وكل الله به ملكًا أو ملائكة، والله الموفق.

* * *

النظر الثالث عشر: فى الزمان

زعموا أن الزمان مقدار حركة الفلك وهذا على رأى أرسطاطاليس وأصحابه، وعند غيره مرور الأيام والليالى، ثم مقدار حركة الفلك ينقسم إلى القرون والقرون إلى السنين والسنين إلى الشهور والشهور إلى الأيام والأيام إلى الساعات، والزمان أنفس رأس مال به نكتسب كل سعادة وإنه يضمحل شيئًا فشيئًا، وزمانك عمرك وهو معلوم القدر عند الله تعالى وإن لم يكن معلومًا عندك، وما مثله إلا كمسافة ساع يسعى فى قطعها قوى على السير لا يفتر طرفة عين. فما أعجل انقطاعها وإن كانت بعيدة، وما أسرع زوالها وإن كانت كعمر لقمان مدة مديدة.

ولنذكر شيئًا من خواصها وعجيبها.

* * *

القول فى الليالى والأيام

أما اليوم فهو الزمان الذى بين طلوع الفجر وغروب الشمس. وأما الليل فهو الزمان الذى يقع بين غروب الشمس وطلوع الفجر ومجموعهما أربع وعشرون ساعة لا تزيد ولا تنقص وكلما نقص من النهار زاد فى الليل وكلما نقص من الليل زاد فى النهار كما قال الله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [آل عمران: ٢٧]، وأطول ما يكون النهار سابع عشر حزيران عند حلول الشمس آخر الجوزاء فيكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات وهو أقصر ما يكون، ثم يأخذ النهار فى النقصان والليل فى الزيادة إلى ثامن عشر أيلول وهو عند حلول الشمس آخر السنبلة فيستوى الليل والنهار ويصير كل واحد منهما اثنتى عشرة ساعة، ثم ينقص النهار ويزيد الليل إلى سبع عشرة من كانون الأول فيصير الليل خمس عشرة ساعة وهو أطول ما يكون والنهار تسع ساعات وذلك أقصر ما يكون ثم يأخذ الليل فى النقصان والنهار فى الزيادة إلى سادس عشر آذار عند حلول الشمس إلى آخر الحوت فيستوى الليل والنهار ويصير

كل واحد اثنتى عشرة ساعة، ثم يستأنف الدور. وقد شبهوا أوقات اليوم والليلة بأرباع السنة فقالوا: إن الغدو بمنزلة الربيع وانتصاف النهار بمنزلة الصيف والمساء بمنزلة الخريف وانتصاف الليل بمنزلة الشتاء لكن اختلافها لما كان اختلافًا يسيرًا لا تتأثر منه الأبدان تأثرها عن السنة وربما تأثرت منه الأبدان الضعيفة، ومن لطف الله بعباده جعل الليل والنهار لأن الإنسان مضطر إلى الحركات فى أعماله لمعاشه ولا تنفك قواه من كلال فعند ذلك يغلب عليه النوم ولابد له من ذلك لزوال الكلال كما قال الله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣]. فعين وقتًا للنوم ينام فيه كلهم ووقتًا للمعاش يعمل فيه كلهم، ولولا ذلك لأفضى إلى عسر قضاء حوائج الناس لأن أحدهم إذا طلب غيره لشغل وجده نائمًا.

* * *

فصل: فى فضائل الأيام وخواصها

● **يوم الجمعة:** عيد الملة الحنيفية وسيد الأيام، روى أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أسكن الجنة وفيه أهبط منها وفيه تاب الله عليه وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرًا إلا أعطاه الله إياه» وقال بعض السلف: إن لله تعالى فضلاً سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية يوم الخميس ويوم الجمعة، وعن ابن مسعود رضى الله عنه «من قلم أظافره يوم الجمعة أخرج الله منه داء، وأدخل فيه شفاء» وقال الأصمعى: دخلت على الرشيد يوم الجمعة وهو يقلم أظفاره ويقول: قلم الأظفار يوم الجمعة من السنة، وبلغنى أنه ينفى الفقر، فقلت يا أمير المؤمنين وأنت تخشى الفقر؟ فقال: وهل أحد أخشى من الفقر منى؟ وفى الأثر «إن الملائكة يتفقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضًا فيقولون: ما فعل فلان وما الذى أخره عن وقته؟ ثم يقولون اللهم إن كان أخره فقر فأغنه، وإن كان أخره مرض فاشفه، وإن كان أخره شغل فأفرغه لعبادتك، وإن كان أخره لهو فأقبل بقلبه إلى طاعتك».

● **يوم السبت:** هو عيد اليهود. قال الكلبى: أمر موسى عليه السلام بنى إسرائيل أن يفرغوا فى كل أسبوع يومًا للعبادة فأبوا أن يقبلوا إلا يوم السبت وقالوا: إنه يوم فرغ الله فيه من خلق الأشياء، وزعموا أن الأمور التى تحدث فى يوم السبت تستمر إلى السبت

الآخر فلذلك امتنعوا فيه عن الأخذ والعطاء، والمسلمون يخالفونها فى ذلك لقوله ﷺ «بورك لأمتى فى بكور سبتها وخميسها» وزعم أصحاب الفلاحة أن النخلة إذا غرست يوم السبت لم تحمل.

● **يوم الأحد:** عيد النصارى. قال أصحاب السير: إن أول الأيام الأحد وهو أول أيام الدنيا وبدأ الله فيه خلق الأشياء، وذكروا أن عيسى عليه السلام أمر قومه بالجمعة فقالوا: لا نريد أن يكون عيد اليهود عيدنا فاتخذوا الأحد، وزعموا أنه صالح لابتداء الأمور.

● **يوم الاثنين:** يوم مبارك، كان رسول الله ﷺ كثير المواظبة على صومه وصوم الخميس، فسئل عن ذلك فقال: «هما يومان ترفع فيهما الأعمال فأنا أحب أن يرفع عملى وأنا صائم» وفى الحديث «أنه ﷺ ولد يوم الاثنين، وأتاه الوحى يوم الاثنين، وخرج من مكة مهاجرًا يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين، وقبض يوم الاثنين» أورده الإمام أحمد ابن حنبل فى مسند ابن عباس رضى الله عنهم.

● **يوم الثلاثاء:** تستحب فيه العقود وإصلاح حال النفس والحجامة، وقيل إن قابيل قتل هابيل يوم الثلاثاء.

● **يوم الأربعاء:** يوم قليل الخير. والأربعاء الأخير من الشهر يوم نحس مستمر يحمد فيه الاستحمام.

● **يوم الخميس:** يوم مبارك سيما لطلب الحوائج وابتداء السفر، روى الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه «أن رسول الله ﷺ ما كان يخرج إذا أراد سفرًا إلا يوم الخميس» وتكره الحجامة فيه. حدث حمدون بن إسماعيل قال: سمعت المعتصم بالله يحدث عن المأمون عن الرشيد عن المهدى عن المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس رضى الله عنهم عن النبى ﷺ أنه قال: «من احتجم يوم الخميس فحم مات فى ذلك المرض» قال: دخلت على المعتصم يوم الخميس فإذا هو يحتجم، فلما رأيته وقفت واجمًا ساكتًا حزينًا فقال: يا حمدون لعلك تذكرت الحديث الذى حدثتك به؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: والله ما ذكرت حتى شرط الحجام فحم من ساعته، وكان المرض الذى مات فيه رحمه الله تعالى.

* * *

القول فى الشهور

لكل صنف من أصناف الناس شهور مثل شهور العرب والروم والفرس والقبط والترك والهند والزنج، لكن الشهور المستعملة فى زماننا هذا شهور العرب والروم والفرس فاقتصرت على ذكرها وذكر بعض خواصها والمواسم فيها، وبالله التوفيق.

* * *

فصل: فى شهور العرب

الشهر عندهم عبارة عن الزمان الذى بين الهلالين ويتفق ذلك فى كل سنة من سنيهم اثنتى عشرة مرة لأن سنيهم ثلثمائة وأربعة وخمسون يومًا وكسر من يوم، فإذا جعلنا شهرًا ثلاثين وشهرًا تسعة وعشرين صارت الشهور منطبقة على أيام السنة، وإذا صارت الكسور يومًا زادوه فى آخر ذى الحجة، وقد نطق بذلك الكتاب المجيد: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة:٣٦]، والأشهر الحرم: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم واحد فرد وثلاثة سرد للمحرم زيادة وقع عند الله تعالى فالطاعات فيها أكثر ثوابًا والمعاصى أعظم عقابًا، وهذه الأشهر كانت محرمة فى الجاهلية وكانت العرب فى هذه الأشهر تنزع الأسنة عن رماحها وتقعد عن شن الغارات، وكان الخائف فيها يأمن من أعدائه حتى إن الرجل إذا لقى قاتل أبيه أو أخيه لم يتعرض له فلنذكر الآن الشهور:

● **المحرم:** سمى محرمًا لحرمة القتال فيه، فاليوم الأول منه معظم عند ملوك العرب يقعدون للهناء كما أن اليوم الأول من سنة الفرس كان عندهم معظمًا وهو النيروز والسابع منه هو الذى خرج فيه يونس من بطن الحوت، وقيل إنه كان فى رابع عشر ذى القعدة، والعاشر منه يوم عاشوراء يوم معظم فى جميع الملل لأنه فيه تاب الله تعالى على آدم عليه السلام، واستوت السفينة على الجودى، وولد الخليل وموسى وعيسى عليهم السلام، وبردت النار على إبراهيم عليه السلام، ورفع العذاب عن قوم يونس، وكشف ضر أيوب، ورد على يعقوب بصره وأخرج يوسف من الجب، وأعطى سليمان ملكه، أجيب ذكريا حين استوهب يحيى، وهو يوم الزينة الذى غلب فيه موسى السحرة. «ولما قدم النبى ﷺ المدينة وجد يهودها يصومون عاشوراء فسألهم عن ذلك

فقالوا: إنه اليوم الذى غرق فيه فرعون وقومه ونجا موسى ومن معه، فقال عليه الصلاة والسلام : أنا أحق بموسى منهم فأمر بصوم عاشوراء».

وكان الإسلاميون يعظمون هذا الشهر بأجمعهم حتى اتفق فى هذا اليوم قتل الحسين رضى الله عنه مع كثير من أهل البيت فزعم بنو أمية أنهم اتخذوه عيدًا فتزينوا فيه وأقاموا فيه الضيافات والشيعة اتخذوه يوم عزاء ينوحون فيه ويجتنبون الزينة، وأهل السنة يزعمون أن الاكتحال فى هذا اليوم مانع من الرمد فى تلك السنة، والسادس عشر منه جعلت القبلة لبيت المقدس، والسابع عشر منه فيه قدوم أصحاب الفيل فأرسل الله عليهم طيرًا أبابيل.

● **صفر:** سمى صفرًا لأن الرباع كلها كانت تصفر من أهلها لأنهم خرجوا للقتال لانقضاء الأشهر الحرم. وذهب الجمهور إلى أن القعود فى هذا الشهر أولى من الحركة، وروى عن النبى ﷺ أنه قال «من بشرنى بخروج صفر فبشره بالجنة» اليوم الأول منه عيد بنى أمية أدخلت فيه رأس الحسين رضى الله عنه بدمشق، والعشرون منه ردت رأس الحسين إلى جثته وترك المأمون لبس الخضرة وعاد إلى السواد بعدما لبسها خمسة أشهر ونصف، والثالث والعشرون منه عاد الأمر إلى بنى هاشم وجلس السفاح للخلافة، والرابع والعشرون منه دخل النبى ﷺ الغار مع أبى بكر رضى الله عنه.

● **ربيع الأول:** سمى ربيعًا لارتباع الناس والمقام فيه، هو شهر مبارك فتح الله فيه أبواب الخيرات وأبواب السعادات على العالمين بوجود سيد المرسلين ﷺ ، الثامن منه قدم رسول الله ﷺ المدينة، والعاشر منه تزوج رسول الله ﷺ خديجة رضى الله عنها والثانى عشر منه مولد رسول الله ﷺ .

● **ربيع الآخر:** فى اليوم الثالث منه رمى الحجاج الكعبة بالنار فى حصار ابن الزبير فاحترقت، والرابع عشر منه فيه تقرر فرض الصلاة، وفى الحادى والعشرين غزوة رسول الله ﷺ .

● **جمادى الأولى:** إنما سمى بذلك والأخرى، لأنهما صادفا أيام الشتاء حين اشتد البرد وجمد الماء فى الثامن منه مولد على بن أبى طالب رضى الله عنه، وفى الخامس عشر وقعة الجمل.

● **جمادى الأخرى:** زعموا أن الحوادث العجيبة كثيرًا ما تقع فى هذا الشهر، حتى قالوا: العجب كل العجب بين جمادى ورجب، فى اليوم الأول منه نزل الملك على

رسول الله ﷺ ، وفى السادس ولاية عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وفى التاسع مولد جعفر الصادق، وفى الرابع عشر مولد موسى بن جعفر، وفى الخامس عشر هدم ابن الزبير الكعبة بيده لحديث سمعه من عائشة رضى الله عنها وردها على هيئة ما كانت عليه فى زمن الخليل عليه السلام، وفى العشرين مولد فاطمة رضى الله عنها.

● **رجب:** سمى رجب لأنه رجب أى عظم، ويقال له أيضًا الأصم لأنه لا يسمع فيه صوت مستغيث، وقيل لأنه لا يسمع فيه قعقعة السلاح، ويقال له أيضًا الأصب لأن الله تعالى يصب فيه الرحمة والمغفرة على عباده، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة دلت على عظم شأنه وعلى أن الطاعات فيه مقبولة والدعاء فيه مستجاب، وكان فى الجاهلية إذا أراد المظلوم أن يدعو على الظالم أخره إلى دخول رجب ودعا عليه فيستجاب له، وفى اليوم الأول منه ركب نوح عليه السلام السفينة، وفى الرابع وقعة صفين، وفى الثانى عشر مولد جعفر الصادق؛ وفى الخامس عشر يوم أم داود وصلواتها التى تستجاب، وفى السابع والعشرين ليلة المعراج، وفى الثامن والعشرين البعثة النبوية.

● **شعبان:** سمى شعبان لتشعب القبائل فيه: اليوم الثالث منه مولد الحسين، وفى الرابع مولد الحسن رضى الله عنهما، وفى الخامس عشر ليلة الصك وهى ليلة يغفر الله تعالى فيها لأكثر من شعر غنم بنى كلب، وفى السادس عشر صرفت القبلة إلى الكعبة، والعشرون منه النيروز المعتضدى.

● **رمضان:** سمى رمضان لمصادفته شدة الرمضاء فى الوقت، فى أوله فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النيران وصفدت الشياطين، وفى الثالث أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام، وفى الرابع أنزل القرآن على رسول الله ﷺ ، وفى السابع أنزل التوراة على موسى عليه السلام، وفى الثامن أنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام، وفى التاسع عشر فتحت مكة، والحادى والعشرون ليلة القدر على رأى وهى الليلة المباركة التى يفرق فيها كل أمر حكيم، والثالث والعشرون قيل ليلة القدر على رأى آخر، وفى الخامس والعشرين ظهور الدولة العباسية بخراسان بدعوة أبى مسلم، وفى السابع والعشرين وقعة بدر ونزول الملائكة لنصرة النبى ﷺ وليلته هى ليلة القدر على رأى حسن، وفى اليوم الأخير أعتق الله فيه بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره وله عند الفطر كل ليلة سبعون ألف ألف عتيق من النار.

● **شوال:** سمى شوالاً لإشالة الإبل أذنابها عند اللقاح فى ذلك الوقت لأنه أول أشهر

الحج، فى اليوم الأول منه عيد الفطر ويقال له يوم الرحمة لأن الله تعالى يرحم فيه عباده، وفيه أوحى الله تعالى إلى النحل صنعة العسل، وفى الرابع منه خرج رسول الله ﷺ لمباهلة نصارى نجران، وفى السابع عشر منه غزوة أحد ومقتل حمزة رضى الله عنه، وفى الخامس والعشرين إلى آخر الشهر هى الأيام النحسات أهلك الله تعالى فيها عادًا وقيل إنها أيام العجوز التى كانت تنوح عليهم كل سنة.

• **ذو القعدة:** سمى ذا القعدة لأنهم كانوا يقعدون فيه عن القتال لكونه أول الأشهر الحرم، فى الأول منه واعد الله تعالى موسى ثلاثين ليلة، وفى الخامس رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل عليهما السلام، وفى السابع منه فلق البحر لموسى عليه السلام، وفى الرابع عشر خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت، وفى التاسع عشر أنبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين ونزل جبريل بالوحى على رسول الله ﷺ .

• **ذو الحجة:** سمى ذا الحجة لأنهم كانوا يحجون فيه، العشر الأول منه الأيام المعلومات وهى أحب الأيام إلى الله تعالى، فى اليوم الأول تزوج على بفاطمة رضى الله عنهما، الثامن منه يوم التروية وسقاية الحاج بالمسجد الحرام تملأ ويسقى الحجيج فى الجاهلية والإسلام حتى تروى، والتاسع منه يوم عرفة، والعاشر يوم النحر وفيه فدى الذبيح بالكبش وثلاثة أيام بعد أيام التشريق، الثانى عشر منه عيد الغدير وهو اليوم الذى واخى النبى ﷺ عليًا رضى الله تعالى عنه فيه، وفى الرابع عشر تصدق على رضى الله عنه بخاتمه فى الصلاة وفى السادس والعشرين نزل الاستغفار على داود عليه السلام، وفى السابع والعشرين منه وقعة الحرة وفى الثامن والعشرين منه خلافة على رضى الله عنه.

* * *

خاتمة: فى معرفة أوائل هذه الشهور وقد عمل لها جدول ليسهل علمها

أما طريق العمل بها فأن تلقى عدد سنى الهجرة من أولها إلى السنة التى أنت فيها أو السنة التى تريد معرفة أول شهر من شهورها ثمانية ثمانية، فما بقى تعد من تحت الشهر الذى أنت طالب أوله فاليوم الذى ينتهى فيه العدد هو أول ذلك الشهر، وإن بقى ثمانية بعد أن أسقطتها كلها كان أول الشهر اليوم الذى فى البيت الأخير، وهذه صفة الجدول:

جدول الشهور والأيام											
محرم	صفر	ربيع الأول	ربيع الثانى	جمادى الأولى	جمادى الثانية	رجب	شعبان	رمضان	شوال	ذو القعدة	ذو الحجة
الاثنين	الأربعاء	الخميس	السبت	الأحد	الثلاثاء	الأربعاء	الجمعة	السبت	الاثنين	الثلاثاء	الخميس
الجمعة	الأحد	الاثنين	الأربعاء	الخميس	السبت	الأحد	الثلاثاء	الأربعاء	الجمعة	السبت	الاثنين
الثلاثاء	الخميس	الجمعة	الأحد	الاثنين	الأربعاء	الخميس	السبت	الأحد	الثلاثاء	الأربعاء	الجمعة
الأحد	الاثنين	الأربعاء	الجمعة	السبت	الاثنين	الثلاثاء	الخميس	الجمعة	الأحد	الاثنين	الأربعاء
الخميس	السبت	الأحد	الثلاثاء	الأربعاء	الجمعة	السبت	الاثنين	الثلاثاء	الخميس	الجمعة	الأحد
الاثنين	الثلاثاء	الخميس	السبت	الأحد	الثلاثاء	الأربعاء	الجمعة	السبت	الاثنين	الثلاثاء	الخميس
السبت	الأحد	الثلاثاء	الخميس	الجمعة	الأحد	الاثنين	الأربعاء	الخميس	السبت	الأحد	الثلاثاء
الأربعاء	الجمعة	السبت	الاثنين	الثلاثاء	الخميس	الجمعة	الأحد	الثلاثاء	الأحد	الخميس	السبت

قال جعفر الصادق رضى الله عنه: إذا أشكل عليك أول شهر رمضان فعد الخامس من الشهر الذى صمته فى العام الماضى فإنه أول يوم من شهر رمضان الذى فى العام المقبل، وقد امتحنوا ذلك خمسين سنة فكان صحيحًا.

* * *

فصل: فى شهور الروم

وهى مختلفة العدد لأنهم أرادوا أن تكون شهورهم مساوية لمسير الشمس، وحركات الشمس مختلفة فى أرباع السنة، فبعضها أكثر أياما من البعض على ما نطقت به الأرصاد القديمة والحديثة، فلهذا جعلوا بعض الشهور ثلاثين وبعض الشهور أحدا وثلاثين وبعضها ثمانية وعشرين، فأعطوا كل شهر ما يستحقه حتى صار المجموع ثلاثمائة وستين يوما وجعلوا يوما فى آخر السنة، وهذا مجموع أيام سنتهم وقد وضعوها على هذا الوجه:

تشرين الأول	تشرين الثانى	كانون الأول	كانون الثانى
لا	ل	لا	لا

شباط	أذار	نيسان	أيار	حزيران	تموز	آب	أيلول
كح	لا	ل	لا	ل	لا	لا	ل

وقد جمعها الشاعر فى هذين البيتين فقال:

فتشرينكم الثـانى كأيلـول ونيسـان
ثلاثـون ثلاثـون أتوا بعـد حزيران
شباط خص بالنقص وذاك النقص يومان
وباقيهـا ثلاثـون ويوم واحـد كانى

• **تشرين الأول:** أحد وثلاثون يوما، فى اليوم الأول تهيج الصبا، وفى الثالث عيد دير الثعالب، وفى الخامس عيد كنيسة القمامة ببيت المقدس يزعمون أن نارا من السماء تنزل وتسرج الشمع هنالك، وفى السابع عيد التباريك، وفى الثالث عشر تفور المياه ويقوم سوق أذرعات ويضطرب البحر، وفى الخامس عشر يبرد الزمان وتكثر الرياح ويصرم النخل وإذا قطع خشب لم ينخر خشبه ولم يسوس، وفى الثامن عشر ينقص النيل، وفى الحادى والعشرين يزرع على نيل مصر، وفى الثانى والعشرين يبتدئ الهواء بالبرد وفى الثلاثين تذهب الحدأ والرخم والخطاطيف إلى الغور ويسكن النمل جوف الأرض.

• **تشرين الآخر:** ثلاثون يوما، وفى اليوم الأول تهب الجنوب، وفى الثانى فى أوقات المطر، وفى الخامس تخفى الهوام، وفى السابع لقط الزيتون بالشام وكثرة الغيوم واضطراب البحر فلا تجرى فيه جارية، وفى الثامن غليان البحر، وفى التاسع أول المرور فى بحر فارس، وفى الثالث عشر ابتداء اضطرابه وإن قطع فيه خشب لا تقع فيه الأرضة والسوس، وفى السابع عشر ابتداء صوم الميلاد وهو أربعون يوما، وفى العشرين تموت كل دابة لا عظم لها، وفى الثانى والعشرين ينهى عن شرب الماء البارد بالليل، وفى الثالث والعشرين لقط الزيتون عند القبط، وفى الثامن والعشرين امتداد أمواج البحر.

• **كانون الأول:** أحد وثلاثون يوما، فى اليوم الأول منه يقوم سوق ثوما بدمشق ويغرس قضيب البان، وفى الحادى عشر قيام سوق الأردن، والرابع عشر أول الأربعينيات، وفى السابع عشر ينهى عن تناول لحم البقر والأترنج وشرب الماء بعد النوم وعن الحجامة وطلى النورة، ويسمون هذا اليوم الميلاد الأكبر يعنون به الانقلاب الشتوى، ويقولون: إن فيه مخرج النور من حد النقصان إلى حد الزيادة وتأخذ الإنس فى النشور والنماء والجن فى الذبول والفناء وفى التاسع عشر غاية طول الليل وقصر النهار، وفى الثالث والعشرين تنتهى زيادة النيل وتكثر الأنداء ويسقط ورق الأشجار، وفى الخامس والعشرين ميلاد المسيح عليه السلام، وفى التاسع والعشرين ينهى عن

شرب الماء عند النوم ويقولون: إن الجن تتقيأ فى الماء ومن شربه يغلب عليه البله.

● **كانون الثانى:** أحد وثلاثون يومًا، فى اليوم الأول منه يرجى المطر وفيه القلفداس بالشام يوقدون نارًا عظيمة، وفى السادس عيد الذبح زعموا أن فيه ساعة تصير فيها المياه المالحة عذبة، وفى العاشر صوم العذارى: وفى السابع عشر يذهب البرد ببلاد فارس، وفى الثانى والعشرين تنتهى الأربعينيات، وفى الرابع والعشرين بذور العشب فى الأرض وتزاوج الطيور، وفى الخامس والعشرين يزرع القطن والبطيخ وتغرس الأشجار بأرض الروم وتكسح الكروم بأرض مصر وتغتلم فحول الإبل.

● **شباط:** ثمانية وعشرون يوما، فى السابع منه تسقط الجمرة الأولى، وفى الثالث عشر يجرى الماء فى العود من أسفله إلى أعلاه وتتقى الضفادع الرابع عشر صوم النصارى، وتسقط الجمرة الثانية، وفى العشرين يخرج الذئب وتتحرك البراغيث، وفى الخامس والعشرين تزرع القثاء والبطيخ وتلد الوحش ويصوت الطير وتطير الخطاطيف ويلد الماعز ويغرس شجر الورد ويزرع الياسمين والنرجس ويورق الكرم ويكثر العنب، وفى الحادى والعشرين سقوط الجمرة الثالثة، ومعنى سقوط الجمرات أن الناس كانوا يتخذون فى قديم الزمان أخبية ثلاثة فى الشتاء محيطًا بعضها بالبعض وكانت دوابهم الكبار كالإبل والبقر فى البيت الأول ودوابهم الصغار كالغنم فى البيت الثانى وهم كانوا فى البيت الثالث، وكانوا يشعلون النار فى كل بيت ويتخذون الجمر للاصطلاء فلما كان السابع من شباط أخرجوا دوابهم الكبار إلى الصحراء وجعلوا الصغار مكانها وهم سكنوا مكان الصغار فحينئذ سقطت من الجمرات الثلاث جمرة، فإذا مضى أسبوع آخر أخرجوا الغنم أيضًا إلى الصحراء وهم سكنوا مكانها فسقطت جمرة أخرى فإذا مضى أسبوع آخر خرجوا إلى الصحراء وتركوا إشعال النار لقلة البرد وطيب الهواء فسقطت الجمرات الثلاث، وفى الخامس والعشرين يظهر الدفء وتهب الرياح اللواقح وتكسح الكروم، وفى السادس والعشرين أول أيام العجوز وأيام العجوز سبعة أيام ثلاثة من شباط وأربعة من أذار. قيل: إنها سميت أيام العجوز لأن الله تعالى أهلك قوم عاد فى هذه الأيام فتخلفت منهم عجوز كانت تنوح عليهم كل سنة فى هذه الأيام فهذه الأيام لا تخلو من برد أو رياح أو كدورة. فذهب بعضهم إلى أنها من الأمور الطبيعية وأن البرد يشتد فى آخر الشتاء كما أن الحر يشتد فى آخر الصيف، وذلك يجرى مجرى السراج الذى فنيت رطوبته فإنه عند انطفائه يشتد ضوؤه دفعات.

● **أذار:** أحد وثلاثون يومًا، فى اليوم الأول يخرج الجراد والدبيب، وفى الرابع منه

آخر أيام العجوز، وذهب بعضهم إلى أنها سميت أيام العجوز، لأن عجوزًا كاهنة من العرب أخبرت قومها ببرد شديد فى آخر الشتاء يسوء أثره على المواشى، فلم يكترثوا بقولها وجزوا أغنامهم واثقين بإقبال الربيع، فإذا هم ببرد شديد أهلك الزرع والضرع فنسبوا تلك الأيام إليها، وفى السابع اختلاف الرياح العواصف، وفى الثانى عشر يؤمر بالحجامة، وفى الثالث عشر تظهر الخطاطيف والحدأ، وفى السادس عشر تفتح الحيات أعينها فى أيام البرد لأنها تجتمع فى باطن الأرض فيظلم بصرها، وفى الثامن عشر يعتدل الليل والنهار وهو أول ربيع العجم وخريف الصين ويغلظ ماء البحر لأن الشمس تبخر لطيف أجزائه، قالوا: إن العقيم من الرجال إذا نظر فى ليلة هذا اليوم إلى الشهر ثم جامع أهله ولدت، وفى هذا اليوم تهب الرياح اللواقح وتسنبل الحنطة ويدرك النبق والباقلاء ويعقد اللوز والمشمش ويورق الشجر ويغرس الكرم ويخاف التمساح بمصر، وفى الخامس والعشرين غليان البحر.

● **نيسان:** ثلاثون يومًا، فى اليوم الأول منه يرجى المطر، وفى الرابع الشعانين، وفى الحادى عشر منه عيد النصارى، وفى العشرين منه تهيج الرياح الشرقية ويفرخ الطير، وفى الحادى والعشرين قيام سوق فلسطين، وفى الثانى والعشرين هبوب الجنوب وامتداد الأدوية، وفى الثالث والعشرين موسم دير أيوب بالشام، وفى التاسع والعشرين يمتلئ الفرات وفى الثلاثين يهيج الدم وتنعقد الثمار ويدرك اللوز.

● **أيار:** أحد وثلاثون يوما، فى ثانى يوم منه عيد دير الثعالب، فى السابع عيد الصليب وفى الحادى عشر أول البوارح، وفى الخامس عشر عيد الورد المستحدث، وفى السادس عشر تهيج الصبا ويطيب ركوب البحر، وفى الرابع والعشرين يرتفع الطاعون بإذن الله ويخضر الزرع ويركب البحر وتبدو السمائم وتهب الشمال ويسود العنب وتبين زيادة نيل مصر وتهب الدبور، وفى الخامس والعشرين منه عيد الورد وفريك السنبل، وفى التاسع والعشرين سبت القيامة.

● **حزيران:** ثلاثون يوما، فى الحادى عشر منه نوروز الخليفة ببغداد فيه اللعب ورش الماء وغيرهما مما هو مشهور، وفى السادس عشر يتنفس نيل مصر وتفور المياه، وفى الثامن عشر غاية طول النهار وقصر الليل وهو الامتلاء الأكبر يعظمه العرب والعجم وهو الانقلاب الصيفى، وفى الثانى والعشرين يوضع المنجل فى الزرع وتدرك الفاكهة والبطيخ والتين والعنب ويشتد الحر، وفى الخامس والعشرين مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام وابتداء السمائم بالهبوب وهى أحد وخمسون يوما ويمتد جيحون، وفى

الثامن والعشرين آخر البوارح، وفى التاسع والعشرين ينظر أصحاب التجارب بمصر فإن كثر فيه الندى قالوا يمتد النيل وإن لم يكثر قالوا لا يمتد.

● **تموز:** أحد وثلاثون يوما، فى الخامس تطلع الشعرى وبطلوعها يعرفون صلاح الزرع وفساده وذلك أن أصحاب الفلاحة من العجم أخذوا لوحا قبل طلوع الشعرى بأسبوع وزرعوا عليه أصناف الحبوب، فلما كانت الليلة التى طلعت فيها الشعرى وضعوا ذلك اللوح على موضع عال لا يحول بينه وبين السماء شىء فما أصبح مخضرا من ذلك النبات فهو الذى صلح فى تلك السنة وما أصبح مصفرا فهو الذى فسد، وفى السابع يموت الجراد، وفى العاشر يقوم سوق بصرى، وفى الثامن عشر أول أيام الباحور وهى سبعة أيام متوالية يستدلون بكل يوم منها على شهر من أشهر الخريف والشتاء من تغيرات وتلون، وزعموا أنها السنة كأيام البحران للمريض وأن كل شهر من تلك الأشهر حاله كحال يوم من تلك الأيام أولها كأولها وآخرها كآخرها فى التغيرات، وفى الرابع والعشرين تشتد صولة الحر ويرتفع الطاعون ويكثر الرمد ويزرع البطيخ الشتوى والجزر والذرة، وفى الخامس والعشرين ينهى عن الجماع لشدة الحر، وفى السابع والعشرين يحمر البسر ويقطف العنب والقضب النبطى وتفور المياه وتنضج الفواكه كلها، وفى الثلاثين عيد كنيسة مريم عليها السلام.

● **آب:** أحد وثلاثون يوما، فى الأول وفاة مريم عليها السلام، وفى السادس أول عيد التجلى، وفى التاسع تختلف الرياح، وفى العاشر يقوم سوق عمان، وفى الثانى عشر يبدو هواء العراق، وفى السابع عشر آخر عيد التجلى، وفى الثامن عشر تهيج الرياح البوارح ويكثر الرمان ويصفر الأترنج، وفى العشرين آخر السموم، وفى الثانى والعشرين فتور الحر، فى السادس والعشرين يهيج الدم وفى الثامن والعشرين يطيب الماء ويكثر الرطب والعنب ويسقط الطل والمن والسلوى بالشام.

● **أيلول:** ثلاثون يوما، فى الأول عيد رأس السنة وتمامها ويكون سوق منبج، وفى الثالث يبتدئ بإيقاد النار فى البلاد الباردة، وفى الثانى عشر يفصد ويشرب الدواء وفى الثالث عشر تنتهى زيادة النيل فى مصر وعيد كنيسة القمامة، وفى الرابع عشر عيد الصليب وفى السادس عشر فطام الأطفال، وفى الثامن عشر اعتدال الليل والنهار وهو أول الخريف عند العجم والربيع عند الصينيين، وزعموا أن المطر فى السحاب الذى يرتفع فيه يصبى الروح ويبرئ الجسد، وفى العشرين يرجع الماء من أعالى الشجر إلى عروقه، وفى الرابع والعشرين زعم أصحاب التجارب أنه تهب الريح وتأتى الغربان

البقع فى أكثر البلاد، وهذه أمور تتكرر فى كل سنة على رأى أصحاب التجارب فى الأوقات المذكورة.

* * *

فصل: فى شهور الفرس

وهى متساوية فى العدد لأن أيام سنتهم عددها ثلاثمائة وخمسة وستون يومًا فجعلوا كل شهر ثلاثين يومًا وضعوا فى آخر السنة خمسة أيام، والشهر عندهم لا يكون على أسابيع كما هو عند العرب بل هو عندهم من أول الشهر إلى آخره، ولكل يوم اسم يعرف به ذلك اليوم ويتميز به عن غيره من الأيام، وهذه صورتها: (أ) هرمز (ب) بهمز (ج) أرد بيهشت (د) شهرير (هـ) أستداند (و) حودار (ز) مرداد (ح) دى بادر (ط) إحدى (ى) دى (يا) حور (يب) ماه (يج) تبر (يد) كوش (يه) ذى بهمر (يو) مهر (يز) سروسن (يح) رشن (يط) قردوميز (ك) بهرام (كا) رام (كب) باد (كج) دى بديز (كد) دى (كه) أرد (كو) اشتاد (كز) أسمان (كح) زاميار (كط) مارال (ل) أنير. وإنما وضعوا لكل يوم من الأيام اسمًا لأن لهم فى كل يوم مأكولاً وملبوسًا ومشمومًا تخالف غيرها. ولهم أعياد منها ما هو موضوع لأمور دنيوية ومنها ما هو لأمور دينية.

أما الدنيوية فقد وضعها ملوك الفرس ليتوصلوا بها إلى سرور النفس مع اكتساب الدعاء والحمد والثناء أخذها الخلف عن السلف تيمنًا وتفاؤلاً.

وأما الدينية فقد وضعها أرباب الديانات والمطلوبات منها الخيرات والسعادات الأخروية فيما يرونه، ونحن نذكر ما كان فى كل شهر إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق.

● **فروردين ماه:** اليوم الأول منه النيروز وهو أول يوم من السنة واسمه بالفارسية يعطى هذا المعنى، وزعموا أن الله تعالى فى هذا اليوم أدار الأفلاك وسير الشمس والقمر وسائر الكواكب واسم هذا اليوم هرمز، وهو اسم من أسماء الله تعالى. قالوا: فى هذا اليوم قسم الله السعادات لأهل الأرض، من ذاق صبيحة هذا اليوم قبل الكلام السكر وتدهن بالزيت رفع عنه البلاء فى عامة سنته، ويتفاءلون بما وقع لهم فى هذا اليوم، وكان الملك يجلس فى هذا اليوم ويأتيه كل واحد من خدمه وحشمه بطريقة عجيبة، وإذا استيقظ من نومه أول ما تقع عينه على غلام حسن الوجه على فرس حسن على يده بازى حسن فإن هذا الشكل أحسن الأشكال قد أهدى إلى بعض خواصه، والسابع عشر منه سروش روز، وسروش اسم ملك هو رقيب الليل قيل إنه جبريل عليه السلام وهو

أشد الملائكة على الجن والسحرة فيطلع على الخلق بالليل ثلاثًا، بالأولى يبرد الجو وتعذب المياه وبالمرة الأخيرة طلوع الفجر واعتزاز النبات ونماء الزهر وترويح العليل وصدق الرؤيا، التاسع عشر فردورميزروز عيد يسمى فردوميزجان لموافقة اسمه اسم الشهر وذلك جار فى كل شهر يعنى إذا كان اسم اليوم يوافق اسم الشهر كان عيدًا، وملوك الفرس اتخذوا هذا الشهر كله أعيادًا وجعلوه أسداسًا كل سدس خمسة أيام، فالأول للملوك والثانى للأشراف والثالث لحرم الملوك والرابع للحاشية والخامس للعامة والسادس للرعاة، وكان من رسم الأكاسرة أن يأمروا بإعلام الناس بجلوسه لهم عامة، وفى اليوم الثانى لمن هو أرفع مرتبة كالدهاقين والمشايخ وأرباب البيوت، وفى اليوم الثالث لأساورته وعظمائه، وفى اليوم الرابع لأهل بيته وخاصته، وفى اليوم الخامس لأولاده وكان يوصل إلى كل أحد فى كل يوم ما يستحقه من الإنعام والإكرام، وفى اليوم السادس كان فارغًا عن قضاء الحقوق لم يصل إليه إلا أهل أنسه، وكان يأمر بإحضار الهدايا فيتأملها.

• **أردبيهشت ماه:** اليوم الثالث منه أردبيهشت روز عيد يسمى أردبيهشت كان لاتفاق العيدين، وأردبيهشت اسم ملك النار والنور وكله الله تعالى بذلك على زعمهم وبإزالة العلل والأمراض بالأدوية والأغذية، واليوم السادس منه هو أشتاذروز وهو أول الكهنبار، والكهنبارات ستة كل واحد خمسة وهى أيام عبادات للمجوس وضعها زرادشت نبى المجوس.

• **خرداد ماه:** اليوم السادس منه خرداد ماه روز، سمى خرداد كان لاتفاق الاسمين، وهو اسم الملك الموكل بالنبات والأشجار يربيها ويدفع النجاسات عن المياه، واليوم السادس والعشرون وهو أشتادروز أول الكهنبار الرابع فيه خلق الله النبات والأشجار، واليوم الثلاثون هو نيران روز وهو آب ريز كان يعنى عيد الاغتسال.

• **تيرماه:** اليوم السادس منه هو يوم خرداد عيد يسمى جشن نيلوفر وهو مستحدث، واليوم الثالث عشر منه نيروز يسمى النيركان لاتفاق الاسمين، ذكروا أن فى هذا اليوم طلب منوجهر من أفراسياب لما تغلب على إيران شهر أن يردها عليه فأنعم عليه بها، وكان منوجهر متحصنا بطبرستان، واليوم السادس عشر مهرروز ومهر اسم الشمس هو أول الكهنبار الخامس، وزعموا أنه يوم خلق الله تعالى فيه البهائم.

• **شهر يرماه:** السادس عشر منه مهر روز عيد عظيم الشأن يعرف بالمهرجان لأن اسمه موافق لاسم الشهر، وكانت الأكاسرة فى هذا اليوم يلبسون أبناءهم تاج الذهب

الذى كان عليه صورة الشمس وعجلتها الدائرة عليها لأن مهر اسم الشمس. وذكروا أن هذا يوم خروج أفريدون بعد أن أهلك الضحاك بيوراسف كل من كان ينسب إلى جمشيد وفريدون وضعته أمه فى غار وتركته وكانت تأتيه بقرة وحش فترضعه حتى وثب على الضحاك وطره وأخرج أفريدون ونزلت الملائكة لعونه، وذكروا أن فى هذا اليوم دحا الله الأرض وجعل الأجساد قرار الأرواح، وقالوا: من أكل يوم المهرجان شيئًا من الرمان وشم ماء الورد دفع عنه آفات كثيرة، واليوم الحادى والعشرون هو رام روز وهو اليوم الذى ظفر فيه أفريدون بالضحاك وأسره فقال لأفريدون: لا تقتلنى، فأجابه إلى ذلك وحبسه بجبل نهاوند مسلسلا فى غار فيه.

● **أبان ماه:** اليوم العاشر منه أبان روز يسمى أبان كان لاتفاق الاسمين. قالوا: فيه أمر بعمارة الأرض وحفر أنهارها واتصل الخبر بالأقاليم السبعة، والخمسة الأخيرة من هذا الشهر أولها أشتادروز وتسمى الفزورجان فيها وكانوا يصنعون فيها الأطعمة والأشربة فى النواويس على ظهورها، يزعمون أن أرواح موتاهم تخرج فى هذه الأيام من مواضع ثوابها وعقابها، فتأتيها وتنسف قوتها ويدخنون بيوتهم بالراسن لتستلذ الموتى برائحته.

● **آذرماه:** اليوم الأول منه هو يوم هرمز، فيه ركوب الكوسج وهو سنة لهم كان يركب فى هذا اليوم رجل كوسج حمارا فى أطمار من الثياب وقد تناول الأطعمة الحارة والأشربة المسخنة وطلى بدنه بالأدوية وفى يده مروحة يتروح بها ويقول الحر الحر والناس يتضاحكون ويرمونه بالثلج والجسد فيصيب بذلك خيرا من الناس وبقى بذلك فى عقبه إلى أن ضرب السلطان على ذلك ضربته، وكان مع الكوسج نقيع المغرة وهى طين أحمر يلطخ به ثياب من لم يسمح له بشىء، وفى هذا اليوم استخرج اللؤلؤ من البحر ولم يكن يعرف قبل ذلك: قالوا: إنه يوم قضى الله فيه الخير والشر، وزعموا أن من طعم صبيحة هذا اليوم قبل الكلام سفرجلا وشم أترنجا سعد فى سائر سنته، واليوم التاسع هو آذروز، عيد يسمى آذر جشن لاتفاق الاسمين وفيه اصطادوا بالنار، وآذر اسم الملك الموكل بجميع النيران وقد أمر زرادشت أن تزار فى هذا اليوم بيوت النيران وتقرب القرابين ويشاور فى أمور العالم.

● **دى ماه:** ويسمى أيضًا جرماه اليوم الأول منه يسمى خزم روز وهو اسم الله تعالى وكان الملك فى هذا اليوم ينزل عن سرير الملك ويلبس الثياب البيض ويرفع الحجاب ويترك هيئة الملك وَيَنظر فى مصالح الناس ويخاطبه كل من شاء من الوضيع والشريف ويجالس الدهاقين والمزارعين ويواكلهم ويقول أنا كواحد منكم ولا قوام للدنيا إلا

بالعمارة التى تجرى على أيديكم وقوام العمارة بالملك لا غنى لأحدهما عن الآخر ونحن كأخوين متلازمين، واليوم الحادى عشر أول الكهنبار الأول وفيه خلق الله السموات، واليوم الرابع عشر زوركوش فله عيد يسمى عيد سيرسو يتناول فيه الثوم والخمر ويطبخ فيه النبات باللحم النيئ يتحرز به عن الشياطين وبها يتداوى من العلل المنسوبة إلى الأرواح السوء، واليوم الخامس عشر وهو سمهور روز عيد يتخذ فيه شخص من عجين أو طين على هيئة إنسان ويوضع فى مداخل الأبواب ويخدم خدمة الملوك ثم يحرق وفى هذا اليوم اتفق فطام أفريدون وركوب الثور، وزعموا أن من أطعم صبيحة هذا اليوم قبل الكلام تفاحًا وشم نرجسًا عاش سنته بخير وخصب وأن التدخين فى ليلته بالسوسن أمان فى العام من القحط والفقر، واليوم السادس عشر هو مهرروز عيد كاوكيل، زعموا أن جمعًا من الفرس تخلصوا فى هذا اليوم من بلاد الترك وساقوا البقر التى سبيت منهم، وزعموا أن فى ليلة هذا اليوم يظهر ثور عجلة القمر وهو ثور قرناه من ذهب وقوائمه من فضة يظهر ساعة ثم يغيب والموفق لرؤيته مجاب الدعوة فى ساعة النظر إليه.

● **بهمن ماه:** اليوم الثانى منه بهمن روز عيد يسمى بهمنجة لاتفاق الاسمين وهو الملك الموكل بالبهائم التى يحتاج الناس إليها للعمارة، وأهل فارس كانوا يطبخون فيه قدورًا يجمعون فيها من كل حب ولحم يشربون فيه اللبن ويزعمون أن ذلك يصلح للحفظ، ولهذا اليوم خاصية فى لفظ الأدوية من الجبال والأودية واتخاذ الأدهان وتهيئة البخور والدخن، وزعموا أن ذلك وضع جاماسب الوزير ونفعها بين، واليوم الخامس وهو يوم أسفندارمد عيد يسمى نوسدة ومعناه البندق الجديد وهو من مآثر هوراسف، واليوم العاشر وهو أبان يسمى أبان عيد ويسمى السدق وتفسيره المائة، قيل إنه إنما سمى سدقًا لأنه بقى إلى آخر السنة مائة يوم، وقيل لأنه ثم فى هذا اليوم عدد المائة من الآب الأول وهو كيومرت. قالوا: إن الشتاء يخرج من جهنم إلى الدنيا فى هذا اليوم، والناس فى هذا اليوم يوقدون نيرانًا وينحرون قرابين لدفع مضرته حتى صار من رسم الملوك فى هذه الليلة إيقاد النيران وإرسال الطيور والوحش وقد شدوا فيها باقات من الشوك مشتعلة مع الشرب والتلهى، واليوم الثلاثون وهو أنيران روز عيد يسمى إبريز كان بأصبهان وتفسيره صب الماء، والسبب فيه أن القطر احتبس فى زمان فيروز جد أنوشروان وأجدب الناس فترك فيروز الخراج وفتح الخزائن واستدان من بيوت النيران وجاد بها على الرعية وتفقدهم تفقد الوالد للولد حتى لم يمت فى تلك السنين أحد جوعا. ثم صلى ودعا الله تعالى بإزالة ذلك عن الخلق ودخل بيت النار وأدار يده

وساعده حوالى اللهب وضمه إلى صدره ثلاث مرات ضم الصديق صديقه، وبلغ اللهيب لحيته ولم تحترق وكان ذا لحية كثة ثم قال: اللهم إن كان هذا الاحتباس من أجلى وسوء سيرتى فبين لى حتى أخلع نفسى، وإن كان لغيرى فبين لى وأزل عن أهل الدنيا ذلك وجد عليهم بالمطر، ثم خرج من بيت النار فارتفعت سحابة وأقبلت بأمطار لم يعهد مثلها غزارة فأيقن فيروز بإجابة دعائه وجرت المياه فى الخيام والسرادقات، وكان الناس يصب بعضهم على بعض فرحا وسرورا فصار ذلك سنة لهم إلى هذا الوقت.

● **أسفندار مذماه:** اليوم الخامس وهو أسفندار مذروز عيد، لاتفاق الاسمين وهو اسم الملك الموكل بالأرض والمرأة الصالحة المحبة لزوجها، وهذا عيد خاص للرجال والنساء يحسن بعضهم إلى بعض ويتخذون فيما بينهم العهود، وقد بقى هذا بأصبهان يسمونه مرذكيران وهذا اليوم تكتب فيه الرقاع لدفع الهوام والحشرات فيكتبون من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس الرقية المعروفة ويلصقون ثلاثة منها على الجدران الثلاثة من البيت ويتركون الجدار المقابل لصدر البيت.

* * *

القول: فى السنين

السنة عند العرب اثنا عشر شهرا وعند العجم كذلك إلا أن العرب تجعل شهورها على مدار الأهلة وأيامها ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما. وأما العجم فجعلوا شهورهم على مدار الشمس وأيامها ثلاثمائة وخمسة وستون يوما، وفى هذه المدة تقطع الشمس دائرة الفلك فسنو العرب قمرية وسنو العجم شمسية والتفاوت بينهما كل مائة سنة ثلاث سنين قال الله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥] بحساب العرب، وأول السنة الشمسية مسامتة الشمس لنقطة الاعتدال الربيعى، ثم تتحرك متوجهة نحو الشمال حتى تبلغ غايتها فى الشمال، ثم ترجع متوجهة إلى نقطة الاعتدال الخريفى حتى تصير مسامتة لها، ثم تتحرك متوجهة نحو الجنوب حتى تبلغ غايتها فى الجنوب، ثم ترجع متوجهة إلى نقطة الاعتدال الربيعى، فلهذا الاعتبار قسموا السنة أربعة أقسام كل قسم فصل، ومن جملة لطف الله تعالى أن أعطى كل فصل طبقة مغايرة لما بعده فى كيفية أخرى ليكون ورود الفصول على الأبدان بالتدريج، فلو انتقل من الصيف إلى الشتاء دفعة واحدة لأدى ذلك إلى تغيير عظيم فى الأبدان، فحسبك ما ترى من تغيير الهواء فى يوم واحد من الحر إلى البرد كيف يظهر مقتضاه فى الأبدان

فكيف إذا كان مثل هذا التغيير فى الفصول، فسبحان ما أعظم شأنه وأكثر امتنانه.

• **أما الربيع:** فهو نزول الشمس أول دقيقة من برج الحمل، فعند ذلك استوى الليل والنهار فى الإقليم، واعتدل الزمان وطاب الهواء وهب النسيم وذابت الثلوج وسالت الأودية ومدت الأنهار ونبعت العيون، وارتفعت الرطوبات إلى أعلى فروع الأشجار وتلألأ زهر وأوراق الشجر وتفتح النوار واخضر وجه الأرض، وتكونت الحيوانات ونتجت البهائم ودرت الضروع، وطاب عيش أهل الزمان وأخذت الأرض زخرفها وازينت والدنيا كأنها جارية شابة تحلت وتزينت للناظرين، فلا يزال كذلك دأبها ودأب أهلها إلى أن تبلغ الشمس آخر الجوزاء فحينئذ ينتهى الربيع ويقبل الصيف.

• **وأما الصيف:** فهو نزول الشمس أول السرطان، فعند ذلك تناهى طول النهار وقصر الليل ثم أخذ الليل فى الزيادة واشتد الحر وسخن الهواء وأدركت الثمار وجفت الحبوب وقلت الأنداء وأضاءت الدنيا وسمنت البهائم واشتدت قوة الأبدان، وانتشرت الحيوانات على وجه الأرض لعموم الخير، وطاب عيش أهل الزمان وكثرت السموم ونقصت الأنهار ونضبت المياه وأدرك الحصاد ودرت الأخلاف، واتسع للناس القوت وللطير الحب وللبهائم العلف، وتكامل زخرف الأرض وصارت الدنيا كأنها عروس حسناء ذات جمال كثيرة العشاق، ولا تزال كذلك إلى أن تبلغ الشمس آخر السنبلة فعند ذلك انتهى الصيف وأقبل الخريف.

• **وأما الخريف:** فهو وقت نزول الشمس فى أول الميزان فعند ذاك استواء الليل والنهار مرة أخرى ثم ابتداء الليل بالزيادة، وكما ذكرنا أن الربيع زمان استواء الأشجار وربو النبات وظهور الأشجار، فبالخريف ذبول النبات وتغير الأشجار وسقوط أوراقها، فحينئذ برد الماء وهبت الشمال وتغير الزمان ونقصت المياه وجفت الأنهار وغارت العيون ويبست أنواع النباتات، وماتت الهوام وانحجزت الحشرات وانصرف الطير والوحش لطلب البلدان الدفيئة، وادخر الناس قوت الشتاء ودخلوا البيت ولبسوا الجلود الغليظة من الثياب وتغير الهواء وصارت الدنيا كهلة تولت عنها أيام الشباب، ولا تزال كذلك إلى أن تبلغ الشمس آخر القوس، وقد انتهى الخريف وأقبل الشتاء.

• **وأما الشتاء:** فهو وقت نزول الشمس أول الجدى فعند ذلك تناهى طول الليل وقصر النهار ثم أخذ النهار فى الزيادة واشتد البرد وخشن الهواء وتعرى الأشجار عن الأوراق. وانحجزت الحيوانات فى أطراف الأرض وكهوف الجبال من شدة البرد وكثرة الندى وأظلم الجو وكلح وجه الزمان وهزلت البهائم وضعفت قوى الأبدان، ومنع البرد

الناس عن التصرف ومن عيش أكثر الحيوان، وبرد الماء الذى هو مادة الحياة وانقطع الذباب والبعوض وعدمت ذوات السموم من الهوام وطاب الأكل والشرب وهو زمان الراحة والاستمتاع، كما أن الصيف زمان الكد والتعب، قيل من لم يغل دماغه فى الصيف لم يغل قدره فى الشتاء، وصارت الدنيا كأنها عجوز هرمة دنا موتها فلا تزال كذلك إلى أن تبلغ الشمس آخر الحوت وقد انتهى الشتاء وأقبل الربيع مرة أخرى ولا يزال كذلك إلى أن يبلغ الكتاب أجله.

* * *

فصل: فى بعض العجائب المتعلقة بتكرار السنين

قال بعض العلماء: إن الله تعالى يبعث فى كل ألف سنة نبيا بمعجزات غريبة واضحة لرفع أعلام دينه القويم وظهور صراطه المستقيم، ويجوز أن يكون ما بين النبيين أكثر من ألف سنة أو أقل، وكان فى الألف الأول آدم أبو البشر عليه السلام، وفى الألف الثانى إدريس عليه السلام، ثم نوح عليه السلام على الترتيب المذكور فيه، وفى الثالث إبراهيم عليه السلام، وفى الرابع موسى عليه السلام، وفى الخامس سليمان عليه السلام، وفى السادس عيسى عليه السلام، وفى السابع محمد ﷺ ثم ختمت به النبوة وانتهت آلاف الدنيا بألفه، لما روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم أن الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة وقد مضى ستة آلاف ومائة وليأتين عليها سنون وعلى رأس كل مائة من مبعث نبينا محمد ﷺ يظهر صاحب علم يرفع أعلام العلم، فعلى رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز، وعلى الثانية محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه، وعلى الثالثة أبو العباس أحمد بن شريح، وعلى الرابعة أبو بكر بن الخطيب الباقلانى، وعلى الخامسة أبو حامد الغزالى، وعلى السادسة أبو عبد الله الرازى رحمة الله عليهم.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال «من عمره الله أربعين سنة كف عنه أنواعا من البلاء منها الجذام والبرص وجنون الشيطان، ومن عمره الله خمسين سنة فى الإسلام خفف حسابه يوم القيامة، ومن عمره الله ستين سنة رزقه الإنابة بما يحب له عز وجل، ومن عمره سبعين سنة أحبه أهل السموات وأهل الأرض، ومن عمره ثمانين سنة محا سيئاته وكتب حسناته، ومن عمره تسعين سنة غفر له ذنوبه وكان أسير الله فى الأرض وشفع فى أهل بيته».

وذهب العلماء إلى أن تكرار الأعوام يرى فيه حوادث عجيبة الشكل غريبة غير معهودة، وبحسب اختلاف الأهوية معادن غريبة ونبات وأشجار بديعة، ربما يصير العامر غامرا والغامر عامرا والبر بحرا والبحر برا والسهل جبلا والجبل سهلا كل ذلك بتقدير العزيز العليم.

ولنختم هذا الفصل بحكاية عجيبة وهى ما روى أنه كان فى بنى إسرائيل شاب عابد، وكان الخضر عليه السلام يأتيه، فسمع بذلك ملك زمانه فأحضره بين يديه وقال: إذا جاء الخضر فائتنى به وإلا قتلتك، فقال الشاب: ويحك آآتيك بالخضر؟ قال: نعم وإلا قتلتك، فرجع الشاب إلى مكانه متفكرا فى أمره حتى جاءه الخضر عليه السلام، فحدثه بحديث الملك فقال: امض بى إليه، فلما دخلا على الملك قال له الملك: أنت الخضر؟ قال: نعم، قال: حدثنى بأعجب شيء رأيته، فقال الخضر عليه السلام: رأيت كثيرًا من عجائب الدنيا وأحدثك بما حضرنى الآن. كنت فى اجتيازى مررت بمدينة كثيرة الأهل والعمارة سألت رجلا من أهلها متى بنيت هذه المدينة؟ فقال: هذه مدينة عظيمة ما عرفنا مدة بنائها نحن ولا آباؤنا ثم اجتزت بها بعد خمسمائة سنة فلم أر للمدينة أثرا، ورأيت هناك رجلا يجمع العشب فسألته متى خربت هذه المدينة؟ فقال: لم تزل هذه الأرض كذلك، فقلت: أما كانت هاهنا مدينة؟ فقال: ما رأينا هاهنا مدينة ولا سمعنا عن آبائنا، ثم مررت بها بعد خمسمائة عام فوجدت بها بحرًا، فلقيت هناك جمعا من الصيادين فسألتهم متى صارت هذه الأرض بحرًا؟ فقالوا: مثلك يسأل عن هذا؟ إنها لم تزل كذلك، قلت: أما كان قبل ذلك يبسا؟ قالوا: ما رأيناه ولا سمعنا به عن آبائنا، ثم اجتزت بعد خمسمائة عام وقد يبست فلقيت بها شخصا يختلى، فقلت: متى صارت هذه الأرض يبسا؟ فقال: لم تزل كذلك، فقلت له: أما كان بحر قبل هذا؟ فقال: ما رأيناه ولا سمعنا به قبل هذا، ثم مررت بها بعد خمسمائة عام فوجدتها مدينة كثيرة الأهل والعمارة أحسن مما رأيتها أولا، فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقال: إنها عمارة قديمة ما عرفنا مدة بنائها نحن ولا آباؤنا، فقال الملك إنى أريد أن أتبعك وأفارق ملكى. فقال له: إنك لا تقدر على ذلك ولكن اتبع هذا الشاب فإنه يدلك على الرشاد.

والله الموفق للصواب

تمت المقالة الأولى فى العلويات، والحمد لله رب العالمين

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى، الأزلى الذى لا أول لوجوده ولا ينتقل من حالة إلى أخرى، الأبدى الذى لا آخر لدوامه وإليه المرجع والمنتهى، خلق الأرض والسموات العلى، وأبدع الأركان والأمزجة والأعضاء والقوى، وأنشأ الجماد والحيوان وأزواجا من نبات شتى ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾ [طه:٦]، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين محمد خير الورى وعلى آله مصابيح الدجى ومفاتيح الهدى.

أما بعد: فقد أردنا أن نذكر بعض عجائب ما دون فلك القمر من كرة الأثير وعجيب آثارها وكرة الهواء وصحوها وأمطارها وفوائد معادنها وخواص نباتها وأشجارها وخواص حيوانها وآثارها مستعينا بالله ومتوكلا على الله وبالله التوفيق.

* * *

المقالة الثانية: فى السفليات

وهو ما دون فلك القمر من العناصر والمولدات والنظر فيها فى أمور حقيقة العناصر وطباعها وترتيبها وانقلاب بعضها إلى بعض. ذهبوا إلى أن العنصر هو الأصل، وإنما سميت هذه الأجسام عناصر لأنها أصل المولدات أعنى المعادن والنبات والحيوان، وتسمى أيضا أركانا وهى أربعة: النار والهواء والماء والتراب، فالنار حارة يابسة مكانها الطبيعى تحت الفلك وفوق الهواء، والهواء حار رطب ومكانه الطبيعى تحت النار وفوق الماء، والماء بارد رطب ومكانه الطبيعى تحت الأرض، والهواء فوق الأرض والأرض باردة يابسة ومكانها الطبيعى الوسط ثم إن كل واحد من هذه الأركان متكيف بكيفيتين يشاكل الذى يقربه بكيفية ويضاده بأخرى فلأجل مشاكلتها تقاربت مراكزها ولأجل تضادها تباينت، واختص كل بمركز لا يقف إلا فيه إذا منعه مانع فإذا ارتفع المانع كان النزوع إلى مركز العالم فهو ثقيل وإن كان إلى المحيط فهو خفيف، والله أعلم.

* * *

فصل: فى انقلاب هذه العناصر بعضها إلى بعض

أما الهواء فينقلب ماء كما يشاهد فى القطرات المجتمعة على سطح الإناء المتخذ من الصفر، فإنك إذا تركت فيه ماء يرى على أطراف الإناء قطرات من الماء ومعلوم أن ذلك ليس من ترشح الإناء بل سببها أن الهواء المحيط بالكون يصير باردا بسبب برودة الجمد فيصير ماء ويقع على أطراف الإناء، والماء أيضا ينقلب هواء كما يشاهد من البخارات الصاعدة من حرارة الشمس أو النار، والهواء ينقلب نارًا كما يشاهد من السموم فى بعض المواضع عند شدة الحر، وكما نرى من كير الحدادين إذا بالغوا فى نفخه فإن هواءه يصير بحيث إذا دنا منه شيء يحترق، والماء ينقلب أرضا كما نرى من بعض المياه أنها تصير حجرا، والأرض تنقلب ماء كما يفعله أصحاب الإكسير بسحق أجزائها وخلط بعض الأدوية بها حتى تصير كلها ماء ولا تبقى فيها أجزاء الأرضية، والله تعالى هو الموفق للصواب.

* * *

النظر الأول: فى كرة النار

النار جرم بسيط طباعه أن يكون حارا يابسا مكانه تحت كرة الفلك لا لون لها، زعموا أن النار الصرف لا يدركها البصر لأنا نرى الشمع إذا اشتعل كانت شعلته منفصلة عن الفتيلة ولا شك أن الحرارة عند اتصال الفتيلة أقوى. وأيضا إن كير الحدادين إذا بالغوا فى نفخه صار هواء بحيث إذا دنا منه شيء يحترق ولا ضوء له، فعلم أن النار القوية الصرفة لا لون لها، والنار هى فوق العناصر فى غاية القوة والخلوص فلذلك لا تدركه الأبصار. انظر إلى حكمة البارى كيف جعل كرة الأثير دون فلك القمر كيما تحترق بحرارتها الأدخنة الغليظة الصاعدة وتلقف البخارات العفنة ليكون الجو أبدا شفافا، وجعلها طبقة واحدة شديدة الحرارة محيلة لكل ما وصل إليها من الأبخرة والأدخنة نارًا صرفا لما ذكرنا من الحكمة. وخلقها غير ملونة إذ لو كانت مضيئة كالنار التى عندنا لمنعت الأبصار عن رؤية عالم الأفلاك، ثم حجبها بكرة الزمهرير ليمنع برد الزمهرير وهج الأثير عن الحيوانات والنبات وإلا لأدى إلى هلاكها، ثم أى شيء أعجب من خروج هذا الجرم النورانى من الحديد والحجر الكثيفين أو من الشجر الأخضر الذى يخالف طبيعة النار أو من الحرارة والضياء اللتين يلازمانها ثم من غلبتها وسلطانها على

الأجسام حتى على الصخرة الصماء فتجعلها ترابا وعلى الحديد فتذيبه، وإذا تفكرت فى المصابيح المتعلقة بها للخلق سيما لنوع الإنسان وجدت فهم الإنسان عن ضبطها قاصرا ولهذا قال تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٣، ٧٤]. فسبحانه ما أعظم شأنه.

ومن النيران العجيبة: نار خلقها الله لقبول القرابين تنزل من السماء تأكل القربان المقبول وهى التى أكلت قربان هابيل دون قربان قابيل، وكان ذلك الامتحان فى بنى إسرائيل أيضا إذا أرادوا امتحان إخلاصهم تركوا القربان فى بيت لا سقف له ونبيهم يدخل البيت ويدعو الله تعالى والناس خارج البيت فينزل من السماء نار بيضاء لها دوى محيط بالقربان فتأكله وهى التى أخبر الله تعالى عنها حيث قال: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ [آل عمران: ١٨٣]، فهذه نار الرضا فسبحان من جعلها مرة للرضا ومرة للسخط.

ومنها: نار جعلها الله تعالى لسخطه كنار أصحاب الجنة التى ذكرها الله تعالى، وهو أنه كان لرجل صالح بستان إذا كان يوم قطافه يطعم من جاءه من المساكين، فلما مات عزم أولاده على أن لا يعطوا المساكين شيئا ويقطفوها سرًا، فلما ذهبوا إليها وجدوها قد احترقت. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ﴾ [القلم: ٢٦ - ٣٠].

ومنها: نار الصاعقة وهى نار تسقط من السماء تحرق أى جسم صادفته وتتقد فى الصخرة الصماء لا يرد عليها إلا الماء، ذكروا أنها ربما تحجرت فتصير الماسا فقطع الألماس منها، والله تعالى أعلم بذلك.

ومنها: نار الحرتين كانت ببلاد عبس فإذا كان الليل تسطع من السماء وكانت بنو طيئ تنفش بها إبلها مسيرة ثلاثة أيام، وربما بدر منها عبق فيأتى كل شىء بقربها فتحرقه، وإذا كان النهار كانت دخانا فبعث الله تعالى خالد بن سنان العبسى وهو أول نبى من بنى إسماعيل فاحتفر لها بئرًا وأدخلها والناس ينظرون حتى غيبها وقصتها مشهورة.

* * *

فصل: فى الشهب وانقضاض الكواكب

زعموا أن الدخان إذا صعد الهواء ولم تصبه برودة حتى يصل إلى الطبقة النارية فإن لم تنقطع مادته عن الأرض وكان فى الدخان دهنية تشتعل النار فيه ويصير كله نارا ويرجع إلى مادة الدخان. مثاله أن السراج إذا طفئ وجعل تحت شعلته سراج آخر فإذا وصل دخان المنطفئ إلى الشعلة ترجع النار عن الشعلة وتوقد السراج المنطفئ. وأما إذا كانت مادته لطيفة تأخذها النارٌ وتصير نارًا صرفا وقد ذكرنا أن النار الصرف لا ترى، وإن كانت المادة كثيفة فإذا أخذت النار فيها تبقى زمانا فترى منها أشكالا بحسب مادة الدخان وهيئتها، فربما يرى كوكبا ذا زاوية وعلى شكل تنين أو على شكل حيوان ذى قرنين أو على شكل أعمدة مخروطة، وربما يرى على شكل كرة تتدحرج على شكل الفلك، وربما كانت المادة الدخانية كثيرة فإذا أخذت النار فيها اشتعلت اشتعالا عظيما حتى أضاء الهواء منها واستنار وجه الأرض منها، والله الموفق للصواب.

● **خاتمة:** من الحكماء من شبه تعلق النفس الإنسانى ببدنه إذا صار مستعدًا لقبول النفس بتعلق النار بالفتيلة إذا صارت مستعدة لذلك، وكما أن إبطال هذا التعلق سهل بنفخه أو غيره، فكذلك إبطال تعلق النفس بالبدن سهل بطريق الاخترام، وكما أن السراج ينطفئ بانتهاء الدهن فكذلك النفس تفارق عند انتهاء الرطوبة الغريزية بحدوث الحمى وغيرها، والإنسان يعيش فى مكان لا ينطفئ فيه النار لذلك إذا أراد أصحاب المعادن والخبايا دخول فتق أو مغارة أخذوا شعلة على رأس خشبة طويلة وقدموها، فإن بقيت الشعلة دخلوها، وإن انطفأت لم يتعرضوا لها وتركوها، والمصباح عند ذهاب دهنه وانطفائه ينتعش مرتين أو ثلاثا انتعاشا ساطعا ثم يجمد كما أن الإنسان قبيل موته يزيد قوة وتسمى راحة الموت ولم يكن بعد ذلك لبث؛ والله الموفق للصواب.

* * *

النظر الثانى: فى كرة الهواء

الهواء جرم بسيط طباعه أن يكون حارًا رطبًا شفافا متحركا إلى المكان الذى تحت كرة النار وفوق الماء زعموا أن الأجرام الواقعة ما بين سطح الماء وسطح فلك القمر ثلاثة أقسام:

أولها: ما يلى القمر، وآخرها ما يلى سطح الماء والأرض.

وأوسطها: الهواء الواقع بينهما أما الهواء المماس لفلك القمر فلدوام دورانه مع الفلك وسرعة حركته صار نارا فى غاية الحرارة ويسمى الأثير وقد مر ذكرها، وكلما كان منهبطا إلى البرد ويسمى زمهرير.

وأما القسم الثالث: فإنه بواسطة مطارح شعاعات الشمس وغيرها من الكواكب على سطح الأرض وانعكاسها صار معتدلا، ولولا ذلك لكان الهواء المماس لسطح الأرض أشد بردا مما سواه كما يعرض ذلك للموضع الذى تحت القطب الشمالى لبعد الشمس عنه فيبرد فيه الهواء ويجمد الماء ويظلم الجو ويهلك الحيوان والنبات. وذكروا أن أكثر ما تكون كرة النسيم ستة عشر ألف ذراع ارتفاعا وأقله ما يطابق سطح الأرض فإن أعلى جبل يوجد على وجه الأرض لا يبلغ ارتفاعه هذا المبلغ، ولا تمنع حرارة الجو هناك من انعقاد الغيم فإن المانع من انعقاد الغيم فى الهواء حرارة الجو، وأما سطح كرة النسيم فإنه متداخل فى عمق الأرض إلى نهاية ما ثم يقف، فإن النازلين إلى أسفل لطلب المعادن إذا احتاجوا إلى النسيم نفخوا فى المنافخ والأنابيب ليستنشقوا النسيم ويضىء سراجهم فإن النسيم متى انقطع عنهم انطفأ سراجهم واختنقوا ولا يعيش الحيوان دون البرية إلا فى موضع يوجد به النسيم. وللهواء تغيرات عجيبة واستحالات من النور والظلمة والحر والبرد وقد سبق القول فيه.

وأما ما يحدث من كثرة الأبخرة والأدخنة واختلاق الرياح والزوابع والهالة وقوس قزح والغيوم والرعود والبراق والصواعق والأمطار والضباب والطل والصقيع والثلوج والشهب وذوات الأذناب فإن بعضها يقع فى كرة الأثير وقد ذكرناه، ومنها ما يقع فى كرة الزمهرير وكرة النسيم فلنذكر الآن ذلك، والله الموفق للصواب.

* * *

فصل: فى السحاب والمطر وما يتعلق بهما

زعموا أن الشمس إذا أشرقت على الماء والأرض حللت من الماء أجزاء لطيفة مائية تسمى بخارا ومن الأرض أجزاء لطيفة أرضية تسمى دخانا؛ فإذا ارتفع البخار والدخان فى الهواء وتدافعهما الهواء إلى الجهات ومن فوقهما برد الزمهرير ومن أسفلهما مادة البخار غلظا فى الهواء وتداخلت أجزاء بعضها فى بعض فيكون منهما سحاب مؤلف متراكم، ثم إن السحاب كلما ارتفع انضمت أجزاء البخار بعضها إلى بعض حتى يصير ما كان منهما دخانا ركاما وما كان بخاراً ماء، ثم تلتئم تلك الأجزاء المائية بعضها إلى

بعض فتصير قطرًا ثم تأخذ راجعة إلى أسفل، فإن كان صعود ذلك البخار بالليل والهواء شديد البرد منعه من الصعود وأجمده أولا فصار سحابا رقيقا، وإن كان البرد مفرطا أجمده البخار فى الغيم وكان ذلك ثلجا لأن البرد يجمد الأجزاء المائية ويختلط بالأجزاء الهوائية وينزل برفق فلذلك لا يكون له فى الأرض وقع شديد كما للمطر والبرد، فإن كان الهواء دفيئا وارتفع البخار فى الغيوم وتراكمت منه السحب طبقات بعضها فوق بعض كما ترى فى أيام الربيع والخريف كأنها جبال من قطن مندوف فإذا عرض لها برد الزمهرير من فوق غلظ البخار وصارت ماء وانضمت أجزاؤها فصارت قطرا عرض لها الثقل فأخذت تهوى من أعلى السحاب، وتلتئم القطرات الصغار بعضها إلى بعض حتى إذا خرجت من أسفلها صارت قطرا كبارا، فإن عرض لها برد مفرط فى طريقها جمدت وصارت بردا قبل أن تبلغ الأرض وإن لم تبلغ الأبخرة إلى الهواء البارد فإن كانت كثيرة صارت ضبابا، وإن كانت قليلة وتكاثفت ببرد الليل ولم تجمد نزلت طلا وإن انجمدت نزلت صقيعا، والله أعلم.

واعلم أن من لطف البارى عز وجل أن أنزل المطر فى كل سنة مقدارا معلوما عنده إلى مستقر الحيوان لا إلى القفار البلاقع التى لا حيوان بها، فإن أهل التجربة زعموا أن كل بقعة بينها وبين البحر لا يكون أكثر من مسيرة أربعين يوما فإنها لا تصلح لمسكن الحيوان لأن المطر لا ينزل بها، ثم من تمام لطفه عز وجل أن أنزل القدر الذى يكون كافيا لا قاصرا فلا ينبت شيئا ولا زائدا على الحاجة فيعفن النبات ويفسده ويضر بالحيوان كما فعل بقوم نوح عليه السلام، وإلى هذا المعنى أشار جلت قدرته بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ [المؤمنون:١٨] ثم إنزاله قطرات صغيرة، فلو صبه صبا خدش الأرض وأتلف الزرع، فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأوضح برهانه، والله الموفق.

* * *

فصل: فى الرياح

زعموا أن حدوث الرياح من تموج الهواء وتحركه إلى الجهات كما أن تموج البحر هو تدافع الماء بعضه لبعض إلى الجهات، فإن الهواء والماء بحران واقعان غير أن أجزاء الماء ثقيلة الحركة وأجزاء الهواء خفيفة الحركة. وأما كيفية حدوثها فإن الأدخنة التى تصعد من الأرض من تأثير الشمس وغيرها إذا وصلت إلى الطبقة الباردة إما أن ينكسر حرها وإما أن تبقى على حرارتها، فإن انكسر حرها تكاثفت وقصدت النزول فيموج بها الهواء

فيحدث الريح، وإن بقيت على حرارتها تصاعدت إلى كرة النار المتحركة بحركة الفلك فتردها الحركة الدورية إلى أسفل فيموج بها الهواء فيحدث الريح، وربما يحلل تلك الأدخنة الهواء فيتحرك من جانب إلى جانب فيحدث منها الريح أيضا، وسبب تحلل الهواء لها إما من خروجها من مخرج معوج أو رد الرياح النازلة إياها من الصعود المستقيم، وربما تصل إليها رياح أخر وتمدها أدخنة من السفل فتميلها إلى جهة أخرى، والله الموفق.

ومن الرياح العجيبة: الزوبعة: وهى الريح التى تدور على نفسها شبه منارة، وأكثر تولدها من رياح ترجع من الطبقة الباردة فتصادف سحابًا تذروه الرياح المختلفة فيحدث من دوران الغيم تدوير فى الريح فينزل على تلك الهيئة، وربما يكون مسلك صعودها مدورًا فيبقى هبوبها كذلك مدورا كما يشاهد فى الشعر الجعد فإن سبب جعودته قد يكون لاعوجاج المسام، وربما يكون سبب الزوبعة التقاء ريحين مختلفى الهبوب فإنهما إذا تلاقيا تمنع إحداهما الأخرى عن الهبوب فيحدث بسبب ذلك ريح مستديرة تشبه منارة، وربما صادفت الزوبعة السفينة فترفعها وتدورها وتغرقها، وربما وقعت قطعة من الغيم فى وسط الزوبعة فتدورها فى الهواء فنرى شبه تنين يدورها فى الجو، وهذا كله من أمر الله وقدره، والله أعلم بالصواب.

* * *

القول: فى أصول الرياح

أصول الرياح أربعة:

الشمال: ومهبها من بنات نعش إلى مغرب الشمس. والجنوب: ومهبها من مطلع سهيل إلى مشرق الشمس. والصبا: ومهبها من مطلع بنات نعش إلى المشرق. والدبور: ومهبها من مطلع سهيل إلى المغرب.

● **أما الشمال:** فإنها باردة يابسة لأنها تأتى من الناحية التى لا تسامتها الشمس أصلا بل لا تقرب منها وتكون الثلوج والمياه الجامدة بها كثيرة فالريح يجتاز بها ويكتسب منها، وأيضا هذه الناحية قليلة البحار كثيرة البرارى والجبال فتكتسب منها يبسا وتكون أشد هبوبا من الجنوب لأنها تهب من موضع ضيق من وسط الجبال، والجبال بناحية الشمال كثيرة فيكون مهبها كخروج الماء من الأنبوب الضيق.

● **وأما الجنوب:** فمهبها على البحار التسعة فتكون كخروج الماء من الإناء الواسع

الرأس، والشمال، تصح الأبدان وتصلبها وتقوى الأدمغة وتصفى اللون وتصحح الحواس وتهيج الشهوة، وزعموا أن الرياح الشمالية والجنوبية إذا دام هبوبها على مواضع تولد الحيوان، والشمالية تجعل أكثر أولادها ذكورًا والجنوبية أكثر أولادها إناثا، والله أعلم.

وأما الجنوب فحارة رطبة لأن هبوبها من ناحية خط الاستواء والحر مفرط هناك لأن الشمس تسامتها فى السنة دفعتين ولا تباعد عنها فتزداد بذلك حرًا، وأيضا هذه الجهة كثيرة البحار فتبخر الشمس منها أبخرة رطبة فتكسب الجنوب منها رطوبة، والجنوب ترخى الأبدان وتورث الكسل وتحدث ثقلا فى الأسماع وغشاوة فى البصر ويظهر عند هبوب الجنوب فى البحر سواد عظيم. ومن العجب أن الجنوب إذا هبت على الماء الحار بردته والشمال إذا هبت عليه تركته على حرارته كما كان، قالوا: سبب ذلك أن عند هبوب الشمال تكمن الحرارة فى داخل الماء كما نرى فى الشتاء أن الحرارة تكمن فى جوف الأرض فيبقى داخلها حارا، وأما عند هبوب الجنوب فتخرج الحرارة من داخل الماء كما ترى فى الصيف فإن الحرارة تخرج من جوف الأرض إلى خارجها ويبقى داخلها باردا فخرجت الحرارة من داخل الماء عند هبوب الجنوب والماء فى نفسه بارد يعود إلى طبعه، والعرب تزعم أن اللواقح من الجنوب ولا يأتى بالمطر إلا الجنوب.

• **وأما الصبا:** فقريبة من الاعتدال، فإن كان هبوبها فى أول النهار فهى مائلة إلى البرد لأنها تمر على مواضع باردة فبردت ببعد الشمس عنها بالليل فتكون طيبة جدا إلا أن زمانها قليل لأن شعاع الشمس يسوقها من خلفها فإذا طلعت الشمس ساقها إلى قدامها فلا تزال كذلك تمر قدام الشعاع والشمس تلطفها وتسخنها بحرها وضيائها حتى تصير معتدلة، وهى النسيم السحرى الذى يلتذ به الإنسان ويطيب النوم عليه ويجد المريض راحة عند هبوبها، ويكون هبوب هذا الريح بالأسحار من الليل والغدوات من النهار، والله الموفق.

• **وأما الدبور:** فإنها مخالفة للصبا لأنها تهب والشمس مدبرة عنها فلا تسخنها تسخين الصبا وكذلك تهب فى آخر النهار ولا تهب قبله، ولا تهب بالليل لأن الشمس تبلغ موضع مهبها فى ذلك الوقت فتحلل منه البخارات، ولهذا المعنى يكون زمن هبوبها قليلا، وجميع ما ذكرناه من فوائد الصبا أمر الدبور ضد ذلك، وحسبك قول النبى ﷺ: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور».

* * *

فصل: فى فوائد عجيبة للرياح

منها: حكايتها لما تمر به من صوت أو رائحة أو كيفية أو بخار أو دخان.

ومنها: إلقاحها الشجر وترطيبها الزرع وتجفيفها إياه وتغييرها طباع الحيوان حتى قيل إن لها تأثيرا فى الذكور والإناث كما ذكرنا، وتأثيرها فى الحيوان أن بعضها يرخى البدن وبعضها يصلب.

ومنها: ما يصحح القوى ويصفى البشرة ويذكى الحواس ويهيج الشهوة.

ومنها: ما يكون بضد ذلك.

ومنها: إجراء السفينة الثقيلة وقطع المسافة الطويلة بمدة يسيرة، وأعجب من هذا نشرها السحاب وسوقها إياه إلى المواضع المحتاجة إلى السقى لإحياء البلاد والعباد كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الأعراف: ٥٧].

* * *

فصل: فى الرعد والبرق وما يتعلق بهما

زعموا أن الشمس إذا أشرقت على الأرض حللت منها أجزاء أرضية يخالطها أجزاء نارية ويسمى ذلك المجموع دخانا، ثم الدخان يمازجه البخار ويرتفعان معا إلى الطبقة الباردة من الهواء فينعقد البخار سحابا ويحتبس الدخان فيه فإن بقى على حرارته قصد الصعود وإن صار باردا قصد النزول، وأيا ما كان يمزق السحاب تمزيقا عنيفا فيحدث منه الرعد، وربما يشتعل نارا لشدة المحاكة فيحدث منه البرق إن كان لطيفا والصاعقة إن كان غليظا كثيرا فتحرق كل شىء أصابته فربما يذيب الحديد على الباب ولا يضر بخشبه، وربما يذيب الذهب فى الخرقة ولا يضر الخرقة، وقد يقع على الماء فيحرق حيتانه وعلى الجبل فيشقه.

واعلم أن الرعد والبرق يحدثان معا لكن يرى البرق قبل أن يسمع الرعد وذلك لأن الرؤية تحصل بمراعاة البصر، وأما السمع فيتوقف على وصول الصوت إلى الصماخ، وذلك يتوقف على تموج الهواء، وذهاب النظر أسرع من وصول الصوت ألا ترى أن القصار إذا ضرب الثوب ثم يسمع الصوت بعد ذلك بزمان، والرعد والبرق لا يكونان فى الشتاء لقلة البخار الدخانى ولهذا المعنى لا يوجد فى البلاد الباردة عند نزول الثلج

لأن شدة البرد تطفئ البخار الدخانى، والبرق الكثير يقع عنده مطر كثير وذلك لتكاثف أجزاء الغمام فإنها إذا تكاثفت انحصر الماء فيها، فإذا نزل نزل بشدة كما إذا احتبس الماء ومنع جريه ثم أطلق فإنه يجرى جريا شديدًا، ولهذه العلة من أمسك نفسه عن الضحك قهقه بغتة، والله الموفق.

* * *

فصل: فى الهالة وقوس قزح وغيرهما من الأشياء التى تظهر ونراها فى الجو

قال القاضى عمر بن سهلان الساوى رحمه الله تعالى:

تحقيق هذه الأمور موقوف على مقدمات:

المقدمة الأولى: فى معنى انعكاس البصر وهو لا يقاس على انعكاس الضوء لأن انعكاس الضوء له حقيقة فى الخارج وأما انعكاس البصر فلا حقيقة له فى الخارج وإنما يقدر بطريق التوهم إذ لا فرق فى مقصودنا بين الانعكاسين، أما انعكاس الضوء فهو أن يقع شعاع من جسم مضىء على جسم كثيف صقيل وينعكس منه ويقع على جسم يكون وضعه من هذا الجسم الصقيل كوضع الجسم المضىء من ذلك الصقيل لكنه يخالفه فى الجهة على وجه تكون زاوية الاتصال كزاوية الانعكاس وليس ذلك بشكل هندسى، ولتكن دائرة (كر) جرم الشمس ودائرة خط المرآة الصقيلة وخط (أب) شعاع الشمس و(لح) الجسم الكثيف الذى هو فى خلاف جهة الشمس من المرآة، فإن الشعاع يرجع من المرآة ويقع على الجسم الكثيف إذا لم يكن بينهما حائل، فلو قدرنا أن من شعاع (أب) يقوم عن سطح المرآة خط كالعمود وفرضنا على سطح المرآة خطا وهو (ده) تظهر من خط (أب) الذى هو شعاع (يه) المفروض على سطح المرآة زاوية ومن خط (لح) الذى هو شعاع (يه) المفروض على سطح المرآة زواية ومن خط (لح) الذى هو الشعاع الراجع من خط (يه) زاوية أخرى موازية للزاوية المتقدمة، فزاوية (أى د) زاوية اتصال الشعاع، وزاوية (هـ ب ح) زاوية انعكاس الشعاع. فإذا فرضنا خط الشعاع عمودا على سطح المرآة كخط (وى) كان ناقصا على أعقابه فإذا عرف انعكاس الضوء فيقاس عليه انعكاس البصر فنقول: إذا كان فى محاذاة النظر جسم صقيل وتوهمنا أن خطا خرج من الحدقة واتصل بالجسم الصقيل وقدرنا خروج خط من هذا السطح بين سطح الجسم الصقيل وبين سطح الخط المتصل من الناظر فيظهر من الخطين أعنى الخط المتصل من الناظر إلى

الجسم الصقيل والخط المرسوم على سطح الجسم زاويتان، فإن كانتا قائمتين فانعكاس البصر ناكص على أعقابه، وإن لم تكونا قائمتين فالتى تكون من طرف الناظر حادة والأخرى منفرجة، فلو فرضنا خطا خارجا من النقطة المشتركة بين هذين الخطين مخالفا لجهة الناظر ويكون وضعه من هذا الجسم الصقيل كوضع خط الناظر، فكل جسم كثيف وقع فى طريق هذا الخط تراه الناظر وتسمى هذه الرؤية انعكاس البصر كما إذا رأى الإنسان فى المرآة من كان خلفه أو على جانبيه أو كان فوقه أو تحته إذا كان بهذه الشرائط، والله الموفق.

المقدمة الثانية: إن المرآة الصغيرة لا يرى فيها شكل الأشياء كما هى، بل يرى منها لونها كالشكل المربع والمثلث وأمثالهما فإن شكلها لا يرى فى المرآة الصغيرة بل يرى لونها كأحمر وأسود.

المقدمة الثالثة: إن المرآة إذا كانت ملونة لا يرى فيها لون الأشياء كما هى، بل ترى فيها مشوبة بلون المرآة كالكافور فى الشىء الأخضر فإنه يرى أبيض مشوبا بلون الخضرة وهكذا سائر الألوان.

المقدمة الرابعة: إن ما يرى فى المرآة لا حقيقة له فى المرآة لأنه لو كان له فى المرآة حقيقة لكان الناظر إذا انتقل إلى مكان آخر رأى ذلك الشىء فيه على وضعه، وليس كذلك لأنا نرى شجرة فى المرآة ثم إذا انتقلنا إلى جانب آخر: نرى الشجرة فى جانب غير ذلك الجانب وما كان حقيقيا لا يتغير مكانه بسبب تغير مكان الناظر إليه فثبت أن ما يرى فى المرآة لا حقيقة له بل هو من باب الخيال، ومعنى الخيال فى هذا المقام أن ترى صورة الشىء مع صورة غيره بتوهم أن إحداهما داخلة فى الأخرى، ولا يكون فى الحقيقة كذلك بل إحداهما ترى بواسطة الأخرى من غير ثبوتها فيها، فإذا نظر الناظر فى المرآة، فكل جسم تكون نسبته إلى المرآة كنسبة الناظر على ما بيناه فى انعكاس شعاع البصر يصير مرئيًا. إذا عرفت هذه المقدمات فنقول وبالله التوفيق.

● **أما الهالة:** فتحدث من أجزاء ثقيلة صغيرة حدثت فى الجو وأحاطت بغيم رقيق لطيف لا يستر ما وراءه، وانعكس من الأجزاء الثقيلة شعاع البصر إلى القمر لأن ضوء البصر وغيره إذا وقع على الصقيل ينعكس إلى الجسم الذى يكون وضعه من ذلك الصقيل كوضع المضىء منه إذ كانت جهته مخالفة لجهة المضىء، فيرى ضوء القمر ولا يرى شكله، لأن المرآة إذا كانت صغيرة لا يرى شكل المرئى فيها بل ضوءه فيؤدى كل واحد من تلك الأجزاء ضوء القمر فترى دائرة مضيئة، وهى الهالة.

● **وأما قوس قزح:** فإنما يكون إذا حدثت فى خلاف جهة الشمس أجزاء مائية شفافة صافية من نزول مطر و بخار، وكانت الشمس مكسوفة قريبة من الأفق المقابل، ووراء تلك الأجزاء جسم كثيف مثل جبل أو سحاب مظلم، وإذا استدبر الناظر الشمس ونظر إلى تلك الأجزاء صارت الشمس فى خلاف جهة الناظر فانعكس شعاع البصر من تلك الأجزاء إلى الشمس لكونها صقيلة فأدت ضوء الشمس دون الشكل لكونها أجزاء صغيرة فكل واحد يؤدى ضوء الشمس دون شكلها كما بينا، وسبب استدارة القوس وقوع الأشياء مستديرة بحيث لو جعلنا مركز جسم الشمس قطب دائرة على محيط فلكها لكانت تلك الأجزاء سامتة لتلك الدائرة، وتختلف ألوان القوس بحسب تركب لون المرآة ولون الشمس كما بيننا فترى قسيا مختلفة الألوان بعضها أحمر وبعضها أخضر وبعضها أرجوانى وأغلب الأوقات لونها مركب من ثمانية وقد ترى فى بعض الأوقات فيها أصفر أيضًا. فلو لم يكن وراء الأجزاء الثقيلة التى حدثت بعد المطر أو البخار جسم كثيف لا يظهر قوس قزح لأن الأجزاء الشفافة ينفذ شعاع البصر فيها ولا ينعكس كالبلور إذا جعلته فى مقابلة الشمس من غير أن يكون وراءه جسم كثيف ينعكس عنه شعاع البصر. قال بعضهم سبب اختلاف ألوانها قربها من الشمس وبعدها فما يرى منها أحمر فإنه أقرب إلى الشمس وما يرى أصفر فإنه أبعد من الأحمر وما يرى أرجوانيًا فبعيد عن الشمس ومخالط للظلمة وما يرى كميتا فمركب من الصفرة والأرجوانى والبنفسجى. وحكى الشيخ الرئيس أنه كان على الجبل الذى كان بين باورد وطوس وأنه أعلى الجبال وكانت السماء مكشوفة فقال: كنت فى وسط الجبل بينى وبين الأرض سحاب رطب والشمس فى وسط السماء فنظرت إلى السحاب الذى كان بينى وبين الأرض فرأيت دائرة نقية بلون قوس قزح فشرعت فى النزول عن الجبل والدائرة تصغر فكلما نزلت رأيتها أصغر مما كانت قبل ذلك إلى أن وصلت إلى السحاب فاضمحل.

* * *

النظر الثالث: فى كرة الماء

الماء جرم بسيط طباعه أن يكون باردًا رطبا شفافا متحركا إلى المكان الذى تحت كرة الهواء وفوق كرة الأرض، زعموا أن شكل الماء كروى لأن راكب البحر إذا قرب من جبل ظهر أعلاه أولا ثم أسفله مع أن البعد بينه وبين الأعلى أكثر مما بينه وبين الأسفل، ولو لم يكن للماء حدبة تمنع من ذلك لما رأى أعلاه قبل أسفله لكن استدارة كرة الماء

غير صحيحة، لأن البارى تعالى لما أراد أن يجعل الأرض مقرا للحيوان وحيوانات البر لابد لها من الهواء للتنفس ومن الأرض للمقر فخلق جلت قدرته الأرض ذات تضاريس خارجة من الماء بمنزلة خشونات تكون على ظاهر الكرة وذلك لا يقدح فى أن يكون شكل الماء أو شكل الأرض كرويًا، ثم إنه تعالى جعل التضاريس محلا للحيوانات البرية والوهاد للحيوانات المائية وكل واحد من الأركان فى حيزه محيط بالآخر إلا الماء فإنه منعته العناية الإلهية عن الإحاطة بجميع جوانب الأرض لما ذكرناه من الحكمة.

واعلم ان الماء عذب ومالح وكل واحد منهما له فائدة لا توجد فى الآخر:

أما المالح فملوحته من الأجزاء الأرضية السبخة التى احترقت من تأثير الشمس واختلطت بالمياه وجعلتها مالحة، فلو بقيت على عذوبتها لتغيرت من تأثير الشمس وكثرة الوقوف لأن من شأن الماء العذب أن ينتن من كثرة الوقوف وتأثير الشمس فيه، ولو كان كذلك لسارت الرياح بنتنها إلى أطراف الأرض فأدى إلى فساد الهواء ويسمى ذلك طاعونا فصار ذلك سببا لهلاك الحيوان فاقتضت الحكمة أن يكون ماء البحر مالحا لدفع هذا الفساد، ومن فوائد الماء المالح الدر والعنبر وأنواع ما يؤتى به من البحر وسيأتى شرحها مفصلا إن شاء الله تعالى. والمياه المالحة فى الحمأة فيها شفاء للأمراض الصعبة وماء زمزم صالح لجميع الأمراض المتفاوتة. قالوا: لو جمع جميع من داواه الأطباء لا يكون شطرًا ممن عافاه الله تعالى بشرب ماء زمزم.

وأما العذاب فمعظم فائدته الشرب وفيه قوة إذا نقعت فيه مطعومًا كالزبيب مثلا يمص جميع حلاوتها حتى لا يترك فيها شيئا من الحلاوة، وإذا خالط شيئا يأخذ طبعه ولونه فيصير عسلا وزيتا وخلا ولبنا ودما يقبل جميع الألوان والطعوم ولا لون له ولا طعم. ومن عجيب لطف الله تعالى أن كل مأكول ومشروب يحتاج إلى تحصيل أو معالجة حتى يصلح للأكل إلا الماء فإن الله تعالى أكثر منه ولا حاجة إلى معالجته لعموم الحاجة إليه، فإن الله تعالى كفى الخلق معالجة إصلاح الماء بتأثير الشمس فى مياه البحار وارتفاع البخار منها، ثم إن الرياح تسوق ذلك البخار إلى المواضع التى شاء وينزلها مطرا ثم يجول ذلك فى الأوشال والكهوف فى جوف الجبال وتحت الأرض وتخرج منها شيئًا بعد شىء، وتجرى الأنهار والأودية وتظهر من القنى والآبار بقدر ما يكفى العباد لعامهم، فإذا جاء العام المقبل أتاهم مطر وهكذا مثل الدولاب يدور حتى يبلغ الكتاب أجله، فسبحانه ما أعظم شأنه.

* * *

فصل: فى صيرورة البحر فى جانب الأرض

إن من عجيب صنع الله تعالى انحسار الماء عن وجه بعض الأرض ولولا ذلك لكان الأمر الطبيعى يقتضى أن يكون الماء لابسا جميع وجه الأرض حتى تصير الأرض فى وسطه شبيهة بمح البيض والماء حولها بمنزلة البياض ولو كان كذلك لبطل النظام الحسى والحكمة العجيبة التى مر ذكرها من خلق الحيوان والنبات، فاقتضى التدبير الإلهى المخالفة بين مركز الأرض ومركز الشمس لتدور على مركزها الخاص الذى هو غير مركز الأرض ليقرب من ناحية من الأرض ويبعد من الأخرى فصارت الناحية القريبة منها تحمى ماءها، ومن شأن الماء إذا حمى أن ينجذب إلى الجهة التى يحمى فيها بالبخار فإذا انجذب إلى هناك انحسر عن وجه الأرض من الجانب الذى يقابله من الشق الذى تبعد عنه الشمس، والشق الذى قربت منه الشمس هو الجنوب والشق الذى بعدت عنه هو الشمال، فصار جانب الجنوب بحرا وجانب الشمال يبسًا لتتم حكمته وينتظم أمر العالم على ما هو موجود وما نرى من البحار من مستنقعات على وجه الأرض، وسيأتى شرحها إن شاء الله تعالى.

* * *

فصل: فى أحوال عجيبة تعرض للبحار

إن للبحار أحوالاً عجيبة من ارتفاع مياهها وهيجانها فى أوقات مختلفة من الفصول الأربعة وأوائل الشهور وأواخرها وساعات الليل والنهار. أما ارتفاعها فزعموا أن الشمس إذا أثرت فى مياهها لطفت وتحللت وملأت مكانا أوسع مما كان فيه قبل فدافعت أجزاؤها بعضها بعضا إلى الجهات الخمس: الشرق والغرب والجنوب والشمال والفوق فتكون على سواحلها فى وقت واحد رياح مختلفة، هذا ما ذكروه فى سبب ارتفاع مياهها. وأما مد بعض البحار فى وقت طلوع القمر، فزعموا أن فى قعر البحر صخورا صلدة وأحجارا صلبة، وإذا أشرق القمر على سطح ذلك البحر وصلت مطارح أشعته إلى تلك الصخور والأحجار التى فى قرارها ثم انعكست من هناك متراجعة فسخنت تلك المياه وحميت ونطفت فطلبت مكانا أوسع وتموجت إلى ساحلها ودفع بعضها بعضا وفاضت على شطوطها وتراجعت المياه التى كانت تنصب إليها إلى الخلف، فلا نزال كذلك ما دام القمر مرتفعا إلى وسط سمائه فإذا أخذ ينحط سكن غليان تلك المياه

وبردت تلك الأجزاء وغلظت ورجعت إلى قرارها وجرت الأنهار على عادتها، فلا يزال كذلك دائما إلى أن يبلغ القمر إلى الأفق الغربى ثم يبتدئ المد على مثال عادته فى الأفق الشرقى، ولا يزال ذلك دائما إلى أن يبلغ القمر إلى وتد الأرض وينتهى المد، ثم إذا زال القمر عن وتد الأرض أخذ الماء راجعا إلى أن يبلغ القمر إلى أفقه الشرقى هذا قولهم فى مد البحار وجزرها. وأما هيجانها فكهيجان الأخلاط فى الأبدان فإنك ترى صاحب الدم والصفراء وغيرهما يهتاج به الخلط ثم يسكن قليلا قليلا، وقد عبر النبى ﷺ عن ذلك بعبارة لطيفة فقال: «إن الملك الموكل بالبحر يضع رجله بالبحر فيكون منه المد ثم يرفع فيكون منه الجزر».

* * *

ولنذكر الآن هيئات البحار وبعض ما يتعلق بها من العجائب، والله الموفق:

البحر المحيط

هو البحر العظيم الذى منه مادة سائر البحار ولم يعرف ساحله يسميه اليونانيون أوقيانوس، والبحار التى تراها على وجه الأرض هى بمنزلة الخلجان له، وفيها من الجزائر المسكونة والخربة ما لا يعلمه إلا الله تعالى: قال أبو الريحان الخوارزمى رحمه الله تعالى: إن البحر الذى فى مغرب المعمورة على ساحل بلاد الأندلس يسمى البحر المحيط ويسميه اليونانيون أوقيانوس لا يولج فيه وإنما يسلك بالقرب من ساحله، ويمتد من هذه البلاد نحو الشمال فيخرج منه خليج نبطس عند اليونانيين وعند غيرهم بحر طرابزندة يمر عليه سور القسطنطينية ويتضايق حتى يقع فى بحر الشام، ثم يمتد نحو الشمال على محاذاة أرض الصقالبة ويخرج منه خليج عظيم فى شمال الصقالبة يمتد إلى أرض قريبة من أرض بلغار.

* * *

البحر الأبيض

ينكرف نحو المشرق بين ساحله وبين أقصى أرض الترك أرضون وجبال مجهولة وخربة غير مسلوكة، ثم يتشعب منه خليج من أعظم الخلجان يكون منه البحر الذى يسمى فى كل موضع من الأرض التى تحاذيه باسمه فيكون أولاً بحر الصين ثم بحر الهند، ثم يخرج منه خليجان عظيمان أحدهما بحر فارس والآخر بحر القلزم، ثم ينتهى

إلى بحر معروف ببحر البربر ويمتد من عدن إلى سقالة الزنج وهذا البحر لا يتجاوزه مركب لعظم المخاطرة، ثم ينتهى إلى الجبال المعروفة بالقمر التى ينبع منها عيون نيل مصر ثم إلى أرض سودان المغرب ثم إلى بلاد الأندلس وبحر أوقيانوس، وفى هذا البحر من الجزائر ما لا يعرفه إلا الله تعالى، وأما ما وصل إليه الناس فكثير؛ كل جزيرة من عشرين فرسخا إلى مائة فرسخ وإلى ألف فرسخ والمشهور منها جزيرة قبرص وجزيرة شامس وجزيرة رودس وجزيرة صقلية وفى جهة الجنوب جزائر الزنج وسرنديب وسقطر أو جزائر الدنيسات.

وأما بحر الخزر فإنه غير متصل بالمحيط ولا بشىء من البحار وهو مستدير إذا أراد السائر أن يطوف به على ساحله لا يمنعه شىء وذكر السمرقندى فى كتابه أن ذا القرنين أراد أن يعرف ساحل هذا البحر فبعث مركبا فيه وأمره بالمسير سنة كاملة لعل أن يأتى بخبر فسار المركب سنة كاملة ما رأى سوى سطح الماء، وأراد الرجوع فقال بعضهم نسير شهرا آخر لعلنا نطلع على شىء نبيض به وجوهنا عند الملك ونقلل الزاد والماء فى الرجوع، فساروا شهرا آخر فإذا هم بمركب فيه أناس فالتقى المركبان ولم يفهم أحدهما كلام الآخر فدفع قوم ذى القرنين إليهم امرأة وأخذوا منهم رجلا ورجعوا به وزوجوه امرأة منهم فأتت بولد يفهم كلام الوالدين، فقالوا له: سل أباك من أين جئت؟ فقال: من ذلك الجانب، فقال: لأى شىء؟ قال: بعثنا الملك لنعرف حال هذا الجانب، فقيل له: وهل لكم ملك؟ قال: نعم أعظم من هذا الملك، والله أعلم بصحة هذا القول.

* * *

بحر الصين

هو متصل بالبحر المحيط، حده من المشرق إلى القلزم ومنه إلى المغرب وليس على الأرض بحر أكبر منه إلا المحيط، ويقال له بحر الهركند وهو كثير الموج عظيم الاضطراب بعيد العمق. قال البحريون: جميع المد والجزر فى بحر الهركند وما يتصل به كما فى بحر فارس، وكيفيته أن القمر إذا بلغ مشرق البحر ابتدأ بالمد ولا يزال كذلك إلى أن يبلغ القمر وسط سماء ذلك الموضع فعند ذلك ينتهى المد منتهاه، فإذا انحط القمر عن وسط سمائه خنس الماء ورجع، ولا يزال كذلك إلى أن يصل القمر مغرب ذلك الموضع، فعند ذلك ينتهى الجزر منتهاه، فإذا زال القمر من مغرب ذلك ابتدر المد هناك مرة ثانية ولا يزال كذلك إلى أن يصل القمر إلى وتد الأرض فحينئذ ينتهى المد

منتهاه ثانيا ويبتدئ الجزر مرة ثانية إلى أن يبلغ القمر أفق ذلك الموضع فيعود الحال المذكور مرة ثانية، قال أبو الريحان فى كتابه المسمى «الآثار الباقية» إن بحر الصين إذا قرب هيجانه يستدل على ذلك بارتفاع السمك من قعره إلى وجه الماء، وإذا دنا سكونه يبيض طائر مشهور فى البر فى مجمع القرى وهو طائر لا يصير إلى الأرض أبدا ولا يعرف غير لجة البحر، ووقت سكون البحر وقت بيضه، وفى هذا البحر من الجزائر ما لا يحصى وفيه مغاص الدر فى الماء العذب يقع فيه الحب الجيد، وفى بعض جزائره ينبت الذهب وفيه الحيوانات العجيبة الأشكال، وفيه الدردور وهو الموضع الذى إذا وقعت السفينة فيه لا تخرج، ولنذكرها إن شاء الله تعالى.

● فصل: فى جزائر بحر الصين:

جزائر هذا البحر كثيرة لا يعلمها إلا الله لكن بعضها مشهور يصل إليه الناس:

منها: جزيرة رانج: وهى جزيرة كبيرة فى حدود الصين أقصى بلاد الهند يملكها ملك يقال له المهراج قال محمد بن زكريا: للمهراج جباية تقع فى كل يوم مائتا من الذهب زنة كل منها ستمائة درهم يتخذ منها لبنا ويطرحه فى الماء وخزانته الماء. وقال ابن الفقيه: بها سكان شبه الآدميين إلا أن أخلاقهم بالوحش أشبه ولهم كلام لا يفهم وبها أشجار وهم يطيرون من شجرة إلى شجرة. قال: وبها نوع من النسانيس له أجنحة كأجنحة الخنافس من أصل الأذن إلى الذنب، وفيها وعول كالبقر الوحشية ألوانها حمر منقطة ببياض وأذنابها كأذناب الظباء ولحومها حامضة، وبها دابة الزباد وهى شبه الهر يجلب منها الزبد، وبها فأر المسك. وبها جبل يسمى النصان وهو جبل مشهور به حيات عظام منها ما يبتلع الفيل، وبها قردة بيض كأمثال الجواميس وأمثال الكباش، ونوع آخر أبيض الصدر أسود الظهر، قال زكريا بن يحيى بن خاقان: بجزيرة الرانج صنف من الببغاء بيض وحمر وصفر يتكلم بأى لغة تكون، وبها خلق على صورة الإنسان يتكلم بكلام لا يفهم يأكل ويشرب كالإنسان وهم بيض وسود وخضر ولها أجنحة تطير بها.

وقال ابن بحر السيرافى: كنت فى بعض جزائر الرانج فرأيت وردا كثيرًا أحمر وأصفر وأزرق وغير ذلك فأخذت ملاءة حمراء وجعلت فيها شيئًا من الورد الأزرق فلما أردت حملها رأيت نارا فى الملاءة أحرقت جميع ما فيها من الورد ولم تحرق الملاءة، فسألت الناس عنها؟ فقالوا: إن فى هذا الورد منافع كثيرة ولا يمكن إخراجه من هذه الغيضة.

قال محمد بن زكريا: من عجائب هذه الجزيرة شجر الكافور وهو عظيم جدا الشجرة

تظل مائة إنسان وأكثر فيقرأ على الشجرة فيسيل ماء الكافور عدة جرار، ثم ينقر أسفل من ذلك وسط الشجرة فتنثر منها قطع الكافور وهو صمغ تلك الشجرة فإذا أخذ منها ذلك ييبس.

ومنها: جزيرة رامني: وإليها عجائب كثيرة. قال ابن الفقيه: فيها ناس حفاة عراة رجالا ونساء لا يعرف كلامهم، مساكنهم رؤوس الأشجار وعلى أبدانهم شعور تغطي سوآتهم وهم أمة لا يحصى عددها مأكلهم ثمار الأشجار ويستوحشون من الناس، فإذا حمل أحد منهم إلى مواضع الناس لا يستقر وينفر إلى الغياض. وقال محمد بن زكريا الرازي: بجزيرة الرامني ناس عراة لا يفهم كلامهم لأنه شبه صفير ويستوحشون من الناس، طول أحدهم أربعة أشبار وجوههم عليها زغب أحمر ويصعدون على الأشجار، وبها شجر الكافور والخيزران والبقم ويغرس شجر البقم غرسًا وحمله أشبه بالخرنوب وطعمه طعم العلقم. قال محمد بن زكريا الرازي: بجزيرة الرامني الكركدن، وهو حيوان على شكل الحمار العظيم جدا على رأسه قرن واحد معقف، وقال أيضًا: إن بها جواميس لا أذناب لها.

ومنها: جزائر السلاهي: وهي جزائر كثيرة من دخلها من الآدميين لا يخرج منها لكثرة خيرها، وفيها ذهب كثير وبذات شهب وشواهين. ومن العجائب ما حكى أن ملوك السلاهي بها دون ملك الصين ويزعمون أنهم إن لم يفعلوا ذلك قحطت بلادهم ولم يمطروا حكاه ابن الفقيه في كتابه.

ومنها: جزيرة الواق واق: تتصل بجزائر الراتج والمسير إليها بالنجوم. قالوا: إنها ألف وسبعمائة جزيرة تملكها امرأة. قال موسى بن المبارك السيرافي: دخلت عليها فرأيتها على سرير عريانة وعلى رأسها تاج من ذهب وعندها أربعة آلاف وصيفة أبكارًا. قالوا: إنما سميت بهذا الاسم لأن بها شجرا يسمع من يمر بها صوته كأنه يقول واق واق، وأهلها يفهمون من هذا الصوت شيئا فيتطيرون منه. قال محمد بن زكريا: هي جزيرة كثيرة الذهب حتى إن أهلها يتخذون منه سلاسل كلابهم وأطواق قرودهم من الذهب وبها شجر الأبنوس.

ومنها: جزيرة البنان: فيها قوم عراة ألوانهم بيض ولهم جمال وحسن صورة، يأوون إلى رؤوس الجبال ويأكلون الناس، ومن وراء ذلك جزيرتان عظيمتان طولاً وعرضا فيهما قوم سود لهم خلق عادي أجسامهم عظيمة وشعورهم مغلغلة ووجوههم طوال وقدم أحدهم مقدار ذراع. ويأكلون الناس أيضًا.

ومنها: جزيرة أطوران: وهى جزيرة كبيرة بها الكركدن ونوع من القرود كالحمر العظام وبها شجرة الكافور، ذكر أن مراكب الإسكندر وقعت فى هذا البحر فوصلت إلى جزيرة فيها قوم على هيئة الإنسان رؤوسهم كرؤوس السباع فلما دنوا منهم غابوا عن أبصارهم.

• فصل: فى الحيوانات العجيبة التى وجدت فى هذا البحر:

منها: أنه إذا كثرت أمواج هذا البحر ظهرت فيه أشخاص سود طول الواحد منهم أربعة أشبار كأنهم أولاد الحبشة فيصعدون المراكب من غير ضرر.

ومنها: ما حكى التجار أنهم يرون فى هذا البحر شبه طائر من نور لا يستطيع الناظر أن ينظر إليه لأنه يملأ بصره، فإن ارتفع على أعلى الرقل يرون البحر يسكن والأمواج تهدأ ويكون ذلك دليل السلامة، ثم إنه يفقد فلا يدرون كيف ذهب.

ومنها: طائر يسمى خرشنة أكبر من الحمام. قال فى «تحفة الغرائب»: إذا طار هذا الطائر يأتيه طائر آخر يقال له كركر يطير تحته ويتوقع وقوع ذرقه فإن غدا كركر تحته ذرق خرشنة عليه وإنه لا يذرق إلا فى طيرانه.

ومنها: دابة المسك تخرج من الماء فى كل سنة فى وقت معلوم فتصاد وهى شبيهة بالظباء تذبح ويوجد فى سرتها دم هو المسك، ولا يوجد لها هناك رائحة حتى تحمل إلى غيرها من البلاد.

ومنها: دابة تستوطن شيئا من الجزائر هناك لها رؤوس كثيرة ووجوه مختلفة وأنياب مقعقعة ولها جناحان تأكل دواب البحر.

ومنها: سمكة تزيد على ثلاثمائة ذراع يخاف على السفينة منها وتوجد عند جزيرة واق واق، فإذا عرف القوم مرورها صاحوا وضربوا بالخشب لتهرب من أصواتهم فإذا رفعت جناحها يكون كالشراع.

ومنها: سلاحف؛ استدارة كل سلحفة عشرون ذراعا تبيض كل واحدة ألف بيضة، وهذا أيضا يوجد بقرب جزيرة واق واق.

ومنها: سمكة تسمى سيلان، قال صاحب «تحفة الغرائب»: هذه السمكة تبقى على اليبس يومين حتى تموت، فإذا جعلت فى القدر وغطى رأسه تنضج، وإن ترك رأس القدر مكشوفا فإذا أثرت فيها النار طفرت وغربت، وتختبئ فى كل موضع كابن عرس.

ومنها: سمكة يقال لها الأطم وجهها كوجه الخنزير ولها فرج كفرج النساء، ولها مكان للفلوس شعر وهو طبق من لحم وطبق من شحم.

ومنها: نوع من السرطان يخرج من البحر يكون كالشبر وأصغر من ذلك وأكبر، فإذا بانت عن الماء بسرعة حركة وطارت إلى البر عادت حجرًا وزالت عنها الحيوانية، وتدخل فى أكحال العين وأدويتها، وأمره مستفيض.

ومنها: حيات عظيمة تخرج إلى البر وربما تبلع الجاموس والفيل وتنطوى على صخرة أو شجرة فتكسر عظامها فى بطنها فيسمع لكسر العظام صوت، وفى هذا البحر مغاص للدردور، فإذا وقعت السفينة دارت فيه ولم تكد تخرج والملاحون يعرفون مكانه ويجتنبون عنه.

حكى بعض التجار قال: ركبت هذا البحر فى جمع من التجار فجاءتنا ريح عاصف صرفت المركب عن طريق المقصد وكان معلم المركب شيخا حاذقا إلا أنه كان أعمى، وكان يستصحب معه فى السفينة شيئًا كثيرا من الحبال وأصحابه ينكرون عليه ويقولون لو حملنا مكان الحبال أحمال التجارة لأصبنا خيرا كثيرا، فلما أصابتنا الريح العاصف كان المعلم يقول لأصحابه انظروا ماذا ترون وهم يخبرونه بالحال إلى أن قالوا نرى طيرا أسود على وجه الماء، فجعل يدعو بالويل والثبور ويضرب على رأسه ويقول هلكنا والله، فسألناه عن سبب ذلك؟ فقال سترون ما يغنيكم عن أخبارى، فما كان إلا يسير حتى وقعنا فى الدردور، والذى حسبناه طيرا أسود كانت مراكب فيها أناس موتى فبقينا حيارى وانقطع رجاؤنا عن الحياة وانتظرنا الموت، فلما شاهد المعلم منا ذلك قال: يا قوم هل لكم أن تجعلوا لى شطر أموالكم على إخراجى إياكم من هذه الغمرة؟ فقلنا رضينا بذلك، فأمر بأخذ قنينتين مملوءتين من الدهن فأدليتا فى البحر فاجتمع عليهما من السمك ما لا يحصى، ثم أمر بتشريح الموتى الذين كانوا فى المراكب وشدها فى الحبال التى كانت معه ورموها فى البحر فأكلها السمك، ثم أمر القوم بضرب الدف والأخشاب والصياح والتصفيق فإذا المركب تحرك عن مكانه وجرى، فلم يزل يفعل ذلك حتى خرجنا من الدردور ثم أمر بقطع الحبال فنجونا سالمين بإذن الله تعالى.

* * *

بحر الهند

هو أعظم البحار وأوسعها وأكثرها خيرا ولا يعلم أحد بكيفية اتصاله بالبحر المحيط لعظم اتصال الموضع وسعته، وليس كالبحر الغربى فإن انفصال البحر الغربى عن المحيط ظاهر، ويتشعب من الهندى خلجان وأعظمها بحر فارس والقلزم فالآخذ منه نحو

الشمال بحر فارس والآخذ منه نحو الجنوب بحر الزنج، قال ابن الفقيه: بحر الهند حاله مخالف لبحر فارس لأن عند نزول الشمس الحوت وقربها من الاستواء الربيعى يبدأ بالظلمة وكثرة الأمواج فلا يركبه أحد لظلمته وصعوبته ولا يزال كذلك إلى قرب الاستواء الخريفى، وأشد ما تكون ظلمته وصعوبته عند نزول الشمس فى الجوزاء، فإذا صارت الشمس إلى السنبلة تقل ظلمته وتنقص أمواجه ويلين ظهره ويسهل ركوبه إلى أن تصير الشمس إلى الحوت وألين ما يكون عند نزول الشمس بالقوس، وفى هذا البحر عجائب كثيرة من الجزائر والحيوان وغيرهما فلنذكر بعضها إن شاء الله تعالى.

● فصل: فى جزائر هذا البحر:

قال بطليموس: إن فى هذا البحر من الجزائر ما يزيد على عشرين ألف جزيرة وفيها من الأمم ما لا يحصى عددهم لكن المشهور منها ما يصل إليه أهل بلادنا.

منها: جزيرة برطايل: وهى قريبة من جزيرة الرانج. قال ابن الفقيه: بها قوم وجوههم كالمجان المطرقة وشعورهم كأذناب البراذين وبها الكركدن وبها جبال يسمع منها بالليل صوت الطبل والدف والصياح المزعج والصيحة المنكرة، والبحريون يقولون: إن الدجال فيها ويخرج منها، وفى هذه الجزيرة يباع القرنفل وذلك أن التجار ينزلون عليها ويضعون بضاعتهم وأمتعتهم على الساحل ويعودون إلى مراكبهم ويبيتون فيها، فإذا أصبحوا جاءوا إلى أمتعتهم فيجدون إلى جانب كل بضاعة شيئا من القرنفل فإن رضيه أخذه وترك البضاعة، وإن أخذ البضاعة والقرنفل لم تقدر مراكبهم على السير حتى يرد أحدهما إلى مكانه، وإن طلب أحدهم الزيادة ترك البضاعة والقرنفل فيزاد له فيه. وذكر بعض التجار أنه صعد هذه الجزيرة فرأى فيها قوما مردا صفرا وجوههم كوجوه الأتراك آذانهم مخروقة ولهم شعور على زى النساء فغابوا عن بصرهم، ثم إن التجار بعد ذلك أقاموا مدة يترددون إلى الساحل فلم يخرجوا إليهم شيئًا من القرنفل فعلموا أن ذلك سبب نظرهم إليهم ثم عادوا بعد سنين إلى ما كانوا عليه. وخاصية هذا القرنفل أنه إذا أكله الإنسان رطبًا لا يهرم ولا يشيب شعره، ولباس هذه الأمة ورق شجرة يقال لها اللوف يأكلون ثمرتها ويلتحفون بورقها، ويأكلون أيضًا السمك والموز والنارجيل، ويصطادون من البحر حيوانا على شكل السرطان وهذا الحيوان إذا خرج إلى البر صار حجرا صلدا وهو مشهور يدخل فى الأدوية التى تتعلق بالكحل.

ومنها: جزيرة السلامة: يجلب منها الصندل والنبل والكافور، ويخرج إليها من البحر

سمكة تصعد الأشجار وتأكل فواكهها وتمصها مصا ثم تسقط كالسكران فيأتى الناس فيأخذونها. وقال فى «تحفة الغرائب»: بهذه الجزيرة عين فوارة يفور الماء منها وبقربها ثقبة ينزل فيها فما بقى من الرشاشات على أطرافها ينعقد حجرا صلدًا فما كان من الرشاشات فى النهار يصير حجرًا أبيض وما كان فى الليل يصير حجرًا أسود.

ومنها: جزيرة القصر: وهى جزيرة فيها قصر أبيض يتراءى للمراكب فإذا شاهدوا ذلك تباشروا بالسلامة والربح والفائدة ذكروا أنه قصر مرتفع شاهق لا يدرى ما فى داخله، وكان بعض الملوك ساروا إليها فدخل القصر بأتباعه فغلبهم النوم وخدرت أجسامهم فلم يقدروا على الحركة فبادر بعضهم إلى المراكب وهلك الباقون.

ومنها: أن أصحاب ذى القرنين رأوا فى بعض الجزائر أمة رؤوسهم رؤوس الكلاب وأنيابهم خارجة من أفواههم مثل لهيب النار خرجوا إلى المراكب وحاربوهم فرأوا نورًا بعيدًا ساطعًا فإذا هو قصر من البلور تخرج منه هذه الأمة، فأراد ذو القرنين النزول عليهم ودخول القصر فمنعه بهرام الفيلسوف وقال: من نزل هذا القصر يغلبه النوم والغشى ولا يستطيع الخروج فتظفر به هذه الأمة.

ومنها: هذه الجزائر الثلاث. قال صاحب «تحفة الغرائب»: هى ثلاث جزائر إحداها بجنب الأخرى. فى إحداها تبرق السماء طول الليل. وفى الثانية تهب ريح شديدة. وفى الثالثة تمطر السحاب، ولا تزال كذلك من سنة إلى سنة أخرى.

ومنها: جزيرة حارة بها جبل عليه نار عظيمة بالليل ترى من بعد بعيد وبالنهار دخان ولا يقدر أحد على الدنو منها وبها العود والموز والنارجيل وقصب السكر وسكانها قوم شقر على صورة الناس إلا أن وجوههم على صدورهم.

ومنها: سمكة كبيرة معروفة عندهم يكتب الكتاب برطوبتها لا يبين على الكاغد شىء فإذا كان الليل يظهر على الكاغد كتابة واضحة ويكتب برطوبتها من أراد أن لا يطلع على مكتوبه أحد.

ومنها: سمكة خضراء رأسها كرأس الحية من أكل منها اعتصم من الطعام أيامًا.

ومنها: سمكة مدورة يقال لها مارماهى، على ظهرها شبه عمود محدد الرأس لا تقوم لها فى البحر سمكة إلا تضربها بذلك العمود وتقتلها.

واعلم أن فى البحر حيوانات كثيرة ذوات صور شتى وليس فى ذكرها فائدة فالاقتصار على البعض أولى، وقد قيل: حدث عن البحر ولا حرج.

وأما الحيوانات المائية المشهورة فنذكرها إن شاء الله تعالى.

بحر فارس

هو شعبة من بحر الهند الأعظم من أعظم شعبها، وهو بحر مبارك كثير الخير لم يزل ظهره مركوبا، واضطرابه وهيجانه أقل من سائر البحار.

قال محمد بن زكريا: سئل عبد الغفار الشامى البحرى عن مد البحار وجزرها فقال: لا يكون المد والجزر فى البحر الأعظم فى السنة إلا مرتين مرة يمد فى شهور الصيف شرقًا بالشمال ستة أشهر، فإذا كان ذلك طما الماء فى مغارب البحر وانحسر عن مشارقه. أما بحر فارس فإنه يكون على مطالع القمر وكذلك بحر الصين والهند وبحر طرا بزندة، فإن القمر إذا صار فى أفق من آفاق هذا البحر أخذ المد مقبلا مع القمر، ولا يزال كذلك إلى أن يصير القمر إلى وسط سماء ذلك الموضع فيجزر الماء، ولا يزال راجعًا إلى أن يبلغ القمر مغربه، فعند ذلك يكون قد انتهى الجزر إلى منتهاه، فإذا زال القمر من مغرب ذلك الموضع ابتدأ المد هناك مرة ثانية إلا أنه أضعف من الأولى، ثم لا يزال كذلك إلى أن يصير القمر إلى وتد الأرض فحينئذ انتهى المد إلى منتهاه فى المرة الثانية فى ذلك الموضع ثم يبتدئ بالجزر والرجوع، ولا يزال كذلك حتى يبلغ القمر أفق مشرق ذلك الموضع فيعود الماء على مثل ما كان عليه أولا، ولهذا البحر مد آخر بحسب امتلاء القمر ونقصانه، فإذا كان أول الشهر أخذ الماء فى الزيادة ويزداد كل يوم إلى منتصف الشهر فعند ذلك بلغ المد منتهاه. ثم يأخذ فى النقصان وينقص كل يوم إلى آخر الشهر، فعند ذلك بلغ الجزر منتهاه، ثم يعود إلى ما كان أولا ويأخذ فى المد، قال ابن الفقيه: بحر فارس وإن كان متصلا ببحر الهند إلا أن حالهما مختلف فى السكون والاضطراب لأن بحر فارس تكثر أمواجه ويصعب ركوبه عند لين بحر الهند وسكونه، وكذلك بحر الهند تكثر أمواجه عند سكون بحر فارس، فأول ما تبدو صعوبة بحر فارس عند نزول الشمس ببرج السنبلة قريبة من الاستواء الخريفى، ولا يزال يزداد فى كل يوم اضطرابه حتى تصير الشمس فى الحوت، وأصعب ما يكون آخر الخريف عند نزول الشمس القوس، فإذا قربت من الاستواء الربيعى يعود إلى السكون، وأسهل ما يكون ظهره آخر الربيع حال نزول الشمس الجوزاء.

قال أبو عبد الله الحسينى: خص الله تعالى بحر فارس بمزيد الخيرات والفوائد والعجائب فإن فيه المد والجزر وغزارة الماء، فإن الماء فيه من سبعين ذراعا إلى ثمانين، وفيه مغاص اللؤلؤ الجيد البالغ الذى لا يوجد مثله فى شيء من البحار، وفى جزائره

معدن العقيق وأنواع اليواقيت والسنبادج ومعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الطيب والأفاويه، وفيه الدردور أيضا الذى لا ينجو منه شىء من المراكب إذا وقع فيه إلا ما شاء الله، وفيه عوير وكسير وهما موضعان قلما يسلم منهما مركب، وفيه حيوانات عجيبة الأشكال والصور وسيأتى ذكر بعضها إن شاء الله تعالى.

ومنها: جزيرة ليكالوس: أهلها عراة وأكلها وطعامها الموز والسمك الطرى والنارجيل وأموالهم الحديد يتعاملون عليه وتأتى التجار ويعاملونهم فى الحر ويتحلون بالحديد كما يتحلى الناس بالذهب.

ومنها: جزيرة التنين: وهى جزيرة واسعة عامرة وفيها جبال وأشجار وعلى حصونها سور عال يظهر به تنين عظيم، فاستغاث أهلها بالإسكندر وذكروا أن التنين أتلف مواشيهم وأنهم يأخذون له كل يوم ثورين وينصبونهما قريبا من موضعه فيقبل كالسحابة السوداء وعيناه تتقدان كالبرق الخاطف والنار تخرج من فيه فيبلع الثورين ويعود إلى موضعه، فلما سمع الإسكندر ذلك أمر بإحضار الثورين فسلخهما وحشا جلودهما زفتا وكبريتا وكلسا وزرنيخا وجعل مع ذلك كلاليب من حديد وجعلهما فى ذلك المكان، فخرج التنين وابتلعهما فاضطربت أحشاؤه فى جوفه وتعلقت الكلاليب بأحشائه فانتظره الناس فى اليوم الآخر فما وجدوا له أثرا فذهبوا إليه فإذا هو ميت فاتح فاه، ففرح الناس بموته وشكروا سعى الإسكندر وحملوا إليه هدايا عجيبة. ومن جملتها دابة عجيبة يقال لها المهراج مثل الأرنب أصفر اللون وعلى رأسها قرن واحد أسود لم يرها شىء من السباع إلا هرب، والله أعلم.

• فصل: فى حيوانات هذا البحر:

قال صاحب عجائب الأخبار: فى هذا البحر طائر يقال له فنون وهو مكرم لأبويه، وذلك أن هذا الطائر إذا كبر وعجز عن القيام بأمر نفسه اجتمع عليه فرخان من فراخه يحملانه على ظهريهما إلى مكان ويبنيان له عشًا وطينًا ويتعاهدانه بالماء والعلف. ذكروا أن الله تعالى أكرم هذا الطائر بأن سخر له البحر فإنه إذا باض سكن البحر أربع عشرة ليلة حتى تخرج فراخه فى هذه المدة اليسيرة، والبحريون يتبركون به فإذا كان أول سكون البحر علموا أن هذا الطائر قد باض.

ومنها: سمكة وجهها كوجه الإنسان وبدنها كبدن السمك وعلى وجهها نقط وتظهر على وجه الماء، ومنها سمكة تطفو على وجه الماء فإذا رأت حيوانا مفتوح الفم تدخل

فى فمه وتصير غذاءه، ذكره صاحب «تحفة الغرائب».

ومنها: حيوان يطلع من الماء ويرتفع والنار تخرج من منخره وتحرق ما حول مراتعه، فإذا رأوا الأرض المحترقة عرفوا أنها مراتع ذلك الحيوان، ذكره صاحب «تحفة الغرائب».

ومنها: سمكة طيارة تطير ليلا وتأكل الحشيش طول الليل فإذا كان قبل طلوع الشمس عادت إلى البحر.

● فصل: فى جزائر هذا البحر:

اعلم أن أكثر جزائر هذا البحر مسكونة معمورة يأتيها الرجال:

منها: جزيرة خارك: بها معادن اللؤلؤ. ذكر البحريون أن صدف الدر لا يوجد إلا فى بحر تصب فيه الأنهار العذبة، فإذا أتى وقت الربيع يكثر هبوب الرياح وارتفاع الأمواج فتحمل رشاشات من بحر أوقياس، وفيه ماء شبيه بالزئبق لزج مثل الغراء فيتولد منه الدربان تقع تلك الرشاشات فى محل الصدف فيلقمه الصدف كما يلقم الرحم المنى فربما وقعت فيه قطرة كبيرة فتنعقد درا كبيرا وربما تقع رشاشات فتنعقد منها أجزاء صغار كما نرى فى أكثر الأصداف، ثم إن الصدفة إذا التقمت المطر خرجت من قعر الماء إلى ظاهره عند هبوب الشمال وطلوع الشمس وغروبها ولا تخرج فى وسط النهار فإن شدة حرارة الشمس ووهجها تفسد الدر، فإذا خرجت فتحت فاها ليقع الشمال على الدر فينعقد من الأثر الشمال وحرارة الشمس ويتكون فى الصدف كما يتكون الجنين فى الرحم، ثم إن جوف الصدف إن كان خاليا من الماء المر يكون الدر كدرا أو أصغر غير مهندم، وإذا تم الدر فى الصدف ينتقل الصدف إلى موضع صلب وتثبت عروقه فيه ويكون عند الناس خيرا من وصول قفل الصدف فإذا انتقل إلى أرض البحرين يهنئ الناس بعضهم بعضا بوصول قفل الصدف، والغواص إذا نزل لإخراجه يقلعه من الأرض بالقوة، فما أخرجه فى وقته يبقى طريا صقيلا وما أخرج قبل وقته أو بعده لا يبقى كذلك بل يتغير لونه، والله الموفق.

ومنها: جزيرة جاشك: وهى بقرب جزيرة قيس، لأهلها خبرة و صبر على الحركة فى الماء فإن الرجل منهم يسبح فى الماء أياما كثيرة وهو يجالد بالسيف كما يجالد غيره على وجه الأرض، وغير أهل هذه الجزيرة يعجز عن ذلك. وسمع من غير واحد أن بعض ملوك الهند أهدى إلى بعضهم جوارى هنديات فى مراكب فوقع شىء من تلك المراكب إلى هذه الجزيرة فخرج الجوارى يتفسحن فى الجزيرة فاختطفتهن الجن وافترستهن

فولدت هؤلاء الذين بها فلذلك فيهم من الجلادة ما يعجز عنها غيرهم.

ومنها: جزيرة كندولاودى: وأنا شاك فى هذه الجزيرة فى بحر فارس أظن أنها فى غيره، وقد ذكر جمع من العمانيين والسرافيين أن العنبر ينبت فى قعر هذا البحر كما ينبت القطن فى الأرض فإذا اشتد اضطراب البحر قذفه البحر فلذلك يرى قطعا، وربما أكل منه السمك الكبير فيموت ويطفو على الماء فإذا اجتاز به أصحاب المراكب جذبوه بالكلاليب والحبال إلى الساحل وأخذوا العنبر من بطنه. والله أعلم.

• فصل: فى ذكر بعض الحيوانات العجيبة فى هذا البحر:

منها: نوع من السمك يطفو على وجه الماء وسبب طفوه هيجان البحر ويعرفه البحريون. قال أبو الريحان فى الآثار الباقية: فى اليوم الثالث عشر من كانون الثانى يضطرب البحر إلى فارس وإلى الإسكندرية ويبقى أياما يتغطمط وتشتد أمواجه ويتكدر هواؤه وتكثر ظلمته، ذكروا أنه يقع فى قعره ريح تهيج البحر، ويستدل على ذلك بنوع من السمك يظهر فيه وظهوره إنذار بتحرك الريح فى قعره وربما يتقدم بيوم.

ومنها: الأسبور وهو نوع من السمك يأتى بالبصرة فى وقت معين يعرفه أهل البصرة، ويبقى مقدار شهرين وبعده لا توجد هناك واحدة من هذا النوع.

ومنها: الجراف وهو أيضا نوع من السمك ووصفه مثل وصف الأسبور.

ومنها: البرستوح. قال البحريون: إن البرستوح يقبل من بلاد الزنج يستعذب ماء دجلة البصرة، ويعرف هذا النوع بأرض الزنج ثم يعود ما فضل من صيد الناس إلى مكانه، ولا يوجد هذا النوع فيما بين البصرة والزنج إلا فى أوان مجيئه فإذا انقضى أوانها لا يوجد فيه واحد. وذكر البحريون أن البرستوح فى الوقت الذى يوجد فى البصرة لا يوجد فى الزنج، وفى الوقت الذى يوجد فى الزنج لا يوجد بالبصرة وحاله كحال الخطاطيف وغيرها من الطيور ينتقل من موضع إلى موضع، فسبحان من ألهم كل حيوان ما فيه مصالح نفسه.

ومنها: الكوسج، وهو نوع من السمك أشر من الأسد فى الماء يقطع الحيوان بأسنانه كما يقطع السيف، ورأيته وهو سمك مقدار ذراع أو ذراعين وأسنانه كأسنان الإنسان ينفر الحيوان منه، وإذا أدرك سمكة كبيرة قطعها، وإذا أدرك آدميا قتله أو قطع يده أو رجله فإنه نائبة عظيمة فى هذا البحر وله وقت معين يكثر فيه بدجلة البصرة.

ومنها: حيوان يعرف بالتنين شر من الكوسج فى فمه أنياب مثل أسنة الرماح، وهو

طويل مثل النخلة، وهو أحمر العينين مثل الدم كريه المنظر جدا يفر منه الكوسج وغيره.

ومنها: سمكة خضراء اللون أطول من ذراع لها خرطوم عظمى أقصر من ذراع يشبه منشارا، يكون كلا حديه أسنانا يضرب بها الحيوان فيجرحه، ومن هذا النوع فى بحر الحبابة كثير رأيتهم يصطادونه ويبيعونه فى السوق هناك.

ومنها: سمكة مدورة ذنبها أطول من ثلاثة أذرع وعلى وسط ذنبها شوكة معقفة شبه كلاب وهى سلاحها تضرب بها، وهى نمراء بياضها فى غاية البياض ونقط سوادها فى غاية السواد ولها منخران على ظهرها وفم على بطنها وفرج كفرج النساء والبحر لا تحصى عجائبه، وفى هذا القدر كفاية، والله الموفق.

ولنختم عجائب هذا البحر بحكاية عجيبة من دردوره: أوردها صاحب كتاب «عجائب البحر» فى كتابه. قال: حدثنى رجل من أصفهان أنه ركبته ديون ونفقة عيال عجز عنها ففارق أصفهان ودارت به الدوائر حتى ركب البحر مع بعض التجار. وقال: فتلاطمت بنا الأمواج حتى جعلنا فى دردور بحر فارس المشهور، فاجتمع التجار إلى المعلم وقالوا: هل تعرف لأمرنا مخلصا؟ فقال المعلم: يا قوم إن هذا دردور لا يتخلص منه مركب إلا ما شاء الله تعالى. فإذا سمح أحدكم بنفسه لأصحابه وأنا أبذل جهدى لعل الله يخلصنا، فقلت أنا: يا قوم كلنا فى معرض الهلاك وأنا رجل سئمت من الشقاء وكنت أتمنى الموت، وكان فى السفينة جمع من الأصفهانيين، فقلت لهم: احلفوا أنكم تقضون ديونى وتحسنون إلى أولادى وأنا أفديكم بنفسى، فأجابوا إلى ذلك فقلت للمعلم: ماذا تأمرنى؟ فقال: أن تقف على هذه الجزيرة، وكان بقرب الدردور جزيرة مسيرة ثلاثة أيام بلياليها ولا تفتر عن ضرب هذا الدهل، فقلت لهم: أفعل ذلك، فحلفوا لى أيمانا مغلظة على ما شرطت عليهم وأعطونى من الماء والزاد ما يكفينى أيامًا وأنا على طرف الجزيرة، فذهبت ووقفت وشرعت فى ضرب الدهل فرأيت المياه تحركت وجرت المركب وأنا أنظر إليه حتى غاب عن بصرى. قال: فلما غاب عنى المركب جعلت أتردد فى الجزيرة فإذا أنا بشجرة عظيمة لم أر أعظم منها وعليها شبه سطح غليظ فلما كان آخر النهار أحسست بهزة شديدة، فإذا طائر لم أر حيوانا أعظم منه جاء ووقع على سطح تلك الشجرة فاختفيت منه خوف أن يصطادنى إلى أن بدا ضوء الصباح فنفض جناحيه وطار، فلما كانت الليلة الثانية جاء ووقع على عشه وكنت أيضًا آيسًا من حياتى ورضيت بالهلاك ودنوت منه فلم يتعرض لى بشىء وطار مصبحا، فلما كانت

الليلة الثالثة قعدت عنده من غير دهشة إلى أن نفض جناحيه عند الفجر فتمسكت برجله فطار أسرع طيران إلى أن ارتفع النهار فنظرت نحو الأرض فما رأيت سوى لجة البحر فكدت أترك رجله من شدة ما نالنى من التعب فحملت نفسى على الصبر إلى أن نظرت نحو الأرض فرأيت القرى والعمارات، فدنا من الأرض وتركنى على صبرة تبن فى بيدر لبعض القرى والناس ينظرون إلىّ ثم طار نحو الهواء وغاب عنى، فاجتمع الناس إلىّ وحملونى إلى رئيسهم فأحضر لى رجلا يفهم كلامى، فقالوا لى: من أنت؟ فحدثتهم بحديثى كله، فتعجبوا منى وتبركوا بى وأمر الرئيس لى بمال فبقيت عندهم أياما، فمشيت يومًا إلى طرف البحر أتفرج فإذا قد وصل مركب أصحابى، فلما رأونى أسرعوا إلىّ سائلين عن حالى، فقلت لهم: يا قوم إنى بذلت نفسى لله تعالى فأنقذنى بطريق عجيبة وجعلنى آية للناس ورزقنى المال وأوصلنى إلى المقصد قبلكم، فهذه حكاية عجيبة وإن كانت غير بعيدة من لطف الله تعالى.

* * *

بحر القلزم

هو شعبة من بحر الهند جنوبى بلاد البربر والحبشة، وعلى ساحله الشرقى بلاد العرب وعلى الغربى اليمن. والقلزم اسم مدينة على ساحله سمى البحر بها. وأما حديث هيجانه ومده وجزره فكما فى بحر الهند فلا نعيده وهو البحر الذى أغرق الله تعالى فيه فرعون لعنه الله وجنوده. قالوا كان بين البحر وأرض اليمن جبل يحول الماء عنها وامتداده فى أرض اليمن وكان بين البحر واليمن مسافة، فقدّ بعض الملوك ذلك الجبل بالمعاول ليدخل منه خليجا يهلك بعض أعدائه فقطع من الجبل غلوتى سهم وأطلق البحر فى أراضى اليمن فطفا الماء وأهلك أمما كثيرة واستولى على بلاد كثيرة وصار بحرًا عظيما وصل إلى بلاد اليمن وجدة وجاوى وينبع ومدينة شعيب عليه السلام وأيلة إلى القلزم.

• فصل: فى جزائره:

وأكثرها لا مسلوكة ولا مسكونة.

منها: جزيرة ثارات وهى قريبة من أيلة يسكنها قوم يقال لهم بنو جدان معاشهم السمك وليس لهم زرع ولا ضرع ولا ماء عذب، وبيوتهم السفن المكسرة يسألون الماء

والخبز ممن يمر بهم فى الدهر الطويل، وعندهم دوارة ماء فى سفح جبل إذا وقع الريح على دورته انقسمت إلى قسمين وتلقى المركب بين شعبتين متقابلتين فتخرج الريح من كليهما فيثور البحر على كل سفينة تقع فى تلك الدورات باختلاف الريحين فتنقلب ولا تسلم، ومقدار طوله ستة أميال. قيل هذا الموضع الذى غرق فيه فرعون بجنوده لعنه الله.

ومنها: الحسامية وفيها دابة تتجسس الأخبار وتأتى بها الدجال. روى الشعبى عن فاطمة بنت قيس قالت «خرج علينا رسول الله ﷺ فى الظهيرة وقام خطيبا وقال: إنى لم أجمعكم لرغبة ولا لرهبة ولكن لحديث حدثنيه تميم الدارى. حدثنى أن نفرًا من قومه أقبلوا فى البحر فأصابهم ريح عاصف ألجأهم إلى جزيرة فإذا هم بدابة قالوا لها: من أنت؟ قالت: أنا الجساسة. قالوا: أخبرينا الخبر؟ قالت: إن أردتم الخبر فعليكم بهذا الدير فإن فيه رجلا بالأشواق إليكم، قال فأتيناه فقال: من أنتم؟ فأخبرناه. فقال: ما فعلت بحيرة طبرية؟ قلنا: تدفق بين أجوافها. قال: فما فعلت نخل عمان؟ قلنا: يجتنيها أهلها، قال: فما فعلت عين زعر؟ قلنا: يشرب منها أهلها؟ فقال: لو يبست أنفذت من وثاقى فوطئت بقدمى كل منهل إلا مكة والمدينة».

ومنها: جبل المغناطيس، وهو جبل فى هذا البحر يوجد فيه المغناطيس الذى يجذب الحديد، والمراكب المستعملة فى هذا البحر لا يجعل فيها شىء من الحديد خوفا من أن يجذبها المغناطيس.

• فصل: فى حيوان هذا البحر:

أما الحيوانات التى توجد فى غيره فلا نعيدها. والتى توجد فى هذا البحر:

منها: سمكة عظيمة تضرب السفينة بذنبها فتغرقها طولها مائتا ذراع يخاف على المراكب منها خوفًا شديدًا.

ومنها: سمكة مقدار ذراع، بدنها بدن السمكة ووجها وجه البوم.

ومنها: سمكة طولها عشرون ذراعا وظهرها ذبل الجيد وأنها تلد وترضع، وفيه سمكة كخلقة البقر تلد وترضع، والله الموفق.

* * *

بحر الزنج

وهو بحر الهند بعينه وبلاد الزنج منه فى جانب الجنوب بجنب سهيل. ومن ركب هذا البحر يرى القطب الجنوبى وسهيلا ولا يرى القطب الشمالى وبنات نعش أبدا، وأقصى هذا البحر يتصل بالبحر المحيط وموج هذا البحر عظيم كالجبال الشواهق ونفخه يرتفع كالأطواد الشوامخ وينخفض، وماؤه يحفظ ليكون من الأدوية ولا ينكسر موجه ولا يظهر منه زبد كما يكون لسائر البحار، وفيه جزائر كثيرة ذات أشجار وغياض لكنها ذات ثمار وإنما هى نحو شجر الأبنوس والصندل والساج والقنا والعنبر يلتقط من سواحله فربما توجد قطعة كتل عظيم.

• ولنذكر شيئا من جزائره وحيوانه:

منها: الجزيرة المحترقة، وهى جزيرة واغلة فى هذا البحر قلما يصل إليها من بلادنا أحد. حكى بعض التجار قال: ركبت هذا البحر فدارت بى الدوائر حتى حصلت فى هذه الجزيرة فرأيت فيها خلقا كثيرًا وبقيت بها زمانا واستأنست بهم وتعلمت لغتهم، فإذا الناس فى بعض الأيام مجتمعون ينظرون إلى كوكب طلع من أفقهم، ثم شرعوا فى البكاء والعويل قالوا: إن الكوكب يطلع فى كل ثلاثين ٧ مرات فإذا وصل إلى سمت رءوسنا يحرق ما فى هذه الجزيرة فتأهبوا للنقل فى المراكب، فلما دنا الكوكب من سمت رءوسهم ركبوا فيها وأخذوا معهم ما خف من القماش فركبت معهم فغبنا عنها مدة، فلما علموا أن الكوكب زال عن سمت رءوسهم عادوا إليها فوجدوا جميع ما كان فيها رمادا فشرعوا فى استئناف العمارة.

ومنها: جزيرة الضوضاء، وهى جزيرة مما يلى بلاد الزنج. وحكى بعض التجار أن بهذه الجزيرة مدينة من حجر أبيض يشعّ منها ضوء ولا ساكن بها من البشر، وربما دخلها البحريون وشربوا من مائها فوجدوه حلوًا طيبا فيه رائحة الكافور ويقولون: كنا نعرف منتهاها غير أن بقربها جبالا عظيمة تتوقد منها بالليل نار عظيمة، وذكر أن فى حواليها حية تظهر فى كل سنة مرة فيحتال ملوك الزنج فى أخذها فإذا أخذوها يطبخونها ويتخذون جلدها فراشا يجلس عليه صاحب السل يأمن من غائلته ويوجد ذلك فى خزائن الملوك.

ومنها: جزائر العور. وحكى يعقوب بن إسحاق السراج قال: رأيت رجلا من أهل

رومية قال: ركبت هذا البحر فألقتنى الريح إلى بعض الجزائر فوصلت بها إلى مدينة أهلها ناس قامتهم قدر ذراع وأكثرهم عور، فاجتمع علىّ جمع منهم وساقونى إلى ملكهم فأمر بحبسى فجعلونى فى شبه قفص فكسرته فأمنونى فرأيتهم فى بعض الأيام يتأهبون للقتال وقالوا: لنا عدو يأتينا وهذا أوان مجيئه فلم نلبث أن طلعت عليهم عصابة من الغرانيق، وكان عور نفر من الغرانيق أعينهم فأخذت عصا وشددت عليها فطارت وذهبت فأكرمونى. وذكر أرسطاطاليس فى كتاب «الحيوان» أن الغرانيق تنتقل من خراسان إلى ناحية مصر حيث يسيل ماء النيل تقاتل هناك رجلا وقامتهم قدر ذراع.

ومنها: جزيرة سكسار. حكى يعقوب بن إسحاق السراج قال: رأيت رجلاً فى بعض الأسفار فى وجهه خموش فسألته عن ذلك؟ فقال: ركبت البحر فألقتنا الريح إلى جزيرة لم نستطع أن نبرح عنها فأتى قوم وجوههم كوجوه الكلاب وسائر أبدانهم كأبدان الناس فسبق إلينا واحد منهم بعصا ووقف الآخرون، فساقنا إلى منازلهم فرأينا هناك الجماجم والسيقان وأذرع الناس فأدخلونا بيتا رأيت فيه إنسانا فجعلوا يأتوننا بالفواكه والمأكول، فقال ذلك الرجل: يطعمونكم لتسمنوا ومن سمن منكم أكلوه. قال: فكنت أقلل المأكول حتى لا أسمن وكل من سمن من أصحابى أكلوه حتى بقيت أنا وذلك الرجل لأنى كنت هزيلا والرجل عليلا، فقال ذلك الرجل: إنهم قد حضر لهم عيد يخرجون كلهم إليه ثلاثة أيام فإن أردت النجاة فانج بنفسك وأما أنا فقد ذهبت رجلاى لا يمكننى الهرب. واعلم أنهم أسرع شىء طلبا وأشد استنشاقا وأعرف بالأثر إلا من دخل تحت شجرة كذا فإنهم لا يطلبونه ولا يقدرون عليه. قال: فكنت أسير ليلا وأكمن نهارًا، فلما رجعوا وتفقدونى جعلوا يقصون أثرى فادركونى وكنت تحت الشجرة فانقطعوا عنى فلما أمنت منهم جعلت أسير فى تلك الجزيرة إذ رفعت لى أشجار كثيرة فانتهيت إليها فإذا بها من كل الفواكه وتحتها رجال أحسن صورة فقعدت إليهم لا أفهم كلامهم ولا يفهمون كلامى، فبينا أنا جالس معهم إذ دنا إلىّ واحد منهم ووضع يده على عاتقى فإذا هو جالس على رقبتى ثم لوى رجليه علىّ فأنهضنى فجعلت أعالجه لأطرحه عن رقبتى فخمشنى فى وجهى وسخرنى كما يسخر أحدكم مركوبه فجعلت أدور على الأشجار وهو يقطع ثمارها ويرمى بها أصحابه وهم يضحكون، فبينا أسير به فى وسط الأشجار إذ أصاب عينيه بعض عيدان الأشجار فعمى فعصرت له شيئا من العنب ثم قلت له اكرع فكرع فتحللت رجلاه فرميته وبقى أثر الخموش فى وجهى، والله الموفق.

● **فصل: فى حيوان هذا البحر:**

منها: المنشار. قال بعض التجار: إنها سمكة مثل الجبل العظيم، ومن رأسها إلى ذنبها مثل أسنان المنشار من عظام سود مثل الأبنوس كل سن منها فى رؤية العين مقدار ذراعين، وعند رأسها عظمان طويلان كل عظم مقدار عشرة أذرع، وكانت تضرب بالعظمين البحر يمينا وشمالا فيسمع صوته صوتا هزيلا. قال: وكنا نرى الماء يخرج من فيها وأنفها ويصعد إلى السماء وتصلْ إلينا رشاشاته مثل المطر وبيننا وبينها مسافة بعيدة، وهذه السمكة تقطع السفينة إذا عبرت من تحتها أو خرجت عليها فإذا رأى أصحاب المركب هذه السمكة يضجون إلى الله تعالى حتى يدفعها عنهم مكرمة.

ومنها: سمكة تعرف بالبال طولها أربعمائة ذراع إلى خمسمائة ذراع فيظهر فى بعض الأوقات طرف من جناحه يكون كالشراع العظيم ويظهر رأسه وينفخ فيه الماء فيذهب الماء فى الجو أكثر من غلوتين، والمركب تفزع منها ليلا ونهارا فإذا أحسوا بها ضربوا بالدبادب وضجوا حتى تنفر وإنها تحشو بذنبها وأجنحتها السمك إلى فيها، فإذا بغت على حيوان البحر بعث الله سمكة نحو الذراع تدعى اللشك تلتصق بأذنابها ولا خلاص للبال منها فتطلب قعر البحر وتضرب الأرض بنفسها حتى تموت وتطفو فوق الماء كالجبل العظيم. وربما يقذف البحر عند اشتداده قطعا من العنبر كالتلال فيأكلها البال فيقيئها فتطفو فوق الماء، ولها أناس يرصدونها فى المراكب من الزنج، فإذا أحسوا بذلك طرحوا فيها الكلاليب وجذبوها إلى الساحل ويشقون بطنها ويستخرجون العنبر منها، فما يكون فى بطنها يكون شهكا تعرفه التجار والعطارون بالعراق وفارس والهند، وما يكون فى ظهرها يكون جيدا نقيا، والله الموفق.

* * *

بحر المغرب

هو من بحر الشام وبحر قسطنطينية، مأخذه من البحر المحيط ثم يمتد مشرقا فيمر بشمالى أندلس ثم ببلاد الفرنج إلى قسطنطينية، ويمتد من جهة الجنوب إلى بلاد أولها سلائم سبتة وطنجة إلى طرابلس والإسكندرية ثم سواحل الشام إلى أنطاكية وفيه الجزائر العظيمة كجزائر الأندلس وغيرها وذكر فى كتاب «أخبار مصر» أنه بعد هلاك الفراعنة كان ملوك بنى دلوكة فى شق البحر المحيط من المغرب وهو بحر الظلمات فغلب على كثير من البلدان العامرة والممالك العظيمة، وامتد إلى الشام وبلاد الروم وصار حاجرا

بين بلاد مصر والروم وهو الخليج الذى فى زماننا هذا على أحد ساحليه المسلمون وعلى الآخر النصارى من الفرنج، وهناك مجمع البحرين وهما بحر الروم والمغرب وعرضه ثلاثة فراسخ وطوله خمسة وعشرون فرسخا وفيه يظهر المد والجزر فى كل يوم وليلة أربع مرات، وذلك فى البحر الأسود وهو بحر المغرب عند طلوع الشمس يعلو فيصب فى مجمع البحرين حتى يدخل فى بحر الروم وهو البحر الأخضر إلى وقت الزوال، فإذا زالت الشمس غاض البحر الأسود وانصب فيه الماء من البحر الأخضر إلى مغرب الشمس ثم يغيض الماء الأخضر ويعلو البحر الأسود إلى نصف الليل ثم يغيض البحر الأسود، وانصباب الماء من البحر الأخضر إلى طلوع الشمس، وفى هذا البحر من الجزائر والحيوانات ما يتعجب منه فلنذكر بعضها إن شاء الله تعالى.

• فصل: فى جزائره:

ذكر أبو حامد الأندلسى فى كتابه الذى ألفه للوزير ابن هبيرة: إن مجمع الترب جزيرة فيها منارة مبنية من الصخر الصلد لا يعمل فيها الحديد شيئا ولها أساس راسخ وليس للمنارة باب، وعلى رأس المنارة صورة إنسان ملتحف بثوب كأنه من ذهب يده اليمنى ممدودة إلى البحر الأسود يشير بأصبع إلى شيء، وعلو المنارة أكثر من مائة ذراع. وقال غيره: إن تلك الصورة طلسم عمله بعض الملوك صيانة لذلك الموضع من إتيان العدو، وإنه مأمون ما دام ذلك الطلسم باقيا.

ومنها: جزيرة تيس: وهى فى بحر الروم. وذكر أبو حامد الأندلسى: أنها جزيرة عظيمة فيها مدن وقرى كثيرة. من عجائبها أنه يخرج إليها فى كل يوم طير يصطادونه ويبقى أياما ثم ينقطع ذلك النوع ويظهر نوع آخر ويبقى أياما وهكذا أبدا، ويتم مائة ونيفا وثلاثين نوعا وأساميها مكتوبة رأيت فى نقل ذلك سآمة.

ومنها: جزيرة ذكرها صاحب الغرائب. قال: إن فى بحر الروم جزيرة كثيرة الأشجار والأزهار، من شم شيئا منها نام فى ساعته.

ومنها: ما ذكره أبو حامد الأندلسى: من أن على البحر الأسود من ناحية أندلس جبل عليه كنيسة من الصخر منقورة فى الجبل وعليها قبة عظيمة وعلى القبة غراب لا يبرح من أعلى القبة وفى مقابلة القبة وهى كشبه مسجد يزوره الناس ويقولون إن الدعاء فيه مستجاب، وقد شرط على القسيسين ضيافة من زار المسجد من المسلمين، فإذا قدم زائر أدخل الغراب رأسه فى روزنة على تلك القبة ويصيح، وإذا قدم اثنان صاح

صيحتين وهكذا كلما وصل زائر أو زوار صاح على عددهم فيخرج الرهبان بطعام يكفى الزائرين، وتعرف الكنيسة بكنيسة الغراب. وزعم القسيسون أنهم ما زالوا يرون غرابا على تلك الكنيسة ولا يدرون من أين مأكله.

ومنها: جزيرة مالطة: قال أبو حامد الأندلسى: رأيت فى بحر الروم هذه الجزيرة مملوءة من الغنم الجبلية مثل الجراد المنتشر لا يمكنها الفرار من الناس لكثرتها، فإذا وصلت المراكب إليها أخذت منها ما شاء الله وهى أغنام سمان كبار نعاج وحملان، وليس فيها غير الغنم. وفيها أشجار وعشب كثير، وهى على طريق الإسكندرية فى البحر تقصدها السفن من كل جانب، وظنى أنه لو حملت كل سفينة فى ذلك البحر منها لا تفنى الغنم.

ومنها: جزيرة الدير: ذكر البحريون أنها بقرب قسطنطينية، وهى دير ينكشف عنه الماء فى كل سنة يوما واحدا يحجها أهل تلك النواحى وينتظرون ذلك اليوم ويزورون الدير ويحملون إليها الهدايا، حتى إذا كان ذلك اليوم ينكشف عنه الماء فيبقى ظاهرًا إلى وقت العصر ثم يأخذ الماء فى الازدياد ويغطيها إلى العام المقبل، والله الموفق.

• فصل: فى الحيوانات العجيبة فى هذا البحر:

حكى عبد الرحمن بن هارون المغربى. قال: ركبت هذا البحر فوصلنا إلى موضع يقال له النطرون وكان معنا غلام صقلى معه صنارة فألقاها فى البحر فصاد بها سمكة نحو الشبر فنظرنا فإذا خلف أذنها اليمنى مكتوب لا إله إلا الله وفى قفاها محمد وخلف أذنها اليسرى رسول الله.

ومنها: ما حكى أبو حامد: قال: رأيت ملاحا غاص فى بحر الروم فانكشف عن سنام جبل وعليه نارنج أحمر كأنه قطف الآن من شجرة فظننت أنها سقطت من بعض السفن فقبضت على واحدة منها فإذا هى حيوان التصق بالحجر لم أقدر على قلعه فرمت قطعه بالسكين فلم تعمل فيه السكين. وليس له عين ولا رأس وفمه فى موضع العرجون فكنت ألف الثوب عليه وأجره بقوتى فيخرج من فمه مائية كاللعاب، وهو لين محبب شديد الحمرة لا يغادر من النارنج شيئا فإذا تركته كان يفتح فاه ويتحرك كأنه يتنفس.

ومنها: ما ذكر صاحب «تحفة الغرائب» أن فى بحر المغرب طائرًا يقال له الماروز طائر مبارك يتبرك به أصحاب المراكب يبيض عند سكون البحر على الساحل فإذا رأوا بيضه عرفوا أن البحر يسكن، وهكذا الطائر إذا كانت المراكب قريبة من مكان مخوف يأتى

ويطير قدام المركب ويصعد وينزل كأنه يخبرهم بالخوف حتى يدبروا أمرهم والملاحون يعرفونه، والله الموفق.

ومنها: الشيخ اليهودى: قال أبو حامد: حيوان وجهه كوجه الإنسان وله لحية بيضاء وبدنه على شبه بدن الضفدع وشعره كشعر البقر، وهو فى حجم عجل يخرج من البحر ليلة السبت إلى البر حتى تغيب الشمس ليلة الأحد فإذا غابت الشمس ليلة الأحد وثب كما يثب الضفدع ويدخل الماء فلا تلحقه السفن ذكروا أن جلده إذا وضع على النقرس أزال وجعه فى الحال، والله الموفق.

ومنها: سمكة تعرف بالبغل: قال أبو حامد الأندلسى: رأيت بمجمع البحرين سمكة مثل جبل عظيم صاحب صيحة ما سمعت أهول منها يكاد القلب ينشق منها فاضطرب الماء منها وكثرت الأمواج حتى خفنا الغرق قال النحريون: إنها سمكة يقال لها البغل هربت من السمكة الكبيرة، وذلك أن السمكة تتبعها لتأكلها فى بحر الظلمات فتنفر منها وتعبر فى مجمع البحرين إلى بحر الروم، وتأتى السمكة الكبرى خلفها لتعبر فى مجمع البحرين فلا يمكنها لعظمها هكذا ذكر أهل ذلك الموضع يعنى مجمع البحرين.

ومنها: حوت موسى ويوشع عليهما السلام: قال أبو حامد الأندلسى: رأيت سمكة بقرب مدينة سبتة وهى نسل الحوت المشوى الذى أكل موسى ويوشع نصفه فأحيا الله النصف الآخر فاتخذ فى البحر عجبا ولها نسل فى البحر إلى الآن فى ذلك الموضع وهى سمكة طولها أكثر من ذراع وعرضها شبر واحد فى أحد جنبيها شوك وعظم وجلدها رقيق ملتصق على أحشائها ورأسها نصف رأس، فمن رآها هكذا استقذرها ويحسب أنها مأكولة ميتة ونصفها الآخر صحيح والناس يتبركون بها ويهدونها إلى المحتشمين ويشوبها اليهود ويقددونها ويحملونها إلى الأماكن البعيدة.

ومنها: سمكة بلغارية كأنها قلنسوة بلغارية: قال أبو حامد الأندلسى: رأيتها وفى جوفها شبه المصارين ولا رأس لها ولا عين ولها مرارة كمرارة البقر سوداء فإذا اصطادها أحد تحركت فيسود الماء الذى حولها مثل الحبر وأظن ذلك السواد من تلك المرارة فإذا وقعت فى الشبكة يبقى ما حولها أسود جدا فيؤخذ من الماء ويكتب به أحسن من كل مداد لا ينمحى وله سواد وبريق.

ومنها: سمكة ذكر أبو حامد أنها تقطع قطعا وهى تتحرك وربما قلبت القدر إذا أرادوا طبخها فيها ولا يسكن اضطرابها حتى تصير نضجا وهى سمكة لحمها طيب الطعم جدًا.

ومنها: سمكة تعرف بالخطاف: قال أبو حامد: ولها جناحان على ظهرها أسودان وإنها تخرج من الماء وتطير فى الهواء وتعود إلى البحر.

ومنها: سمكة تعرف بالمنارة: ترمى نفسها على السفينة فتكسرها ويعرفها أهلها فإذا أحس الناس بها ضربوا بالطشوت والبوقات لتبعد عنهم، وهى محنة عظيمة فى البحر.

ومنها: سمكة كبيرة: إذا نقص الماء بقيت على الطين ولا تزال تضطرب إلى ست ساعات ثم تنسلخ من شدة اضطرابها وقوة تأملها فيظهر لها جناحان من تحت جلدها فتطير وتتحول إلى البحر. ذكرها أبو حامد، والتنانين فى هذا البحر كثيرة وأكثر ما يكون عند طرابلس واللاذقية والجبل الأقرع من أعمال أنطاكية، وسيأتى ذكرها إن شاء الله تعالى.

* * *

بحر الخزر

هو البحر الذى فى جهة الشمال على شرقيه جرجان وطبرستان وفى شماله بلاد الخزر وفى غربيه جبال العقيق وفى جنوبيه الجبل والديلم، وهو بحر عظيم واسع لا اتصال له بشىء من البحار على وجه الأرض فلو أن رجلا طاف حوله رجع إلى مكانه الذى ابتدأ منه، وهو بحر صعب المسلك سريع المهلك كثير الاضطراب شديد الأمواج لا مد فيه ولا جزر ولا يرتفع منه شىء من اللآلى والجواهر، وجزائره غير مسكونة ولكن فى جزائره غياض مياه وأشجار وليس فيها أنيس. قالوا: إن دوران هذا البحر ألف وخمسمائة فرسخ وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل، وهو مدور الشكل فلنذكر شيئا من جزائره وبحاره.

• فصل: فى جزائره وبحاره:

ومنها: ما ذكره أبو حامد. قال: رأيت فى هذا البحر جبلا من طين أسود كالقير والبحر محيط به وفى سنام ذلك الجبل شق طويل يخرج منه الماء، ويوجد فى ذلك الماء سناج الدانق من الصفر، وربما يكون أكبر أو أصغر يحملها الناس إلى الآفاق للتعجب.

ومنها: جزيرة الحيات: قال أبو حامد: إنها بقرب الجبل الذى ذكر وهى جزيرة امتلأت من الحيات وفيها حشيش كثير والحيات فى وسطها لا يقدر أحد أن يضع رجله على الأرض لكثرة ما فيها من الحيات الملتفة بعضها على بعض، وفيها طير كثيرة

والحيات لا تتعرض لبيض الطيور وفراخها، رأيت الناس يأخذون بأيديهم العصى ويزيلون الحيات بها عن مكان أقدامهم ويمشون بين الحيات، ويأخذون بيض الطيور وفراخها والحيات لا تؤذى أحدا منهم.

ومنها: **جزيرة الجن**: وهى جزيرة ليس بها أنيس ولا شىء من الوحوش وتسمع أصوات كأنهم يقولون غلب الجن عليها ولا يجسر أحد أن يقربها، والله أعلم.

ومنها: **جزيرة الغنم**: قال سلام الترجمان رسول الخليفة إلى ملك الخزر: وهى جزيرة ما بين الخزر والبلغار فيها من الأغنام الجبلية مثل الجراد لا يمكنها الفرار لكثرتها وما رأيت فى تلك الجزيرة حيوانا غيرها، وفيها عيون وحشيش وأشجار كثيرة فسبحان من لا تحصى نعمه.

• فصل: فى حيوان هذا البحر:

ذكر أبو حامد الأندلسى فى كتاب «العجائب» الذى ألفه للوزير ابن هبيرة عن سلام الترجمان رسول الخليفة إلى ملك الخزر. قال: أقمت عند ملك الخزر أياما ورأيت أنهم اصطادوا سمكة عظيمة جدا وجذبوها بالحبال فانفتحت أذن السمكة وخرجت منها جارية بيضاء حمراء طويلة الشعر حسنة الصورة فأخرجوها إلى البر وهى تضرب وجهها وتنتف شعرها وتصيح، وقد خلق الله تعالى فى وسطها نشاء كالثوب الصفيق من سرتها إلى ركبتها كأنه إزار مشدود على وسطها فأمسكوها حتى ماتت.

ومنها: **التنين العظيم**: ذكروا أنه يرتفع من هذا البحر تنين عظيم شبه السحاب الأسود والناس ينظرون إليه، زعموا أنها دابة تؤذن دواب البحر فيبعث الله إليه سحابا يخرجه من البحر ويحتمله وهو على صورة حية سوداء لا يمر ذنبها على شىء من شجر أو بناء عظيم إلا هدته، وربما تتنفس فتحرق الشجر فيلقيها إلى يأجوج ومأجوج وتكون لهم غذاء. وعن ابن عباس رضى الله عنه نحو هذا.

ولنختم **هذا الفصل بحكاية عجيبة**: وهى أن كسرى أنوشروان لما فرغ من سد بليخ وأحكمه سر بذلك سرورا شديدا وأمر بنصب سريره على السد ورقى على السرير وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يارب الأرباب أنت ألهمتنى سد هذا الثغر وقمع العدو فأحسن الموهبة إلى وعزنى وسجد سجدة أطالها، ثم استوى على فراشه واستلقى وقال: الآن استرحت يعنى من سطوة الخزر ومقاساة الترك ثم أغفى فطلع طالع من البحر سد الأفق بطوله وارتفعت معه غمامة سدت الضوء فتبادرت الأساورة إليه، فانتبه أنوشروان

وقال: ما شأنكم؟ قالوا الذى ترى، فقال: أمسكوا عن سلاحكم لم يكن الله عز وجل يلهمنى الشغل اثنى عشر عاما وستة أشهر وتهده بهيمة من بهائم البحر، فنحى الأساورة وأقبل الطالع نحو السد حتى علاه. ثم قال: أيها الملك أنا من سكان البحر رأيت هذا الثغر مسدودا سبع مرات فأوحى الله تعالى أن ملكا عصره عصرك وصورته صورتك يسد هذا الثغر فينسد أبدا وأنت ذلك الملك فأحسن الله معونتك ثم غاب عن البصر كأنه طار فى الجو أو غاص فى الماء، والله الموفق.

* * *

القول فى حيوان الماء

حيوان الماء على قسمين: منه ما ليس له رئة كأنواع السمك فإنه لا يعيش إلا فى الماء ومنه ما له رئة كالضفدع فإنه يجمع بين الماء والهواء، فأما التى لا تعيش إلا فى الماء فلا حاجة لها إلى استنشاق الهواء لأن البارى تعالى لما خلقها فى الماء جعل حياتها منه وجعلها على طبيعة الماء وركب أبدانها تركيبا بحيث يصل إليها برد الماء وروح الحرارة الغريزية التى فى بدنها وينوب عن استنشاق الهواء فلذلك تراها لا صوت لها لفقد الرئة التى لا حاجة لها إليها. والحكمة الإلهية اقتضت أن يكون لكل حيوان أعضاء كثيرة مختلفة وكل حيوان يكون أنقص فهو أقل حاجة ثم اقتضت أن لكل حيوان أعضاء مشاكلة لبدنه ومفاصل مناسبة لحركاته وجلودا صالحة لوقايته فجعل أبدان حيوان الماء إما صدفية صلبة لا يعمل فيها الشىء الحاد أو فلوسية أو ما شاكلهما غطاء ووقاية من العاهات العارضة: وجعل لبعضها أجنحة وأذنابا تسبح بها فى الماء كما يطير الطير فى الهواء، وجعل بعضها آكلا وبعضها مأكولا وجعل نسل المأكول أكثر لبقاء أشخاصها، فسبحانه ما أعظم شأنه.

* * *

ولنذكر:

بعض حيوان الماء وعجائبه وخواصه على ترتيب حروف المعجم

والله أعلم بالصواب.

● **أرنب البحر:** هو حيوان رأسه كرأس الأرنب وبدنه كبدن السمك. وقال الشيخ الرئيس ابن سينا: هو حيوان صدفى إلى الحمرة، ما بين أجزائه شبيه بورق الأشنان ينفى

الكلف والبهق، ورأسه تحرق لتنبت الشعر فى داء الثعلب سيما مع شحم الدب.

● **إليس:** نوع من السمك عظيم جدا وحيوانات الماء كلها تصطاد إلا هذه السمكة. من خواصه أنه لو شوى وأطعم شخصان منه وكان بينهما خصومة شديدة تبدلت بالمحبة.

● **إنسان الماء:** يشبه الإنسان إلا أن له ذنبا، وقد جاء شخص بواحد منه فى زماننا فى بغداد فعرضه على الناس وشكله على ما ذكرناه، وقد ذكر أنه فى بحر الشام ببعض الأوقات يطلع من الماء إلى الحاضر إنسان ذو لحية بيضاء يسمونه شيخ البحر ويبقى أياما ثم ينزل فإذا رآه الناس يستبشرون بالخصب. وحكى أن بعض الملوك حمل إليه إنسان مائى. فأراد الملك أن يعرف حاله فزوجه امرأة فجاء منها ولد يفهم كلام الأبوين، فقيل للولد ماذا يقول أبوك؟ قال: يقول أذناب الحيوانات كلها على أسافلها، ما بال هؤلاء أذنابهم على وجوههم.

● **بقرة الماء:** زعموا أنه حيوان يطلع إلى البر للرعى روثه عنبر والله أعلم بصحته فإن الناس ذهبوا إلى أن العنبر ينبت فى قعر البحر كالقير والنفط، فإن كان صحيحا فروث هذا الحيوان ينفع الدماغ والحواس والقلب، والله أعلم.

● **بال:** نوع من السمك عظيم يأكل العنبر فيموت، وقد ذكرناه فى بحر الزنج فلا نعيده وفى دماغه دهن كثير ويستعملونه لإشعاع السرج.

● **تمساح:** هو حيوان على صورة الضب من أعجب حيوان الماء له فم واسع وستون نابًا فى فكه الأعلى وأربعون نابًا فى فكه الأسفل. وبين كل نابين سن صغير مربع يدخل بعضه فى بعض عند الانطباق، ولسان طويل، وظهره كظهر السلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل رأسه ذراعان وغاية طوله ثمانية أذرع يحرك فكه الأعلى عند المضغ بخلاف سائر الحيوانات، ولا يقدر أن يلتوى ولا أن ينقبض لأنه ليس لظهره خرزات بل ظهره قطعة واحدة، وهو كريه المنظر جدا كثير العدوان يلتقم الآدمى والشاة ويقتل الخيل والجمال ولا يوجد إلا فى النيل ونهر السند، وإذا رأى إنسانًا على طرف الماء يمشى تحت الماء إلى أن يقرب منه ثم يثب وثبة واحدة يأخذه ويبيض كالطيور ويشم من بيضه رائحة المسك، وزبله يخرج من فيه إذ لا منفذ له، وإذا أكل يبقى فى خلل أسنانه شىء يتولد منه الدود فيخرج من الماء ويفتح فاه مستقبل الشمس فيأتيه طائر مثل الطيور ويدخل فاه ويلتقط ما فى خلل أسنانه، فإذا رأى صيادا رفرف وصاح وأخبر التمساح حتى يرجع إلى الماء فإذا أحس التمساح أنه نقى خلال أسنانه أطبق فاه على الطائر ليأكله، وقد خلق الله تعالى على رأس ذلك الطائر عظما أحد من الإبرة فيضرب

به حنك التمساح فيرفع حنكه فيطير الطائر، وإذا انقلب التمساح لم يستطع أن يتحرك، وإذا أراد السفاد خرج من النيل وأنثاه معه فيلقى الأنثى على ظهرها فإذا قضى وطره قلبها فإن تركها صيدت فإنها لا تقدر أن تنقلب.

فصل فى خواص أجزائه:

زعموا أن عينه تشد على صاحب الرمد يسكن وجعه فى الحال اليمنى على اليمنى واليسرى على اليسرى، وسنه الأيمن تعلق على الإنسان يزيد فى الباه وأول سن من جانب فكه الأيسر يشد على صاحب القشعريرة تذهب فى الحال، ومرارته يكتحل بها تزيل بياض العين، وشحمه يجعل ضماداً على عضته فإنه نافع فى الحال، وكبده يدهن به المصروع يزول ما به وزبله يزيل بياض العين اكتحالا، وجلده يشد على جبهة الكبش يغلب الكباش فى النطاح.

● **تنين:** حيوان عظيم الخلقة هائل المنظر طويل الجثة عريضها كبير الرأس براق العينين واسع الفم والجوف، كثير الأسنان يبلع من الحيوان كثيرًا يخافه حيوان البر والبحر، إذا تحرك يموج البحر لكثرة قوته: والتنين أول أمره يكون حية متمردة تأكل من دواب البر ما ترى فإذا عظم فسادها يبعث الله تعالى ملكا يحتملها ويقلبها فى البحر فتفعل بدواب البحر ما كانت تفعله بدواب البر ويعظم جسمها فيبعث الله تعالى ملكا فيحملها ويلقيها إلى يأجوج ومأجوج. وروى عن بعضهم: أنه رأى تنينًا سقط فوجد طوله نحو الفرسخين، ولونه مثل لون النمر مفلسًا كفلوس السمك، وله جناحان عظيمان على هيئة جناح السمك، ورأس مثل التل العظيم كرأس الإنسان، وأذنان طويلتان وعينان مدورتان كبيرتان جدًا، ويتشعب من عنقه ستة أعناق طوال كل عنق نحو عشرين ذراعًا على كل عنق رأس كرأس الحية.

أما خاصية أجزائه: فزعموا أن أكل لحمه يورث الشجاعة، ولحمه يوضع على عضه ينفع نفعًا بينًا، ودمه إذا طلى به على الذكر وجامع تحصل للمرأة لذة عظيمة.

● **جرّى:** هو الذى يقال له مارماهى، متولد من الحية والسمك. قال الجاحظ: إنه يأكل الجرذان وهو آكل لها من السنانير، وذلك أن جرذان السنانير تخرج بالليل إلى شارع البصرة للماء، والجرى قد يكمن لها واضعًا فاه على الشرعة فإذا دنا الجرذان إلى الماء التقمها. مرارته يسعط بها الفرس المجنون يذهب جنونه. ولحمه يجوّد الصوت وينفع قصبة الرئة، وإذا تضمد به أخرج السلاء من أعماق اللحم، وأكله يزيد فى الباه سيما الطرى.

● **جلكا:** نوع منه يشبه المارماهى يخرج من البرك والعنسى لطلب الغذاء، وإذا ذبح لا يخرج منه دم، وعظمه رخو يؤكل مع لحمه، ولحمه يسمن النساء إذا أكل وهو نعم العلاج لذلك.

● **دلفين:** حيوان مبارك إذا رآه أصحاب المراكب استبشروا، وذلك أنه إذا رأى غريقا فى البحر ساقه نحو الساحل وربما دخل تحته وحمله وربما جعل ذنبه فى يده ويمشى به إلى الساحل وقيل له جناحان طويلان فإذا رأى المركب تسير بقلوعها رفع جناحيه تشبيها بالمركب وينادى وإذا رأى الغريق قصده.

● **رعاد:** سمكة صغيرة مخدرة جدا إذا وقعت فى الشبكة والصياد ماسك حبل الشبكة يرتعد من برودة هذه السمكة، والصيادون يعرفون ذلك فإذا أحسوا به شدوا حبل الشبكة فى وتد أو شجرة حتى يموت فإذا مات بطلت خاصيته، وأطباء الهند يستعملونه فى الأمراض الشديدة الحر، وأما فى غير بلاد الهند فلا يمكن استعماله. وقال ابن سينا: الرعاد إذا قرب من رأس المصروع وهو حى أخدره عن الحس، وإذا علقت المرأة منه شيئا على نفسها لم يقدر زوجها على فراقها، والله الموفق.

● **دامور:** سمكة مباركة يحبها البحريون والصيادون إذا رأوها فى الشبكة أطلقوها، زعموا أن هذه السمكة تحب الإنسان، وإذا رأت مركبا فى البحر تمشى قدامه كالدليل، وإذا قصد السفينة شىء من الحيات الكبار تدخل فى أذنها وتشغلها عن السفينة بتحريك دماغها فالسمكة العظيمة تطلب حجرًا وتضرب رأسها عليه حتى تموت فإذا ماتت خرجت من دماغها.

● **سرطان:** هو حيوان لا رأس له وعينه على قفاه وفمه على صدره وله ثمانية أرجل يمشى على أحد جانبيه وفى كل سنة يسقط جلده سبع مرات، ولمكانه بابان أحدهما إلى الماء والآخر إلى اليبس فإذا انسلخ جلده يسد الباب الذى فى الماء لئلا يدخل بيته شىء من حيوانات الماء فى حال ضعفه وعجزه ويترك الباب الذى على اليبس مفتوحا ليهب الهواء منه، وإذا كثر وقوع الهواء عليه يصلب جلده ويعود إلى حاله فحينئذ يفتح باب الماء ويخرج منه، لطلب معاشه. وزعموا أنه إذا وجد سرطان ميت فى حفرة مستلقيًا على ظهره فى أرض أو قرية تأمن تلك البقعة من الآفات السماوية، وإذا علق على الأشجار يكثر ثمرها وما عليها من الثمار يبقى، ويذبح السرطان ويوضع على الجراحات تخرج النصول والشوك وينفع من لسع الحيات والعقارب، وإذا أحرق وشرب نفع من عضة الكلب، وإذا اكتحل به نفع من بياض العين ونزول الماء، وإذا أحرق وطلى به

يجلو الأسنان، ورماده يوضع على العضو يخرج منه النصل والشوك. قال ابن سينا: لحمه صالح للمسلولين جدًا سيما بلبن الأتن وينفع من نهش العقارب والرتيلاء، وعينه تشد على النائم يرى منامات صالحة، وإن كان به رمد زال عنه، وعيناه إن علقتا على شجرة لم يسقط ثمرها، وشوكه يدخن به تحت ذيل صاحب حمى الربع ويكرر ذلك سبع مرات يبرأ، ورجله يعلق على صاحب الخنازير مع الكافور والعنبر يدفع عنه الخنازير، وإذا علق رجل السرطان على أحد لم تعرض له الخنازير ما دامت عليه.

• **سرطان البحر:** هو حيوان عجيب الشكل كأنه خمس حيات برأس واحد، إذا أحرق بعظامه وسحق جلا البهق والكلف والأسنان، وينفخ فى عيون الدواب يزيل عنها البياض العارض، ويكتحل به مع الكحل يزيل الظفر. وقال ابن سينا: محرقه يجلو الأسنان ويجفف القروح وينفع من الجرب.

• **سقنقور:** قال ابن سينا: إنه ورل مائى يصطاد من نيل مصر. وقال غيره: إنه من نسل التمساح إذا وضع خارج الماء فما قصد الماء صار تمساحا وما قصد البر صار سقنقورا، وذكروا أنه إذا عض إنسانا غسل الإنسان معضه بريقه، فإن كان قبل عود السمك إلى الماء مات السمك، وإن كان بعد عوده إلى الماء مات الإنسان، وله قضيبان كما للضب. لحمه إذا أكل هيج قوة الباه، وكلما كان جسمه أكبر كانت خاصية لحمه أقوى، وشحمه يهيج الباه تهيجا لا يسكن إلا بحسو مرق الخس والعدس، وخرزته الوسطى التى فى صلبه إذا علقها الإنسان على صلبه هيجت به الباه.

• **سلحفاة:** حيوان برى وبحرى. أما البحرى فقد يكون عظيما جدا حتى تظن أصحاب المراكب أنه جزيرة. وحكى بعض التجار قال: وجدنا فى وسط البحر جزيرة مرتفعة عن الماء فيها نبات أخضر، فخرجنا إليها وحفرنا للطبخ إذ تحركت الجزيرة فقال الملاحون: هلموا إلى مكانكم فإنها سلحفاة أصابها حرارة النار لئلا تنزل بكم، قال: وكان من عظم جسمها ما شابه جزيرة، واجتمع التراب على ظهرها بطول الزمان حتى صار كالأرض ونبت. قالوا: إذا أراد الذكر السفاد والأنثى لا تطاوعه يأتى الذكر بحشيشة فى فمه. من خاصيتها أن حاملها يكون مقضى الحاجة فعند ذلك تطاوعه الأنثى، وهى حشيشة تسميها العجم مهركياه لكن الناس لا يعرفونها، وإذا باضت صرفت همتها إلى بيضها محاذية له ولا تزال كذلك حتى يخلق الله الولد فيها إذ لابد لها أن تحضن البيض حتى يدرك بحرارتها فإن أسفلها صلب لا حرارة فيه، وربما تقبض السلحفاة على ذنب الحية وتمضغ من ذنبها والحية تضرب بنفسها على ظهر السلحفاة

حتى تموت. قال بليناس الحكيم: إذا قلبت السلحفاة على ظهرها فى مكان فيه البرد لا يقع فى ذلك المكان من البرد ضرر.

أما خواص أجزائها: فعينها تشد على صاحب الرمد فيبرأ، وقالوا: كل عضو من أعضاء السلحفاة إذا شد على مثله من أعضاء الإنسان وكان وجعا أبرأه، ورجلها تشد على المنقرس اليمنى على اليمنى واليسرى على اليسرى تنفعه، ودمه يطلى به على العانة والإبط بعد ما ينتف ما عليه مرتين أو ثلاثا لا ينبت شعرها وتأثيرها فى النساء أقوى، ومرارة البحرى أقوى منها تخلط بعسل النحل الشهد تمنع من نزول الماء إذا اكتحل بها وتزيل البياض والكدورة وتصلح للخناق شربا، وإذا وضعت على منخر المصروع نفعته، وظهرها إذا اتخذ منه مكبية ووضعت على رأس القدر لم تغل أصلا، وبيضها إذا سقى من صفرته ثلاث مثاقيل باللبن الحليب نفع من السعال الشديد.

● **سمك:** أصناف السمك كثيرة جدا ولكل صنف اسم خاص، منها ما لا يدرك الطرف أولها وآخرها لعظمها، ومنها ما لا يدركه الطرف لصغرها. وحكى بعض التجار قال: مرت بنا سمكة وانتهى ذنبها بعد أربعة أشهر. وذكروا أن السمكة إذا باضت تأتى إلى ماء ضحضاح وتحفر فيه حفرة وتبيض فيها وتغطيها بالطين فتفقس فيها بإذن الله تعالى. وأما خاصيته: فأما السكران الثمل إذا شمه يرجع إليه عقله ويزول سكره. وقال ابن سينا: لحم السمك نافع لماء العين ويحد البصر مع العسل. وقال غيره: يزيد فى الباه ويخصب البدن، ومرارة السمك إذا شربت تنفع الخناق، وكذلك إذا نفخت فى الحلق مع شيء من السكر، والله أعلم.

● **شبوط:** نوع من السمك مشهور طوله ذراع وعرضه أربع أصابع طيب اللحم جدا يكثر منه بدجلة. ذكر بعض الصيادين: أن الشبوط ينتهى إلى الشبكة فلا يستطيع الخروج منها فيعلم أنه ليس ينجيه إلا الرسوب فيتأخر قاب رمح ثم يقبل جامزا بجراميزه حتى يثب فربما كان وثوبه فى الهواء أكثر من عشرة أذرع فيخرق الشبكة ويخرج منها.

● **شفنين:** حيوان بحرى تسمى بهذا الاسم وله جمة وشكل عجيب وجمته منقلبة إلى خلاف الناحية التى ينبت منها قشره، تدلك به السن يسكن وجعها فى الحال.

● **صيرة:** سمكة صغيرة يسميها أهل الشام بهذا الاسم، يتخذ منه المرى ويتمضمض به صاحب القلاع الخبيث ينفع نفعًا بينا.

● **ضفدع:** حيوان برى وبحرى له عينان بارزتان غاية البروز وحاسة سمعه وبصره حادة جدا. عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ «لا تقتلوا الضفدع

فإنها مرت بنار إبراهيم عليه السلام فحملت فى أفواهها الماء وكانت ترشه على النار». وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما «لا تقتلوا الضفدع فإن نقيقهن تسبيح» وأول نشء الضفدع أن تظهر فى الماء شبه معى رقيق وترى فى الماء شبه حب أسود كالدخل فإذا امتلأ ذلك الوعاء من ذلك الحب خرجت منه كالدغموص ثم بعد أيام تنبت منه اليدان والرجلان. قال الشيخ الرئيس: إذا كثرت الضفادع فى شىء من السنين على خلاف العادة وقع الوباء عقيبه، والضفدع كثير النقيق بالليل فإذا رأى النهار ترك النقيق. وقال بعضهم: إذا ألقى فى النبيذ يموت، وإذا ألقى فى الماء عادت حياته. قال الجاحظ: الضفدع لا يمكنه النقيق إلا إذا كان حنكه الأسفل فى الماء، فإذا صار الماء فى فمه صاح، ولهذا لا تصيح الخارجات عن الماء، وضفدع البر أخضر وهو سم، من سقى منه فسد مزاجه وينتفخ بطنه ويعرض له الاستسقاء، وإذا وضع على الثآليل قلعها، وإذا شق بطنه ووضع على لسعة الحية ينفعها نفعا بينا. وقال الشيخ الرئيس: الضفادع الإجامية الخضرة والبحرية تورث من شربها كمودة اللون وظلمة البصر ونتن الفم والدوار أيضا ويعرض له اختلاط العقل،ومن سلم منها تسقط أسنانه. قال الجاحظ: إن الأشد فى مناقع المياه والآجام تأكلها أشد أكل. قال بليناس: إن جعلت ضفدعا فوق قدر تغلى زال غليانها، وإن علق على صاحب حمى الربع برئ.

ومن خواصه العجيبة: ما ذكر أن الضفدع إذا أخذ فقد نصفين من رأسه إلى أسفله وتنظر إليه امرأة غلبت شهوتها وكثر ميلها إلى الرجال فإن شهوتها تنكسر.

وأما خواص أجزائه: فإن لسانه إذا جعل فى الخبز ويطعم من اتهم بالسرقة أقر بها، وإن وضعه على امرأة نائمة تكلمت بما عملت فى اليقظة وهى نائمة، وأطرافه تحرق بنار القصب ويطلى برمادها الموضع الذى ينبت عليه الشعر فإن الشعر لا ينبت عليه، ودمه يطلى به على الموضع الذى نتف شعره فإنه لا ينبت. وقال بليناس: من لطخ به وجهه أحبه كل من يراه، شحمه يوضع على اللثة يسقط السن بلا وجع.

ولنختم خواص الضفدع بحكاية عجيبة: وهى أنى كنت بالموصل وبنى صاحب الموصل فى بستان مجلسا وبركة وتوالدت الضفادع فيها وكان نقيقها يؤذى سكان المجلس طول الليل، فقال الأمير: دبروا دفع هذا النقيق فما أفاد شيئًا حتى جاء رجل وقال: اجعلوا طشتا على وجه الماء مكبوبا، ففعلوا فلم يسمع بعد ذلك شىء من النقيق أصلا.

● **علق:** حيوان أسود اللون بقدر إصبع الخنصر يوجد فى المياه يستعمل فى المعالجات، فإن الأطباء إذا أرادوا إخراج الدم من موضع مخصوص أخذوا هذا الحيوان

فى قطعة طين وقربوه من العضو فإنه يتشبث به ويمص الدم منه، وإذا أرادوا سقوطه رشوا عليه ماء الملح فإنه يسقط فى الحال، وربما يكون العلق فى الماء يشربه الحيوان يتشبث العلق بحلقه فطريقه أن يدخن بوبر الثعلب فإذا أصابها دخانه سقط فى الحال، وإن دخنت البيت بالعلق هلك ما فيه من الأنحل والبق والبعوض وأمثاله، وإذا ترك العلق فى قارورة حتى يموت ثم يسقى وينتف الشعر ويطلى به موضعه فإنه لا ينبت الشعر بعد ذلك أبدا.

● **قطا:** صنف من الدواب الصدفية يوجد ببلاد الهند فى المياه القائمة المنبثة للناردين، ويوجد بأرض بابل أيضا، وهو من أعجب الحيوانات، له بيت صدفى يخرج منه وجلده أرق شىء وله رأس وأذن وعينان وفم، فإذا دخل فى بيته يحسبه الإنسان صدفة، وإذا خرج منه ينساب على الأرض ويجر بيته معه فإذا جفت المياه فى الصيف تجمع، ورائحته عطرة لأن هذا الحيوان يرتعى الناردين، وإذا بخر بها ينفع من الصرع، وإذا أحرق يجلو رماده الأسنان، وإذا نثر على حرق النار وترك حتى يجف عليه نفع نفعا بينا، والله الموفق.

● **فرس الماء:** قالوا: إنه كفرس البر إلا أنه أكبر عرقا وذنبا وأحسن لونا وحافره مشقوق كحافر بقر الوحش وجثته دون فرس البر وفوق الحمار بقليل، وربما يخرج هذا الفرس من الماء وينزو على فرس البر فيتولد منهما ولد فى غاية الحسن. حكى أن الشيخ أبا القاسم ويعرف بكركان رحمه الله وهو من مشايخ خراسان نزل على ماء وكان معه شجرة فخرج من الماء فرس أدهم عليه نقط بيض كالدراهم ونزا على الحجرة فولدت مهرا شبيها بالذكر عجيب الصورة، فلما كان ذلك الوقت عاد إلى ذلك المكان والحجرة والمهر معه طمعا فى مهر آخر. فخرج الفحل وشم مهره ثم وثب فى الماء ووثب المهر بعده، فكان الشيخ يعاود ذلك الموضع مع الحجرة فسمى أبا القاسم كركان. قال عمر بن سعد: فرس الماء بمصر يؤذن بطلوع النيل بإثر وطء فإنهم حيث وجدوا أثر رجله عرفوا أن ماء النيل ينتهى إلى ذلك الموضع.

أما خواص أجزائه: فسنه نافعة لوجع البطن ذكروا أن جمعا من السودان الذين يسكنون شاطئ النيل من الحبشة يشربون الماء المكدر ويأكلون السمك النىء فيصيبهم المغص فيشدون هذا السن على العليل فيزول عنه فى الحال. عظامه يخرق ويخلط بشحمه ويضمد به السرطان يردعه ويزيل أثره فى الحال. خصيته تجفف وتسحق وتشرب لنهش الهوام. جلده إن دفن وسط قرية لم يقع بها شىء من الآفات، ويحرق ويجعل

على الورم يسكن.

• **قاطوس:** سمكة عظيمة تكسر السفينة، والملاحون يعرفونها يتخذون خرق الحيض ويعلقونها على السفينة فإنها تهرب عنهم.

• **قطا:** سمكة عظيمة، ذكروا أن عظم ضلعه يتخذ قنطرة يعبر الناس عليها. شحمه إذا طلى به البرص يزول بإذن الله.

• **قندر:** برى وبحرى يكون فى الأنهار العظام فى بلاد إيسودون، ويتخذ من البر بيتا إلى جانب النهر ويجعل لنفسه فيه مكانا عاليا كالصفة ولزوجته دون الذى له بدرجة وعن شماله لأولاده وفى أسفل البيت لعبيده. ولمسكنه بابان، باب إلى البر وباب إلى البحر فإن جاءه العدو من جهة الماء أو طغا الماء خرج إلى البر وإن جاءه من جهة البر خرج إلى الماء يأكل لحم السمك وخشب الخليج، والتجار فى تلك البلاد يعرفون جلد الخادم والمخدوم لأن الخادم يجذب خشب الخليج فتسقط طاقات جلده.

أما خواص أجزائه: فخصيته تسمى الجند بيد ستر تنفع من ريح أم الصبيان إذا سقى منه قدر حبة الجلبان وهو مجرب وينفع أيضا من الفالج واللقوة والنسيان والرياح الغليظة كلها. قال الشيخ الرئيس: إنه ينفع من القروح القتالة والرعشية والتشنج والكزاز والخدر والفالج، وينفع من النسيان ويخرج المشيمة والجنين، وهو نافع من لسع الهوام.

• **قنفذ الماء:** هو حيوان مقدمه يشبه القنفذ البرى ومؤخره يشبه السمك، لحمه طيب الطعم يدر البول. جلده ينفع الجرب إذا طلى به، زعموا أنه إذا أخذ طائر أسفيدرون وشد عليه من جلد هذا السمك فإن الهوام تموت من صوته والسباع تهرب.

• **قوقى:** صنف من السمك عجيب جدًا على رأسه شوكة قوية يضرب بها. حكى الملاحون: أن هذه السمكة إذا جاءت رمت نفسها إلى شىء من الحيوان ليبلعها ثم إنها تضرب بشوكتها أحشاءه حتى تهلكه، وربما تخرج من شق بطنه وتتغذى به هو وغيره، وإذا قصدها قاصد فى الماء تضر به بالشوكة تهلكه، ولعلها تضرب السفينة بالشوكة فتفتحها وتغرق أهلها وتأكل منها، والملاحون لما عرفوا ذلك ألبسوا السفينة جلد ذلك السمك الذى تقدم ذكره فإن شوكتها لا تعبر عليه.

• **كلب الماء:** حيوان مشهور يداه قصيرتان ورجلاه أطول منها. ذكروا أنه يلطخ بدنه بالطين ليحسبه التمساح طينا ثم يدخل جوفه ويقطع أحشاءه ويأكلها ثم يمرق ويخرج منه، ولذلك من كان معه شحم كلب الماء يأمن غائلة التمساح. وذكر بعضهم: أن جند بيد ستر خصية هذا الحيوان، وأن الذكر لا يصلح جلده لفراء وإنما الأنثى جلدها جيد

والذكر لا يصلح إلا لخصيته، والصيادون إذا ظفروا به سلوا خصيته وسيبوه، فإن وقع فى الشبكة مرة أخرى يرفع للصياد رجليه ليعلم أن خصيته قد نزعتا ليخلصه من الشبكة.

أما خواص أجزائه: فإن دماغه ينفع من ظلمة العين اكتحالا، ومرارته قدر عدسة منها سم قاتل. وقال ابن سينا: خصيته تنفع من نهش الهوام مجرب لريح أم الصبيان إذا سقى قدر حبة الجلبان، وجلده يتخذ منه جورب يلبسه المنقرس يزول عنه بإذن الله تعالى، والله الموفق.

● **كوسج:** صنف من السمك معروف طولها مقدار ذراع لها أسنان كأسنان الناس يضرب بها الحيوان يقطعه وأكثرها بقرب البصرة. قال الجاحظ: فى جوف الكوسج شحمة طيبة يسمونها الكبد فإن اصطادوا هذه السمكة ليلا وجدوا هذه الشحمة وافرة، وإن اصطادوها نهارًا لم يجدوا تلك، وقد مر ذكر كوسج فى بحر فارس فلا نعيده.

* * *

النظر الخامس: فى كرة الأرض

الأرض جسم بسيط طباعه أن يكون باردا يابسًا متحركا إلى الوسط. زعموا أن شكل الأرض كرة والقدر الخارج من الماء جذبته لأن القوم اعتبروا خسوفا واحدًا فوجدوه فى البلاد الشرقية والغربية مختلف الأوقات، فلو كان طلوع القمر وغروبه فى وقت واحد بالنسبة إلى الأماكن لما اختلف، وإنما خلقت باردة يابسة للغلظ والتماسك إذ لولا ذلك لما أمكن قرار الحيوان على ظهرها وجذوب المعادن والنبات فى بطنها، وهى مركز الأفلاك، واقفة فى الوسط بإذن الله تعالى، والماء محيط بها إلا القدر البارز الذى جعله الله تعالى مقرًا للحيوان، وبعد الأرض من السماء من جميع جهاتها متساوية ليس شىء من ظاهر الأرض أسفل كما توهم كثير من الناس ممن ليس له دراية بالهيئة والهندسة. ثم إن الإنسان فى أى موضع وقف على سطح الأرض فرأسه أبدًا مما يلى السماء ورجله أبدا مما يلى الأرض وهو يرى من السماء نصفها، وإذا انتقل إلى موضع آخر ظهر له من السماء بقدر ما خفى من الجانب الآخر لكل تسعة وعشرين فرسخا درجة، والبحر المحيط الأعظم أحاط بأكثر وجه الأرض والمكشوف منها قليل على مثال بيضة غائصة فى الماء، وانكشف بعضها وعلى المنكشف منها الجبال والتلال والوهاد، ولها منافذ وخلجان وأنهار وبطائح وآجام وغدران وما فيها قدر شبر إلا وهناك معدن أو نبات أو حيوان و!

يعلم تفصيلها إلا الله ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الانعام:٥٨].

* * *

فصل: فى اختلاف آراء القدماء فى هيئة الأرض

قال بعضهم: إنها مبسوطة التسطيح فى أربع جهات المشرق والمغرب والجنوب والشمال. وقال بعضهم: هى كشكل الترس. ومنهم من زعم أنها كهيئة الطبل، وذهب آخرون إلى أنها كنصف الكرة والذى يعتمد عليه جماهيرهم أن الأرض مدورة كالكرة موضوعة من جوف الفلك كالمحة فى جوف البيضة، وأنها فى الوسط على مقدار واحد من جميع الجوانب، ومن القدماء من أصحاب فيثاغورث من قال: الأرض متحركة دائما على الاستدارة، والذى نرى من دوران الفلك إنما هو دور الأرض لا دور الكواكب، وقال بعضهم: إنها واقفة فى الوسط على مقدار واحد من كل جانب والفلك بها من كل وجه فلذلك لا تميل إلى ناحية من الفلك دون ناحية لأن قوة الأجزاء متكافئة، مثل ذلك حجر المغناطيس الذى يجذب الحديد لأن فى طبع الفلك أن يجتذب الأرض وقد استوى الجذب من جميع الجهات فوقعت فى الوسط، ومنهم من قال: إنها مدورة واقفة فى الوسط وسببه دوران الفلك وسرعة حركته ودفعه إياها من كل جهة إلى الوسط، كما أنه لو جعل تراب أو حجر فى قارورة مدورة وأديرت فى الخرط بقوة قام التراب أو الحجر فى الوسط، والله الموفق.

* * *

فصل: فى مقدار جرم الأرض ومعمورها وخرابها

قال أبو الريحان: طول قطر الأرض بالفراسخ ألف ومائة وثلاثة وستون فرسخا وثلثا فرسخ، ودورها بالفراسخ ستة آلاف وثمانمائة فرسخ، فعلى هذا يكون مساحة سطحها الخارج سبعمائة وثمانية وخمسين ألفًا ومائتين واثنين وأربعين فرسخًا وخمسى فرسخ. وقال المهندسون: لو حفر فى الوهم وجه الأرض لأدى فى الوهم إلى الوجه الآخر ولو نقب بأرض فرسخ مثلا لنفذ بأرض الصين، واحتجوا على هذا ببراهين هندسية، واعتبرت مساحة الأرض فى زمن أمير المؤمنين المأمون بارتفاع قطب معدن النهار فكان نصيب كل درجة فلكية ستة وخمسين ميلا وثلثى ميل.

فصل: فى أرباع الأرض وعمارتها

قال أبو الريحان: سطح معدل النهار يقطع الأرض بنصفين على دائرة تسمى خط الاستواء فيسمى أحد نصفيها شماليا والآخر جنوبيا، وإذا توهمت دائرة عظيمة على الأرض مارة على قطب خط الاستواء قسمت كل واحد من نصفى الأرض بنصفين فانقسم جملتها أرباعا: جنوبيان وشماليان، فالربع الشمالى المسكون يسمى ربعا معمورا، وهذا الربع يشتمل على ما يعرف ويسلك من البحار والجزائر والجبال والأنهار والمفاوز والبلدان والقرى، إلا أنه بقى منه قطعة غير معمورة من إفراط البرد وتراكم الثلوج.
وقال غيره: معدل النهار يقطع الأرض بنصفين كل نصف بربعين شماليين وجنوبيين فالشماليان هما المعمورة وهو من العراق إلى الجزيرة والشام ومصر والروم وفرنجة ورومية والسوس إلى جزائر السعادات فهذا الربع غربى شمالى، ومن العراق إلى الأهواز والشمال وخراسان وتبت إلى الصين إلى واقرها فهذا الربع شرقى شمالى، وكذلك النصف الجنوبى ربعان شرقى جنوبى فيه بلاد الزنج والحبشة والنوبة وربع غربى جنوبى لم يطأه أحد البتة وهو متاخم للسودان الذين يتاخمون البربر. وحكى أن بطليموس الملك اليونانى بعث إلى هذا الربع قوما ليبحثوا عن بلاده، فذهبوا وبحثوا عن أهل بلاده ثم انصرفوا وأخبروا أنه خراب يباب ليس فيه عمارة ولا حيوان فسمى هذا الربع الخراب، وقيل الربع المحترق.

* * *

فصل: فى أقاليم الأرض

واعلم أن الربع المسكون قد قسم سبعة أقسام كل قسم يسمى إقليما كأنه بساط مفروش من المشرق إلى المغرب طوله وعرضه من جهة الجنوب إلى جهة الشمال وهى مختلفة الطول والعرض، فأطولها وأعرضها الإقليم الأول فإن طوله من المشرق إلى المغرب نحو من ثلاثة آلاف فرسخ وعرضه من الجنوب إلى الشمال نحو من مائة وخمسين فرسخا، وأقصرها طولا عرضها الإقليم السابع فإن طوله من المشرق إلى المغرب نحو من ألف وخمسمائة فرسخ وعرضه من الجنوب إلى الشمال نحو من سبعين فرسخا. وأما سائر الأقاليم التى بينهما فيختلف طولها وعرضها بالزيادة والنقصان. ثم إن هذه الأقسام ليست أقساما طبيعية لكنها خطوط وهمية وضعها الملوك الأولون الذين

طافوا بالربع المسكون من الأرض ليعلم بها حدود البلدان والممالك مثل أفريدون وإسكندر وأردشير.

* * *

فصل: فيما يعرض للأرض من الزلزلة والخسف

زعموا أن الأدخنة والأبخرة الكثيرة إذا اجتمعت تحت الأرض ولا يقاومها برودة حتى تصير ماء وتكون مادتها كثيرة لا تقبل التحليل بأدنى حرارة ويكون وجه الأرض صلبا لا يكون فيها منافذ ومسام فالبخارات إذا قصدت الصعود ولا تجد المسام والمنافذ تهتز منها بقاع الأرض وتضطرب كما يضطرب بدن المحموم عند شدة الحمى بسبب رطوبات عفنة احتبست فى خلال أجزاء البدن فتشتغل فيها الحرارة الغريزية فتذيبها وتحللها وتصيرها بخارا ودخانا فيخرج من مسام جلد البدن فيهتز من ذلك البدن ويرتعد، ولا يزال كذلك إلى أن تخرج تلك المواد فإذا خرجت يسكن، وهذه حركات بقاع الأرض بالزلزال فربما ينشق ظاهر الأرض ويخرج من الشق تلك المواد المحتبسة دفعة واحدة، والله أعلم.

* * *

فصل: فى صيرورة السهل جبلاً والبر بحرا وعكسهما

قالوا: إذا امتزج الماء بالطين وكان فى الطين لزوجة وأثرت فيه حرارة الشمس مدة طويلة صار حجرا كما ترى النار إذا أثرت فى اللبن صلبتها وجعلتها آجرًا فإن الآجر نوع من الحجر إلا أنه رخو وكلما كان تأثر النار فيه أكثر كان أشبه بالحجر فزعموا أن تولد الجبال من اجتماع الماء والطين وتأثير الشمس. وأما سبب ارتفاعها وشموخها فجاز أن يكون بسبب زلزلة فيها خسف فتخفض بعد الأرض وترفع بعضها ثم المرتفع يصير حجرا لما ذكرنا، وجاز أن يكون السبب أن الرياح تنقل التراب من مكان إلى مكان فتحدث تلال ووهاد ثم يتحجر بسبب ما قلنا. وذكر صاحب علم المجسطى أن فى كل ست وثلاثين سنة ينتقل أوجات الكواكب ويدور فى البروج الاثنى عشر دورة واحدة فإذا انتقلت من الشمال إلى الجنوب تختلف مسامات الكواكب ومطارح شعاعاتها على بقاع الأرض فيختلف بها الليل والنهار والشتاء والصيف والحر والبرد ويتغير أرباع الأرض فيصير العمران خرابا والخراب عمرانا والبرارى بحرا والبحار برارى والسهول جبالا والجبال سهولا.

وأما صيرورة الجبال سهولا: فإن الجبال من شدة إشراق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها بطول الزمان تنشف رطوبتها وتزداد يبسا وجفافا، وتتكسر خاصته عند الصواعق فتصير أحجارًا وصخورا ورمالا، ثم إن السهول يحملها إلى بطون الأنهار والأودية ثم تحملها بشدة جريانها إلى البحار فتنبسط فى قعرها ساقا بعد ساق بطول الزمان ويتلبد بعضها فوق بعض فيحصل فى البحار جبال وتلال، كما يتلبد من هبوب الرياح دعاص الرمل فى البرد ولذلك قد يوجد فى الأحجار إذا كسرت صدفة أو عظم وذلك بسبب اختلاط طين هذا الموضع بالصدف والعظم، وقد يصير البحر يبسا واليبس بحرا لأنه كلما انطمت قطعة من البخار على الوجه الذى ذكرناه فالماء يرتفع ويطلب الاتساع على سواحله ويغطى بعض البر بالماء له، ولا يزال كذلك حتى تصير مواضع البر بحرًا وهكذا لا تزال الجبال تتكسر وتصير حصى ورمالا يحملها سيول الأمطار مع طين ممرها إلى قعر البحار، وينعقد فيها كما ذكرناه حتى يستوى مع وجه الأرض فيجف وينكشف، وينبت العشب عليها الأشجار فتصير مسكنا للسباع والوحوش فيقصده الناس لطلب المنافع من الصيد والحطب وغيرهما فيصير مسكنا للناس موضعا للزرع والغرس فيصير مدنا وقرى، فسبحانه ما أعظم شأنه.

* * *

فصل: فى فوائد الجبال وخواصها وعجائبها

أما فائدتها العظمى فما ذكره الله تعالى فى كتابه ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل:١٥]. وقال بعضهم: لو لم تكن الجبال لكان وجه الأرض مستديرا أملس فكان مياه البحار تغطيها من جميع جهاتها وتحيط بها إحاطة كرة الهواء بالماء فبطلت الحكمة المودعة فى المعادن والنباتات والحيوانات فاقتضت الحكمة الإلهية وجود الجبال لما ذكرناه من الحكمة. وقال بعضهم: إن الجبال لوجود الماء العذب السائح على وجه الأرض الذى هو مادة حياة النبات والحيوان وذلك لأن سبب هذا الماء انعقاد البخار فى الجو فيصير سحابا، والجبال الشامخة الطوال فى المشرق والمغرب والجنوب والشمال تمنع الرياح أن تسوق البخار بل تجعلها منحصرة حتى يلقحها البرد فيصير مطرا أو ثلجا، فلو فرضت الجبال مرتفعة على وجه الأرض لكانت الأرض كرة لا غور فيها ولا نتوء، والبخار المرتفع لا يبقى فى الجو منحصرا إلى وقت يضربه البرد بل يتحلل ويستحيل هواء فلا يجرى الماء على وجه الأرض إلا قدرا ينزل مطرا ثم تنشفه الأرض، فيعرض

من ذلك أن الحيوان والنبات يعدم الماء فى الصيف عند شدة الحاجة إليه كما فى البادية البعيدة، فاقتضى التدبير الإلهى وجود الجبال ليحصر البخار المرتفع من الأرض من أغوارها ويمنع من السيلان ويمنع الرياح أن تسوقها كما يمنع السقف الماء فيبقى محفوظا إلى أن يلحقه البرد زمان الشتاء فيجمده ويعصره فيصير ماء ثم ينزل مطرا وثلجا، والجبال فى أجرامها مغارات وأهوية وأوشال وكهوف فيقع على قللها الأمطار والثلوج وينصب إلى تلك المغارات والأوشال وتبقى بها مخزونة، وتخرج من أسافلها من منافذ ضيقة وهى العيون فساحت منها المياه على وجه الأرض فينتفع بها النبات والحيوان، وما فضل ينصب إلى البحار فإذا فنى ما استفادته من الأمطار والثلوج لحقها نوبة الشتاء فعادت إلى مكان ما؛ ولا يزال دأبها كذلك إلى أن يبلغ الكتاب أجله.

* * *

ولنذكر:

بعض الجبال وخواصها العجيبة
مرتبا على حروف المعجم إن شاء الله تعالى

● **جبل أولشان:** بأرض الروم، فى وسط هذا الجبل درب فيه دوران من اجتاز فيه وهو فى حال اجتيازه يأكل الخبز بالجبن ويدخل من أوله ويخرج من آخره لا يضره عضة الكلب، وإن عض إنسانا غيره يعبر بين رجلى هذا المجتاز يأمن غائلته وهذا أمر مشهور عندهم.

● **جبل أبى قبيس:** مطلّ على مكة، يزعم الناس أن من أكل عليه الرأس المشوى يأمن من أوجاع الرأس، وكثير من الناس يفعلون ذلك.

● **جبل أروند:** مطل على همذان خضر نضر. دخل رجل من همذان على جعفر الصادق رضى الله عنه فقال له: من أين أنت؟ قال: من همذان. قال: أتعرف جبلها أروند؟ قال: نعم، إن فيها عينا من عيون الجنة، وأهل همذان يرون أنها الماء الذى على قلة الجبل وذلك أن ماءها يخرج فى وقت من أوقات السنة معلوم ومنبعه من شق فى صخرة؛ وهو ماء عذب شديد البرد لا يجد شاربه منه ثقلا، فإذا جاوزت أيامه المعدودة انقطع إلى وقته من العام الآخر لا يزيد ولا ينقص، وهو شفاء للمرضى يأتونه من كل وجه. قالوا: إنه يكثر إذا كثر الناس ويقل إذا قلوا.

● **جبل أروند أيضًا:** جبل آخر فيه بسيستان فيه ماء ينبت فيه قصب كثير فما كان من

القصب فى الماء فهو كالحجر وما كان خارج الماء فهو قصب وما سقط من ذلك القصب فى الماء يصير حجرا. وكذلك لو كان قشرا أو ورقا هكذا ذكره صاحب «تحفة الغرائب».

• **جبل أسبرة:** بناحية الشاش بما وراء النهر، ومنها قال الإصطخرى: هناك جبال فيها منافع كثيرة من النفط والحديد والنحاس والآنك والصفر والفيروز والذهب، وفيها حجر كله أسود مثل الفحم ويحترق مثل الفحم يباع منه وقور وقران بدرهم فإذا احترق اشتد بياضًا، وماؤه يستعمل فى تبييض الثياب ولا يعرف مثله من المواضع أصلا.

• **جبل التر:** على ثلاث فراسخ من قزوين شامخ جدًا لا تخلو قلته من الثلج لا صيفا ولا شتاء وعليه مسجد يأوى إليه الأبدان والناس يقصدونه للتبرك، ويتولد من ثلجه دود أبيض إذا غرزت فيه بأدنى شىء يخرج منه ماء أبيض صاف مقدار ما يروى دابة، وقال بعضهم: إنه ليس بحيوان.

• **جبل أندلس:** فى جبل منها غار لا ترى منه النار، وإذا أخذ فتيلة ودهنها وشدها على رأس خشبة طويلة ودخل الغار اشتعل، وبقرب هذا الجبل جبل آخر تشتعل النار على قلته بالليل والنهار يصعد منه دخان عظيم شديد الحرارة، وعلى جبل من جبالها عينان بينهما مقدار شبرين ينبع من أحدهما ماء شديد الحرارة ومن الآخر ماء بارد شديد البرد، والله أعلم.

• **جبل هجنة:** بتركستان على قلته شبه خرقات من الحجر وداخل الخرقات عين ينبع الماء منها وعلى الخرقات شبه كوة يخرج منها الماء وينصب من الخرقات إلى الكوة ومنها إلى الجبل ومن الجبل إلى الأرض، وتفوح من ذلك الماء رائحة طيبة، والله الموفق.

• **جبل البرانس:** بأندلس، وفيه معدن الكبريت الأحمر والأصفر ومعدن الزئبق وهو غزير جدًا يحمل إلى سائر الآفاق، وبه معدن الزنجفر وليس فى جميع الأرض يعرف إلا هناك.

• **جبل القدس:** قال صاحب «تحفة الغرائب»: بأرض القدس جبل فيه شبه بيت غار يمشى إليه الزوار فإذا أظلم الليل يضىء البيت ولا سراج فيه ولا كوة يدخل منها الضوء فيه من خارج.

• **جبل تحميد:** قال صاحب «تحفة الغرائب»: بأرض أندران جبل يقال له تحميد، وفيه قرية فى طريقها مضيق لو صاح المار فيه صيحة يهب فيه هواء لا يقدر الإنسان على الوقوف فيه.

● **جبل نيسون:** بين حلوان وهمدان جبل عال ممتنع لا ترتقى ذروته. قال مسعود ابن مهلهل: هو على فرسخ من قرمسين حفر فيه إيوان فيه صورة شبرين، خطه كسرى أبرويز على حائط الإيوان، وعلى وسط الإيوان صورة أبرويز على فرشه: سرير منحوت من حجر عليه درع كأنه من الحديد وقد ثبت بمسامير وردة وقد بولغ فى تجويدها إلى حد من يراه يحسب أنه متحرك، وبين يدى أبرويز رجل فى زى فاعل على رأسه قلنسوة وهو مشدود الوسط بيده مسحاة كأنه يحفر الأرض والماء يخرج من تحت رجله.

● **جبل ثبير:** بمكة بقرب منى، وهو جبل مبارك يقصده الزوار، وهو الذى أهبط عليه الكبش الذى جعله الله تعالى فداء لإسماعيل عليه الصلاة والسلام، والعرب تقول: أشرق ثبير كيما نغير.

● **جبل ثور الطحل:** بقرب مكة فيه الغار الذى كان رسول الله ﷺ مع الصديق رضى الله تعالى عنه لما خرجا من مكة مهاجرين، وقد ذكر الله تعالى ذلك فى كتابه العزيز حيث قال: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠].

● **جبل حراب:** بأرض الهند فى ذروته نار تتقد مقدار مائتى ذراع فى مثلها وبالنهار دخان حواليه منابت العطر يجلب منها إلى سائر الآفاق.

● **جبل جيش إرم:** فى بلاد طئ على ذروته مساكن لعاد إرم فيها صور منحوتة من الحجر لا يعرف حالها، والله أعلم بفائدتها.

● **جبل الجودى:** بقرب جزيرة ابن عمر من الجانب الشرقى استوت عليه سفينة نوح عليه الصلاة والسلام كما أخبر الله تعالى، وقد بنى فيه نوح عليه الصلاة والسلام مسجدا وهو باق إلى الآن تزوره الناس.

● **جبل جوشن:** فى يمين حلب فيه معدن النحاس الأحمر، قيل إنه بطل منذ عبر عليه الحسين رضى الله تعالى عنه وكانت زوجة الحسين رضى الله عنه حاملا فأسقطت هناك فطلبت منهم الماء فى ذلك الجبل فمنعوها وشتموها فدعت عليهم، فإلى الآن من عمل فيها لا يربح.

● **جبل الحارث والحويرث:** جبلان بأرمينية لا يقدر أحد على ارتقائهما. قال ابن الفقيه: كان على نهر الرس بأرمينية ألف مدينة فبعث الله إليهم نبيًا دعاهم إلى الله تعالى فكذبوه وعصوا أمره فدعا عليهم، فحول الله عليهم الحارث والحويرث من الطائف وأرسلهما عليهم فقالوا: إن أهل الرس تحت هذين الجبلين.

● **جبل حراء:** بمكة على ثلاثة أميال منها به غار كان رسول الله ﷺ قبل الوحى

يأتيه للخلوة فأتاه جبريل عليه السلام هناك وهو موضع مبارك يزوره الناس، والله أعلم.

• **جبل حودقور:** حدث أحمد بن يحيى التميمى أن فى ناحية قورشق فى جبل يقال له حودقور غور مقداره خمسة أرماح وعرضه قليل ينبت فيه دكة، فمن أراد أن يتعلم شيئا من السحر عمد إلى ماعز أسود ليس فيه شعرة بيضاء وذبحه وسلخه وقسمه سبعة أجزاء وأعطى جزءا منها للراعى المقيم بالجبل وستة أجزاء ينزل بها إلى الغار ويأخذ الكرش فيشقها وينطلى بما فيه ويلبس جلد الماعز مقلوبا ويدخل الغار ليلا، ومن شرطه أن لا يكون له أب ولا أم فإذا دخل الغار لم ير أحدا فينام، فإذا أصبح ووجد جسمه نقيا مما كان عليه كأنه مغسول دل على القبول، وإن أصبح بحاله دل على أنه لم يقبل فإذا خرج من الغار لم يحدث أحدا ثلاثة أيام بعد القبول فيصير ساحرًا وحودقور بين حضرموت وعمان.

• **جبل الحيات:** بأرض تركستان فيه حيات من نظر إليها يموت إلا أنها لا تخرج من ذلك الجبل البتة.

• **جبل دامغان:** جبل مشهور ودامغان بقرب من الرى، وعلى هذا الجبل عين ماء إذا ألقى فيها نجاسة تهب ريح قوية بحيث يخاف منها الهدم ذكره صاحب «تحفة الغرائب».

• **جبل نهاوند:** بقرب الرى يناطح النجوم ارتفاعا ويحكيها امتناعا. قال مسعود ابن مهلهل: إنه جبل شاهق لا يفارق أعلاه الثلج شتاء ولا صيفا ولا يقدر الإنسان أن يعلو ذروته. زعموا أن سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام حبس به ماردًا يقال له صخر، وذكروا أن أفريدون حبس به بنى راسف الذى يقال له الضحاك. قال: فصعدت الجبل إلى أن وصلت إلى نصفه بمشقة ومخاطرة بالنفس، وما أظن أحدا يجاوز هذا الموضع، الذى وصلت إليه رأيت عينا كبريت وحولها كبريت مستحجر إذا طلعت الشمس عليها التهبت وصارت نارا، وسمعت من أهل تلك الناحية يقولون إن النمل إذا أكثر جمع الحب على هذا الجبل يكون بعده جدب وقحط، وأنهم إذا دامت عليهم الأنداء والأمطار فصبوا لبن الماعز على النار انقطع. قال: فاعتبرت هذا فوجدتهم صادقين، وأنه ما يرى فى وقت من الأوقات قلة الجبل منحسرا عن الثلج إلا وقد وقعت فتنة وأهريقت الدماء من الجانب الذى يرى منحسرا، وهذه أيضا صحيحة بإجماع أهل تلك الناحية، وقال محمد بن إبراهيم الضراب: إن أبى عرف أن بجبل نهاوند الكبريت الأحمر فاتخذوا

مغارف حديد طول السواعد فذكروا أنه لا يقرب من ناره حديدة إلا ذابت فى ساعتها. وذكر أهل نهاوند أنه جاءهم رجل من خراسان ومعه مغارف حديد طوال مطلية بما عالجها بها وأخرج الكبريت منها لبعض الملوك. وذكر محمد بن إبراهيم أن الأمير موسى ابن حفص كان واليا على الرى إذ ورد عليه كتاب المأمون يأمر بالشخوص إلى نهاوند ويعرفه حال المحبوس به. قال: فوافينا القرية التى بحضيض الجبال ومكثنا أياما لا نرى الاهتداء حتى أتانا شيخ فعرفناه أمر الخليفة فقال: أما الوصول إلى ذلك المكان فلا سبيل إليه لكن إذا أردتم صحة ذلك أريتكم فاستحسن الأمير قوله فعند ذلك صعد الشيخ بين أيدينا وصعدنا خلفه وأوقفنا على موضع فبالغنا فى حفره حتى انكشف لنا عن بيت منقور من الحجارة، وفيه تمثال على صورة عجيبة يضرب بمطرقة على أعلاه ساعة بعد ساعة من غير فتور، فاستخبرنا الشيخ عن شأنه فقال: هذا طلسم ليبوراسف المحبوس هاهنا لئلا ينحل من وثاقه، ثم أمرنا أن لا نتعرض للطلسم وأن نرده إلى ما كان ففعلنا: ثم دعا بسلالم أطول ما يكون فأمر الأمير بإحضارها فشد بعضها إلى بعض حتى بلغ مدار مائة ذراع، ثم رفعها ونقب موضعها فظهر باب فوصلنا إلى أسكفته وعليها مسامير من حديد مذهبة كأن الصانع قد فرغ منها عن قريب، وفوق الأسكفة كتابة بالذهب تنطق بأن على هذه القبة سبعة أبواب من حديد على كل باب مصراع أربعة أقفال من حديد، وعلى العضادة مكتوب، هذا حيوان له أمد إلى غاية لا يتعرض أحد لهذه الأبواب فإن من فتحه يهجم على هذا الإقليم آفة لا تدفع، فقال الأمير: لا يتعرض أحد لشىء من هذا حتى نستأذن الخليفة فأمر برد البيت على ما كان واستأذن الخليفة فيه، فكتب المأمون إليه أن يترك ذلك على حاله والله تعالى الموفق للصواب.

• **جبل ربوة**، على فرسخ من دمشق. ذكر بعض المفسرين أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠] هو جبل عال على قلته مسجد حسن وهو فى بعض البساتين من جميع جوانبها الخضرة والأشجار والرياحين وللمسجد مناظر إلى البساتين، ولما أرادوا إجراء نهر بردى وقع هذا الجبل فى طريقه فنقبوا تحته وأجروا الماء فيه ويجرى على رأسه نهر يزيد وينزل من أعلاه إلى أسفله، وفى هذا الجبل كهف صغير زعموا أن عيسى عليه الصلاة والسلام ولد فيه، ورأيت فى هذا المسجد فى بيت صغير حجرا كبيرا ذا ألوان عجيبة حجمه كحجم صندوق وقد انشق نصفين وبين شقيه مقدار ذراع لم ينفصل أحد النصفين عن الآخر بل متصل به كرمان متشقق ولأهل دمشق فى ذلك أقاويل، والله أعلم بصحتها ولا ريب أنه شىء عجيب.

• **جبل رضوى:** قال عامر بن أصبع: هو من المدينة على سبعة مراحل وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية يرى من البعد أخضر وبه مياه وأشجار كثيرة. زعم الكيسانية أن محمد ابن الحنفية مقيم فيه وأنه حى وأنه بين أسد ونمر يحفظانه، وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ويعود بعد الغيبة يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وهو المهدى المنتظر، وإنما عوقب بهذا الحبس لخروجه على عبد الملك بن مروان وقتله أبى يزيد بن معاوية، وكان السيد الحميرى على هذا المذهب، وهو يقول:

ألا قل للوصى فدتك نفسى   أطلت بذلك الجبل المقاما

ومن رضوى يقطع حجر المسنّ ويرفع إلى جميع الآفاق، والله الموفق.

• **جبل الرقيم:** هو المذكور فى القرآن ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف:٩] قيل الرقيم اسم الجبل الذى كان فيه الكهف، وقيل اسم القرية التى كان أصحاب الكهف منها، والجبل بالروم بين عمورية ونيقية. روى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال: بعثنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه رسولا إلى ملك الروم أدعوه إلى الإسلام قال: فسرت حتى دخلت بلاد الروم فلاح لنا جبل أحمر. قالوا: إنه جبل أصحاب الكهف، فوصلنا إلى دير فيه وسألنا أهلها عنهم فأوقفونا على سرب فى الجبل فقلنا لهم: نحن نريد أن ننظر إليهم ووهبنا لهم هبة فدخلوا ودخلنا معهم فى ذلك السرب وكان عليه باب من حديد ففتحوه، فانتهينا إلى بيت عظيم محفور فى الجبل فيه ثلاثة عشر رجلا مضطجعين على ظهورهم كأنهم رقود على كل واحد منهم جبة غبراء وكساء أغبر قد غطوا بها رؤوسهم إلى أرجلهم، فلم نر ما بثيابهم من صوف أو وبر إلا أنها أصلب من الديباج وإذا هى تقعقع من الصفاقة، وعلى أكثرهم خفاف إلى أنصاف سوقهم منتعلين بنعال مخصوفة ولنعالهم وخفافهم من جودة الخرز ولين الجلود ما لم ير مثله فكشفنا عن وجوههم رجلا بعد رجل فإذا هم من وضاءة الوجوه وصفاء الألوان كالأحياء، وإذا الشيب قد وخط بعضهم وبعضهم شباب وبعضهم موفورة شعورهم وبعضهم مضمومة، وهم على زى المسلمين فانتهينا إلى آخرهم فإذا هو مضروب الوجه بالسيف كأنه ضرب فى يومه فسألناهم عن حالهم فذكروا أن قوما يدخلون عليهم فى كل عام يوما يجتمع أهل تلك النواحى عند باب هذا الكهف فيدخل عليهم من ينفض التراب عن وجوههم وجباههم وأكسيتهم ويقلم أظفارهم ويقص شواربهم ويتركهم على الهيئة التى ترونها، فقلنا لهم: هل تعرفون من هم وكم هم وكم مدة مالهم هاهنا؟ فذكروا أنهم يجدون فى كتبهم أنهم كانوا أنبياء

بعثوا فى زمان واحد وكانوا قبل المسيح بأربعمائة سنة، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن أصحاب الكهف سبعة: وهم مكسلمينا أمليخا مرطوكش نوالس أسانيوس بطنيوس أكشفوط واسم كلبهم قطمير.

• **جبال رانك:** قال صاحب «تحفة الغرائب»: إنها بأرض تركستان وهناك جمع من الترك يقال لهم رانك، وهم أناس ليس لهم زرع ولا ضرع وفى جبالهم ذهب وفضة كثيرة، وربما قطعوها كرأس شاة، فمن أخذ القطع الصغار ينتفع بها، ومن أخذ الكبار يموت هو وأهل البيت الذى يكون فيه تلك القطع الكبار وما يزال الموت فيهم حتى يردوها إلى مكانها، وإذا أخذ الغريب لا يضره.

• **جبل زغوان:** بقرب تونس وهو جبل منيف يرى من مسيرة أيام لعلوه ويرى السحاب دونه، وأهل أفريقية يقولون: فلان أثقل من جبل زغوان، وفيه قرى كثيرة ومياه وأشجار وثمار، وفيه مأوى الصالحين، وكثيرا ما يمطر سفحه ولا يمطر أعلاه؛ فمن كان بيته فى سفح الجبل يكون من شدة المطر ومن كان بيته فى أعلاه يكون من قلة الماء وكثرة العطش.

• **جبل ساوة:** هو جبل على مرحلة منها رأيته وهو شامخ جدا، فيه غار شبه إيوان يسع ألف نفس، وفى آخر الغار قد برز من سقفه أربعة أحجار شبيهه بثدى النساء يتقاطر الماء من ثلاثة والرابع يابس قالوا مصه كافر فيبس، وتحتها حوض يجتمع الماء فيه وماؤه طيب غير متغير مع طول وقوفه، وعلى باب الغار ثقب ذو بابين يدخلون من أحدهما ويخرجون من الآخر، زعموا أن من لم يكن له ولد يرشده لا يقدر على الخروج منها، ورأيت رجلا دخل فيها فما خرج إلا بعد جهد شديد، والله الموفق.

• **جبل سيلان:** وهو بقرب مدينة أردبيل بأذربيجان من أعلى جبال الدنيا، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الروم:١٧ - ١٩] كتب الله له من الحسنات بعدد كل ودق وثلج وقع على جبل سيلان، قيل: وما سيلان يا رسول الله؟ قال: جبل أرمينية وأذربيجان عليه عين من عيون الجنة وفيه قبر من قبور الأنبياء». قال أبو حامد الأندلسى: على رأس الجبل عين عظيمة ماؤها بارد جدا وحول الجبل عيون حارة يقصدها الناس، وفى حضيض الجبل حجر كثير وبينها حشيش لا يتناوله شىء من الحيوانات إلا مات من ساعته. قال: ولقد رأيت البهائم من الخيل والحمير والبقر والغنم يقصدونها فإذا قربت منها نفرت حتى العصافير قال: وفى سفح الجبل قرية اجتمعت بقاضيها وهو أبو الفرج

ابن عبد الرحمن الأردبيلى فسألته عن حال تلك الحشيشة فقال: إنها تحميها الجن، وذكر أنه بنى فى هذه القرية مسجدا فاحتاج إلى قواعد حجرية لأعمدة المسجد فأصبح وعلى باب المسجد قواعد من الصخر المنحوت محكمة الصنع من أحسن ما يكون.

● **جبال السراة:** حاجزة بين تهامة واليمن عظيمة الطول والعرض، وهى كثيرة الأهل والأنهار والأشجار، وبأسفلها الأودية تنصب إلى البحر، وكل هذه الجبال منابت القرظ، وفيها الأعناب وقصب السكر والأسجل، وفيها معدن البرام.

● **جبل السماق:** جبل عظيم من أعمال حلب يشتمل على مدن وقرى وقلاع أكثرها للإسماعيلية وهو منبت السماق وهو مكان نزوة ترابه طيب. ومن عجيب هذا الجبل أن فيه بساتين ومزارع ومياها عذبة فتنبت الحبوب والفواكه فى الحسن والطراوة كالمشقوق حتى المشمش والقطن والسمسم.

● **جبل سرنديب:** هو الجبل الذى أهبط عليه آدم عليه السلام وهو بأعلى الصين فى بحر الهركند ذاهب فى السماء يراه البحريون من مسافة أيام، وفيه أثر قدم آدم عليه السلام مغموسة فى الحجر، ويرى على هذا الجبل كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب، ولابد له فى كل يوم من مطر يغسل موضع قدم آدم عليه السلام. ويقال إن الياقوت الأحمر يوجد على هذا الجبل تحدره السيول والأمطار إلى الحضيض ويوجد به الماس أيضا وبه يوجد العود.

● **جبل سمرقند:** قال صاحب «تحفة الغرائب»: جبل سمرقند فيه غار يتقاطر الماء منه فى الصيف وينعقد جمدا، وفى الشتاء يكون حارا حتى لو أن أحدا غمس يده فيه احترقت.

● **جبل السم:** ذكر الهيجانى أن أهل الصين نصبوا من رأس جبل إلى رأس آخر قنطرة فى طريق حسن إلى تبت فإن من جاوزها يدخل فى هواء يأخذ بالأنفاس ويثقل اللسان ويموت من المارين كثير، وأهل تبت جبل السم.

● **جبل الشب:** بأرض اليمن على قلة الجبل ماء يجرى من كل جانب وينعقد حجرا قبل أن يصل إلى الأرض، والشب الأبيض اليمانى من ذلك.

● **جبل شبام:** قال محمد بن أحمد بن إسحاق الهمدانى: هو جبل بقرب صنعاء وبينها وبينه يوم واحد وهو صعب المرتقى ليس له إلا طريق واحد وذروته واسعة فيه ضياع كثيرة ومزارع وكروم ونخيل والطريق إليها فى دار الملك، وللجبل باب واحد مفتاحه عند الملك، من أراد النزول إلى السهل دخل إلى الملك وأعلمه بذلك ليأمره بفتح

الباب، وحول تلك الضياع والكروم جبال شاهقة لا مسلك فيها ولا يعلم أحد ما وراءها، ومياه هذا الجبل تنصب إلى سد هناك فإذا امتلأ السد ماء فتح فيجرى الماء إلى صنعاء ومخاليفها.

● **جبل شرق البعل:** فى طريق الشام من المدينة فيه بنيان عظيم للأصنام صنعوا فيها من النقوش العجيبة محفورة فى الحجر ما لا يأتى حفره فى الخشب مع علو سمكها وعظم أحجارها وطول أساطينها، وهو شىء عجيب إذا رآها الناظر يتحير فى صنعتها، والله أعلم بما كان فى غرضهم منها.

● **جبل شقان:** بخراسان. ذكر بعض فقهاء خراسان أن من داخله غار من دخله برئ من المرض أىّ مرض كان. وذكر أيضا أن به جبلا آخر من ارتقى ذروته لا يحس بشىء من هبوب الريح حتى يبقى بينه وبين أعلى ذروته ذراعان وهناك يحس بهبوب الريح.

● **جبل شكران:** بأرض شكران هو جبل ولست أدرى أنه بالأندلس أو باليمن على قلته شبه مسرجة من الحجر فى كل سنة لا يرى ثلاثة ليال على تلك المسرجة سراج مضىء ولا يقدر أحد على الصعود إلى مكان المسرجة لهبوب الريح العاصف لأنه عند وصوله إلى نصف الجبل ترميه الريح، وفى الليلة التى يرى فيها السراج على المسرجة ترى فى منارها شبه طاوس على تلك المسرجة ولا علم للناس بحقيقة ذلك، والله أعلم.

● **جبل الصور:** قال صاحب «تحفة الغرائب»: بأرض كرمان جبل من أخذ منه حجرا وكسره يرى فى وسطه شبه صورة إنسان قائما أو قاعدا أو مضطجعا، وإن دققت هذا الحجر ثم سحقته وحللته فى الماء حتى يرسب ترى فى الراسب مثل ما كان فى الحجر.

● **جبل الصفا:** بين بطحاء مكة والواقف على الصفا بحذا الحجر الأسود والمروة يقابله. قيل إن الصفا والمروة كانا اسمى رجل وامرأة زنيا فى الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين فوضعوا كل واحد على الحجر المسمى باسمه لاعتبار الناس، وجاء فى الحديث أن الدابة التى هى من أشراط الساعة تخرج من الصفا، وكان ابن عباس رضى الله عنهما يضرب عصاه على الصفا ويقول: إن الدابة تسمع قرع عصاى هذه.

● **جبل صقلية:** هو جبل فى وسط بحر المغرب. قال الحسن بن يحيى فى تاريخ صقلية: إنه جبل مطل على البحر ذروته ثلاثة أيام فيه أشجار كثيرة أكثرها البندق والصنوبر والأرزن وحوله أبنية كثيرة وفيها أصناف الثمار، وفى أعلاه منافس يخرج منها النار والدخان وربما سالت النار منه على بعض جهاته فتحرق جميع ما مرت عليه

فتجعله مثل خبث الحديد، وعلى قلة هذا الجبل السحاب والثلوج والأمطار أبدا صيفا وشتاء. وزعم أهل الروم أن الحكماء كانوا يدخلون إلى هذه الجزيرة للنظر إلى عجائبها واجتماع النار والثلج فيه. وفيه معدن الذهب وتسميه أهل الروم بجزيرة الذهب أو جبل الذهب.

• **جبلا الضلعين:** فى طريق مكة من البصرة يسمى أحدهما ضلع بنى مالك والآخر ضلع بنى سيصيان، وهم بطن من الجن كفار، فأما ضلع بنى مالك فيحل به الناس ويصطادون صيدها ويرعون كلأها، وأما ضلع بنى سيصيان فلا يصطاد صيدها ولا يرعى كلؤها، وربما مر عليها من لا يعرف حالها فأصابوا من كلئها أو من صيدها فأصابهم شرا فى أنفسهم وأموالهم ولم يزل الناس يذكرون كفرها ولا يريدون إسلام هؤلاء، ولهم حديث عجيب يأتى فى مقالة الجن إن شاء الله تعالى.

• **جبل طارق:** بطبرستان. ذكر أبو الريحان الخوارزمى فى الآثار الباقية من تصانيفه أن فى هذا الجبل مغارة فيها دكة تعرف بدكة سليمان بن داود عليهما السلام إذا لطخت بشىء من الأقذار تفتحت السماء ولا تزال تمطر حتى يزال القذر عنها.

• **جبل الطاهر:** بأرض مصر. قال صاحب تحفة الغرائب: على هذا الجبل كنيسة فيها حوض يجرى من الجبل ماء عذب على ذلك الحوض ويسمى ذلك الماء الطاهر، فإذا امتلأ الحوض ينصب الماء من جميع جوانبه فإذا ورد الحوض جنب أو حائض وقف الماء ولا يجرى حتى يراق ما فى الحوض وينظف تنظيفا جيدا وبعد ذلك يجرى الماء.

• **جبل طبرستان:** قال صاحب «تحفة الغرائب»: به حب شجر يسمى جوز ماثل، من قطعه ضاحكا وأكله غلب عليه الضحك، ومن قطعه باكيا وأكله غلب عليه البكاء، ومن قطعه راقصا فكذلك، فعلى أىّ صفة من قطعه وأكله تغلب عليه تلك الصفة.

• **جبل طورسيناء:** بقرب مدين بين الشام وبين قرى مدين، وقيل إنه بقرب أيلة كان عليه الخطاب لموسى عند خروجه من مصر مع بنى إسرائيل فكان إذا جاءه سيدنا موسى ينزل عليه غمام وهو عليه السلام يدخل فى ذلك الغمام ويكلمه ربه وهو الجبل الذى ذكره الله تعالى حيث قال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] والذى بقرب مدين لا يخلو من الصلحاء وحجارته كيف كسرت خرج منها صورة شجر العليق.

• **جبل طورهارون:** جبل مشرف على قبلى بيت المقدس، وإنما سمى طور هارون لأن موسى بعد قتل عبدة العجل أراد المضى إلى مناجاة ربه، فقال له هارون: احملنى معك فإنى لست آمنا أن يحدث ببنى إسرائيل حدث فتغضب علىّ مرة أخرى فحمله

معه، فلما كان ببعض الطريق إذا هما برجلين يحفران قبرا فوقفا عليه وقالا: لمن يحفران هذا القبر؟ فقالا لأشبه الناس بهذا الرجل، أشارا إلى هارون ثم قال له: بحق إلهك إلا ما نزلت هل هو واسع؟ فنزع هارون ثيابه ودفعها إلى موسى أخيه ونزل القبر ونام فيه فقبض الله روحه فى الحال وانضم القبر عليه، فانصرف موسى باكيا حزينا على مفارقته وانصرف إلى بنى إسرائيل بثياب هارون فاتهموه بقتله، فدعا الله تعالى حتى أراهم تابوته بين الصفا على رأس الجبل فسمى الجبل جبل هارون.

● **جبل الطير:** بصعيد مصر فى شرقى النيل بقرب أنصنا وإنما سمى بذلك لأن صنفا من الطير أبيض يقال له البوقير يجىء فى كل عام فى وقت معلوم فينعكف على الجبل. وفيه كوة يأتى كل واحد منها ويدخل رأسه فى هذه الكوة ثم يخرجه ويلقى نفسه فى النيل، ويقوم ويذهب من حيث جاء حتى يدخل واحد رأسه فيها فينقض على رأسه شىء من تلك الكوة فيضطرب ويبقى معلقا فيها إلى أن يتلف فيسقط نفسه من بعد مدة، فإذا كان ذلك انصرف الباقى لوقته فلا يرى شىء من هذا الطير فى هذا الجبل إلى ذلك الوقت المعلوم من العام القابل. قال أبو بكر الموصلى: سمعت من أعيان تلك البلاد أنه إذا كان العام مخصبا قبضت الكوة على طائرين وإن كان متوسطا فعلى واحد وإن كان مجدبا لم تقبض على شىء، والله أعلم بحاله.

● **جبل غزوان:** فى ذروة الطائف ليس بجميع الحجاز موضع أبرد منه. قالوا إن الماء يبرد فيه ومن هذا الجبل اعتدال هواء الطائف وليس بالحجاز موضع يجمد الماء به إلا غزوان.

● **جبلا غوير وكسير:** وهما جبلان فى وسط البحر بين عمان والبصرة عظيمان يخاف على المركب منهما صعب مسلكهما قلما ينجو منهما مركب، فلصعوبة المنجى منهما سموهما بهذا. يقولون: غوير وكسير وثالث ليس فيه خير.

● **جبل فرغانة:** قال صاحب «تحفة الغرائب»: إنه ينبت به نبات على صورة الآدمى منها على صورة الرجال، ومنها على صورة النساء يوجد مع الطرقيين كثيرا يتكلمون عليها ويقولون: أكلها يزيد فى الباه.

● **جبل قيلوان:** قال أبو الريحان الخوارزمى: إنه بقرب المهرجان فيه صفة محفورة والماء يترشح من سقفها دائما، وإذا برد الهواء جمد على شكل القضبان.

● **جبل قاسيون:** مشرف على دمشق، فيه آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومغارات وكهوف، منها مغارة تعرف بمغارة الدم. قالوا: فيها قتل قابيل هابيل، وهناك

حجر يزعمون أنه الحجر الذى فلق به هامته، وفيه مغارة أخرى يسمونها مغارة الجوع، يقولون: إنه مات فيها أربعون نبيا جوعا.

• **جبل قاف:** قال المفسرون: إنه جبل محيط بالدنيا وهو من زبرجدة خضراء منه خضرة السموات ووراءه عالم وخلائق لا يعلمهم إلا الله تعالى.

• **جبل فدفد:** بمكة، وهو من الجبال التى لا ترتقى ذروته، وفيه معدن البرام يحمل منه إلى سائر البلاد.

• **جبل قصران:** قال الشيخ الرئيس: إن العسل يقع بجبل قصران كما هو طلا ويختلف بحسب ما يقع عليه من الشجر والحجر، والظاهر منه يلقطه الناس والخفى يلقطه النحل.

• **جبل الكحل الإثمد:** بالأندلس بقرب مدينة بسطة: قالوا: إذا كان أول الشهر أخذ الكحل يخرج من نفس الجبل وهو كحل أسود، ولا يزال كذلك إلى نصف الشهر فإذا زاد على النصف نقص الكحل، ولا يزال يرجع الذى خرج إلى تمام الشهر، والله الموفق للصواب.

• **جبل كرنان:** عند ناحية المعادن جبال فيها صخور إذا اشتعلت فيها النار اتقدت كما يتقد الحطب.

• **جبل كلستان:** كلستان من قرى طوس. ذكر بعض فقهاء خراسان أن فى هذا الجبل كهفا شبه إيوان وفيه دهليز يمشى فيه الإنسان منحنيا مسافة ثم يظهر الضوء عن حظيرة محوطة فيها عين ينبع الماء منها وينعقد حجرا على شكل القضبان، وفى هذه الحظيرة ثقب يخرج منه ريح شديدة جدا لا يمكن دخوله لشدة هبوب الريح.

• **جبل الأرجان:** بأرض طبرستان، فيه ماء يتقاطر من الجبل من كل جبانة ومن كل قطرة ينعقد حجرا مسدسا أو مثمنا والناس يتخذون من الخرز.

• **جبل لبنان:** مطلّ على حمص، فيه الفواكه والزروع من غير أن يزرعها أحد يأوى إليه الأبدال لما فيه من القوت الحلال وفى تفاحه أعجوبة وهى أن يحمل من الشام ولا رائحة له حتى يتوسط نهر الثلج فإذا توسط النهر فاحت رائحة.

• **جبل المغناطيس:** قال المهلبى: جبال المغناطيس متصلة بجبال القلزم وقد علا الماء عليها، ولهذا المعنى لا يستعمل فى مراكب هذا البحر المسامير الحديد خوفا من جذب المغناطيس إياها.

• **جبل موركان:** بأرض فارس، فيه كهف يتقاطر الماء من سقفه. قالوا: إن دخل

الكهف واحد خرج من الماء ما يكفى الواحد وإن دخل ألف خرج من الماء ما يكفى الألف.

• **جبل الغار:** بأرض تركستان فيه غار من دخله من الحيوانات يموت فى الحال.

• **جبل نهاوند:** قال ابن الفقيه: على هذا الجبل طلسمان صورة ثور وسمك، يقال إنهما للماء حتى لا يقل، وماؤه ينقسم قسمين قسم يجرى إلى نهاوند والآخر إلى دينور.

• **جبل هرمز:** بأرض طبرستان جبل يسمى هرمز ينزل منه الماء وينصب إلى وهد فإذا صاح الإنسان صيحة يقف، وإذا صاح أخرى يسيل وهكذا جبل الهند. قال صاحب «تحفة الغرائب»: بأرض الهند جبل عليه صورة أسدين والماء يخرج من فمهما فيصير ساقيتين وعليهما شرب قريتين على كل ساقية قرية، فوقعت بين القريتين خصومة على الماء فكسروا فم إحدى الصورتين فانقطع ماؤه وخربت القرية، والله أعلم.

• **جبل واسط:** قال أحمد بن عمر العذرى: إنه بالأندلس بقرب سدونة فى هذا الجبل كهف فيه شق وفى الشق فأس حديد متعلق تراه العيون وتناله الأيدى، ومن أراد إخراجه لم يطق ذلك وإذا رفعته اليد ارتفع وغاب فى الشق ثم يعود إلى حالته. ذكر بعض مشايخ بسدونة: أن بعض الناس أوقد نارا عظيمة على هذه الصخرة ورش عليها الخل لتنفتح الصخرة ويخرج الفأس فما أفاد شيئا.

• **جبل بله سيم:** بل اسم ضيعة من ضياع قزوين، هناك جبل حدثنى من صعد هذا الجبل قال: عليه صور الحيوانات مسخها الله تعالى حجرا منها راع متكئ على عصا يرعى غنمه وامرأة تحلب بقرة وغير ذلك من صور الإنسان والبهائم كلها مسخت حجرا وأهل قزوين يعرفون ذلك، والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

فصل: فى تولد الأنهار

إذا وقعت الأمطار والثلوج على الجبال تنصب إلى المغارات وتبقى مخزونة فيها فى الشتاء فإذا كان فى أسفل الجبال منافذ ينزل الماء من الأوشال بتلك المنافذ فتحصل ومنها الجداول ينضم بعضها إلى بعض فيحدث منها أنهار وأودية، فإن كانت الخزانات فى أعلى الجبال فيستمر جريانها أبدا لأن مياهها تنصب إلى سفح الجبال ولا تنقطع مادتها لوصول مددها من الأمطار وإن كانت الخزانات فى أسافل الجبال فتجرى منها الأنهار عند

وصول مددها ثم ينقطع عند انقطاع المدد وتبقى المياه فيها واقفة كما ترى فى الأودية التى تجرى فى بعض الأيام ثم تنقطع لانقطاع مادتها.

قال صاحب «تحفة الغرائب»: إن فى هذا الربع المسكون مائتين وأربعين نهرا طوالا. منها طوله من خمسين فرسخا إلى مائة فرسخ إلى ألف فرسخ، ومنها يجرى من المشرق إلى المغرب، ومنها ما يجرى من المغرب إلى المشرق، ومنها ما يجرى من الشمال إلى الجنوب، ومنها ما يجرى من الجنوب إلى الشمال وكلها تبتدئ من الجبال وتنتهى إلى البحار والبطائح وفى ممرها تسقى المدن والقرى وما فضل ينصب إلى البحار ويختلط بالماء المالح والشمس تشرق فيها فيصعد بخارا وينعقد غيوما وتسوقها الرياح إلى الجبال والبرارى، وتمطر هناك وتجرى فى الأودية والأنهار وتسقى البلاد ويرجع فاضلها إلى البحر، ولا يزال هذا دأبها وتدور كالرحى فى الشتاء والصيف إلى أن يبلغ الكتاب أجله.

* * *

ولنذكر:

بعض الأنهار وخواصها وعجائب أحوالها وغرائب حيواناتها مرتبا على حروف المعجم

• **نهر إتل:** نهر عظيم يقارب دجلة فى بلاد الخزر مجيئه من أرض الروس وبلغار ومصبه بحر الخزر وقالوا: يتشعب من هذا النهر نيف وسبعون نهرا وعمقه يبقى كما كان لا يتغير لغزارة الماء فإذا انتهى إلى البحر يجرى فيه يومين فيغلب ماء البحر ويبين لونه من لون ماء البحر ويجمد فى الشتاء لعذوبته، وفى هذا النهر حيوانات عجيبة. ذكر أحمد بن فضلان رسول المقتدر بالله إلى بلغار قال: لما وصلت إلى بلغار سمعت أن عندهم رجلا عظيم الخلقة فسألت الملك عنه؟ فقال: نعم ما كان من أهل بلادنا. ومن خبره أن قوما خرجوا إلى نهر إتل وكان قد مد وطغى فقالوا: أيها الملك قد وقف على الماء رجل إن كان من أمة تقرب منا فلا مقام لنا فركبت معهم حتى صرت إلى النهر وإذا رجل طوله اثنا عشر ذراعا ورأسه كأكبر ما يكون من القدر وأنفه أطول من شبر وعيناه عظيمتان وكل أصبع منه شبر، فأقبلنا نكلمه وهو لا يزيد على النظر إلينا فحملته إلى مكانى وكتبت إلى أهل ويسو وبيننا وبينهم ثلاثة أشهر فعرّفونى أن هذا الرجل من يأجوج ومأجوج. قالوا يحول بيننا وبينهم البحر. قالوا: فأقام الرجل عندنا مدة ثم

أصابه فى نحره علة مات منها فخرجت ورأيت جثة هائلة جدا.

● **نهر أذربيجان:** قال محمد بن زكريا الرازى عن الجيهانى صاحب «المسالك والممالك الشرقية»: إن بأذربيجان نهرا يجرى ماؤه فيستحجر ويصير صفائح صخر يستعملونه فى البناء.

● **نهر أسفار:** قال صاحب «تحفة الغرائب»: بأرض أسفار نهر يجرى الماء فيه سنة ثم ينقطع ثمانى سنين ثم يعود فى التاسعة ثم ينقطع ثمانى سنين وهكذا دأبه.

● **نهر آنه:** قال العذرى صاحب «المسالك والممالك الأندلسية» يخرج هذا النهر يعرف بفج العروس ثم يفيض ويجرى تحت الأرض لا يبقى له أثر على وجه الأرض، ثم يجرى بقرية يقال لها آنه ثم يفيض ويجرى تحت الأرض ثم يبدو ثم يفيض بين ماردة وبطليوس ثم يبدو وينصب فى البحر.

● **نهر جيحون:** قال الإصطخرى: جيحون يخرج من حدود بدخشان ثم ينضم إليه أنهار كثيرة فى حدود الجبل ووحش فيصير نهرا ثم يمر على مدن كثيرة حتى يصل إلى خوارزم، ولا ينتفع به شىء من البلاد إلا خوارزم لأنها مستقلة به ثم ينصب فى بحيرة خوارزم بينها وبين خوارزم ستة أيام. وجيحون مع كثرة مائه يجمد فى الشتاء عند اشتداد البرد فيجمد أولا قطعا تجرى على وجه الماء ويلتصق بعضها ببعض حتى يصير جيحون سطحا واحدا، ثم يثخن ويصير ثخنه فى أكثر الأوقات خمسة أشبار والماء يجرى تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم آبارا بالمعاول ليستقوا منها لشربهم فإذا استحكم جموده عبرت عليه القوافل والعجلات المحملة، ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق ويتظاهر عليه الغبار ويبقى على ذلك شهرين، فإذا انكسر البرد عاد يتقطع قطعًا كما بدأ أول مرة إلى أن يعود إلى حاله الأول، وإنه نهر قتال قلما ينجو منه غريقه.

● **نهر حصن المهدى:** قال صاحب «تحفة الغرائب»: إنه بين البصرة والأهواز فى بعض الأوقات يرتفع منه شبه منارة يسمع منها أصوات الطبل والبوق ولا يعرف أحد سبب ذلك.

● **نهر جريح:** بأرض الترك فيه حيات إذا وقع عين أحد من الحيوان عليها يغشى عليه.

● **نهر دجلة:** هو نهر بغداد؛ مخرجه من أصل جبل بقرب آمد عند حصن ذى القرنين تجرى عين دجلة من تحته وهناك ساقية وكلما امتدت انضم إليها مياه جبال ديار بكر وآمد يخاض فيه الدواب ثم يمتد إلى مياه فارقين ثم إلى حصن كيفى ثم إلى جزيرة

ابن عمر ثم إلى الموصل وينصب فيه الرايات، ومنها يعظم إلى بغداد ثم إلى واسط ثم إلى البصرة ثم ينصب إلى بحر فاوس، وماء دجلة من أعذب المياه وأصفاها وأخفها وأكثرها نفعا لأن مجراه من مخرجه إلى مصبه فى العمارات وعن ابن عباس رضى الله عنهما: إن الله تعالى أوحى إلى دانيال عليه الصلاة والسلام أن احفر لعبادى نهرين واجعل مفيضهما البحر فقد أمرت الأرض أن تعطيك فأخذ خشبة يجرها فى الأرض والماء يتبعه، وكلما مر بأرض يتيم أو أرملة أو شيخ ناشده الله تعالى فيحيد الماء عنهم، قيل: دجلة والفرات من ذلك، ودجلة نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقها. حكى أنهم وجدوا فيها غريقا فأخذوه فإذا فيه رمق فلما رجعت إليه نفسه سئل عن حاله، وكان من موضع وقوعه إلى موضع نجاته مسيرة أيام.

● **نهر الذهب بالشام:** يزعم أهل حلب أنه وادى بطنان، ومعنى قولهم نهر الذهب لأن جميعه يباع أوله بالميزان وآخره بالكيل فإن أوله تزرع عليه الحبوب وتغرس عليه الأشجار وآخره ينصب إلى بطيحة فرسخين ينعقد ملحا، والعجب من هذا النهر أنه لا يضيع منه شىء بل يباع كله بالذهب.

● **نهر الرأس:** بأذربيجان شديد جرى الماء وبأرضه حجارة بعضها ظاهرة وبعضها مغطاة بالماء ولهذا ليس للسفن فيه مجرى وله أجراف هائلة ذات حجارة عظيمة لا مشارع لها. زعموا أنه من عبر الرأس بدجلة إذا مسح برجليه ظهر امرأة عسرت ولادتها تضع فى الحال، وكان بقزوين شيخ تركمانى اسمه الخليل كان يفعل ذلك. وزعموا أيضا أن نهر الرأس مسامح بالغرقى كثيرا ما ينجو غريقه. ومن العجائب ما ذكر ديسم بن إبراهيم صاحب أذربيجان. قال: كنت أجتاز على قنطرة الرأس بعسكرى فإذا صرت فى وسط القنطرة رأيت امرأة ومعها طفل فى قماطه فصدمتها دابة فرمتها فسقط الطفل من يديها فى النهر فوصل إلى الماء بعد زمان لبعد ما بين القنطرة وسطح الماء ثم غاص وطغا الماء يجرى به وسلم من الحجارة التى فى النهر، وللعقبان أوكار على أجراف النهر، فرآه عقاب فانقض عليه فرفعه وخرج به إلى الصحراء فأمرت جماعة بالركض فى أثر العقاب فإذا العقاب قد وقع على الأرض واشتغل بخرق القماط فأدركه القوم وصاحوا به وركضوا نحوه فطار وترك الطفل فوجدوه سالما يبكى فردوه إلى أمه.

● **نهر بين الموصل وأربل:** يبتدئ من أذربيجان وينصب فى دجلة يقال له الزاب المجنون لشدة جريانه، ولقد شربت من مائه وقت القيظ عند الظهيرة وكان باردا جدا وذلك لشدة جريه فإن الشمس لا تؤثر فيه حتى يسخن ماؤه.

• **نهر زرير ونهر أصفهان:** موصوف باللطافة والعذوبة يغسل فيه الثوب الخشن يصير لينًا مثل الحرير مخرجه من قرية يقال لها بياكان ويعظم بانضمام المياه إليه عند أصفهان ويسقى بساتينها ورساتيقها ثم يغور فى رمل هناك ويخرج بكرمان ثم ينصب فى بحر الهند. ذكر بعضهم: أنهم أخذوا قصبة وعملوها وأرسلوها فى موضع الغور فخرجت بكرمان.

• **نهر زوير:** بأذربيجان بقرب مزيد لا يخوضه الفارس فإذا وصل إلى قرب مزيد يجرى تحت الأرض أربعة فراسخ ثم يظهر على وجه الأرض، أخبر به الشريف محمد ابن ذى الفقار العلوى المزيدى.

• **نهر سنجة:** هو نهر عظيم بأرض مصر بين حصن المنصور وكيسوم لا يتهيأ خوضه لأن قراره رمل سيال، وعلى هذا النهر قنطرة، وهى إحدى عجائب الدنيا لأنها عقد واحد من الشط إلى الشط مقدار مائتى خطوة من حجر مهندم طول كل قطعة عشرة أذرع. وحكى أنه عندهم طلسم على لوح إذا غاب موضع من القنطرة أدلى ذلك اللوح على موضع العيب فينعزل الماء عنه فيصلح ثم يرفع اللوح فيعود الماء إلى حاله الأول، والله أعلم.

• **نهر شلف:** بإفريقية. حدثنى الفقيه سليمان المليانى: أن فى كل ستة أيام الورد يظهر فيه صنف من السمك يسمى الشبوق طيب اللحم إلا أنه كثير الشوك طوله قدر ذراع ويبقى شهرين، ويكثر صيدها فى هذا الوقت ويرخص ثمنها ثم ينقطع فلا يرى فيها شىء إلى العام القابل.

• **نهر صقلاب:** بأرض صقلاب فى كل أسبوع يجرى فيه الماء يوما واحدا ثم ينقطع ستة أيام ثم يجرى فى السابع وهكذا.

• **نهر طبرية:** نهر عظيم والماء الذى يجرى فيه نصفه حار ونصفه بارد لا يختلط أحدهما بالآخر، فإذا أخذ فى الإناء يبقى كله باردًا خارج النهر.

• **نهر العاصى:** نهر حماة وحمص، ومخرجه من قدس ومصبه البحر قرب أنطاكية، وإنما سمى العاصى لأن أكثر الأنهر تتوجه من نحو الجنوب هناك وهذا يتوجه من شمال.

• **نهر الفرات:** مخرجه من أرمينية ثم من قاليقلا قرب أخلاط ثم إلى ملطية ثم إلى سميساط ثم إلى الرقة ثم إلى غانة ثم إلى هيت ثم يصب فى دجلة بعدما يسقى المزارع والبساتين بهذه البلاد، والفاضل منها يصب فى دجلة بعضه وبعضه فى بحر فارس.

وللفرات فضائل كثيرة روى «أن أربعة أنهار من الجنة النيل والفرات وسيحان وجيحان» وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: يا أهل الكوفة إن نهركم هذا يصب إليه ميزابان من الجنة. وروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه: أنه شرب من ماء الفرات ثم ازداد وحمد الله تعالى وقال ما أعظم بركته لو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا على حافتيه القباب، ولولا ما يدخله من الخطائين ما اغتمس فيه ذو عاهة إلا برئ، وعن السدى أن الفرات مد فى زمن على رضى الله عنه فألقى رمانة عظيمة كان فيها كرحب فأمر المسلمين أن يقتسموه بينهم وكانوا يرون أنها من الجنة.

● **نهر القورج:** بين القاطول وبغداد. وكان سبب حفره أن كسرى لما حفر القاطول أضر بأهل الأسافل فخرج أهل تلك النواحى للظلم فوافوه وقد خرج متنزها فقالوا: جئناك متظلمين فقال: ممن؟ قالوا: منك، فثنى رجله ونزل عن دابته وجلس على الأرض، فأتى بشىء يجلس عليه فأبى أن يجلس على غير التراب إذ أتاه قوم للتظلم، ثم قال: ما مظلمتكم؟ قالوا حفرت القاطول وقطعت الماء عنا فخربت ديارنا، فقال: إنى لأسده ليعود الماء إليكم، قالوا: لا نجشمك ذلك لكن مر ليعمل لنا مجرى دون القاطول فعمل لهم مجرى بناحية القورج فعمرت بلادهم، وأما الآن فهو بلاء على أهل بغداد فإنهم يجتهدون فى سده وإحكامه فإذا زاد الماء تعدى إلى البلد.

● **نهر الكر:** بين أرمينية وأران، وهو نهر عظيم سليم، أكثر ما يقع فيه من الحيوان ينجو. حدثنى بعض فقهاء نقجوان قال: وجدت غريقا فى نهر الكر يجرى به الماء فبادر القوم إلى إمساكه فأدركوه وقد بقى منه رمق، فلما استقرت نفسه وسكن جأشه قال: أى موضع هذا؟ قالوا: نقجوان. قال: إنى وقعت فى الماء من الموضع الفلانى فكان بينه وبين نقجوان ستة أيام فطلب منهم طعاما فذهبوا لإحضاره فانقض عليه الجدار الذى كان قاعدا تحته، فتعجب القوم من مسامحة الماء وتعدى الجدار.

● **نهر الملك:** ببغداد مشتمل على كوة واسعة. قيل أول من حفره سليمان عليه السلام، وقيل حفره الإسكندر، وقيل حفره أردشير بن مامك وأخذ ملكه فقال: إنه يشتمل على ثلاثمائة وستين قرية على عدد أيام السنة، وإنما وضع هذا ليكون ذخيرة لقوت سنة كل قرية قوت يوم لو أجدبت غيرها من الأرض كما فعل يوسف عليه الصلاة والسلام بالفيوم بمصر.

● **نهر مهران:** بالسند عرضه كعرض جيحون يقبل من المشرق إلى المغرب حتى يقع فى بحر فارس أسفل الهند. قال الإصطخرى: مخرجه من ظهر جبل يخرج منه بعض

أنهار جيحون ويظهر بملطان ثم على المنصورة ثم يقع فى البحر، وهو نهر كبير جدا ماؤه عذب فيه تماسيح كما فى النيل، وإنه يرتفع ويمتد على وجه الأرض ثم ينصب فيزرع عليه مثل ما يزرع على النيل بأرض مصر. قالوا: إن تماسيح هذا النهر أصعب من تماسيح النيل وأصغر.

● **نهر مكران:** عليه قنطرة من الحجر قطعة واحدة من عبر عليها يتقيأ جميع ما فى بطنه بحيث لا يبقى فيه شىء، ولو كانوا ألوفا كان هذا حالهم، فمن أراد من الناس القىء عبر على تلك القنطرة.

● **نهر النيل:** ليس فى الدنيا نهر أطول من النيل لأنه مسيرة شهر فى بلاد الإسلام وشهرين فى بلاد النوبة وأربعة أشهر فى الخراب إلى أن يخرج ببلاد القمر خلف خط الاستواء، وليس فى الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال ويمد فى شدة الحر حين تنقص الأنهار كلها ويزيد بترتيب وينقص بترتيب غيره. وسبب مده أن الله تعالى يبعث الريح الشمال فيقلب عليه البحر المالح فيصير كالسكن له فيزيد فيعم الربى والتلال ويجرى فى الخلجان حتى يملأها، فإذا بلغ الحد الذى هو تمام الرى وحضر زمان الحراثة بعث الله الريح الجنوب فأخرجته إلى البحر وانتفع الناس بما أروى من الأرض. ولما كان زمان يوسف عليه السلام اتخذ مقياسا يعرف به قدر الزيادة والنقصان فيزرعون عليه فإذا زاد على قدر كفايتهم يستبشرون بخصب السنة وسعة الرزق، وذلك المقياس عمود قائم فى وسط بركة على شاطئ النيل لها طريق إلى النيل يدخلها الماء إذا زاد وعلى ذلك العامود خطوط معروفة عندهم يعرفون بوصول الماء إليه مقدار زيادته، فأقل ما يكفى أهل مصر لسنتهم أن يزيد أربعة عشر ذراعا، فإن زاد ستة عشر ذراعا زرعوا ما يفضل عن عامهم، وأكثر ما يزيد ثمانية عشر ذراعا والذراع أربعة وعشرون أصبعا.

وذكر عبد الرحمن بن عبد الحكم: أن المسلمين لما فتحوا مصر جاء أهلها إلى عمرو بن العاص رضى الله عنه وقالوا: أيها الأمير إن لبلادنا سنة لا يجرى النيل إلا بها، وذلك أنه إذا كان لاثنتى عشرة ليلة من شهر بئونة عمدنا إلى جارية بكر فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون وألقيناها فى النيل ليجرى، فقال لهم عمرو: إن هذا فى الإسلام لا يكون فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى والماء لا يجرى قليلا ولا كثيرا وهم الناس بالجلاء، فلما رأى عمرو ذلك كتب إلى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يعلمه بذلك، فكتب فى جوابه: أما بعد. فقد أصبت فى أن هذا فى الإسلام لا يكون وقد بعثت إليك ببطاقة فألقها فى داخل النيل، فإذا فى الكتاب.

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر:

أما بعد، فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وإن كان الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك، فألقى عمرو بن العاص البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء فأصبحوا يوم الصليب وقد أجرى الله تعالى النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة، فإذا استوى الماء كما ذكرنا عند المقياس كسر الخلجان حتى تمتلئ جميع الأرض من مصر وتبقى التلال والقرى عليها وسائر الأرض تكون فى البحر، فإذا استوفت الأرض الماء ورويت وزرعت عليها أصناف الزروع واكتفت بتلك الشربة لأنه كلما تأخر الوقت برد الجو فلا تنشف الأرض إلى أن يدرك الزرع وعاد الوقت يأخذ فى الحر والصيف حتى ينضج الزرع فيأخذوا فى حصادها وفى ذلك عبرة. ومن عجائب النيل السمك الرعاد والتمساح وقد ذكرناهما فى حيوان الماء، وفى النيل موضع يجتمع فيه السمك فى كل سنة يوما معلوما فالإنسان يصيد بيده ما يشاء ثم يفترق إلى ذلك اليوم من السنة القابلة.

• **نهر هند مند:** بسجستان نهر عظيم يقول أهل سجستان: إنه ينصب فيه ألف نهر ولا تتبين زيادة فى عموده وينشق منه ألف نهر ولا يظهر فيه نقصان وإنه فى الحالتين سواء.

• **نهر اليمن:** قال صاحب «تحفة الغرائب»: بأرض اليمن نهر عند طلوع الشمس يجرى من المشرق إلى المغرب وعند غروبها يجرى من المغرب إلى المشرق، والله تعالى أعلم.

* * *

فصل: فى تولد العيون والآبار وعجائبها

ذهبوا إلى أن فى جوف الأرض منافذ ومسام وفيها إما هواء أو ماء، فإن كان هواء يصير ماء بسبب برودة تلحقها، فإن كان أصابه مدد من جهة أخرى لا يسع ذلك الموضع تنشق الأرض إن كانت رخوة ويظهر على وجهها، وإن لم يكن لها قوة الخروج فيحتاج إلى أن ينحى عنه التراب حتى يظهر كماء القنوات والآبار، هذا إذا لم يكن لها مادة من البحار والأنهار والأوشال فإن كان لها مدد فسببها ظاهر.

وأما سبب اختلاف العيون فإن منها حارة وباردة وعفصية وشبية وأمثال ذلك، فإن المياه تسخن تحت الأرض فى الشتاء وتبرد فى الصيف بسبب أن الحرارة والبرودة ضدان

فى باطن الأرض لا يجتمعان فى مكان واحد وزمان واحد، فإذا جاء الشتاء برد الجو وفرت الحرارة إلى باطن الأرض والأمر فى الصيف بضد ذلك، فإن كانت مواضعها كبريتية بقيت الحرارة فيها دائمة بسبب المادة الكبريتية وهى مادة رطوبة دهنية، فإن أصابها نسيم الهواء وبرد الجو جمدت فصارت زئبقا أو قيرا أو نفطا أو شبا أو ملحا أو ما شابه ذلك بسبب اختلاف تراب بقاعها وتغيير أهوية أماكنها.

* * *

ولنذكر:

بعض العيون العجيبة ثم الآبار العجيبة مرتبة على حروف المعجم، والله الموفق

● **عين أذربيجان:** قال فى «تحفة الغرائب»: بأذربيجان عين ينبع الماء منها وينعقد حجرا والناس يتخذون قالب اللبن ويصبون من ذلك الماء عليه ويصبرون عليه يسيرا والماء فى القالب يصير حجرا.

● **عين أدربيهستل:** أدربيهستل ضيعة من ضياع قزوين على ثلاثة فراسخ منها، بها عين إذا شرب الإنسان من مائها أسهل إسهالا شديدا. ومن خواصها أن الإنسان يقدر أن يشرب منها عشرة أرطال ويقصدها فى كل يوم خلق كثير من النواحى لشربها لأجل الإطلاق. وإذا حمل من مائها إلى قزوين زالت خاصيته فلا يعمل شيئا، وسمعت أهل قزوين يقولون: بين هذه الضيعة وبين قزوين نهر إذا جاوز ذلك النهر بطلت خاصيته.

● **عين إسكندرية:** عين مشهورة فيها نوع من الصدف يطبخ ويؤكل لحمه ويشرب مرقه ينفع من الجذام ويبرئه، ويوجد فيها كل وقت لا يخلو عنه شىء من الأوقات.

● **عين إيلابستان:** قال صاحب «تحفة الغرائب»: إن بين إسفرايين وجرجان ضيعة تسمى إيلابستان بها عين ينبع منها ماء كثير، فربما ينقطع فى بعض الأوقات ويدوم انقطاعها أشهرا، فعند ذلك يخرج أهل الضيعة رجالها ونساؤها فى أحسن ثيابهم بالدفوف والشبابات والملاهى ويرقصون عند ماء العين ويلعبون فإن الماء ينبع ويجرى، وهو ماء كثير مقدار ما يدوّر رحوين.

● **عين بادحانى:** قال صاحب «تحفة الغرائب»: مكان بدمعان يسمى كهن به عين تسمى بادحانى، فإذا أراد أهل الضيعة هبوب الريح عند الدياس لتنقية الحبوب أخذوا خرقة الحيض ورموها فى تلك العين فيتحرك الهواء، ومن شرب من مائها ينتفخ بطنه،

ومن حمل معه شيئا من ذلك الماء إذا فارق منبعه يصير حجرا.

● **عين باميان**: قال فى «تحفة الغرائب»: بأرض باميان عين ينبع منها ماء كثير بصوت وجلبة ويشم منها رائحة الكبريت، من اغتسل به يزول جربه، وإذا ترك من ذلك الماء فى كوز وسد رأسه سدا وثيقا وتركته يوما يصير خاثرا شبه الخمير، وإذا عرضت عليه شعلة نار يشتعل، والله أعلم.

● **عين جاج**: قال فى «تحفة الغرائب»: إذا خرجت من جاج بقربها عقبة على رأسها عين ماء إذا كانت السماء مصحية لا ترى فيها قطرة ماء، وإذا كانت السماء مغيمة ترى العين مملوءة من الماء.

● **عين جاجرم**: هى منبع قناة بين جاجرم وأسفرايين، حدثنى بعض فقهاء خراسان أن من خاض فى مائها وبه جرب زال جربه، ويقصدها أصحاب الجرب للعلاج.

● **عيون جبال سيران**: بناحية باميال جبال فيها عيون لا تقبل شيئا من النجاسة، وإذا ألقى فيها شىء من النجاسة ماج وعلا نحو الملقى فإن أدركه أحاط به حتى يغرقه.

● **عين جبل ملطية**: حدثنى بعض التجار أن بقرب ملطية جبل فيه عين يخرج منها ماء عذب غزير شديد البياض يشرب الحيوان منه ولا يضره، فإذا جرى مسافة يسيرة ينعقد حجرا.

● **عين وادان**: عين فيها نبات، من غاص فيها يلتف عليه ذلك النبات يمسكه، وكلما سعى فى تخليص نفسه كان إمساكه له أشد، وإذا لم يسع فى التخليص انحل عنه يسيرا.

● **عيون دوراق**: حدثنى الشيخ عمر التسلمى أنها عيون كثيرة تنبع فى جبل كلها حارة، فربما يصعد منها دخان يلتهب فترى شعلته بيضاء وحمراء، صفراء وخضراء يجتمع فى حوضين أحدهما للرجال والآخر للنساء يقصدها الناس لدفع الأمراض البلغمية فمن نزل فيها يسيرا يسيرا انتفع به، ومن طفر فيها يحترق جميع بدنه ويتنفط، والله أعلم.

● **عين رأس الناعور**: بشرقى الموصل عين فى قرية تسمى زراعة بها عين فوارة غزيرة الماء ينبت فيها فى النيلوفر شىء كثير يباع بثمن جيد، ويدمن غلة تلك الضيعة.

● **عين نهاوند**: بقرب البحيرة المنتنة بأرمينية أجمة شريفة كثيرة المنفعة، وذلك أن الحيوان يغوص فيها وبه كلوم فتراه عن قريب قد اندملت قروحه والتحمت، ولو كان دونها عظام موهنة وأزجة كامنة وشظايا غامضة تنفجر أفواهها وتجتمع على النظافة

ويأمن الإنسان غائلتها.

• **عين زعر:** على طرف البحيرة المنتنة بينها وبين البيت المقدس ثلاثة أيام، وزعر اسم بيت لوط عليه السلام، وهى العين التى جاء ذكرها فى حديث الجساسة وعدها من أشراط الساعة.

• **عين سياه سنك:** قال صاحب «تحفة الغرائب»: بجرجان موضع يسمى سياه سنك به عين على تل تأخذ الناس ماءها لتشرب وفى الطريق إليها دودة فمن أخذ من ذلك الماء وأصابت رجليه تلك الدودة يصير الماء الذى معه مر فيبرد ويعود إليها مرة أخرى.

• **عين شميرم:** وهى ناحية بين أصفهان وشيراز بها مياه مشهورة وهى من عجائب الدنيا، وذلك أن الجراد إذا وقعت بأرض يحمل من ذلك الماء إليها بشرط أن لا يوضع الظرف الذى فيه ذلك الماء على الأرض ولا يلتفت حامله إلى ورائه فيتبع ذلك الماء من الطير الأسود عدد لا يحصى ويقتل الجراد وهذا مجرب، ولقد وقع بأرض قزوين جراد كثير وأكل جميع زرعها وباضت فبعث أهل قزوين لطلب هذا الماء فجاءوا به فجاء الطير خلفه وأكل الجراد جميعه.

• **عين شيركيران:** وهى من ضياع مراغة فيها عينان يفور منهما الماء وبينهما قدر ذراع ماء إحداهما فى غاية البرودة وماء الأخرى فى غاية الحرارة أخبر به الفقيه حسن المراغى.

• **عيون طبرية:** ذكروا أن هناك عيونا ينبع الماء منها سبع سنين متواليات ثم ييبس سبع سنين متواليات وهكذا على مرور الأيام.

• **عين العقاب:** قال صاحب «تحفة الغرائب»: بأرض الهند عين على رأس جبل إذا هرم العقاب تأتى به فراخه إلى هذه العين وتغسله فيها ثم تضعه فى شعاع الشمس، فإن ريشه يتساقط عنه وينبت له ريش جديد ويزول عنها الضعف ويرجع إليه القوة والشباب.

• **عين غرناطة:** قال أبو حامد الأندلسى: بقرب غرناطة من أرض الأندلس كنيسة عندها عين ماء وشجرة زيتون يخرج الناس إليها فى يوم معلوم من السنة يقصدونها، وإذا طلعت الشمس فى ذلك اليوم فاضت تلك العين بماء كثير، ويظهر على الشجرة زهر الزيتون ثم ينعقد زيتونا ويكبر ويسود فى يومه ويأخذ من الزيتون من قدر على أخذه وكذلك يأخذون من ماء تلك العين للتداوى، وهذا الحديث قرأته فى كتب عديدة.

• **عين عرنة:** بقرب عرنة عين إذا ألقى فيها شىء من القاذورات يتغير الهواء ويظهر البرد والريح العاصف والمطر ويبقى على تلك الحالة إلى أن تنحى النجاسة عنها. وذكروا أن السلطان محمود بن سبكتكين لما أراد فتح عرنة كان كلما قصدها بادر أهل عرنة إلى العين وألقوا فيها شيئا من القاذورات فلم يمكنه الإقامة هناك حتى عرف ذلك منهم فبعث للسلطان أولا على العين حفاظا ثم سار إليهم فلم ير شيئا مما كان يرى قبل ذلك ففتحها.

• **عين الفرات:** بقرب أرزن الروم، من اغتسل بمائها فى الربيع يأمن من أمراض تلك السنة.

• **عين قواور:** وهى بأرض خراسان. حدثنى بعض فقهاء خراسان وقال. من المشهور عندنا أن من اغتسل بالعين التى بقواور يزول عنه حمى الربع، والله أعلم.

• **عين القيارة:** بالموصل على مرحلة منها ينبع منها شىء كثير من القير ويحمل منها إلى سائر البلدان، يقصدها الناس من الموصل يستحمون بها ويستشفون بمائها.

• **عين المشقق:** وهو واد بالحجاز. قال ابن إسحاق: كان بها وشل يخرج منه ماء يروىّ الراكب والراكبين، فقال ﷺ فى غزوة تبوك «من سبقنا فلا يسقين منه شيئا حتى نأتيه فسبقه نفر من المنافقين فاستسقوا منها، فلما أتاها رسول الله ﷺ وقف عليها فلم ير فيها شيئا فقال: من سبقنا إلى هذه؟ فقالوا: فلان وفلان يا رسول الله، فقال ﷺ : أولم أنههم أن يسقوا منها شيئا، ثم نزل فوضع يده تحت الوشل وجعل يصب فى يده من الماء ما شاء الله ثم نضحه به ومسحه بيده ثم دعا بما شاء الله فانخرق من يده من الماء ما يسمع له حس كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم. فقال ﷺ : لئن بقيتم أو بقى منكم أحد ليسمعن بهذا الوادى وقد اخضر ما بين يديه وما خلفه» وكان كما قال رسول الله ﷺ .

• **عين منكور:** ذكر أبو الريحان الخوارزمى فى الآثار الباقية: أن ببلاد كيمال جبلا يسمى منكورا، وفيه عين فى حفرة على قدر ترس كبير وقد استوى سطح الماء مع حافتها فربما يشرب منه عسكر ولا ينقص أصبعا، وعند هذه العين صخرة عليها أثر رجل إنسان وأثر كفيه بأصابعهما وأثر ركبتيه كأنه كان ساجدا وأثر قدم صبى وأثر حوافر حمار ويسجد لها الأتراك للقربة.

• **عين منية هشام:** وهى قرية بأرض طبرية. حكى الثعالبى أن بها عينا يجرى ماؤها سبع سنين دائما ثم ينقطع سبع سنين دائما هكذا وذلك معروف.

● **عين النار:** بين أقشهر وأنطاكية. حدثنى من رآها قال: إذا غمست فيها قصبة احترقت. وقال: كنت مع السلطان علاء الدين كيخسرو عند اجتيازه بها فوقف عليها وأمر بتجربتها فكان صحيحا.

● **عين ناطول:** ناطول اسم موضع بمصر فيه غار وفى الغار عين ينبع الماء منها ويتقاطر على الطين فيصير ذلك الطين قارا. حكى بعضهم قال: رأيت من ذلك الطين قطعة نصفها قار والباقى طين.

● **عين نهاوند:** قال صاحب «تحفة الغرائب»: بأرض الجبال بقرب نهاوند عين فى شعب جبل من احتاج إلى الماء لسقى الأرض يمشى إليها ويدخل الشعب وعنده يقول بصوت رفيع: إنى محتاج إلى الماء ثم يمشى نحو زرعه فالماء يجرى نحوه، فإذا انقضت حاجته يرجع إلى الشعب عند العين ويقول: قد كفانى الماء؛ ويضرب برجله على الأرض فإن الماء ينقطع.

● **عين هرماس:** عين عجيبة بقرب نصيبين على مرحلة منها وهى مسدودة بالحجارة والرصاص لئلا يطلع منها ماء كثير فيغرق المدينة، وكان المتوكل على الله لما وصل إلى نصيبين سمع بأمر هذه العين وعجيب شأنها وكثرة مياهها أمر بفتحها ففتح منها شىء يسير فغلب عليه الماء غلبة شديدة فأمر بإحكامها وردها إلى ما كانت، فمن هذه العين يحصل نهر الهرماس فيسقى نصيبين، وفاضل مائها ينصب إلى الخابور ثم إلى الثرثار ثم إلى دجلة.

● **عين الهم:** قال صاحب «تحفة الغرائب»: إذا توجهت من طريق جهينة إلى جرجان ترى فى سفح جبل عينا يجتمع ماؤها فى غدير مقدار غاوة سهم فى غاوة سهم، وفى هذا الغدير شجرة ليس عليها غصن ولا لحى ترى بالليل كأنها تدور فى ذلك الغدير، وقد تختفى أربعة أشهر ولا علم لأحد بحالها ثم تظهر، وربما تتفق فى بعض الأوقات أن يكون مدة اختفائها سنتين ثم تظهر، وإذا كانت السنة مطيرة كان ظهورها أسرع، وفى بعض الأوقات شدوها بالحبال لما دنت مدة غيبتها شدا وثيقا فأصبحوا والحبال مقطعة والشجرة ذاهبة، فأخبر بذلك رافع بن هرثمة صاحب جرجان وخراسان فوكل بها من ينظر إليها لما دنت مدة غيبتها ليلا ونهارا فترقبوا أربعة أشهر ثم اتفق لهم غيبته فعادوا والشجرة قد ذهبت، لما أخبر بذلك رافع وكان فى عسكره غواص كوفى فأمره أن يغوص ويعرف حالها فغاص زمانا طويلا ثم خرج وقال: نزلت ألف ذراع وما رأيت لها أثرا، وتسمى هذه العين عين الهم، بينها وبين بحر السكون يوم.

● **عين ياسى جمن:** بين أخلاط وأرزن الروم موضع يقال له «ياسى جمن» به عين يفور الماء منها فورانا شديدا يسمع صوته من بعيد، وإذا دنا الحيوان منها يموت فى الحال فترى حولها من الطيور والوحوش موتى ما شاء الله تعالى، وقد وكلوا بها من يمنع الغريب عنها.

● **عين يل:** يل ضيعة من ضياع قزوين عندها جبل يخرج من شعب من شعابه ماء كثير حار جدا ويجتمع فى حوضين هناك، يقصدها الزمنى والجربى وأصحاب العاهات تنفعهم نفعا بينا وتسمى «يله كرمان» والله الموفق للصواب.

* * *

فصل: فى الآبار

أما الآبار فنقول وبالله التوفيق:

● **بئر أبى كنود:** بطرابلس من شرب من مائها يتحمق، يقال للرجل إذا أتى بما يلام عليه: لا نعتبك فإنك شربت من ماء أبى كنود.

● **بئر بابل:** قال الأعمش: قال مجاهد: يجب أن يسمع من الأعاجيب، وكان لا يسمع بشىء إلا صار إليه وعاينه فأتى بابل فلقيه الحجاج وقال: ما تصنع هاهنا؟ قال: لحاجة أن تسير إلى رأس الجالوت لتريني هاروت وماروت، فأرسل إلى رجل وقال: اذهب بهذا فأدخله على هاروت وماروت لينظر إليهما، فانطلق به حتى أتى موضعا وكان هناك يهودى عارف بذلك الموضع فسألاه أن يريهما فرفع صخرة فإذا شبه سرداب، فقال له اليهودى: انزل معى وانظر إليهما ولا تذكر اسم الله تعالى. قال مجاهد: فنزل اليهودى ونزلت معه فلم يزل يمشى حتى نظرت إليهما مثل الجبلين العظيمين منكوسين على رؤوسهما وعليهما الحديد من أعقابهما إلى ركبهما، فلما رآهما مجاهد لم يملك نفسه أن ذكر الله تعالى فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان ما عليهما من الحديد، فهرب اليهودى ومجاهد تعلق به حتى خرجا، فقال له اليهودى: أما قلت لك لا تفعل ذلك كدنا والله نهلك.

● **بئر بدر:** بين مكة والمدينة فى الموضع الذى كانت فيه الوقعة المباركة بين رسول الله ﷺ ومشركى مكة فقتلوا المشركين ورموهم فى البئر، فدنا منها رسول الله ﷺ وقال «يا عتبة يا شيبة هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فقيل يا رسول الله هل يسمعون كلامنا؟ فقال رسول الله ﷺ : لستم بأسمع منهم».

وحكى بعض الصحابة رضى الله تعالى عنه: أنه رأى فى اجتيازه هناك شخصا خرج من البئر هاربا فخرج عقبه آخر معه سوط فضربه ورده إليها.

● **بئر برهوت:** بئر بقرب حضرموت، وهى التى قال ﷺ «فيها أرواح الكفار والمنافقين» وهى بئر عادية فى فلاة وواد عظيم. وعن على رضى الله تعالى عنه: أبغض البقاع إلى الله تعالى وادى برهوت فيه بئر ماؤها أسود منتن تأوى إليها أرواح الكفار.

وحكى الأصمعى عن رجل من أهل حضرموت أنه قال: نجد من ناحية برهوت فى بعض الأوقات رائحة فظيعة منتنة جدا فيأتينا الخبر بموت عظيم من عظماء الكفار. وذكر أن رجلا بات بوادى برهوت قال: كنت أسمع طول الليل يا دومة يا دومة، فذكرت ذلك لرجل من أهل العلم فقال: إنه اسم الموكل بأرواح الكفار.

● **بئر بضاعة:** بالمدينة فى الخبر «أن رسول الله ﷺ أتى بئر بضاعة فتوضأ من الدلو وردها إلى البئر وبصق فيها وشرب من مائها فكان إذا مرض المريض فى أيامه ﷺ يقول: اغسلوه بماء بضاعة، فيغتسل فكأنما نشط من عقال» وقالت أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنها: كنا نغسل المرضى من بئر بضاعة ثلاثة أيام فيعافون.

● **بئر بنحن:** بقرب وادى زبيد مشهورة، وهى البئر التى حبس أفراسياب فيها «بنحن» مكبلا وأنزل على رأس البئر صخرة عظيمة فذهب إليه رستم مختفيا وسرقه وأتى به بلاد إيران، ولها قصة طويلة.

● **بئر قنصورة:** وهى جزيرة بأرض الهند يجلب منها الكافور القنصورى، فيها صنف من السمك إذا أخرجته من البئر يصير حجرا صلدا.

● **بئر جندق:** جندق قرية من أعمال مراغة يخرج منها حمام كثير. حدثنى بعض فقهاء مراغة: أنهم أرسلوا إليها رجلا ليعرف حال الحمام فنزل فى البئر حتى زاد الحبل على خمسمائة ذراع ثم أخرج فأخبر أنه لم ير من الحمام شيئا ورأى فى آخرها ضوءا وشيئا كثيرا من الحيوانات الموتى.

● **بئر دماوند:** بئر عميق بجبل دماوند يصعد منها بالنهار الدخان وبالليل النار، وإذا رميت فيها شيئا ينزل ويلبث ساعة ثم يرجع خارج البئر على الأرض.

● **بئر ذروان:** بالمدينة طب فيها رسول الله ﷺ فيما روى ابن عباس رضى الله عنهما «أن رسول الله ﷺ مرض مرضا شديدا، فبينما هو بين النائم واليقظان رأى ملكين أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه ما وجعه؟ قال: طب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودى. قال: وأين طبه

قال: فى كرمة تحت صخرة فى بئر كملى، فانتبه رسول الله ﷺ وقد حفظ كلام الملكين، فوجه عليا وعمارا مع جمع من الصحابة حتى أتوا بئر كملى وهو بئر ذروان، فنزحوا ماءها حتى انتهوا إلى الصخرة فقلبوها فوجدوا الكوبة تحتها وفيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة، فأحرقوا الكوبة وما فيها فزال عنه ﷺ وجعه كأنه نشط من عقال، فأنزل الله تعالى عليه المعوذتين إحدى عشرة آية على قدر عدد العقد» والله الموفق.

● **بئر زمزم:** فى الخبر «أن إبراهيم لما ترك إسماعيل وأمه هاجر بموضع الكعبة وأراد الرجوع قالت له هاجر: إلى من تكلنا؟ قال: إلى الله. قالت: حسبنا الله ونعم الوكيل، فأقامت عند ولدها حتى نفد ماؤها فأدركتها الحنة على ولدها فتركت إسماعيل بموضعه وارتقت على الصفا تنظر هل ترى عينا أو شخصا فلم تر شيئا، فدعت ربها واستسقته ثم نزلت حتى أتت المروة فدعت مثل ذلك، ثم سمعت صوت السباع فخشيت على ولدها فأسرعت نحو إسماعيل فوجدته يفحص والماء قد انفجر من عين من تحت عقبه، فلما رأت هاجر ذلك الماء جعلت تحوطه بالتراب لئلا يسيل ويذهب» قيل لو لم تفعل ذلك لكان عينا جارية، وقال محمد بن أحمد الهمذانى: كان ذرع زمزم من أعلاها إلى أسفلها أربعين ذراعا، فى قعرها عيون تجرى عين حذاء الركن الأسود وعين حذاء أبى قبيس والصفا وعين حذاء المروة، ثم قل ماؤها فى سنة أربع وعشرين ومائتين فحفر فيها محمد بن الضحاك تسعة أذرع فزاد ماؤها، ثم جاء الله تعالى بالأمطار والسيول فى سنة خمس وعشرين ومائتين فزاد ماؤها، وذرعها من رأسها إلى الجبل المنقور فيه أحد عشر ذراعا وسعة فمها ثلاثة أذرع وثلثا ذراع وعليها ميلان من ساج مربعة فيهما*أثنتا عشرة بكرة يستسقى عليها، وأول من عمل عليها الرخام وفرش به أرضها المنصور. وقال مجاهد: ماء زمزم إن شربت منه تريد شفاء شفاك الله تعالى وإن شربته لظمإ أرواك الله، وإن شربته لجوع أشبعك الله تعالى. وقال المسعودى: إن ملوك الفرس يزعمون أنهم من أولاد الخليل من سبى بنى إسرائيل، وكانوا يحجون البيت ويطوفون به تعظيما لجدهم، وكان آخر من حج منهم أردشير بن بابك طاف بالبيت وزمزم على البئر وزمزمة المجوس قراءتهم عند صلواتهم وطعامهم.

● **بئر ضاهك:** بكورة أرّجان. ذكر أهلها أنهم امتحنوا قعرها بالأرسان فلم يقفوا على شىء، ويفور منها الماء الدهر كله مقدار ما يدير رحا تسقى تلك القرية.

● **بئر عروة:** بعقيق المدينة منسوبة إلى عروة بن الزبير. قال الزبير بن بكار: كان الناس إذا مروا بالعقيق أخذوا من ماء بئر عروة يهدونها إلى أهاليهم. قال: ورأيت أبى

يأمر به فيغلى ثم يجعله فى القوارير ويهديه إلى الرشيد وهو بالرقة.

● **بئر غرس:** بالمدينة بيقاء. كان رسول الله ﷺ يستطيب ماءها ويبارك فيها. وقيل إنه ﷺ بصق فيها فلهذا وجد فيها البركة، وروى أن فيها عينا من عيون الجنة.

● **بئر قرية عبد الرحمن:** بأرض فارس جافية القعر طول السنة، حتى إذا كان الوقت المعزوف من السنة ينبع منها ماء يرتفع على وجه الأرض مقدار ما يدير رحا ويجرى وينتفع به فى سقى الزرع ثم يغور.

● **بئر الكلب الكلب:** بقرية من قرى أعمال حلب إذا شرب منها من عضه الكلب الكلب برأ وإنها مشهورة. قال بعض أهل القرية: إذا لم يجاوز المكلوب أربعين يوما وشرب منها برئ، أما إذا جاوز الأربعين مات إن شرب، وذكر أنه شاهد ثلاثة أنفس مكلوبين فشربوا فسلم اثنان وكان لم يبلغا الأربعين ومات الثالث وكان قد جاوز الأربعين، وهذه بئر منها يشرب أهل الضيعة.

● **بئر المطرية:** فى قرية من قرى مصر عليها شجر البلسان ويسقى من هذا البئر. والخاصية فى البئر يقال إن المسيح عليه الصلاة والسلام اغتسل فيها، والأرض التى تنبت هذا الشجر نحو مد البصر فى مثله محوط عليه وماء هذا البئر عذب فيه دهنية لطيفة، وقد استأذن الملك الكامل أباه الملك العادل أن يزرع فيه شيئا من شجر البلسان فأذن له فغرم غرامات كثيرة وزرعها فلم ينجح شىء ولا خلص منه دهن ألبته فسأل أباه أن يجرى له ساقية من المطرية له فأذن له ففعل ذلك فنجح وليس فى جميع الدنيا موضع ينبت فيه البلسان إلا هذا الموضع، والله الموفق للصواب.

● **بئر نيسابور:** بنيسابور آبار كثيرة وهى معادن الفيروزج كان يوجد فيها القطع الجيدة فظهر فيها العقارب القتالة فامتنع الناس عنها بسبب ذلك الشىء.

● **بئر هنديان:** هنديان ضيعة بفارس بها بئر يخرج منها دخان يعلو لا يتهيأ لأحد أن يقربها وإذا طار طائر فوقها سقط محترقا.

● **بئر يوسف الصديق:** ﷺ وعلى جميع الأنبياء، التى ألقاه فيها إخوته وهى بالأردن على أربعة فراسخ من طبرية مما يلى دمشق. قال الإصطخرى وغيره: كان منزل يعقوب عليه السلام بين نابلس وبين قرية يقال لها سخل ولم تزل هذه البئر مزارًا للناس يتبركون بها ويشربون من مائها.

وليكن هذا آخر الكلام فى الأنهار والعيون والآبار، والله الموفق للصواب.

* * *

ثم يتصدى:

النظر فى الكائنات وهى الأجسام المتولدة من الأمهات

فنقول: الأجسام المتولدة من الأمهات إما أن تكون نامية أو لم تكن فهى المعدنيات، وإن كانت نامية فإما أن تكون لها قوة الحس والحركة أو لم تكن فإن لم تكن فهى النبات وإن كانت فهى الحيوانات. زعموا أن أول ما يستحيل إليه الأركان الأبخرة والعصارات، فالبخار ما يصعد من لطائف مياه البحار والآجام والأنهار من تسخين الشمس، والعصارات ما ينجلب فى باطن الأرض من مياه الأمطار ويختلط بالأجزاء الأرضية ويغلظ وتنضجها الحرارة المستبطنة فى عمق الأرض فتصيرها مادة للنبات والمعادن والحيوان، وإنها متصلة بعضها ببعض بترتيب عجيب ونظام بديع تعالى صانعها عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا.

فأول مراتب هذه الكائنات تراب وآخرها نفس ملكية طاهرة، فإن المعادن متصلة أولها بالتراب أو الماء وآخرها بالنبات والنبات متصل أوله بالمعادن وآخره بالحيوان، والحيوان متصل أوله بالنبات وآخره بالإنسان، والنفوس الإنسانية متصلة أولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملكية، والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

النظر الأول: فى المعدنيات

هى أجسام متولدة من الأبخرة والأدخنة تحت الأرض إذا اختلطت على ضروب من الاختلاطات المختلفة فى الكم والكيف، وهى إما قوية التركيب أو ضعيفة التركيب؛ وقوية التركيب إما أن تكون متطرقة أو لم تكن متطرقة وهى الأجساد السبعة أعنى الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والأسرب والخارصين، والتى لا تكون متطرقة فقد تكون فى غاية اللين كالزئبق وقد تكون فى غاية الصلابة كالياقوت والتى تكون فى غاية الصلابة قد تنحل بالرطوبات وهى الأجسام الذهبية كالزرنيخ والكبريت، والأجساد السبعة إنما تتولد من اختلاط الزئبق بالكبريت على اختلاف فى الكم والكيف، والزئبق يتولد من أجزاء مائية اختلطت بأجزاء أرضية لطيفة كبريتية، والكبريت يتولد من

أجزاء مائية وهوائية وأرضية نضجتها حرارة قوية حتى صار مثل الدهن.

وأما الأجسام الصلبة الشفافة فتتولد من مياه عذبة وقعت فى معادنها بين الحجارة الصلدة زمانا طويلا حتى غلظ وصفا وأنضجته حرارة المعدن بطول وقوفها.

وأما غير الشفافة فمن امتزاج الماء بالطين إذا كانت فيه لزوجة وأثرت فيه حرارة الشمس بمدة طويلة.

وأما الأجسام التى تنحل بالرطوبات فمن ماء مختلط بأجزاء أرضية محترقة يابسة اختلاطا شديدا.

وأما الأجسام الدهنية فمن الرطوبات المختلفة فى باطن الأرض إذا احتوت عليها حرارة المعدن تحللت ولطفت واختلطت بتربة القاع وحرارة المعدن دائما فى نضجها وطبخها حتى تزداد غلظا وصار مثل الدهن، وسيأتى الكلام فى تولد كل واحد منهما إن شاء الله تعالى.

وزعموا أن الذهب لا يتولد إلا فى البرارى الرملية والجبال والأحجار الرخوة. وأما الفضة والنحاس والحديد وأمثالها فلا يكون إلا فى جوف الجبال والأحجار المختلطة بالتراب الندى، والكبريت لا تتكون إلا فى الأراضى الندية والتراب الندى والرطوبات الدهنية والأملاح لا تنعقد إلا فى الأراضى السبخة، والأسفيداج لا ينعقد إلا فى الأرض الرملية المختلط ترابها بالجص، والزاجات والشبوب لا تتكون إلا فى التراب العفص النشف، وعلى هذا القياس حكم أنواع الجواهر كل واحد منها مختص ببقعة من البقاع وتولدها فيها من خاصية تلك البقعة، وهى مع كثرة أفرادها داخلة تحت ثلاثة أنواع: الفلزات والأحجار والأجسام الذهبية فلنتكلم فيها إن شاء الله تعالى وبالله التوفيق.

* * *

النوع الأول: الفلزات

وهى الأجساد السبعة. زعموا أن تولدها من اختلاط الزئبق والكبريت، فإن كان الزئبق والكبريت صافيين، واختلطا اختلاطا تاما وشرب الكبريت رطوبة الزئبق كما تشرب الأرض نداوة الماء وكان فيه قوة صباغة ومقدارهما متناسبين وحرارة المعدن تنضجهما على اعتدال ولم يعرض لهما عارض من البرد واليبس قبل إنضاجهما انعقد ذلك مع طول الزمان الذهب الإبريز، وإن كان الزئبق والكبريت صافيين وانطبخا انطباخا تاما وكان الكبريت مع ذلك أبيض تولدت منه الفضة، وإن أصابه قبل النضج

برد عاقد تولد الخارصينى، وإن كان الزئبق صافيا والكبريت رديئا وفيه قوة محرقة تولد النحاس، وإن كان الكبريت غير جيد المخالطة مع الزئبق تولد الرصاص، وإن كان الزئبق والكبريت رديئين وكان الزئبق متحللا أرضيا والكبريت رديئا تولد الحديد، وإن كان الزئبق والكبريت رديئين وكانا مع رداءتهما ضعيفى التركيب تولد الأسرب، فبسبب هذا الاختلاف اختلفت أنواع الجواهر المعدنية وهى العوارض التى تعرض لها من كمية الكبريت والزئبق وكيفيتهما، والذى يدل على هذه الأشياء كلها تجربة أهل الصناعة.

ولنذكر بعض عجائبها وخواصها العجيبة إن شاء الله تعالى:

● **الذهب:** طبعها حار لطيف ولشدة اختلاط أجزائها المائية بأجزائها الترابية لا تحترق بالنار لأن النار لا تقدر على تفريق أجزائها ولا تبلى بالتراب ولا تصدأ على طول الزمان وهى لينة صفراء براقة حلوة الطعم طيبة الرائحة ثقيل رزين جدا فصفرة لونها من ناريتها ولينها من دهنيتها وبريقها من صفاء لونها ورزانتها من ترابيتها، وهى أشرف نعم الله تعالى على عباده إذ بها قوام أمور الدنيا ونظام أحوال الخلق فإن حاجات الناس كثيرة وكلها تنقضى بالنقود فإن النقدين يباع بهما كل شىء ويشترى بهما كل شىء لرواجهما بخلاف سائر الأموال فإنها لا يرغب فيها كل أحد رغبته فى النقود فإنهما كالقاضيين يقضيان حاجة كل من لقيهما، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤] لأن المقصود منهما تداولها بين الناس لقضاء حوائجهم، فمن كنزهما فقد أبطل الحكمة التى خلقها الله تعالى كمن حبس قاضى البلد ومنعه أن يقضى حوائج الناس.

ومن خواصها ما ذكر أرسطاطاليس: أنها تقوى القلب وتدفع الصرع إن علق على إنسان وتمنع الفزع، وإن اتخذ من الذهب ميلا وأديم التكحل به وإدخاله فى العين جلا العين وحسن النظر وقواه. وإن ثقب الأذن بإبرة من الذهب لم تلتحم وإذا كوى بالذهب لم يتنفط موضعه ويبرأ سريعا. وقال الشيخ الرئيس: إمساك الذهب فى الفم يزيل البخر، والذهب يقوى العين كحلا، وينفع من أوجاع القلب والخفقان وحديث النفس.

● **الفضة:** أقرب الفلزات إلى الذهب ولولا برد أصابها قبل النضج لكادت تكون ذهبا، وهى تحترق بالنار إذا داوم عليها وتبلى فى التراب بطول الزمان. قال أرسطو: إن للفضة وسخا بخلاف الذهب فإذا أصابها رائحة الرصاص والزئبق تكسرت عند الطرق، فإذا أصابها رائحة الكبريت اسودت وإن طرح الكبريت على مذابها احترقت واسودت وتكسرت كالزجاج، وإذا ألقى عليها شىء من البورق ردها إلى حالها لكن ينقص منها

شىء كثير، والأسرب والقلى يعيبانها ولكن لا كتعييب الذهب. ومن خواصها: تقطيع الرطوبات اللزجة إذا خلطت سحالتها بالأدوية المشروبة، وتنفع من البخر إذا أمسكها فى الفم، وتنفع للحكة والجرب وعسر البول، وتدخل فى أدوية الخفقان جدا، وتنفع مع الزئبق للبواسير طلاء، والله تعالى أعلم.

● **النحاس:** قريب من الفضة والفرق بينهما حمرة اللون واليبس وكثرة الوسخ، أما الحمرة فمن إفراط الحرارة والكبريتية، وأما يبسه ووسخه فلغلظ مادته فمن قدر على تبييضه وتليينه فقد ظفر بحاجته، وإذا طلى بالحموضات أخرج الزنجار، وإن اتخذ منه إبرة وسقيت دما وثقب بها شحمة الأذن لم تلتحم منه، ومن اتخذ منه آنية لطعامه أو شرابه يتولد فيها أمراض لا دواء لها.

● **الحديد:** تولده كتولد سائر الأجساد وقد مضى ذكرها وسواد لونه لإفراط الحرارة، والحديد أكثر فائدة من سائر الفلزات، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥] فالبأس فى النصول والمنافع فى الآلات، حتى قيل: ما من صنعة إلا وللحديد فيها أو فى أداتها مدخل. ومن خواصه العجيبة ما ذكر أرسطو: أن برادة الحديد إذا علقت على إنسان يغط فى نومه يزول عنه ذلك، ومن استصحب شيئا من الحديد يقوى قلبه ويزول عنه المخاوف والأفكار الرديئة وييسر فى نفسه ويطرد عنه الأحلام الرديئة وتزيد هيبته فى أعين الناس، وصداه يأكل أوساخ العيون اكتحالا وينفع من جرب العين والرمد والسبل ويخفف ثقل الأجفان، وينفع كحلا للعين وينفع للنقرس، وإذا احتمل من صداه نفع للبواسير، ومن أخذ مسمارا ويحميه حتى يحمر ثم يدلك بذلك النصل لا يصدأ.

● **الرصاص:** قال أرسطو: إنه صنف من الفضة لكنه دخل عليه ثلاث آفات: رائحة ورخاوة وصريرة، فدخلت عليه هذه الآفات فى باطن الأرض كما تدخل على الجنين فى بطن أمه فيفسد. ومن خواصه ما ذكره أرسطو: أن من اتخذ منه طوقا وطوق به شجرة عند أصلها من الأرض لم يسقط من ثمرتها شىء ويزيد فيها، وإن شد من صفيحة على الظهر أو البطن سكن الإنعاظ وإن ألقى فى قدر لا ينضج اللحم، والرصاص يطلى بالدهن والملح، ويؤخذ سواده يطلى به السيف فإنه لا يصدأ.

● **الأسرب:** تولده كالرصاص وهو صنف أردأ منه لأن مادته أكثر وسخا. ومن خواصه تكليس الذهب وتكسير الماس ولو وضع الماس على السندال وضرب بالمطرقة دخل إما فى السندال أو فى المطرقة، ولو وضع على الأسرب تكسر بأدنى ضربة ويكون

جميع أقطاعه مثلثًا. وقال الرئيس ابن سينا: تؤخذ منه صفيحة وتشد على الخنازير والغدد تذيبها وقال بليناس فى كتاب «الخواص» من اتخذ منه صفيحة وزنها ثمانية وعشرون درهما وشدها على بطن إنسان بطلت شهوته.

● **الخارصينى:** تولده كتولد الأجساد المذكورة معدنه بأرض الصين ولونه أسود يضرب إلى الحمرة نصله شديد الضرب جدا. ويتخذ منه الكلاليب يصاد بها الحوت الكبير لأنها إذا انتشبت بشىء لا ينفصل منه إلا بالشدة، ويتخذ منه المرآة ينظر فيها صاحب اللقوة فى بيت مظلم فإنه أنفع دواء لهذا المرض، ويتخذ منه منقاش ينتف به الشعر ويدهن موضعه مرارا بفعل ذلك فإن الشعر لا ينبت.

* * *

النوع الثانى: فى الأحجار

وهى أجسام تتولد من مياه الأمطار والأنداء التى احتبست تحت الأرض وإن كانت شفافة، ومن امتزاج الماء بالأرض إن كان فى الطين لزوجة وأثرت حرارة الشمس فيها تأثيرا شديدا.

أما القسم الأول: فنقول: إذا احتبست مياه الأمطار والأنداء فى المعادن والكهوف والأهوية لا يخالطها شىء من الأجزاء الأرضية، وأثرت فيها حرارة المعدن وطال وقوفها هناك ازدادت المياه صفاء وثقلا وغلظا فينعقد منها الأحجار الصلبة التى لا تتأثر من النار والماء كأنواع اليواقيت وما شاكلها، فذهب قوم إلى أن اختلاف ألوانه بسبب حرارة المعدن وقلتها وكثرتها. وقال آخرون: بسبب أنواع الكواكب التى تدل على ذلك النوع من الجواهر ومطارح شعاعاتها على تلك البلاد، فزعموا أن السواد لزحل والخضرة للمشترى والحمرة للمريخ والصفرة للشمس والزرقة للزهرة والمتلون لعطارد والبياض للقمر، والله الموفق للصواب.

وأما القسم الثانى: فيتولد من امتزاج الماء بالأرض إذا كان فيها لزوجة وأثرت فيها حرارة الشمس مدة طويلة كما ترى النار إذا أثرت فى اللبن فتصلبها وتجعلها آجرًا فإن الآجر أيضًا صنف من الحجر إلا أنه رخو وكلما كان تأثير النار أكثر كان أصلب. ثم إن هذه الأحجار تختلف باختلاف بقاعها، فإن كانت فى بقاع ترابية وطين انعقد حجرًا مطلقا وإن كانت فى بقاع سبخة تولد منها أنواع الأملاح والبوارق والشبوب وإن كانت فى بقاع عفصية تولدت منها ضروب الزاجات الأحمر والأصفر والأخضر ونحوها ولكل

موضع خاصية لا يعلمها إلا الله تعالى، وقد ينعقد الحجر من الماء فإنا نرى فى بعض المواضع أنه ينعقد الحجر من الماء وذلك إما من خاصية ذلك الماء أو من خاصية ذلك الموضع: وقد يتولد الحجر فى الهواء وذلك من أجزاء دخانية يغلب عليها الأرضية فإذا ضربها البرد انطفأت حرارتها وتصير حجرا وقد يقع فى وسط الصواعق مثل هذه الأحجار ومثل الحديد والنحاس، قال الشيخ الرئيس: أخذت من هذه الأجسام وعرضتها على النار لتذوب فما حصل منه الذوبان وارتفع منه دخان يضرب إلى الخضرة وما زال هكذا حتى صار رمادا.

وحكى الشيخ الرئيس أيضا أن فى زمانه وقع من الهواء بأرض جورجان جسم كقطعة حديد فى قدر خمسين منا كحبات الجاورس المنضمة، فما كان يتناثر من الحديد والجواهر المعدنية كثيرة لا يعرف الإنسان منها إلا القليل، فمن الحكماء من كان له بها عناية بحث عنها واستخرج خاصية بعضها فأوردنا طرفا منها وما فيها من الخواص العجيبة ومعادنها وكيفية جلبها فأقول وبالله التوفيق، وهو حسبى ونعم الوكيل:

• **إثمد:** قال أرسطو: هو حجر معروف له معادن كثيرة وأغلبها فى أكناف المشرق، وأجود أصنافه الأصفهانى وهو حجر يخالطه الرصاص ينفع العيون اكتحالا ويرفع عنها طبق الماء ويقوى أعصابها ويدفع عنها كثيرا من الآفات والأوجاع لا سيما المشايخ والعجائز الذين ضعفت أبصارهم وإذا جعل معه شىء من المسك يكون غاية، وعن رسول الله ﷺ أنه قال «عليكم بالإثمد فإنه ينبت الشعر ويحد البصر» وينفع من حرق النار إذا طلى بالشحم.

• **حجر أرسون:** حجر يوجد بأرض الروم وهو أملس مخمس إذا كسر قطعًا يكون جميع أقطاعه مخمسًا، وخاصيته أن حامله يبقى مهيبًا محترما بين الناس، ومن اكتحل به لا يصيبه رمد إن شاء الله تعالى.

• **حجر إسفيداج:** هو رماد الرصاص القلعى والآنك فإذا أفرط تحريقه صار سربا، والاسفيداج الرصاصى إذا دلك به لسعة العقرب نفع، وإن نقع مع شىء من قثاء الحمار فى ماء وملح ثم رش به البيت خرج منه البراغيث. وإذا اتخذت منه المراهم يأكل منه اللحم الميت العفن وينبت اللحم الطرى، وينفع من حرق النار إذا طلى ببعض الأدهان ولا يكاد يستحيل موضع الحرق إلى البياض بل يبقى على لون الجسد.

• **حجر إفرنجس:** قال أرسطو: هو حجر يصاب فى مواضع الزرنيخ. من كلسه حتى يبيض وألقى منه وزن مثقال على خمسين مثقالا من النحاس الأحمر بيضه ولين

جسمه، وهو إذا خلط مع الكلس حلق الشعر، وهو فى الحدة أقوى من الزرنيخ. وإذا سحق وطلى به موضع الورم سكنه.

• **حجر إقليميا الذهب:** قال أرسطو: إذا خلط الذهب بغيره من الأحجار ثم أدخل النار للخلاص يتخلص منه الأجساد التى خالطها وعلاه جسم مشوب بسواد وقد يكون على لون الزجاج وهو المسمى بالأقليميا، ينفع من وجع العين ويذهب بالبياض الحادث فيها، وينفع من البلة التى تتحلب من العين ومن ابتداء الماء فى العين ويدمل القروح الخبيثة وينفى أوساخها.

• **حجر إقليميا الفضة:** قال أرسطو: إن الفضة أيضًا إذا أدخلت النار للخلاص من الأجساد التى خالطتها يعلوها جسم يسمى أقليميا الفضة نافع من القروح والسعفة والجرب طلاء مع الأدهان. وقال غيره: ينفع من وجع العين ذرورًا وفى المراهم ينبت اللحم فى الجراحات.

• **حجر باهت:** أبيض فى لون المر قشيثا البيضاء يتلألأ حسنا إذا وقعت عليه عين الإنسان يغلبه الضحك، وقيل إنه مغناطيس الإنسان.

• **حجر بسذ:** هو أصل المرجان منه أبيض ومنه أحمر ومنه أسود يقطع نزف الدم ذرورا ويقوى العين اكتحالا، وينشف رطوبتها الفضلية، ويقوى القلب وينفع من عسر البول، وإذا علق على المصروع نفعه نفعا بينا، والأولى أن يعلق على ركبته.

• **حجر بلور:** قال أرسطو: إنه صنف من الزجاج إلا أنه أصلب، وهو مجتمع الجسم فى المعدن بخلاف الزجاج فإنه متفرق الجسم يجمع بالمغنيسيا والبلور يصبغ بألوان الياقوت فيشبه الياقوت، والملوك يتخذون من البلور أوانى على اعتقاد أن للشرب فيها فوائد، والبلور إذا قابل الشمس فيقرب منه قطنة أو خرقة سوداء فيها النار. وقال غيره: البلور الأغبر إذا علق على من يشتكى وجع الضرس يسكن فى الحال.

• **حجر البورق:** أجزاء سبخة من الأرض كالملح إلا أن البورق أقوى. قال: إنه إذا طلى به الكلف فى الحمام يزيله. وقال أرسطو: أنواع البورق كثيرة، فمنه ما يتكون من الماء الجارى، ومنه ما يتكون من الحجر فى معدنه، ومنه أبيض وأحمر وأغبر وألوانه كثيرة وهو يذيب الأجساد كلها ويلينها للسبك، وينفع من الجرب والبرص طلاء وينضج الدماميل وينفع الصمم ويجلو البياض العتيق من العين، وينفع من الحمى التى تنوب بأدوار إذا مزج به قبل الدور بساعة. وقال ابن سينا: إنه إذا ضمد به يجذب الدم إلى ظاهر البدن ويحسن اللون.

● **حجر تنجادق:** قال أرسطو: إنه حجر أحمر اللون وحمرته غير حمرة الياقوت ومعدنه بلاد الشرق فإذا خرج من معدنه أصابه ظلمة فإذا قطعه الصناع خرج نوره وحسنه، فمن تختم منه بوزن عشرين شعيرة يدفع عنه الأحلام الرديئة، ومن أدام النظر إليه فى شعاع الشمس نقص نور عينيه، وإذا مسح به الرأس واللحية ثم وضع رأسه على الأرض أتاه ما حواليه من عودتين.

● **حجر تدمر:** قال أرسطو: إنه حجر يوجد بناحية الغرب فى شاطئ البحر وليس يوجد إلا فى هذه المواضع فقط، وهو أبيض مثل الرخام. خاصيته أنه إذا شمه إنسان جمد دمه فى جسده ومات من ساعته.

● **حجر تنكار:** قال أرسطو: إنه حجر من جنس الملح يوجد فيه طعم البورق معدنه ساحل البحر وهو يعين على سبك الذهب ويلينه، وينفع من تآكل الأسنان ويقتل دودها ويسكن ضرباتها ويجلوها، وله فى تسكين أوجاع الأسنان خاصية عجيبة.

● **حجر توتيا:** قال أرسطو: حجر معدنى ذو أنواع أبيض وأخضر وأصفر معادنها سواحل بحر الهند والسند، كلها تنفع العيون المرطوبة وتزيل الصنان.

● **حجر جالب النوم:** قال أرسطو: هو حجر شديد الحمرة صافى اللون يرى بالنهار كأنه يخرج منه شبه بخار وبالليل يسطع ضوءه حتى يضئ به ما كان حوله، وإذا علق منه على إنسان ولو وزن درهمين أورثه نوما ثقيلا، وإن جعلته تحت رأس إنسان نائم لا يستيقظ حتى يدور رأسه، وإذا طلى به موضع الحمرة أبرأها.

● **حجر جزع:** قال أرسطو: هو حجر ذو ألوان كثيرة يؤتى به من اليمن أو الصين، والناس يكرهون أخذ شىء منه لأنه يكثر الهموم والغموم لمن يستصحبه ويورث أحلاما رديئة ويعسر معه قضاء الحوائج ولا يفلح لابسه فى الأمور كلها، وإذا علق على صبى كثر بكاؤه ونكده وفزعه وسيلان لعابه، ومن سقى منه مسحوقا قل نومه وكثر فزعه وساء خلقه وثقل لسانه، وإن سحق وجلى به الياقوت حسنه وصيره مشرقًا نيرا، والنظر إليه يورث الهم، وإن وضع بين قوم لا علم لهم به يقع بينهم عداوة شديدة، وإذا علق على المرأة تسهل ولادتها، وإن وضع بقربها خف وجعها.

● **حجر حامى:** قال أرسطو: هو حجر شديد الحمرة مشوب بنقط سود صغار يجلب من بلاد الهند من أزال تلك النقط من هذا الحجر حتى يصير كله أحمر وألقاه على النحاس حمره مثل الذهب لأن تلك النقط هى دخان الفضة، وتنفع من الفالج إذا استعط به.

● **حجر بليناس:** قال فى كتاب «الخواص» إذا كان الجمل كثير الرغاء فربطت فى ذنبه حجرا لا يرغو البتة. وقال صاحب كتاب «الفلاحة» الحجر الذى فيه ثقبة خلقة إذا علق على شىء من الأشجار يكثر ثمرها ولا يصيب ثمرها شىء من الآفات.

● **حجر أسمانجانى:** قال أرسطو: إذا كان الحجر أسمانجونيا فحككته فخرج أبيض من استصحبه يبقى فرحا غير حزين، وإن خرج أسود من علقه عليه لم ينجح عمله، وإن خرج أصفر فهو صالح لكل عمل، وإن طرح فى بئر أو نهر قل ماؤها، وربما انقطع، وإن خرج أحمر من استصحبه يرى كل خير، وإن خرج أخضر من أمسكه يزكو ما يزرع سواء زرع فى أرض خير أو أرض سوء، وإن خرج أغبر واكتحل به على اسم امرأة أحبته.

● **حجر أبيض:** قال أرسطو: إذا كان الحجر أبيض فحككته فخرج من محكه أصفر فإن من أمسكه إذا تكلم بشىء سواء كان صادقا أو كاذبا يقع، وإن خرج محكه أحمر فكل شىء يعمله يرتفع سريعا، وإن خرج أغبر على لون الأرض فكل من استعان به فى شىء من عمله أعين عليه، وإن خرج محكه اسمانجونيا فلا يزال صاحبه الذى يمسكه طيب النفس، وإن خرج أخضر إن علق فى بستان أسرع خروج غرسه وتعظم أشجاره سريعا، وإن خرج أسود أبرأ من سقى السم القاتل ومن لدغ الحية والعقرب إذا شرب من محكه أو علق عليه.

● **حجر أحمر:** قال أرسطو: إذا كان الحجر أحمر فخرج محكه أبيض فإن حامله ينجح فى كل عمل يعمله، وإن خرج أسود كان حامله أى شىء يحدث به نفسه يقدر عليه، وإن خرج أصفر فمن ربطه على عضده يحبه الناس، وإن خرج أغبر فإنه حيث ذهب على عمل يحبه الناس وينجح، وإن خرج أخضر فإن الذى يمسكه معه يصرف عنه السلاح. قال الشيخ الرئيس: إن فى الأحجار حجرا أحمر يشبه البسذ وزن دانق منه قتال يفعل بحمله جوهرة كالبيش.

● **حجر أخضر:** قال أرسطو: إذا أخضر فحككته فخرج محكه أبيض فمن أمسكه معه وغرس غرسا أو زرع زرعا وجعل هذا الحجر فى خرقه أو قطنه ودفنه فى الزرع ينبت بإذن الله تعالى أحسن نبات، وإن خرج أسود يجتمع لمن أمسكه خير كثير، وإن خرج أصفر فكل دواء يعطيه إنسانا يوافقه، وإن خرج أحمر تكثر له من كل أحد العطية ويكرم، وإن خرج أغبر لا يعالج مريضا به إلا برأ بإذن الله تعالى.

● **حجر أسود:** قال أرسطو: إذا كان أسود فحككته فخرج محكه أبيض ينفع من سم

الحية والعقرب إذا شرب الملدوغ من محكه أو علق عليه، وإن خرج أصفر فمن أمسكه لم يعى كثيرا وكل بيت هو فيه يصح أهله من الداء، وإن خرج أسود على لونه فمن أمسكه معه تقضى له الحوائج من الناس ويزيد فى عقله، وإن خرج أخضر فمن أمسكه لم تلدغه الهوام.

• **حجر أصفر:** قال أرسطو: إذا خرج محكه أبيض من أمسكه معه يحصل له كل شىء يطلبه من الناس، وإن خرج أخضر فإنه إذا وضعه على شىء من الأعمال كان جديرا أن يقع، وإن كان أحمر لقن الجواب عن كل شىء يسأل عنه بإذن الله تعالى، وإن خرج أسود فمن أخذه معه وسمى اسم من يريده فإنه يتبعه ولا ينقطع عنه ما دام الحجر معه.

• **حجر أغبر:** قال أرسطو: إذا كان الحجر أغبر وخرج محكه أبيض أو سحيقه إن سحق على اسم إنسان واكتحل به وسمى اسم ذلك الإنسان فإنه يحبه ويشفق عليه، وإن خرج محكه أسود فمن اكتحل بحكاكته يكرمه كل أحد، وإن اكتحلت به النساء أحبهن أزواجهن، وإن خرج أصفر يثنى عليه كل من رآه حيث ذهب، وإن خرج أحمر فحيثما ذهب يبسط عليه المعاش، وإن خرج أخضر فمن أمسكه إذا جلس مع قوم أكرموه، وإن خرج اسمانجونيا فإن صاحبه يعد حكيما وإن لم يكن كذلك.

• **حجر الباءة:** قال أرسطو: إن الإسكندر أصاب هذا الحجر بإفريقية ومعدنه هناك وخاصيته أنه إذا أدنى من الإنسان أو الحيوان ظهر به شهوة الوقاع فمنع الناس من حمله إلى عسكره مخافة افتضاح النساء، ومن أمسك من هذا الحجر تحت لسانه أمن من العطش، وإذا سقى منه صاحب الماء الأصفر ولو أربع شعيرات أسهله من ساعته. وذكر أن بأرض مصر حجرا من شده على ظهره يثور به شهوة الوقاع.

• **حجر البحر:** قال أرسطو: هذا حجر يوجد على ساحل البحر يتولد من لطيف أجزاء الأرض وبخار البحر، وهو حجر أسود خشن الحس مثل الرحا إلا أنه خفيف لا يغوص فى الماء. وخاصيته أن الإنسان إذا استصحبه وركب البحر أمن من الغرق، وإذا ألقى فى القدر لم يغل وإن أوقد تحته حطب كثير، وذكروا أن الإسكندر أصاب هذا الحجر فى الظلمات وأبرأ به الزمنى وأصحاب العاهات.

• **حجر الحبارى:** يوجد فى حوصلة الحبارى يشد على الإنسان لم يحتلم ما دام عليه، وإن كان به إسهال يحبس بطنه.

• **حجر الحصاة:** قال أرسطو: حجر فيه رخاوة يخرج من بحيرة بأرض المغرب

يشرب منه مقدار عشر حبات يفتت حصاة المثانة، وهذا حجر عزيز ترميه الأمواج إلى الساحل كأنه الفلك الذى يغزل بها النساء.

● **حجر الحية:** يقال له بالفارسية مهرة حار فى حجم بندقة صغيرة توجد على رأس الحيات بعضها لا كلها. خاصيته ان العضو الملدوغ يجعل فى اللبن أو فى الماء الحار وهذا الحجر يلقى فيه فإنه يلتزق بموضع اللدغ ويستخرج منه السم، وقال ابن سينا: إنه ينفع من نهش الحية تعليقًا. وقال جالينوس: أخبرنى بذلك رجل صدوق.

● **حجر الخطاف:** الخطاف يوجد فى عشه حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض، فإن علق الأحمر على من يفزع فى نومه يدفع عنه ذلك، وإن علق الأبيض على من به صرع يزول عنه.

● **حجر الدجاج:** حجر اسمانجونى يوجد فى قانصته إذا شد على المصروع يزول عنه الوجع والصرع، ويزيد فى قوة الباه، وإذا علق على الإنسان يدفع عنه العين السوء، ويترك تحت رأس الصبى لا يفزع فى نومه.

● **حجر الرحا:** يشد من السفلانى قطعة على المرأة التى تسقط ولدها فإنها لا تسقط وينحى عنها عند الطلق كى لا يتعسر عليها، وإذا أحمى ورش عليه الخل وجلس عليه قطع نزف الدم ويحلل الأورام الحادة.

● **حجر السامور:** حجر يقطع الأحجار كلها. ذكر أن سليمان بن داود عليهما السلام لما أراد بناء البيت المقدس أمر الشياطين بقطع الأحجار فشكا الناس من صوت قطع الأحجار فجمع علماء بنى إسرائيل وعلماء الجن وطلب منهم قطع الحجر من غير صوت، فقال بعض العفاريت: أنا أعلم حجرًا له هذه الخاصية ولكن لست أعرف مكانها ولى حيلة فى تحصيله. ثم قال: على بعش العقاب وبيضها، فجاء بها بعض العفاريت فى الحال، فدعا بجام من القوارير غليظا شديد الصفاء وكبه على بيض العقاب ووكرها وأمر بردها إلى مكانها، فعادت العقاب إلى عشها فرأتها مغطاة فضربتها برجليها فلم تعمل فيه شيئًا، فسارت وأقبلت صبيحة اليوم الثانى وفى منقارها قطعة حجر ألقته على الجام فانشق نصفين من غير صوت، فدعا سليمان عليه الصلاة والسلام العقاب وقال: أخبرنى من أى موضع حملت هذا الحجر؟ فقال: يا نبى الله من جبل بالمغرب يقال له السامور، فبعث سليمان عليه الصلاة السلام الجن فحملوا منه مقدار حاجته، وكان بعد ذلك يقطع الجن الصخور من غير أن يسمع لها صوت.

● **حجر السم:** هو حجر كالجزع وليس بجزع، يوجد فى خزائن الملوك: خاصيته أنه

يتحرك إذا حضر السم.

حكى الوزير نظام الملك الحسن بن على قدس الله روحه فى كتاب «سير الملوك» أن سليمان بن عبد الملك قال ذات يوم: إن مملكتى ليست تقصر عن مملكة سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام إلا أن الله تعالى سخر له الجن والطير والريح، وليس لأحد من الملوك على وجه الأرض مثل مالى من الأموال والعدة. قال بعض الحاضرين: أهم شيء يحتاج إليه الملوك ليس عندك يا أمير المؤمنين. قال: ماهو؟ قال وزير يكون وزيرًا ابن وزير ابن وزير كما أنك خليفة ابن خليفة ابن خليفة. قال. وهل تعرف وزيرا هذه صفته؟ قال: نعم جعفر ابن برمك فإنه ورث الوزارة أبا عن جد إلى زمن أردشير، ولهم كتب مصنفة فى الوزارة يعلمون أولادهم ذلك، فكتب سليمان إلى عامل بلخ وأمره بإرسال جعفر إلى دمشق مع التجمل والإعزاز، فلما وصل إلى دمشق ودخل على سليمان فرأى سليمان صورته استحسنه وتحرك له وأمره بالجلوس بين يديه، فما كان إلا يسيرًا حتى عبس سليمان فى وجهه وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قم من عندى، فأقامه الحاجب ولم يعرف أحد سبب ذلك إلى أن خلا سليمان بندمائه، فقال بعضهم: يا أمير المؤمنين طلبت جعفرا من خراسان بإعزاز فلما حضر أبعدته! فقال سليمان: لولا أنه جاء من أرض بعيدة لأمرت بضرب عنقه لأنه حضر بين يدى ومعه السم القاتل فكان أول ما جاءنا وصحبته السم القاتل، فقال ذلك النديم: أتأذن لى يا أمير المؤمنين أن أكشف عن هذا؟ فقال: افعل؟ فذهب إلى جعفر وقال له: أنت لما حضرت عند أمير المؤمنين أكان معك شيء من السم؟ قال: نعم. وهو الآن معى تحت فص خاتمى هذا، لأن آبائى احتملوا من الملوك مشاق كثيرة طلبوا منهم الأموال وعذبوهم، وإنى خشيت أن أكلف شيئا من ذلك فأحببت أن امص خاتمى هذا وأستريح من الإهانة، فرجع النديم إلى سليمان وأخبره بما سمع من جعفر، فتعجب سليمان من نظره فى العواقب، فأحضره مرة أخرى وخلع عليه وأقعده بجنبه ووضع الدواة بين يديه حتى وقع بحضور سليمان عدة تواقيع، فلما انبسط معه بعد ذلك سأله ذات يوم فقال: يا أمير المؤمنين كيف عرفت أن السم مع العبد؟ فقال: معى خرزتان لا أفارقهما أبدا، من خاصيتهما أنهما يتحركان إذ حضرنا من كان معه السم، فلما دخلت على تحركتا وحين قعدت بين يدى اضطربتا وكادتا ان تقع إحدهما على الأخرى، فلما قمت من عندى سكنتا، ثم فتحهما وعرضهما على جعفر فكانتا خرزتين كالجزع.

● **حجر الشياطين:** قال أرسطو: هو حجر أملس أحمر اللون لونه كلون الياقوت

وكسره ككسره وليس له شفاف، إذا غمس فى الماء أصفر مثل الزرنيخ، وإذا كلس ثلاث مرات أحمر وصار مثل الزنجفر، فإن ألقى جزء منه على أربعة عشر جزءا من الفضة صبغها ذهبا أحمر.

• **حجر الصدف:** هو حجر أحمر يضرب إلى سواد، يجلب من أرض كرمان، ويسمى أيضا حجر الخمار، يسقى من أضر به النبيذ أو أصابه صداع الخمار يستريح فى الحال ويحل ويكتب به مثل الزنجفر.

• **حجر الصنونو:** قال أرسطو: إنه صالح نافع لدفع اليرقان، يوجد فى عش الخطاف والحيلة فى تحصيله أن يلطخ فرخ الخطاف بالزعفران يترك فى مكانه فإذا عادت أمه ترى عليه أثر الصفرة تحسب أن به اليرقان فتذهب وتأتى بهذا الحجر وتتركه فى العش وتدلك الأفراخ به.

• **حجر العاج:** قال ابن سينا: يمنع من نزول الدم فى القروح والجراحات.

• **حجر العقاب:** حجر يشبه نوى التمر الهندى، إذا حرك يسمع منه صوت وإذا كسر لا يرى فيه شيء يوجد فى عش العقاب، والعقاب يجلبه من أرض الهند، وإذا قصد الإنسان عشه يرمى إليه هذا الحجر ليأخذه ويرجع فكأنه عرف أن قصدهم إياه لهذا الحجر. وخاصيته انه إذا علق على من بها عسر الولادة تضع سريعا، ومن جعله تحت لسانه يغلب الخصم فى المقاولة ويبقى مقضى الحاجة.

• **حجر الفأر:** شبيه بالفأر يوجد بأرض المغرب يتركه الناس فى بيوتهم فيجتمع عليه الفأر بحيث يسهل أخذها باليد، وهم يدفعون الفأر بهذا الحجر، لأن أرضهم خالية عن السنانير.

• **حجر القمر:** قال ابن سينا: إنه يوجد ببلاد المغرب عند زيادة القمر، ويقال له أيضا براق القمر، حجر خفيف. خاصيته أنه يعلق على الشجرة فتثمر، وينفع من الصرع إذا علق على المصروع. وبالهند حجر إذا خسف القمر يتقاطر منه الماء يقال له أيضا حجر القمر، والله أعلم.

• **حجر القير:** قال أرسطو: إنه أسود اللون خشن الملمس، إذا ألقى على القير ولو على ألف مِنّ يغلى كما يغلى من النار، وإذا ألقى فى عين الماء الجارى المسرع حاد عنه الماء.

• **حجر القىء:** يوجد هذا الحجر بأرض مصر، إذا أخذه الإنسان بيده غلبه الغثيان حتى يتقيأ جميع ما فى معدته بحيث لو لم يلقه من يده خيف عليه التلف.

● **حجر الكلب:** إذا رميت الكلب بحجر فعضه، فإن ألقيت ذلك الحجر فى النبيذ، فمن شرب منه لم يعد.

● **حجر المطر:** يجلب من بلاد الترك وهو أنواع مختلفة الألوان، إذا وضع شىء منها فى الماء تتغيم السماء وتمطر وربما يقع البرد والثلج وهذا أمر مشهور، ورأيت من شاهد هذا.

● **حجر تتمرغ فيه الناقة:** يوضع هذا الحجر على الخوان عند أكل الناس لا يجد أحد منهم طعم المأكول ما دام ذلك الحجر عليه، ويعلق على العاشق الهائم يسلو ويزول عنه الهيمان.

● **حجر يتولد فى الإنسان:** قال أرسطو: إذا سحق مع الكحل قلع البياض من العين إذا اكتحل به.

● **حجر يتولد فى الماء الراكد:** قال أرسطو: إذا سحق وسعط به نفع من الصرع والجنون نفعا بينا.

● **حجر حرض:** قال أرسطو: إنه حجر أصفر اللون مشوب ببياض وخضرة، وهو خفيف لين الملمس يوجد بأرض المغرب. خاصيته أنه ينفع من لسع الهوام ومن جميع ذوات السم.

● **حجر موساى:** قال أرسطو: الحديد إذا خلص بالنار حدث منه حجر يسمى حجر الحديد وهو خبثه. له خاصية عجيبة فى تجفيف الجراحات وإبراء النواصير، وإذا جعلته فى شىء من الجوارشنات ينفع لمن به استرخاء المعدة ولينها، ويذهب برياح البواسير واللون المتغير من قبيل البواسير.

● **حجر خبث الطين:** قال أرسطو: إن الطين إذا عمل منه آنية أو قوالب ثم أدخل النار انسكب منه شبه العسل ثم يتحجر فيستعمل فى الأصباغ، والصباغون مسودون به بعدما ينقعونه فى الخل، وهو نافع لدبر الدواب إذا سحق ونثر عليها، والله الموفق.

● **حجر خصية اللص:** حجر يوجد بأرض الصين، من استصحبه لا يدور اللص حوله ولا حول متاعه ويزيد حامله وقارا.

● **حجر در:** قال أرسطو: إن البحر المسمى أوقيانوس يضرب فى كل فصل ربيع من هبوب الريح فيأتيه الصدف فى هذا الوقت فتأتى الريح برشاشات يلتقمها الصدف كما يلتقم الرحم النطفة ثم يرجع إلى قعر البحر فتصير تلك النطفة مركبة من الماء واللحم فى جوف الصدف، فربما وقع فى بطنها قطرة كبيرة فتنعقد درة كبيرة، وربما تقع

رشاشات فتنعقد أجزاء صغارا كما ترى فى أكثر الأصداف، ثم إن الصدفة إذا وقعت فى فمها القطرة تخرج من قعر الماء إلى ظاهره عند هبوب الشمال وطلوع الشمس وغروبها ولا تخرج من وسط النهار فإن شدة الحر وقوته تهيج البحر فيفسد الدر وتفتح فاها ليقع الشمال على الدر فينعقد من أثر الشمال وحرارة الشمس كما ينعقد الجنين فى الرحم من حرارتها، ثم إن جوف الصدف إن خلا من الماء المر يكون فى غاية الصفاء والجلاء وحسن الهيئة، وإن خالط الصدف شىء من الماء المر يكون الدر أصفر اللون أو كدرا غير منهدم، وكذلك إن استقبل الهواء فى غير هذين الوقتين كانت الدرة كدرة، وإذا كانت فيها دودة أو كانت مجوفة غير مصمتة كان سببها استقبال الصدف فى الهواء الردىء وهو الليل وأنصاف النهار، ثم إن الصدفة إذا تجسدت الدرة فى جوفها تجسدا مستويا هبط إلى أصل البحر حتى يترشح فى قعر البحر وتتشعب منه العروق ويصير نباتا بعد ما كان حيوانا، فعند ذلك يقع فى قعر البحر. وإذا تركت تغيرت وفسدت كالثمرة إذا لم تقطف أوان قطافها فإنه يذهب حسن لونها وطيب طعمها. قال أرسطو: من خاصية الدر أنه ينفع من الخفقان والخوف الذى يكون من المرة السوداء ويصفى دم القلب جيدا، وإنما يخلطه الأطباء فى الأدوية لهذا المعنى ويستعملونه فى الأكحال لتشديد أعصاب العين، ومن جعل الدر واللآلئ ماء رجراجا فإنه إذا طلى به البياض الذى فى الجسد برصا أو بهقا أذهبه بإذن الله تعالى.

● **حجر دهنج:** قال أرسطو: إنه حجر أخضر فى لون الزبرجد لين المجس كما قال هرمس يتكون فى معدن النحاس، وذلك أن النحاس فى معدنه إذا طبخته سحارات الأرض ارتفع منه بخار من كبريت الأرض التى يتولد فيها فيرتفع ذلك البخار وتضمه الأرض فيتكاثف بضم بعضه إلى بعض، فإذا ضربه الهواء عقده وصيره حجرا. وهو أنواع كثيرة: الأخضر الشديد الخضرة والموشى وعلى لون ريش الطاوس والكمد، ونسبة الدهنج إلى النحاس كنسبة الزبرجد إلى الذهب، وهو حجر يصفو بصفاء الجو ويتكدر بكدورته. ومن عجيب خواصه أنه إذا سقى إنسان من محكه يفعل فعل السم، وإن سقى شارب السم نفعه، وإن لدغ إنسان ومسح الموضع به سكن وجعه، ويسحق بالخل ويطلى به القوبى فإنها تذهب بإذن الله تعالى، وقال غيره: ينفع من خفقان القلب، ويدخل فى أدوية العين فيشد أعصابها، وإن طلى بحكاكته بياض البرص أزاله، وإن علق على إنسان غلبته قوة الباه.

● **حجر دمياطى:** قال أرسطو: إنه حجر أسود مثل السجام يصاب فى البحر إذا

أحرق وسحق مع الزئبق عقده، وإذا طرح على الطلق وعرض على النار صيره ماء رجراجا.

● **حجر رخام:** حجر أبيض مشهور. إذا أردت أن لا تحبل المرأة فاسقها وزن درهم رخامًا مسحوقا وقال بليناس: قد يوجد فى وسط الرخام دودة من أخذ ثلاثة منها وشدها فى خرقة ثم علقها على المرأة لم تحبل.

● **حجر رقوس:** قال أرسطو: يوجد بقرب البحر الأخضر. ومن خواصه أن الإنسان إذا تختم به زال عنه الهم والحزن.

● **حجر زاجات:** تتولد جميع أجزاء الزاجات من أجزاء مائية وأجزاء أرضية محرقة إذا اختلط بعضها بالبعض اختلاطا شديدا. وسبب الحرارة الزائدة التى وجدت فى دخانيتها إذا اختلطت بالأجزاء المائية تحدث فيها دهنية فتصير قابلة للذوبان ولهذا وجد فى الزاج ملوحة وكبريتية وحجرية، فمن حيث إنه وجدت فيه الأجزاء المائية والأجزاء الأرضية المحترقة وجد فيه ملوحة، ومن حيث إن الحرارة أنضجتها حتى أحدث فيه دهنية كبريتية، ومن حيث أن الماء والتراب انعقدا بحرارة الشمس وجد فيه حجرية. وأما اختلاف ألوانها فبحسب اختلاف المعادن. وأما خاصيته فإنه ينفع من الجرب والسعفة والناصوروالرعاف وتآكل الأسنان،وإذا دخن البيت بالزاج هرب من رائحته الفأر والذباب.

● **حجر زبد البحر:** قال ابن سينا: إنه أنواع: منه قطرى يصلح لحلق الشعر وينفع من البهق، ومنه اسفنجى شديد الجلاء للأسنان، ومنه وردى نافع للنقرس والطحال والاستسقاء. ومن عجيب خواصه أنه يحلق الشعر وهو ينبته، وينفع من البهق والكلف والآثار، ويجلو الأسنان، وينفع من الخنازير والاستسقاء وعسر البول. وزعم بعضهم أن زبد البحر إذا علق على فخذ صاحبة الطلق سهل ولادتها.

● **حجر الزجاج:** قال أرسطو: الزجاج أنواع كثيرة يوقد عليه كثيرا حتى يختلط ويجرى الزجاج إذا أصابته النار قبل أن يدخل النار يتكسر ولم ينتفع به، وهو يتلون بألوان كثيرة لأنه من ألين الأحجار يوجد فى الأحجار كالمائق من الناس لأنه يميل إلى كل صبغ يصبغ به،وهو يخرج اللحم. قال ابن سينا: من خاصيته أنه يجلو الأسنان وينبت الشعر إذا طلى بدهن الزئبق ويجلو العين ويذهب بياضها.

● **حجر الزرنيخ:** معروف، قال أرسطو: له ألوان كثيرة فمنه أحمر وأصفر وأغبر، أما الأحمر والأصفر فهما ذهبيا اللون إذا اجتمعا مع الكلس حلقا الشعر، وهو سم

قاتل، ومن أحرق الزرنيخ ودلك به الأسنان نفعها وذهب بحضرتها، وقال غيره: الزرنيخ يجعل على الجراحات والجرب والسعفة الرطبة ينفعها، ومع الزيت يقتل القمل، ومع دهن الورد يقطع البواسير، وإذا طلى الإنسان به جسده لإزالة الشعر يحدث به كلفا فيطلى بعده بالأرز والعصفر ليدفع غائلته. والزرنيخ الأصفر يقتل الذباب برائحته، فإن جعلته فى شىء حلو ليأكله الذباب قتله قتلا بينا، وإذا ألقيت الزرنيخ مع الملح فى النبيذ أفسده.

● **حجر الزنجار:** قال أرسطو: هو حجر يستخرج من النحاس بالخل وفيه قوة السم إذا شرب. وخاصيته أنه يبرىء البواسير ويأكل اللحم الميت من الجراحات، وقال ابن سينا: هو نارج النحاس بأن يكب آنية نحاس على خل، وينفع من البواسير بأن يتخذ منه ومن الآشق فتائل يحشى بها.

● **حجر الزنجفر:** قال أرسطو: إن الزئبق إذا طبخ منه فى الزجاج على النار واستوثق رأس الزجاج كى لا يطير الزئبق منه استحال بياضه إلى الحمرة وصار زنجفرا، فإن انشقت الآنية أو أصاب بدن صاحبها دخانه حدث من ذلك مرض صعب وربما يقتل وهو يدمل الجراحات وينبت اللحم فى القروح ويمنع من حرق النار ويأكل الأسنان، وهو من السموم القتالة.

● **حجر سبج:** قال أرسطو: وهو حجر يؤتى به من بلاد الهند أسود شديد البريق شديد الرخاوة يتكسر سريعا، إذا أصاب الإنسان ضعف فى بصره من الكبر وبدا الماء فى عينه والعياذ بالله تعالى. وعلامته قصر الرؤية وأن يرى قدام عينيه شيئا كالدخان أو كالذباب فيديم النظر فى السبج فإنه ينفع نفعا بينا، ومن لبس شيئا منه يأمن من العين السوء، وقال غيره: من أدمن إليه النظر أحد بصره، وإذا سحق واكتحل به جلى البصر، وإذا علق على الرأس نفع من الصداع.

● **حجر سنسليس:** قال أرسطو: هذا حجر خفيف يتخلخل إذا حبسته ظننت أن الريح يخرج منه يعنى أن الريح يحرق جسمه، وهذا الحجر إذا عصفت الريح على أهل البحر وأقبلت الأمواج ومر ماء البحر منصرفا مع الريح أقبل هذا الحجر مع الريح والماء، ومن استصحب من هذا الحجر ولو زنة قيراط أو أقل لم يظفر به عدوه أبدا ولا يغلبه.

● **حجر سنباج:** قال أرسطو: معدنه جزائر بحر الصين كأنه الرمل الخشن ومنه أحجار صغار وكبار، إذا أحرق وسحق وطلى به القروح أو ذر عليها أبرأها بإذن الله تعالى، وهو يجلو الأسنان من الوسخ.

● **حجر شاذنج:** ويقال له أيضا حجر الدم يحرق المغناطيس فيخرج شاذنج ومنه معدنى مصنوع يتلطف فى إحراق المغناطيس. ومن خاصيته أنه يقوى البصر. ويذر على اللحم الزائد فيضمره ويدمل قروح العين خصوصا مع بياض البيض؛ وينفع من خشونة الأجفان.

● **حجر شب:** قال ديسقوريدس: أصناف الشب كثيرة، وأشهرها اليمانى وهو أبيض وفيه صفرة وفى طعمه حموضة، وذكر أن الشب اليمانى يقطر من جبال اليمن وهو ماء فإذا صار إلى الأرض استحال شيئا ينفع من نزف كل دم وقذفه، وهو مع دردى الخل يجفف القروح العسرة المتآكلة، وطبيخه إذا تمضمض به نفع من وجع الأسنان، والصباغون يجعلون الأثواب فى الشب ثم فى الصبغ فإن الصبغ لا يفارقه، والشب فى آنية الرصاص أمان من القولنج، والله تعالى أعلم.

● **حجر صدف:** حجر معروف، منه ما يتكون فى الماء العذب ومنه فى المالح. ومن خاصيته جذب السلا والعظام، ويسكن وجع النقرس والمفاصل إذا ضمد به، وإذا سحق بخل قطع الرعاف، ولحمه ينفع من عضة الكلب الكلب، ومحرقه يجلو الأسنان إذا أستيك به، وفى الأكحال ينفع من قروح العين، وإذا طلى به موضع الشعر الزائد فى الجفن بعد نتفه منع نباته ثانيًا، وينفع من حرق النار ويجفف القروح والجراحات، وإذا شدت قطعة صافية على صبى نبتت أسنانه بلا وجع.

● **حجر طارد النوم:** قال أرسطو: إنه حجر أبيض مائل إلى السواد ثقيل الجسم جدا كأنه فى وزن الرصاص فى مسه خشونة وربما يكون كلون الطحال. إذا علق على إنسان لا ينام ليلا ولا نهارا ولا يحس بتعب السهر بخلاف من سهر ليلا، ويسعط المجذوم بذلك يبرأ.

● **حجر طاليقون:** وهو نحاس طرح عليه الأدوية حتى صار صلبا إن اتخذ منه شىء من النصول أضر به جدا. وقال أرسطو: هو من جنس النحاس غير أنهم ألقوا عليه الأدوية الجاذبة حتى حدثت فيه سمية فإن جرح به حيوان أضر به جدا، ومن أحمى الطاليقون ثم غمسه فى مائع لم يقرب ذلك المائع ذباب.

● **حجر طلق:** قال أرسطو: هو نوعان أبيض غليظ القشر صافى البياض وأحمر رقيق القشر لين المجس، وهو حجر شريف يلقى على الرصاص والنحاس والحديد يصيرها فضة بإذن الله تعالى ومن أراد حله فليشده فى خرقه ويجعل فيه حصى ويضرب بالماء فينحل من بعد ما غمس فى الماء.

• **حجر طرسوطوس:** قال أرسطو: تولده فى معدن الفضة والنحاس جميعا وهو أخضر فيه طبع الدهنج. وخاصيته أنه إذا نقع فى ماء وشرب يقتل، وقد فعل ذلك بقوم من عساكر الإسكندر فماتوا، وإذا ألقى فى الكحل أذهب بياض العين العتيق، وإن لم يكن عتيقا يضر بالعين.

• **حجر عقيق:** قال أرسطو: أصنافه كثيرة وأجودها ما يجلب من اليمن وقد يوجد على ساحل البحر بالأردن، وأحسنه ما اشتدت حمرته وصفت صفرته، فمن لبس من أحسنه سكنت حدته عند الخصومة وعند الضحك أيضا، ومن استاك بنحاتته ذهب عنه صدأ الأسنان وبيضه، ويذهب بالرائحة الكريهة من الفم والأسنان وينفع من خروج الدم من حواليها. وعن النبى ﷺ أنه قال: «من تختم بعقيق لم يزل فى بركة وسرور» ومحرقه يقوى العين وينفع من الخفقان.

• **حجر عنبرى:** قال أرسطو: هو حجر يضرب لونه إلى الغبرة والخضرة التى ليست بالمشرقة وفيه نقط سود وصفر وبيض يشم منه رائحة العنبر، والملوك اتخذوا منه أوانى فغلب عليهم المرة السوداء فاحتاجوا إلى العلاج وتعبوا. قال: إن إبليس لعنه الله دلهم على ذلك.

• **حجر عطاس:** قال أرسطو: هو حجر يطفئ النار إذا وقع فيها، وإذا ألقى فى النار لم تشتعل البتة، وإذا جعل تحت اللسان وشرب عليه الشراب لم يرتفع بخاره إلى الرأس ولم تسكره.

• **حجر فادزهر:** معناه حجر السم، وهو واسم لكل حجر حفظ قوته على الروح ودفع ضرر السم. قالوا: إن السم حار وبارد؛ فالحار يذيب الدم ويفنى الرطوبة التى بها قوام الحيوان ويدب فى البدن دبيب الزعفران إذا وقع فى الماء، وأما البارد فيجمد الدم والرطوبات اللطيفة كالأنفحة إذا وقعت فى اللبن الحليب فإنها تجمده فى أقرب مدة وأما فعل الفادزهر فمثل فعل الحموضات إذا وقعت على لون الزعفران فإنها تغسله من ساعته، والفاعل لهذه الأفاعيل قوة موجودة فى هذه الأشياء خلقها الله تعالى فيها وهى كالآلة للفاعل يفعل بها أفعالا مختلفة وأعمالا متقنة. قال أرسطو: أصناف الفادزهر كثيرة: الأصفر والأغبر والمشرب بالخضرة والمشرب بالبياض والجيد منها الأصفر الصافى والأغبر، معادنه فى بلاد الصين والهند وخراسان، فمن شرب منه زنة قيراط مسحوقا ومبرودا بالمبرد تخلص من السم بالعرق والرشح. وإن وضعه على سم العقرب والهوام نفع به نفعا بينا، وإن سحق وذر على موضع اللسع حين يلسع أحدث البرء، وإن عقر

الموضع قبل أن يتداوى بدوائه فذر عليه سحاقته نفعه.

• **حجر فرسلوس:** قال أرسطو هو حجر أسود يوجد فى الظلمات أخرجه الإسكندر وكان فى خزانته، وهو حجر أسود ثقيل الجسم إذا وقع فى النار تلاشى واضمحل، وإذا طرح على الزئبق وعرض على النار عقد الزئبق وضبط بعضه بعضا فيصيران جسدا واحدا وفضة لينة تصبر على النار وطرق المطارق، وإذا علق عل إنسان لم يزل يتكلم بالحكمة ما دام عليه ولا ينسى ذكر الله تعالى ليلا ولانهارا، وينفع من عين السوء، وإذا سحق مع لبن البقر وطلى به البرص يبرأ بإذن الله تعالى.

• **حجر فرطاسيا:** قال أرسطو: إنه يوجد فى أسافل الجبال الشواهق إذا كان الليل أسرج مثل النار، وإذا سحق بماء الكرفس صار سما قاتلا لسائر الحيوانات.

• **حجر فرفوس:** قال أرسطو: هذا حجر أحمر على لون النار إذا سحق وجعل على الجرح الذى لا يلتحم ألحمه.

• **حجر فيروزج:** قال أرسطو: هذا الحجر أخضر مشوب بزرقة معادنه أرض خراسان، وهو يصفو لونه من صفاء الهواء وإذا تكدر الجو تكدر، ينفع العيون إذا سحق مع الأكحال واكتحل به، وليس هو من لبس الملوك لأنه ينقص الهيبة. وعن جعفر بن محمد رضى الله عنهما: ما افتقرت يد تختمت بفيروزج.

• **حجر فليفوس:** قال أرسطو: تفسيره المتلون بألوان كثيرة، وهذا الحجر يتلون ألوانا فى كل يوم مرارا عديدة مرة أحمر ومرة أصفر ومرة أخضر، وبالليل يلمع كالمرآة، فلما ظفر الإسكندر بهذا الحجر فى معدنه أخذ منه شيئًا فلما جن عليهم الليل أخذهم الرجم من كل ناحية، فزعموا أن لهذا الحجر خاصية لا يحب الجن أن تعرفها الإنس فأمر الإسكندر بإمساكها فما مر بها بموضع إلا هرب منه الجن وما كان يقربها شىء من السباع والهوام فجعلها فى خزانته.

• **حجر فيهار:** قال أرسطو: هو حجر يوجد بناحية المشرق فى معدن الذهب لونه لون الياقوت الأحمر شفاف مثل الياقوت. خاصيته أنه يدفع غائلة السحر إذا استصحبه إنسان معه، وإذا سقى منه مقدار شعيرتين أزال الحبل والجنون.

• **حجر قرياطيسون:** قال أرسطو: إنه يوجد بأرض الهند ينفع من سيلان الدم، وإن أمسكه إنسان فى فمه ووضع على أخدعيه الحاجم وشرط لم يخرج من الدم شىء أصلا.

• **حجر قروم:** قال أرسطو: هذا حجر يخرجه الغواصون من البحر ملون بالبياض

والحمرة والصفرة والخضرة والدكنة، إذا علق على إنسان تكلم بالصواب والصدق وتهرب منه الشياطين، وإذا شرب منه وزن شعيرة مسحوقًا بالعود نفع من أوجاع كثيرة. خاصية أنه ينفع من وجع المفاصل والعظام.

• **حجر قلقيدس:** هو صنف من الزاج وهو أقوى فعلا من الصنفين المذكورين بعد.

• **حجر قلقطار:** هو صنف من الزاج، قال جالينوس: ينفع من الأورام الساعية ويحرق اللحم الزائد وينفع من الرعاف وأورام اللثة ويمنع من النزف ويقع فى الأكحال جلاء.

• **حجر قلقند:** صنف من الزاج محرق جدا أكال للحم ومجفف له، وينفع من نواصير الأنف والرعاف، ويقتل دود الأذن والبطن، ويلقى فى الماء ويرش به البيت يموت ما فيه من البراغيت والبق برائحته، وإذا ضم إليه الكبريت والشونيز كان أقوى فعلا، ويدفع الفأر أيضا، ويدلك به المسن، ويحد به الموسى يفيده قوة عجيبة فى إزالة الشعر، وإذا دلك به منخر الإنسان لا ينام البتة، فإن أراد إزالة ذلك يلطخ أنفه بالزيت حتى ينام.

• **حجر قلى:** حجر يتخذ من الأشنان بأن يحرق حتى يصير رمادا، وهو جلاء أكال أقوى من الملح ينفع من البهق والجرب واللحم الزائد، يدق مع الثوم ويعجن بالنفط الأبيض ويطلى به لدغ العقرب فإنه يسكن وجعه فى الحال.

• **حجر قيسور:** قال أرسطو: إنه حجر خفيف مخلخل يعوم على الماء ولا يغوص، يوجد بأرض صقلية وأرمينية، ويسمى أيضا حجر الدفاتر لأنه إذا حك به المكتوب محاه، ومن خاصيته تنقية الأسنان من الوسخ وتبيضها إذا سحق واستن به. وقال سرجويه: إنه يحلق الشعر إذا مر به.

• **حجر قبراطيس:** قال أرسطو: إنه حجر مدور كالبنادق يخرج من البحر. خاصيته أنه إذا سحق وسقى من به الحصا فى المثانة أخرجها قطعا من الإحليل كالرمل.

• **حجر كرسياد:** قال أرسطو: هو حجر يوجد على ساحل البحر يجتمع عليه الحيات لونه أسود مثل المداد، وهو خفيف خشن المجس لا تعمل فيه المبارد، وإذا كلس يكلس فى سبع مرات ويصير كلسه أبيض، وإذا خلط مع كلسه شىء من النوشادر وألقى جزء منها على سبعة أجزاء من زئبق عقده وصيره حجرا.

• **حجر كرسان:** قال أرسطو: إنه أخضر اللون يوجد بأرض الهند، وهو ثقيل شفاف

صاف إذا كلس هذا الحجر حتى يبيض وحمر حتى يحمر ويصير فى كيزان الزنجفر فإذا انحل ألقى عليه مثله مغنيسيا وأذيب البلور فى النار وألقى من هذا الكرسبان المدبر عليه عشر شعيرات على عشرة أساتير صبغه وجعله فى لون الياقوت، وإذا علق على إنسان أمن من الحميات.

• **حجر كرك:** قال أرسطو: إنه حجر أبيض، إذا خرج من الحرط يشبه العاج يؤتى به من ساحل بحر السند ينفع لحكة العين اكتحالا: وأهل السند والهند يتختمون به لدفع العين والسحر والشياطين، وكان الفلاسفة يضعونها عندهم كيلا تقربهم الأرواح الرديئة.

• **حجر كرمانى:** قال أرسطو: هو حجر أسود يشوبه كمودة يصاب فى الآجام والرجل وقد يكون على لون الطحال، إذا سحق بالشب واللبن وأسعط المجذومين يبرئهم بإذن الله تعالى.

• **حجر كهربا:** هو حجر أصفر مائل إلى البياض، وربما كان إلى الحمرة، ومعناه جاذب التبن لأنه يجذب التبن والهشيم إلى نفسه، وهو صمغ شجر الجوز الرومى وإذا علق على إنسان نفعه من الأورام والخفقان ويحبس القىء ويمنع نزف الدم، وإذا علق على الحامل حفظ جنينها، وإذا علق على صاحب اليرقان نفعه وأزال صفرته والكهربا شبيه بالصندروس إلا أنه أصفى لونا وأميل إلى البياض.

• **حجر لازورد:** قال أرسطو: هو حجر به رخاوة وهو مشهور: من تختم به نبل فى أعين الناس، وإن اكتحل به فى الأكحال ينفع العين. قال ابن سينا: إنه لا يسقط الثآليل ويحسن الأشعار ويكثرها: وقال غيره: اللازورد ينفع من السهر وينفع أصحاب الماليخوليا:

• **حجر لاقط الذهب:** قال أرسطو: هذا حجر يختلس الذهب، معدنه ببعض جبال المغرب وهو أصفر مشوب بغبرة يسيرة أملس لين المجس من نظر إليه ظنه تبرا، وخاصيته أن الذهب إذا برد بالمبرد واختلطت برادته بالتراب وأمر عليه هذا الحجر لقطها وأخرجها من التراب حتى لا يبقى فيه شىء.

• **حجر لاقط الرصاص:** قال أرسطو: هو حجر سمح اللون نتن الرائحة مشوب بشىء من البياض والرصاص مع ثقل جسمه هذا الحجر يختلسه فإذا وقع فى موضع يشم منه رائحة الحلتيت، وإن أحرق بالنار حتى يصير كالفحم ثم ألقى عليه الزئبق يكون منه فضة جيدة تصبر على السبك والمطرقة.

• **حجر لاقط الشعر:** قال أرسطو: هو حجر رخو خفيف متخلخل الجسم إذا مد

على الأرض ظهر الحيوان يحلق شعره مثل الكلس والنورة، فإن شد على شعر مطروح على سطح الأرض لقطه، وإن سحق وطلى به الموضع الذى حلق منه الشعر يزيل منه أثر الحلق مثل داء الحية والثعلب، وإن أصاب رائحة هذا الحجر الذهب المسبوك فسد وتفتت عند الطرق كما يتفتت الزجاج ولم يكن له حيلة.

• **حجر لاقط الصوف:** قال أرسطو: هذا الحجر أخضر يشوبه عروق خضر وصفر، وهو خفيف الجسم مائل إلى البياض مدور صغار وكبار، إذا أدنى منه الصوف التف عليه حتى يغوص فى الصوف، ومسحوقه يزيل البياض من العين اكتحالا، وإذا كلس وعقد مع زبد البحر عقد الزئبق عقدا شديدا.

• **حجر لاقط العظم:** قال أرسطو: هو حجر أصفر خشن المجس يجلب من بلاد بلخ إذا أدنى من العظام لقطها.

• **حجر لاقط الفضة:** قال أرسطو: هو حجر أبيض مشوب بغبرة وإذا غمز عليه الإنسان صر كما يصر الرصاص، وإذا أخذت منه قدر أوقية ووضعته من الفضة على مقدار خمسة أذرع اجتذبت إليه، وإن كانت مسمرة اقتلع المسمار من موضعه، وليس شىء من المغناطيس أقوى من هذا.

• **حجر لاقط القطن:** يوجد على سواحل البحر، وهو أبيض إذا أدنى من القطن أو الخرق اختلسها، ومن خواصه أنه إن حل فى الزبل وألقى على النحاس بيضه وصيره مثل الفضة.

• **حجر لحاغيطوس:** قال أرسطو: إنه حجر أسود اللون يشم منه رائحة القار شديد اليبس، يلحم الجراحات الشديدة الغور، وينفع أصحاب الصرع ويطرد الهوام.

• **حجر الماس:** قال أرسطو: إنه يقرب لونه من لون النوشادر الصافى لا يلتصق بشىء من الأحجار إلا هشمه وكسره غير الأسرب فإنه إذا ضرب بالأسرب كسر الماس، ولو جعلته ألف قطعة كان جميع قطعه مثلثة وكلما كان حجمه أكبر كان تأثيره أقوى، والصناع يجعلون قطاعه فى طرف المثقب يثقبون بها الأحجار الصلبة، والموضع الذى فيه الماس لم يصل إليه أحد، وهو واد بأرض الهند لا يلحق البصر أسفله وفيه الأفاعى وهذه الأفاعى لا يراها أحد إلا مات،ولها مصيف ستة أشهر ومشتاة مثلها، فأمر الإسكندر باتخاذ المرائى وإلقاءها فى الوادى حتى ترى الحيات فيها صورتها فتموت، وقيل إنه راقب وقت غيبتها وألقى فيها قطع اللحم فتشبثت بقطاع الماس وجاء الطير من الجو وأخذت من ذلك اللحم وأخرجته من الوادى، فأمر الإسكند أصحابه باتباع الطير

والتقاط ما ينتثر من ذلك اللحم.

ومن عجائب الماس أنه إذا طرق بالمطرقة على السندال دخل فى المطرقة أو فى السندال، وإذا ضرب بالأسرب يتكسر فى الحال، وإن ألقى فى دم التيس وأدنى من النار يذوب، وهو ينفع من المغص وفساد المعدة وتكسر الأسنان إذا أخذ فى الفم، وهو سم قاتل جدا.

● **حجر مغناطيس:** قال أرسطو: هذا حجر هندى لا يعمل الحديد فيه، إذا وضع فى مكان بطل فيه عمل السحر ويهرب عنه الشياطين، والإسكندر كان يعمله فى عسكره لدفع الجن والسحر.

● **حجر ماهانى:** قال أرسطو: هو حجر أبيض أصفر يوجد بأرض خراسان ينفع من السكتة، وإذا أحرق بالنار وجعل على البواسير أبرأها، ومن تختم به أمن من الروع والغم والجزع.

● **حجر مراد:** قال أرسطو: إنه حجر عجيب يوجد بناحية الجنوب، إن أخذ من معدنه والشمس بناحية الجنوب كان طبعه حارا يابسا وإن كانت بناحية الشمال كان طبعه باردا رطبا، وهو أحمر اللون إذا كانت الشمس جنوبية وأخضر إذا كانت شمالية. وخاصيته أن الشياطين تتبع حامله ويعلمونه بما أراد منهم.

● **حجر مرجان:** قال أرسطو: إنه ينبت فى البحر أحمر اللون وهو إذا كلس عقد الزئبق وصبغه بلون الذهب وهو يدخل فى معالجات العين ويصلب الحدقة، وقال غيره: إنه يستخرج من موضع يسمى مرسى الخذر بقرب ساحل إفريقية يجتمع التجار بها ثم يستأجرون أهل تلك النواحى على استخراج المرجان من قعر البحر. ومن أراد ذلك يتخذ صليبا من الخشب طوله ذراع ويشد فيه حجرا ويركب ركوة ويبعد عن الساحل نصف فرسخ ويرسل الصليب إلى أن ينتهى إلى قعر البحر، ثم يمر بالركوة يمينا وشمالا حتى يتعلق المرجان بزوائد الصليب ثم يقتلعه بقوة ويرفعه إليه وقد علق بالصليب، وهو جسم مشجر أغبر القشر فإذا حك خرج أحمر اللون، وزعم بعض الناس أنه يوجد أيضا فى قعر بحر الأندلس والغواصون ينزلون عليه ويقطعونه. أما خواصه فقد ذكر فى البسد وهو خلاصته فلا نعيدها.

● **حجر مرداسنج:** هذا حجر متخذ من الرصاص ينفع من الجراحات ويجففها إذا اتخذت منه المراهم، ويبرئ القروح ويلجم الجروح ويذهب برائحة الزفر من الناس. قال ابن سينا: إنه يطيب رائحة البدن والإبط ويجلو الكلف والآثار السود والدم الميت وآثار

الجدرى، وهو سم قاتل يحبس البول. وإذا طلى به الإبط رد الفضلات إلى القلب فليكن بدهن ليأمن غائلة ذلك.

● **حجر مرقشيثا:** قال أرسطو: إنه أصناف منها ذهبية ومنها فضية ومنها نحاسية وجميع أصنافها يخالطها الكبريت فإذا أحرق كبريتها وكلست حتى صارت كالدقيق دخلت فى كثير من الصنعة، وإذا ألقى منها على ذهب مسبوك خلص الذهب، وإن ألقى مكلسا على النحاس أو الرصاص قلبهما إلى البياض حتى يقاربا الفضة فى لونه، وإن طرح على النحاس الذائب يبسه وبيضه حتى يصير كالفضة، وينفع العين من جميع العلل الحارة اكتحالا. وقال ابن سينا: إنه ذهبى وفضى ونحاسى وحديدى وكل صنف يشبه جوهره الذى ينسب إليه فى لونه، والفرس يسمونه حجر الروشناوى أى حجر النور لمنفعة البصرى، وينفع من البهق والبرص والكلف طلاء، ويرقق الشعر ويجعده ويجلو العين ويقويها، وإذا علق على الصبى لم يفزع. وقال غيره: إذا علق على الإنسان أصاب خيرا وكرامة من الناس.

● **حجر مسن:** قال أرسطو: المسن الحجر الأخضر الذى يسن الحديد إذا حددته بالأدهان وهو نافع لبياض العين إذا سحق واكتحل به قبل أن يصيبه الدهن. قال ابن سينا: حكاكة المسن تطلى على الثدى والخصيا لئلا يعظما.

● **حجر مسهل الولادة:** قال أرسطو: هذا حجر هندى إذا حركته سمعت فى جوفه صوتا ومعدنه جبل بين مدينة عمان والبحرين، فإنما عرفت خاصيته فى تسهيل الولادة من أنثى النسر إذا حان وقت أن تبيض يبلغ بها حد الموت من شدة العسر وربما ماتت وضعا، فعند ذلك يذهب النسر الذكر إلى الجبل ويأتى بذلك الحجر ويجعله تحتها فأهل الهند عرفوا ذلك من النسر، فإذا وضعت هذا الحجر تحت كل حيوان أضر به الطلق سهل الولادة.

● **حجر مغناطيس:** قال أرسطو: إنه حجر يجتذب الحديد وأجود أصنافه ما كان أسود مشوبا بالحمرة، ومعدنه ساحل بحر الهند وهو قريب من بلادها، والسفن التى تعبر فى البحر إذا قربت من معدن المغناطيس وفيها شىء من الحديد طارت مثل الطير والتصقت بالجبل ولهذا المعنى لا يستعمل فى سفن البحر شىء من الحديد أصلا. ومن عجيب خاصية المغناطيس أنه إذا أصابها رائحة الثوم أو البصل بطل تأثيرها ولا يسلب الحديد فإذا غسلته بالخل عاد إلى حالته وكذلك دم التيس إذا نقعته فيه، وإن سقى إنسان سحالة الحديد يسقى من هذا الحجر مسحوقا باللبن فإنه ينزعه ويستقصيه حتى لا يترك

منه شيئا، وكذلك إذا سقى من جرح بحديد مسموم فإنه يبطل عمل السم، وكذلك إذا نثر على الجراحة الحارة التى من حديد مسموم أبرأها، فالحديد طائع لهذا الحجر بسبب قوة خلقها الله تعالى فيه ولا يزال ينجذب إليه كالعاشق إلى المعشوق. وقال غيره: إنه إذا علق المغناطيس على إنسان نفعه من وجع المفاصل وإن أمسكته المرأة التى تعسرت ولادتها وضعت فى الحال، وينفع النقرس فى اليدين أو الرجلين، وإذا أخذ فى اليد نفع من الكزاز، وإذا علقته امرأة أضر بها الطلق على ثديها الأيسر وضعت سريعا، ومن علقه فى عنقه زاد فى ذهنه ولم ينس شيئا.

● **حجر ملح:** قال أرسطو: الملح أصناف منها المتحجر كالبلور، ومنها ما يكون كالثلج وتحجره كتحجر سائر الأحجار، ومنها ما يكون سؤرجا فى الأرض السبخة جعلها الله تعالى قواما لمصالح الدنيا فيصلح لكل شىء يخالطه حتى الذهب فإنه تحسن لونه ويزيد فى صفرته، وعن النبى ﷺ أنه قال «يا على ابدأ بالملح واختم به فإن فيه شفاء من سبعين داء» ومن خواصه دفع العفونات كلها، والملح المحرق يقى الإنسان من الحفرة ويزيل كهبة اللون حيث طلى، واستعماله بالعسل يحسن اللون ويأكل اللحوم الزائدة النابتة، وينفع القوبى والجرب، ويضمد به مع بزر الكتان للسع العقرب، ومع العسل والخل لنهشة ذى الأربعة والأربعين والزنابير. وينفع من الجرب والحكة البلغمية والنقرس، والإندرانى هو الذى يشبه البلور يحد الذهن ويشد اللثة المسترخية.

● **حجر نطرون:** قال أرسطو: إنه يغسل الأجسام من الوسخ وينور وجهها، وهو نافع للأرحام اللواتى غلبت عليها رطوبة ينشفها ويقويها. وقال غيره: هو البورق الأرمنى ينفع من القولنج الشديد ويقلع بياض القرنية، وإذا ألقيت فى العجين طيب خبزه وبيضه وييسه، وإن طرح فى القدر أهرى اللحم.

● **حجر نوبى:** قال أرسطو: إنه حجر شريف لين المجس، ومعنى النوبى النافع للسم وهو ينفع من سائر السموم إلا أنه يعمد إلى الكبد والقلب ويذوبهما وإلى العروق فيفسد كيفية ما فيها من الدم، وقد يسد مجارى الروح الحيوانية فيغشى على الإنسان فإن بادر الأدوية القتالة قبل نفثها فى البدن نفعه نفعا بينا وإذا أبطأ ذلك ضره.

● **حجر نورة:** من الأجساد الحجرية المحترقة، ويقطع نزف الدم إذا جعلته على الموضع وينفع من حرق النار جدا، وإذا طلى بها فى الحمام لأجل إزالة الشعر أبرزت بما تحت الجلد فينبغى أن يدهن بعدها بدهن البنفسج وماء الورد. وذكر أن استعمال النورة لإزالة الشعر من تعليم الجن، وذلك أن سيدنا سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام

لما تزوج بلقيس ملكة اليمن وجد ساقها أزغب، فسأل الجن هل فى ذلك حيلة؟ فذكروا له استعمال النورة، وإذا فرشت فى موضع لم تقربه البراغيث.

• **حجر النوشادر:** تولده كتولد الملح إلا أن الأجزاء النارية فيه أكثر من الأرضية ولهذا إذا أرادوا تصعيده يتصاعد كله وقيل إنه من أجزاء مائية وأجزاء دخانية لطيفة كثيرة الحرارة وربما يتخذ من أرخام الحمامات. قال أرسطو: إنه أصناف كثيرة فمنه مركب فى سواد وغيره وبياض ومنه الأغبر ومنه الأبيض الصافى، فالشبيه بالبلور ينفع من بياض العين ومن الخوانيق البلغمية إذا طبخ ونفخ فى الحلق مع أدوية أخرى وقال الشيخ الرئيس: إذا رش البيت بالماء الذى جعل فيه النوشادر يهرب منه جميع الهوام.

• **حجر هادى:** قال أرسطو: هذا الحجر يوجد بناحية الجنوب والشمال جميعا لونه لون الطحال، إن علق على إنسان لم تنبح عليه الكلاب، وإذا كلس وألقى عليه زاج منقى عقد الزئبق ولم يفر من النار.

• **حجر ياقوت:** حجر صلب شديد اليبس رزين شفاف صاف مختلف الألوان أحمر وأصفر وأخضر وأزرق، وأصل كلها ماء صاف وقف فى معادنها بين الحجارة الصلدة زمانا طويلا فغلظ وصفا وثقل أنضجته حرارة المعدن بطول وقوفه فصير صلبا لا تذوبه النار لقلة دهنيته ولا يفتت لغلظ رطوبته بل يزداد لونه حسنا ولا تعمل فيه المبارد لصلابته، ومعدنه بالبلدان الجنوبية عند خط الاستواء وهو قليل الوجود عزيز. قال أرسطو: الياقوت فى الأصل ثلاثة أصناف: مختارها الأحمر والأصفر والأخضر، أما الأحمر فأكثر وله على النار صبر،وأما الأصفر فإنه أصبر على النار من الأحمر، وأما الأخضر فلا صبر له على النار ألبتة وأما ما عدا هذه الأصناف فليست فى الشرف والخاصية كهذه الألوان، فمن تختم أو تقلد بشىء من هذه الأصناف الثلاثة التى وصفناها لا يعلق ببدنه الطاعون وإن عم أهل البلد ونبل فى أعين الناس وسهل عليه أمور المعاش وقال غيره: إنه يمنع الماء من الجمود، والله الموفق.

• **حجر يشب:** أبيض مشهور يقال له حجر الغلبة، من استصحبه لا يغلبه فى الحرب أحد ولا يحجه أحد، ولهذا يجعله الملوك فى مناطقهم المرصعة، وإذا وضعه العطشان فى فمه سكن عطشه.

• **حجر يقظان:** قال أرسطو: هو مجرب إذا علق على إنسان لم ينس شيئا، والفلاسفة قد رمزوه وستروه عن العامة، قالوا: إنه يتحرك ولا يسكن حتى يلمسه إنسان، وهو يصلح لخفقان القلب والفؤاد والارتعاش واسترخاء الأعصاب.

القسم الثالث فى الأجسام: الدهنية

زعموا أن الرطوبات المختفية تحت الأرض تسخن فى الشتاء وتبرد فى الصيف. لأن الحرارة والبرودة ضدان فلا يجتمعان فى مكان واحد، فإذا جاء الشتاء برد الجو وفرت الحرارة إلى باطن الأرض فمنها مواضع دهنية فاكتسبت الرطوبات المنصبة إلى تلك المواضع بواسطة الحرارة منها دهنية، فإذا أصابها نسيم الهواء أو برودة الجو غلظت فربما انعقدت وربما بقيت على ميعانها فتصير كبريتا أو زئبقا أو قيرا أو نفطا أو ما شابه ذلك وذلك بحسب اختلاف البقاع وتغيرات الأهوبة وبحرارة المعدن ونضجه إياها وتصفيتها مرة بعد أخرى، فإذا اختلط الكبريت والزئبق مرة أخرى وتمازجا والتأثير بحاله تركب من امتزاجهما الجواهر المعدنية بأنواعها كما ذكرناه قبل فلا نعيده ونذكر تولد كل واحد منها مع بعض خواصها، والله الموفق.

● **أما الزئبق:** فإنه يتولد من أجزاء مائية اختلطت بأجزاء أرضية لطيفة كبريتية اختلاطا شديدا لا يتميز أحدهما عن الآخر وعليه غشاء ترابى، فإذا اتصلت إحدى القطعتين بالأخرى انفتح الغشاء وصارت القطعتان واحدة والغشاء محيط بهما، وأما بياضه فسبب صفاء ذلك الماء وهو التراب الكبريتى الذى ذكرناه. قال أرسطو: الزئبق فضة إلا أنه دخل عليه آفة فى معدنه كما ذكرنا آفات الرصاص أنها آفات للزئبق أيضا. ومن طلى بدنه بالزئبق قتل عنه القمل والصئبان والقراد، وتراب الزئبق يقتل الفأر إذا جعل فى طعام أو نحوه، ومن دنا من الزئبق إذا مسته النار أفلجه، ودخانه يحدث أسقاما رديئة مثل الرعدة والفالج وذهاب السمع وصفرة اللون والرعشة فى الأعضاء والبخر فى الفم ويبس الدماغ، ومن دخانه تهرب الحيات والهوام جميعا، ومن أقام عنده مات، وإن طرح من الزئبق فى تنور الخباز سقط جميع خبزه فى النار، والمسافر يتقلد بقلادة من صوف ملطخة بالزئبق المقتول فإنه لا يتولد فى ثوبه قمل أصلا.

● **وأما الكبريت:** فإنه يتولد من أجزاء مائية وهوائية وأرضية إذا اشتد الاختلاط بعضها بالبعض بسبب حرارة قوية ونضج تام حتى يصير مثل الدهن ثم ينعقد بسبب برودة ضربته. قال أرسطو: الكبريت أصناف منه الأحمر الجيد اللون ومنه الأبيض الذى هو كالغبار ومنه الأصفر، أما الأحمر فمعدنه بالمغرب لأناس فى موضع بقرب بحر أوقيانوس على فرسخ منه، وهو نافع من الصرع والسكتة والشقيقة ويدخل فى أعمال الذهب، وأما الأبيض فيسود الأجسام البيض وذلك فى العيون التى يجرى منها الماء

جريا مشوبا به ويوجد لتلك المياه رائحة منتنة، فمن انغمس فى هذه العيون فى أيام معتدلة الهواء أبرأه من الجراحات والأورام والجرب ورياح الأورام والسلع التى تكون من المرة السوداء. وقال ابن سينا: إن الكبريت من أدوية البرص ما لم تمسه النار، وإذا خلط بصمغ القرطم، قلع الآثار التى تكون على الأظفار وبالخل على البهق، ويجلو القوبى خصوصا مع علك، وهو طلاء للنقرس مع النطرون والماء ويحبس الزكام بخورا. وقال غيره: إذا سحق الكبريت الأصفر ونثر على موضع اللسعة نفعها، وهو يبيض الشعر بخورا وتهرب من رائحته البراغيث وكذلك الحيات سيما مع دهن أو حافر حمار، وإذا دخن به تحت شجر الأترج نزل الأترج كله.

● **وأما القير:** فمنه ما ينبع فى بعض الجبال ومنه ما ينبع مع الماء فى بعض منابع المياه فيفور مع الماء الجارى من العين، فما دام مع الماء يكون لينا فإذا فارق الماء برد وجف فيغرف من الماء بالقفف ويطرح على الأرض، ثم يجعل فى القدر ويوقد تحته وينخل له الرمل ويطرح عليه مقدار معلوم ليختلط به ويحرك تحريكا متداركا فإذا بلغ حد استحكامه صب على وجه الأرض فيجمد، وتقير به السفن والحمامات: قال ابن سينا: إنه يذيب الدم الجامد فى البطن إذا شرب، وينضج الخنازير، ويطلى به القوبى، وهو ضماد للنقرس، ويطلى به عرق النساء وينفع من السعال والخناق.

● **وأما النفط:** فيطفو الماء فى منابع المياه، منه أسود ومنه أبيض وقد يصاعد الأسود بالقرع والأنبق فيصير أبيض، ينفع من أوجاع المفاصل واللقوة والفالج وبياض العين والماء النازل فيها، وإذا شرب منه نصف مثقال نفع من المغص والرياح ويخرج الأجنة الموتى والمشيمة المحتبسة ويقتل الدود وحب القرع وينفع للملسوع طلاء، وربما يتوقد من غير نار بل بتحريكه.

● **وأما الموميائى:** فإنه شبيه بالقير لكنه كثير المنافع ومعدنه بالموصل وبأرجان من أرض فارس، ينفع من الخلع والكسر والضربة والسقطة والفالج واللقوة شربا وتمريخا، ومن الشقيقة والصداع البارد والصرع والدوار سعوطا بماء المرزنجوش، ومن الخناق والخفقان،

● **وأما العنبر:** فقد اختلف الناس فى معدنه فمنهم من زعم أنه من عين فى البحر كالقير، ومنهم من زعم أنه طل يقع على بعض الأشجار فى البحر ثم يترشح من خلالها وينعقد هناك وأنها فى بقاع مخصوصة فى زمان معلوم، كما أن الترنجبين طل يقع على نوع من الشوك بخراسان فى وقت معلوم، ومنهم من قال إنه روث حيوان مائى،

ولا خلاف فى أن تولده فى البحر والبحر يقذفه إلى الساحل، وذكروا أن بحر الزنج يقذف فى بعض الأوقات قطعة عظيمة تشبه تلا وأكثر ما يرى على قدر الجماجم أكثرها ألف مثال، وكثيرا ما يوجد فى جوف السمك البحرى والذى يأكله يموت ويكون فى هذا الصنف سهوكة لا رائحة له، ومن خاصيته تقوية الدماغ والحواس والقلب تقوية عجيبة وهو يزيد فى جوهر الروح وينفع المشايخ جدا بلطف تسخينه والشربة منه دانق وما فوقه مضر، وليكن هذا آخر الكلام فى المعدنيات، والله الموفق للصواب.

* * *

النظر الثانى: فى النبات

النبات متوسط بين المعادن والحيوان بمعنى خارج عن نقصان الجمادية الصرفة التى للمعادن، وغير واصل إلى كامل الحس والحركة اللتين اختص بهما الحيوان لكنه يشارك الحيوان فى بعض الأمور، لأن البارى تعالى يخلق لكل شيء من الآلات ما يحتاج إليها فى بقاء ذاته ونوعه وما زاد على ذلك تكون ثقلا وكلا عليه لا يخلفه، ولا حاجة للنبات للحس والحركة بخلاف الحيوان. ومن عجيب صنع الله تعالى أن الحب والنوى إذا حصلا فى تربة ندية وأصابهما حر الشمس انشقا وحدث بقوة خلقها الله تعالى فيهما الأجزاء اللطيفة الأرضية من الأرض والمائية من الماء، ثم إن تلك الأجزاء يتراكم بعضها على بعض بواسطة قوى خلقها الله تعالى فيها حتى يصير الحب بالغًا ذا عروق وقضبان وأوراق وأزهار، والحب والنوى شجرًا عظيما ذا عرق وساق وأوراق وثمر، فسبحانه ما أعظم شأنه وأوضح برهانه.

والنبات قسمان: شجر ونجم، والله تعالى الموفق للصواب.

القسم الأول: فى الشجر

وهو كل ما له ساق من النبات والأشجار العظام بمثابة الحيوانات العظام والنجوم بمثابة الحيوانات الصغار، والأشجار العظام لا ثمر لها كما ترى فى الساج والدلب والعرعر لأن المادة كلها صرفت إلى نفس الشجر، ولا كذلك الأشجار المثمرة فإن مادتها صرفت إلى الشجرة المثمرة ويشبه حالها حال الذكور والإناث من الحيوان فإن الذكر أعظم بدن من الإناث لأن بعض مواد الإناث تصرف الأجنة: ومن عجيب صنع البارى خلق الأوراق على الأشجار زينة لها ووقاية لثمرها من نكاية الشمس والهواء، ثم إنه تعالى خلقها مرتفعة عن الثمار متفرقة بعض التفرق لا متكاثفة عليها ولا بعيدة عنها لتأخذ الثمار من النسيم تارة ومن الشمس أخرى، فلو تكاثفت عليها حتى منعتها إصابة النسيم وشعاع الشمس لبقيت على فجاجتها غليظة الجلد قليلة المائية، وإذا سقط منها بعض الورق أصابتها الشمس وأحرقتها كما ترى فى الرمانة التى احترق منها إحدى الجوانب، ثم إذا فرغت الثمرة تناثرت الأوراق حتى لا تجذب مائية الشجر فتضعف قوتهاكما ترى فى الحيوان، الأم تضعف من إرضاع أولادها، وأعجب ما فيها ما ذكره الله تعالى:

﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤]. ولنذكر بعض ما يتعلق بواحد واحد من الأشجار مرتبا على حروف المعجم إن شاء الله تعالى.

● **أبنوس:** شجر كقطعة حجر على رأسه نبت أخضر وخشبه صلب جدا لا يقف على الماء بل يرسب وهو أشبه خشب بالحجر. قال الشيخ الرئيس: إذا وضعته على الجمر فاحت منه رائحة طيبة، ويجلو الغشاوة والبياض إذا حل بماء واكتحل به، وإذا احرقت نشارته على طابق ثم غسلت واكتحل به ينفع من الرمد اليابس وجرب العين. وقال غيره: ينفع من حرق النار ويحل نفخ البطن، والله الموفق.

● **آس:** شجرة معروفة. قال صاحب الفلاحة: إذا أردت غرس الآس فاجعل فى حفرتها شيئا من الرمل وازرع الشعير يقوى أصل الآس. قال الشيخ الرئيس: ورق الآس يطيب رائحة البدن بدل التوتيا، ويقوى أصل الشعر ويطيله ويسوده ويمنع تساقطه. ورماد الآس يقوم مقام التوتيا فى دفع الرائحة الكريهة وينفى الكلف ويجلو البهق، وينفع من عضة الرتيلا وبزر الآس يتمضمض به يقتل الدود المتولد فى الأسنان.

● **أترج:** من الأشجار التى لا تنبت إلا ببلاد الحر. قال صاحب الفلاحة: إذا جعل رماد ورق اليقطين تحت شجرة الأترج يكثر ثمرتها ولا يسقط منها شىء أصلا وورقه يمضغ يطيب نكهة الفم ويقطع رائحة الثوم والبصل. قيل إن بعض الملوك حبس جمعا من الحكماء وأمر أن لا يدخل عليهم إلا خبز مع إدام واحد، فاختاروا الأترج فسئلوا عن ذلك؟ فقالوا: إن قشره الظاهر مشموم وشحمه فاكهة وحماضه أدام وبزره دهن. قال صاحب الفلاحة: من أراد أن يبقى الأترج على الشجرة طول سنتها فليطلها بالجص ومن دفنها فى شعير تبقى زمانا طويلا، قشره يطيب نكهة الفم إمساكا ينفع من الفالج وعصارة قشره تنفع من لسع الأفاعى شربا ورماد قشره جيد للبرص والقوبا طلاء. قال الشيخ الرئيس: يجعل قشر الأترج فى الثياب يدفع عنها السوس، ورائحته تصلح فساد الهواء والوباء، وشحمه يورث القولنج، وحماضه يجلو العين ويذهب الكلف ويسكن غلمة النساء، وحبه يسحق ويوضع على لسع العقرب يسكن وجعه، وينفع السليم شربا فى الحلاب وضمادا، ويشد فى صرة على عضد المرأة فإنها لا تحبل، وعصارة حماضه تبيض الخبز وتزيل الكتابة بالحبر.

● **إجاص:** قال صاحب الفلاحة: إذا سقيت شجرة الإجاص بدردى الإجاص طيب طعم ثمرتها فوق ما كانت، وإذا طليت شجرة الإجاص الحلو بمرارة البقر لا يتولد الدود فى ثمرتها، وورقها يطبخ بسذاب ويتمضمض به يمنع سيلان الدم من اللثة، ثمرتها

تسكن العطش وحرارة القلب، وإذا أردت أن تبقى الإجاص مدة طويلة فاجعله فى ظرف وصب عليه من العصير ما يغمره ثم طين رأسه فإنه يبقى الإجاص مدة طويلة والله الموفق.

● **ازدرخت:** شجرة كبيرة معروفة تسمى بطبرستان ضاحك لها ثمر يشبه النبق، ورقها يقتل البهائم وعصارة ورقها تقتل القمل وتطيل الشعر عن الشيخ الرئيس، وقال غيره عصارته تنفع من السم إذا شربت بالعسل وتنفع من القولنج. قال ابن سينا: وثمرتها ربما قتلت وأحدثت كربا عظيمًا إذا أكلت، والله الموفق.

● **أم غيلان:** شجرة من عضاه البادية كثيرة الشوك. قال ابن سينا: أصله يسمى بنك إذا بخر به طيب رائحة البدن وقطع رائحة الثوم.

● **بان:** شجرة معروفة حبها أكبر من الحمص مائل إلى البياض طيب الرائحة وله لب دهنى قال ابن سينا: إنه ينفع من البرص والكلف والبهق وآثار القراح وينفع من الثآليل فى المراهم، وطبيخه ينفع من وجع الأسنان مضمضة. وقال غيره: ينفع من الجرب. وينفع فى الرعاف.

● **بطم:** شجرة جبلية معروفة ثمرتها الحبة الخضراء. قال ابن سينا: يجلو الجرب والقوبا وقال غيره: ينفع من الباه سيما رطبها، ودهنها ينفع من الفالج واللقوة ويذهب شهوة الطعام وصمغها وثمرتها ينفعان بالشرب لنهش الرتيلا.

● **بلسان:** شجرة توجد بمصر دون غيرها من البلاد ولا فى غير ذلك الموضع بمصر أيضا وهو موضع يعرف بعين شمس، وهى شبيهة الرائحة والورق بالسذاب لكنها تضرب إلى البياض. قال ابن سينا. حبها وعودها ينفعان من وجع الرئة والجنبين وعرق النسا والصرع والدوران وينشفان رطوبة الأرحام بخورا، وينفعان من العقم ويقاومان السموم ونهش الأفاعى. دهنها يؤخذ عند طلوع الشعرى بأن يشرط بالحديدة ويجمع ما يتبدى بقطنة ولا يجاوز الستة أرطال ثم يدفع إلى رجل نصرانى يعرف طبخها ولا يعلم أحدًا إلا ولده وهو أعز دهن الدنيا. قال ابن سينا: يجلو الغشاوة ويخرج الجنين والمشيمة وينفع من عسر البول ويذهب بالنافض وينفع من سموم الهوام خاصة العقرب. ذكروا أن الخاصية للبئر التى يسقى منها تلك الأشجار أنه اغتسل فيها عيسى عليه الصلاة السلام، وأما الأشجار فنقلت إلى غير ذلك الموضع وسقيت من غير ذلك الماء فما أفادت شيئا ثم سقيت بها فزكت، والله الموفق.

● **بلوط:** من أشجار الجبال. قالوا: إنها تثمر سنة بلوطا وتثمر أخرى عفصا. قلت:

إن صح هذا فإنها شبيهة بالأرنب والضبع والحدأة فى الحيوان فإنها تكون سنة ذكرا وسنة أنثى والله أعلم بصحة ذلك، ورقها إن ألقى على حية لم تستطع أن تسعى: قال ابن سينا: ينفع من سم السهام وسموم الهوام ونزف الدم: وقال غيره، إذا انثر رماد البلوط عند أجحرة الجرذان أصابها الجرب ويقتل بعضها بعضا.

● **تفاح:** قال صاحب الفلاحة: إذا أردت غرس تفاح فازرع حواليها العنصل فإن الدود لا يقع فى ثمرتها، وإذا غرست تحتها الورد الأحمر يحمر ثمرتها. قال ابن سينا: عصارة ورق التفاح نافعة من السموم وزهرة شجرة التفاح تقوى الدماغ تقوية عجيبة. قال ابن سينا: إدمان أكل التفاح يورث أوجاع الأعصاب، وخصوصا الربيعى وهو نافع من السموم. وقال غيره: تطلى رجل المنقرس بعصارته يسكن ألمها وأكله وشمه يقوى القلب، والفج منها نافع من سم العقرب ومن كل سم حار، وإذا أردت أن تبقى التفاح زمانا طويلا لففتها فى ورق التين أو ورق الجوز وتركتها تحت الأرض أو وسط الطين تبقى مدة طويلة، والله أعلم.

● **تنوب:** شجرة عظيمة جدا منابتها جبال ذروة الروم يوجد منها أجود القطران. قال ابن سينا: ورقها يوضع على الجراحات الطرية يمنع فسادها. وخشبها بالخل نافع لوجع الأسنان، ويقال لحبه قضيم قريش وهو يعين على التعب من الصداع، وصمغه عظيم النفع للسعال المزمن، والزفت البرى سيال شجرته يقلع بياض الأظفار وينفع من شقاق القدم طلاء وينبت الشعر فى داء الثعلب ضمادا ودخان الزفت يحبس أهداب العين وينبت الأشفار ويقوى البصر كل ذلك عن ابن سينا، والله الموفق.

● **توت:** شجرة من أعز الشجر لأن دود القز لا يأكل إلا من شجره وورقه. قال صاحب الفلاحة: إذا زرعت تحت شجرة التوت العنصل يقوى ويكثر نماؤه، وقال ابن سينا: يطبخ ورق التوت الحلو وورق الكرم وورق التين الأسود بماء المطر لتسويد الشعر، وقال غيره: ورق التوت الحامض ينفع لوجع السن والتوت الأسود يوضع على لسع العقرب يسكن وجعه فى الحال، وقشر التوت يؤكل مع الترنجبين ينقى البطن والبدن عن حب القرع.

● **تين:** قال صاحب الفلاحة: إذا أردت غرسه فاجعله فى ماء الملح يوما ثم اجعله تحت خثى البقر ثم اغرسه فإن طعم ثمرته يطيب جدا، وإذا سقيتها بماء الزيتون لا يسقط من ثمرتها شىء، وإذا غسلت ورق التين بالماء الحار هلك جميعا. قال ابن سينا: خشبها ينفع من لسع الرتيلا سقيًا ومسحًا ودخانًا، وخشبها إذا أصاب الأداة لا يملك صاحبها

نفسه من وجع المثانة والخصية ولبن عيدانها إن قطر على موضع اللسعة لم يسر سمها فى الجسد، وقضبانها تهرى اللحم إذا طبخ معها، وعصارتها قبل أن تورق تنفع إذا جعلت على السن المتآكلة. قال صاحب الفلاحة: إذا نثرت رماد خشب التين فى البساتين هلك ديدانها. قال ابن سينا: يجعل ورق شجر التين طريا مع الفج من ثمرتها على عضة الكلب فإنه ينفع، وعصارة ورقها تقلع آثار الوشم، وقال ابن عباس رضى الله عنهما: هذه الثمرة أقسم الله تعالى بها لأنها تشبه ثمار الجنة لكونها على قدر اللقمة وخلوها عن العجم والنوى. وقال رسول الله ﷺ وأحضر عنده التين «لو قلت ثمرة أنزلت من الجنة لقلت هذه كلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس» قال ابن سينا: الفج منه يضمد به الخيلان والثآليل والبهق يقلعها، والمداومة على أكله تصلح اللون الفاسد، وهو يسمن سمنا سريع التحلل ويعمل جدا، وينفع أكله رطبا ويابسا من الصرع، ويطلى بلبنه الدماميل ينضجها ويقطر على الثآليل يقلعها وعلى الجراحة التى عليها لحم فاسد ينقيها، ولبن التين مع العسل ينفع من الغشاوة ويقطع شهوة الطعام وينفع من لدغ العقرب. قال محمد بن زكريا: دخان التين يهرب منه البق والجرجس.

● **جميز:** شجرة عظيمة شبه شجرة التين وورقها كورق التوت، تثمر فى السنة ثلاث مرات أو أربعًا ولا يخرج ثمرها من فروع الأغصان كسائر الأشجار بل يخرج من ساقها وورقها يقلع آثار الوشم إذا طلى بعصارته مرارا وتضمد به الخنازير يحللها، وثمرتها تلصق الجراحات وتحلل الأورام وتنفع من النهوش أكلا وطلاء.

● **جوز:** من الأشجار التى لا تنبت إلا بالبلاد الباردة. قال صاحب الفلاحة: إذا أردت أن يفتت قشر الجوز باليد فخذ جوزة واتركها فى بول صبى غير مدرك خمسة أيام ثم ازرعها وانثر عليها الرماد، وإن شئت خذ جوزة وقشرها بحيث لا يصيب اللب خدش ثم ضعها فى كاغد أو خرقة أو ورق من كرم أو دلب ثم ازرعها وانثر عليها الرماد فإنها تثمر جوزا قشرها كالكاغد، وقال: إذا وصلت الجوز بشىء من الأشجار لا يعلق إلا بالفستق فإنها تعلق بها وتكون لها ثمرة عجيبة، وقال ابن سينا: الجوز الرطب ضماد لآثار الضربة يزيلها ولبه مصدع يثقل اللسان والإكثار منه يسهل الديدان وحب القرع، وإذا فتّت الجوزة وألقيتها فى القدر التى ينبت منها الدخان التقطت التين منها، ولو ألقيت تلك الجوزة فى الزيت لم يتغير ولو بقى سنة، وإذا أحرق قشرها يجفف القروح تجفيفا جدا لا لذع فيه، والجوز المحرق بقشره يسوّد الشعر.

● **خسرودار:** شجرة عظيمة جدا خشبها خولنجان. قال ابن سينا: ينفع من القولنج

ويزيد فى الباه ويطيب النكهة.

● **خروع:** إذا جف حبه فى أكمامه تصدعت عنه وتحذف به الغصن فربما وقعت على أكثر من قاب رمح، حبها ينفع من القولنج والفالج واللقوة وقدر ما يؤكل منه عشر حبات مقشورة. وذكر بليناس فى كتاب الخواص: أن دهن الخروع إذا مسحت به راس الديك لا يصيح ألبتة.

● **خلاف:** شجرة الصفصاف خشبها خفيف جدا يتخذ منه الصوائح، ورقها على شكل الخنجر يقوى الدماغ ويرطبه ويجعل فى فراش من ضر به السموم ينفعه. قال ابن سينا: إذا ضمد به رطبا منع نزف الدم، ورماد ورقه مع الخل يقلع الثآليل والنملة، وفقاحها طيب الرائحة جدا ويقوى الدماغ وماؤه يسكن الصداع.

● **خوخ:** قال صاحب الفلاحة: إذا أردت أن يحمر الخوخ غاية الحمرة فخذ النواة التى تنشق بنفسها واجعل فى شقها شيئا من الزنجفر وضع اللحم فيها ولا تنقها عن اللحم واترك لحمها عليها فإنها تثمر خوخا شديد الحمرة وإذا نقشت فى باطن النواة نقشا بالسكين أو كتابة يكون ذلك فى جميع أفراد ثمرتها، وإذا أخذت النوى وأخرجت ما فى جوفه من الأصل الذى يشرب به بحيث لا ينسد شىء من عيونه وغرسته فإذا أدرك لا يكون لثمرة تلك الشجرة نوى دون عظم وورق الخوخ يقطع رائحة الثوم، وإذا طلى به السرة قتل ديدان البطن.

● **دار سيشعان:** شجرة كبيرة ذات شوك كثير. قال: إذا رميت فى الماء الذى فيه التمساح تجتمع عليها التماسيح. قال ابن سينا: هو جيد لنتن الأنف. إذا اتخذ فتيلة وتمضمض بطبيخه حفظ الأسنان، وإذا احتمل يخرج الجنين.

● **دردار:** شجرة البق وهى شجرة كبيرة عالية يخرج منها أقماع منتفخة كالرمانات ثم يتفقأ فيخرج من كل واحدة من البق ما شاء الله، ولقد كسرت قمعًا من أقماعه على الشجرة فكان مجوفًا فإذا شحم وعلى شحمها شبه بزر الرمان ما لا يعد ولا يحصى، فمنها ما خلق الله تعالى فيه الروح يتحرك ومنها ما لم يخلق بعد، ومنها ما نبت له جناحان، ورقها يؤكل كالبقول، وطريها يلصق الجراحات ويقوى العظام الواهية المكسورة فيصلحها إذا ضمدت به. قال ابن سينا: ورقها يطلى به العظام المكسورة يصلحها، وأقماعها تجلو الوجه طلاء، وقشرها رطبًا بالخل يجلو البرص ويصلح الجراحات.

● **دلب:** من أعظم الأشجار وأعلاها وأبقاها فإذا طالت مدتها تفتت جوفها ويبقى ساقها مجوفًا، ورقها تهرب منه الخنافس وبعض الطيور يجعلها فى أوكارها لدفع

الخنافس فلعلها تهرب منه، فإذا غسل وطبخ وضمد به حبس الوازل عن العين، وقشرها مطبوخًا بالخل ينفع من حرق النار ووجع الأسنان وثمرتها يقال لها حوز السر، ومع الشحم ضمادًا جيد لنهش الهوام، والله الموفق للصواب.

● **دهمشت:** هو شجر القار شجر حار، ورقه كورق الآس إلا أنه أكبر فى ثمرته حمرة وينبت فى مواضع جبلية ولها حب على شكل البندق الصغار عليها قشور سود، قال صاحب الفلاحة: إذا طرحت فى الأرض غصنًا من أغصان دهمشت أصابته كل آفة تتوجه نحو تلك الأرض ويسلم ما سواه من الآفات، ورقه ينفع من الفالج واللقوة والقولنج، وإذا نثر ورقه على الشعير وخلطته به يبقى زمانًا طويلاً لا يفسد، وإذا طحن ومرخ به البدن لا يقربه الذباب، الطرى منه ضماد جيد للسع النحل والزنابير وهو ترياق للسموم كلها، دهنه يحلل الصداع والطنين.

● **رمان:** من الأشجار التى لا تقوى إلا فى البلاد الحارة. قال صاحب الفلاحة: إذا غرست حول الرمان الآس يكثر ثمرتها، وإذا دفنت نوى التمر مع الملح تحت شجر الرمان يفسد، وإذا أردت أن لا يكون فى الرمان عجم شق عن أسافل قضبانه عند الغرس ونق أجوافها عن مخها واضمم بعضها إلى بعض واربطها بشىء من الحشيش واغرسها فإنها إذا نبتت لا يكون فيها شىء من العجم، وإن أردت أن يحمر لونها فاخلط رماد الحمام بالماء وصبه فى أصل شجرتها فإنه تشتد حمرة حبها، وإن أردت أن يحلو الرمان الحامض فنح التراب عن أصل شجرتها وطل عروقها بجعور الخازير وانضحها بأبوال الناس ثم أعد التراب عليها كما كانت. وقال أيضًا: تأخذ الرمانة من شجرة وتعد حبتها فتكون جميع حبات رمان تلك الشجرة بذلك العدد، وقال: كذلك تعد شرفات قمع الرمانة فإن كان زوجًا فعدد حباتها فرد، خشبها يهرب منه أكثر الحشرات ولذلك يأخذه بعض الطيور ويتركه فى عشه حتى لا يقرب عشه الهوام. وقال ابن سينا: قضبان الرمان عجيبة لطرد الهوام وكذلك دخان خشبه. وقال محمد بن زكريا: دخان خشب الرمان يطرد الحيات وأكثر الهوام، وقال غيره: من ضرب بخشب الرمان وأصابه من الضرب جراحة لا يصح إلا إذا وضع عليه لحم الفرس الأشهب، زهرها يقال له الجلنار قد يكون أحمر وقد يكون أبيض.

قال ابن سينا: إنه جيد للثة الدامية ويقوى الأسنان المتحركة ومانع لنفث الدم ثمرتها عن ابن عباس رضى الله عنهما: ما نفجت رمانة قط إلا بقطرة من ماء الجنة، وعن على رضى الله تعالى عنه: إذا أكلتم الرمانة فكلوها بشحمها فإنه دباغ للمعدة، وما من

حبة منها تقوم فى جوف رجل إلا أنارت قلبه وأخرست شيطان الوسوسة أربعين يومًا.

وقال صاحب الفلاحة: من أراد أن يبقى الرمان غضا طريًا فليقطفه بيده من شجره من غير أن يصيبه جراحة ويغمس طرفه فى زيت مسخن ويعلقه فى بيت بارد فإنه يبقى زمانًا طويلاً غضًا طريًا، ولو تركها على شجرتها ولف عليها شيئًا من الأوراق ثم حصنها بحيث لا يدخلها الهوام يبقى زمانًا طويلاً، قشرها يهرب منه الهوام كما يهرب من خشبها ولا يترك قشر الرمان فى سائر الفلاة لئلا يتولد الحيوان فى الطعام.

● **زيتون:** شجرة مباركة كثيرة النفع أقسم الله تعالى بها فى القرآن العزيز لعموم نفعها، وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن آدم عليه الصلاة والسلام وجد ضربانًا فى جسمه فاشتكى إلى الله تعالى فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بشجرة الزيتون وأمره أن يغرسها ويأخذ ثمرتها فيعصرها، وقال له: إن فى دهنها شفاء من كل داء إلا السام». ومن عجيب خواص هذه الشجرة أنها تصبر عن الماء طويلاً ولا دخان لخشبها ولا لدهنها. قال صاحب الفلاحة: ينبغى أن يكثر تحت شجرة الزيتون من المدر فإن الغبار إذا سطع على الزيتون زاده دسمًا ونضجًا، وإذا أخذت أوتادًا من شجر البلوط ودققتها فى الأرض حول شجرة الزيتون فإنها تقوى ويكثر ثمرها، قال بليناس: إذا علق شىء من عروق شجر الزيتون على من لسعته العقرب برأ من وقته، وورقها الأخضر إذا طبخته بالماء ورششت به البيت هرب منه الذباب، ورماد ورق الزيتون يقوم مقام التوتيا، وإذا طبخ ورق الزيتون بالخل نفع من وجع الأسنان، وإذا طبخ بماء العسل حتى يصير كالعسل وجعل على الأسنان المتآكلة قلعها، صمغها ينفع من البواسير إذا نقع فى الماء وبل به الخبز وترك للفأرة فإذا أكلته ماتت، وصمغ الزيتون البرى ينفع من الجرب والقوباء ولوجع الأسنان المتآكلة إذا حشيت به وهو يعد من الأدوية القتالة كل ذلك عن ابن سينا، ثمرتها، وروى عن النبى ﷺ: «عليكم بالزيت فإنه يكشف المرة ويذهب البلغم ويشد العصب ويذهب بالإعياء ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذيب الهم» وزيت الزيتون البرى ينفع من الصداع واللثة الدامية تمضمضاه ويشد الأسنان المتحركة، نواها يبخر به لوجع الضرس وأمراض الرئة.

● **سرو:** شجر حسن الهيئة قويم الساق يضرب به المثل فى استقامته وقده وهو فى الصيف والشتاء أخضر، يدخن بأغصانه يطرد البق ويؤخذ من نشارته بنادق وتطرح فى الطحين الدرمك يبقى زمانًا طويلاً لا يفسد، ورقه يشرب من السذاب ينفع من عسر البول وإذا دق ورقة رطبًا وجعل على جراحة ألحمها ورمادها ينفع من حرق النار ذرورًا

وكذلك سائر القروح الرطبة، وجوزه يطرد البق إذا دخن به، وطبيخه بالخل يسكن وجع الأسنان والله الموفق.

● **سفرجل:** رماد خشبها يفعل فعل التوتيا وورقها يفعل فعل خشبها. زهرها عجيب الأثر فى تقوية الدماغ والقلب ثمرتها كثيرة الفوائد. وروى يحيى بن طلحة بن عبد الله عن أبيه قال: «دخلت على رسول الله ﷺ وبيده سفرجلة فألقاها إلىَّ وقال: دونكها يا أبا محمد فإنها تجمد الفؤاد» أى تقويه. وروى: «أنه ﷺ كسر سفرجلة وناول منها جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وقال له كل فإنه يصفى اللون ويحسن الولد». ومن عجيب شأن السفرجل أنه إن قطع بالسكين ذهبت مائيته ويبقى أيبس ما يكون وإن كسر كان الأمر بخلاف ذلك. قال ابن سينا: السفرجل يسكن العطش ويقوى المعدة، وقال غيره: إذا داومت المرأة الحامل على أكل السفرجل سيما فى الشهر الثالث كان ولدها حسن الصورة، وإذا انعقد اللبن فى ثدى المرأة يطبخ السفرجل بالعسل ويوضع على ثديها يسكن ألمها ويزيل ورمها، وإذا وضعت السفرجل فى موضع فيه العنب يفسد العنب. قال صاحب الفلاحة: إذا أردت أن يبقى السفرجل زمانًا طويلاً فضعه على نشارة الخشب أو التبن ولا تدع السفرجل فى بيت فيه شىء من الثمار فإنه يفسد كلها ويهلك ما سواه.

● **سماق:** شجرة جبلية. وقال ابن سينا: ثمرتها تقوى المعدة وتجلب الصفراء من الأجساد ويضمد بها الضربة فيمنع الورم والخضرة وينفع من الداحس ويحتقن به للبواسير، صمغها إذا وضع على الأضراس يسكن وجعها.

● **سندروس:** شجرة مشهورة بأرض الروم يتخذ من خشبها دهن هو دهن الصوانى يدهن به الأخشاب، وخاصية هذا الدهن حبس الدم والمصارعون يستعملونه فيخفون ولا يبهرون ويقوون على الصراع، صمغه يشبه بالكهربا فى جذب التبن إلا أنه أميل إلى الحمرة والكهربا أصفى لونا منه، ودهن السندروس يخفف البواسير إذا دهن به، ودخانه يمنع النوازل ينفع من البواسير ومنفعته فى تسكين وجع الأسنان كثيرة ويصلح للباه ومن الخفقان.

● **شباب:** شجرة يشبه ورقها السمك الصغار ويكون فى طول أصبع ثمرتها مثل البنادق الكبار فى كل ثمرة ثلاث حبات سود يقال لحبها ما هو دانه ويقال لها أيضًا حب الملوك.

قال ابن سينا: نافع إسهاله من أوجاع المفاصل والنقرس وعرق النسا والاستسقاء

ورقها يطبخ بالديك الهرم وينفع من القولنج كل ذلك عن ابن سينا.

● **شاهبلوط:** شجرة توجد بأرض الشام وبأرض إيران أيضًا ثمرتها أعذب من البلوط وشكلها كنصف جوزة يقال طعمها كطعم البندق الرطب. قال ابن سينا: إنه جيد للسموم وينفع نزف الدم.

● **صندل:** شجرة هندية معروفة، وهو نوعان أحمر وأبيض، أما الأحمر فخشبها صلب يطلى به الحمرة وينفع من الصداع أيضًا طلاء، وأما الأبيض فخشبها رخو ورائحتها طيبة. قال ابن سينا: ينفع من الصداع والخفقان العارض فى الحميات شربًا وطلاء.

● **صنوبر:** شجرة مشهورة أكثرها بأرض الروم خشبها دهن جيد حتى يشتعل رطبها كالشمع والقطران يؤخذ منه وذلك بأن يقشر ثم يعرض على النار فيسيل منه نداوة وهى القطران. قال ابن سينا: التبخر بخشب الصنوبر وافتراش رماده يطرد الهوام خصوصًا مع القنة، وإذا جعل حول المجلس مندل من رماد خشب الصنوبر تؤمن غائلة الهوام، ويبخر بنشارته لطرد الهوام والبق والبعوض، ولو أضفت إليه القلقديس والشونيز كان أجود، بخارها نافع لحرق الماء الحار، ولحاؤها بالخل يتمضمض به لوجع الأسنان، وورقها يلصق الجراحات، وجوزها ضماد للفتق وحبها هو الجوز ينفع من الأوجاع العصبية والاسترخاء ويهيج الباه، وينفع من لدغ العقرب خصوصًا مع التين والجوز والتمر، وينفع من السعال المزمن العتيق، وهذا عجيب جدًا لأن فيه حرافة وحدة لكن هذا ذكره ابن سينا.

● **ضرو:** شجرة عظيمة كشجرة البلوط تنبت بجبال اليمن تثمر عناقيد كعناقيد البطم ورقها يضرب إلى الحمرة يطبخ حتى ينضج ويصفى ويرد على النار ويرفع فيكون دواء عجيبًا من السعال وأوجاع الفم ولخشونة الصدر يزيلها عن المكان، وصمغها يجلب إلى مكة وهو كاللاذن فى القوة طيب الرائحة يدخل فى الطيب للنساء.

● **طرفا:** شجرة مشهورة قطبانها تنقع فى الخل تكون نافعة لوجع الطحال. قال ابن سينا يطبخ ورقها بالسذاب يكون نافعًا لوجع الأسنان مضمضة ويستعمل نطولا على القمل فيقتله، وقال غيره: ورقها ضماد للأورام الرخوة. ودخانه يجفف القروح الرطبة والجدرى، ورماده يذر على حرق النار والقروح الرطبة، وثمرتها تنفع من أمراض العين ونهش الرتيلا، والله الموفق.

● **عرعر:** شجرة كبيرة يشبه ورقها ورق السرو، وقالوا: هو السرو الجبلى. قال ابن

سينا: التدخين بأى شىء كان من أجزائه يطرد الهوام ثمرته تشبه الزعرور إلا أنه شديد السواد حاد الرائحة طيبها يقال له الأبهل، وإذا أغلى بالشيرج فى مغرفة من حديد حتى يسود الجوز وقطر فى الأذن نفع من الصمم جدًا، وإذا شرب الأبهل أسقط الجنين، وإذا تدخن به أو احتمل يفعل ذلك أيضًا.

● **عشر:** شجرة غريبة كانت العرب فى الجاهلية إذا أراد أحدهم أن يسافر عن حليلته عمد إلى هذه الشجرة وشد غصنا منها إلى الآخر وتركهما، فإذا عاد من سفره ذهب إليهما فإن وجدهما بحالهما مشدودين استدل بهما على أن حليلته ما خانته فى غيبته، إن وجدهما محلولين استدل بهما على خيانتها قالوا: إنها سم قاتل وإن منها نوعًا يقتل بالجلوس فى ظله، خشبها ينفع من القوبا والسعفة.

● **عفص:** شجرة جبلية. قالوا: إن شجرة البلوط تثمر سنة بلوطًا وسنة عفصًا، ونقل الجاحظ عن الفضل بن إسحاق أنه قال: رأيت العفص والبلوط على غصن واحد، فإن كان صحيحًا فإنها فى الأشجار كالأرانب فى الحيوان فإن الأرنب سنة ذكرًا وسنة أنثى والتى عليها البلوط والعفص كالخنثى. قال ابن سينا: ثمرتها يطلى بها القوباء يزيلها ويمنع الرطوبات الزائدة الفاسدة عن اللثة وتنفع من تآكل الأسنان، وقال غيره: ينثر على القروح الرطبة ينفعها وماؤها يسود الشعر.

● **عناب:** هى الشجرة المشهورة ورقها ينفع من وجع العين ضمادًا إذا كان من الحرارة وثمرتها تسكن الدم وتنشفه فيما زعموا حتى إن مسها أيضًا يفعل ذلك، إذا أرادوا حملها من بلد إلى بلد كل يوم تحمل على دابة أخرى لئلا ينشف دمها قال جالينوس: إنه لا ينشف الدم لكنه يغلظه وهو طلاء جيد لتصفية اللون.

● **غبيرا:** شجرة مشهورة أصبر خشب يكون على الماء يبقى فى الماء زمانًا طويلاً لا يتعفن منه شىء، زهرتها إذا شمت المرأة رائحتها هاجت بها شهوة الوقاع حتى ترمى الحياء والصيانة وراء ظهرها. قال ابن سينا: النقع من ثمرتها يبطئ السكر ويحبس القىء وينفع من إكثار البول.

● **غرب:** شجرة كبيرة. قال ابن سينا: خشبها يحرق ويعجن بالخل يجفف الثآليل، شجرها يدخل فى خضاب الشعر يفيده فائدة جيدة، وورقها يجعل على الجراحات الطرية مسحوقًا ينفعها، وقال غيره: ينفع شربًا من تشبث العلق بالحلق، وإذا شرب زهرها ينفع من ظلمة العين، وصمغها ينفع من ظلمة البصر أكلا.

● **فاوانيا:** هى شجرة عود الصليب، منه رومى ومنه هندى. قال ابن سينا: خشبها

يجلو الآثار السود من البشرة وينفع من النقرس والصرع تعلقًا وقد جرب تعليقه فوجد مانعًا من الصرع فحيث كانت إبانته يعود معها الصرع، ثمرتها تنفع المجانين والمصروعين إذا دخن بها، وتنفع الكابوس إذا شرب خمس عشرة حبة منها بالشراب.

● **فستق:** هى شجرة مشهورة زعموا أن الفستق تركيب الحبة الخضراء على اللوز، خشبها يشعل فى النار وإن كان نديًا لفرط دهنيته بخلاف غيره من الأخشاب، ثمرتها تنفع من نهش الهوام، ويزيد فى الباه وينفع من السعال البلغمى، ودهنها يزيل الزرقة من العين إذا داوم على اكتحاله كل ذلك عن ابن سينا.

● **فلفل:** شجرة تنبت بالهند بناحية منها تسمى مليار، وهى شجرة عالية لا يزال الماء تحتها فإذا هبت الرياح تساقطت على وجه الماء فيجمع منه وكذلك فسخه، وهى شجرة حرة لا ملك لأحد فيها وحملها عليها شتاء وصيفًا، وهو عناقيد فإذا حميت الشمس عليها انطبقت على كل عنقود منها أوراق حتى لا تحترق بالشمس فإذا زالت الشمس عنها زالت الأوراق عن العناقيد لتنال النسيم. وذكر من رآها أن شجرتها مثل شجرة الرمان وبين الورقتين شمراخان منظومان بالفلفل وشمراخه فى طول الأصبع. قال جالينوس: أول ما تطلع ثمرتها تكون دار فلفل ثم ينفصل عن حب يكون هو الفاضل أما الدار فلفل فينفع من نهش الهوام أكلاً وطلاء بالدهن، ويزيد فى الباه وينفع من الغثى مع كبد المعز مشويًا، وأما الفلفل فقد قال ابن سينا: هو بالنطرون طلاء للبهق وبالزفت طلاء للخنازير يحللها، وهو يخفف المنى وينبذه ويدر البول وينفع من ظلمة البصر، وإن احتملته المرأة بعد الجماع منع الحبل.

● **فندق:** هى شجرة معروفة: ذكر أنه إذا خط بخشب الفندق دائرة حول العقرب لا يقدر على الخروج منها. قال بقراط: ثمرتها تزيد فى الدماغ. قال ابن سينا: زعم قوم أن الفندق يطلى به يافوخ الصبى الأزرق العين يذهب زرقته، وقال: إنه ينفع من النهوش سيما مع السذاب والتين. وقال غيره: من استصحب فندقة يأمن من لدغ العقرب، ويشوى ويسحق ويطلى به داء الثعلب ينبت الشعر، وإذا أكل مدقوقًا محلولاً بالعسل يذهب السعال العتيق، والتنقل به يبطئ السكر والمداومة على أكله يشحذ الخاطر، وقشره يحرق ويسحق ويجعل فى الزيت يزيل زرقة عيون الأطفال اكتحالاً ويسوّدها.

● **فليزهرج:** هى شجرة الحضض لها ثمرة كالفلفل يتخذ منه الحضض، قال ابن سينا: خشبها يقوى الشعر طلاء، وتطبخ فروعها بالخل ويشرب للطحال، ثمرتها تطبخ

ويؤخذ منها الحضض ينفع من الكلف طلاء ويبرئ قروح اللثة وينفع من الرمد ويزيل غشاوة العين وينفع من جرب العين والبواسير، والهندى يسقى لعضة الكلب الكلب كل ذلك عن الشيخ الرئيس.

● **قرنفل:** شجرة تنبت فى بعض جزائر الهند ثمرتها كالياسمين إلا أنها أشد سوادًا، وذكروا أن أهل تلك الجزيرة لا يخرجونها إلا مطبوخة لئلا تنبت فى غيرها من البلاد، قال ابن سينا: ثمرتها تطيب النكهة وتحد البصر وتنفع من الغشاوة، وقال غيره: ينفع من الغثيان ورائحتها تقوى الدماغ البارد الذى غلبت عليه السوداء وتقوى القلب وتفرحه.

● **قصب:** معروف وأنواعه كثيرة، وأنفعها قصب السكر وأحسنها ما يوجد بأرض مصر، ينفع من السعال ووجع الصدر ويدر البول ويجلو الصدر من الرطوبات، ومنها القصب البنطى. ومن عجيب خواصه ما ذكر أنه إن ضربت حية بقصبته ضربة واحدة لم تستطع أن تريم أو تنقلب وتبقى فى مكانها حتى تتلف وإن ثنيت الضرب أو أكثرت ذهبت وسلمت ورقها وأصلها مع البصل يجلب السلى ويدر الطمث والبول، وإذا دققت القصب الرطب وجعلته فى الطبيخ الذى أكثرت ملحه تزول ملوحته وأصل القصب فيه قوة الجاذبة إذا دق وضمد به العضو الذى فيه الحديد جذبه، ومنها قصب الذريرة يجلب من نهاوند. ذكر أن ما لا يعبر على ثنية الركاب لا يفيد فائدة قصب الذريرة بل يكون كسائر القصب، وما عبر به على ثنية الركاب وهى ثنية بنهاوند فهو مفيد. قال ابن سينا: ينفع من كمودة الدم الميت ويجلو البصر ويبخر به فى الحلق ينفع السعال، ومع العسل وبزر الكرفس ينفع من الاستسقاء، ومنها قصب القنا، ينبت بأرض الهند يتخذ منه الرماح. قالوا: إنها تحترق لاحتكاك أطرافها عند عصوف الرياح ورمادها الطباشير، وهو ينفع للخفقان وأورام العين الحارة، ويقوى القلب وينفع من الحميات.

● **كافور:** شجرة كبيرة هندية يألفها النسر تظل خلقًا كثيرًا لا يصل إليها الناس إلا فى وقت من السنة معلوم، وهى سفحية بحرية خشبها أبيض هش خفيف صمغها كافور ويسيل من أسفل الشجرة. قال محمد بن زكريا: الكافور صمغ هذه الشجرة إلا أنه فى داخلها يثقب أعلى الشجرة فيسيل منه الكافور عند الحرارة ويثقب أسفل من ذلك فيخرج منها قطع الكافور. قال ابن سينا: استعمال الكافور يسرع الشيب وينفع من الصداع الحار ويسهر ويقوى الحواس ويقطع الباه.

● **كرم:** أكثر الأشجار وجودًا ونفعًا. قال صاحب الفلاحة: من عجائبها أنك إذا

أخذت وديها الذى فيه قوة الثمرة وغرستها يأتى فى السنة الأولى بالعناقيد الكبار، وإذا أردت أن يكون الكرم كثير النفع قوى الأصل سريع الثمار فخذ غرسها من قضبان شجرة قريبة العهد واغرسه فى النصف الأول من الشهر ولطخ رأس القضيب بخثى البقر وبدد فى المغرس شيئًا من البلوط والناخواه ليقوى أصله وشيئًا من الباقلا لينمو سريعًا فإذا أتى بهذه الشرائط تكون شجرتها عجيبة جدًا مخالفة لسائر الكروم، وإذا أخذت وزنا من العنب الأسود وآخر من الأبيض وثالثًا من الأحمر وشققتها بحيث لا يقع منها قشرها وتلصق بعضها بالبعض وتغرسها تثمر العنب الأسود والأبيض والأحمر فترى هذه الألوان الثلاثة على شجرة واحدة، وإذا أردت أن تسود العنب الأبيض فاحفر ما حول الكرمة واقلب فيها شيئًا من النفط الأسود فإن عنبها يسود، وإذا أردت أن لا يقع فى الكرم دود فاقطع طاقاتها بمنجل ملطخ بدم الضفدع أو دم الذئب، وإن أردت أن تسلم من البرد فدخن الكرم بالزبل بحيث يصل الدخان إليها جميعًا ثم انثر عليها ثمر الطرفاء فإنها تسلم من آفة البرد بإذن الله تعالى، ودمعة الكرم التى تتقاطر من قضبانها بعد ما قطعت تجمع ويسقى منها الإنسان المشغوف بالخمر من غير أن يعلم بعد شرب الشراب فإنه يبغضها وإن كان لا يصبر عنها ساعة واحدة. قال ابن سينا: دمعة الكرم جيدة للجرب والقوباء وورقها يمضغ يقوى اللثة المسترخية ويدق ناعمًا ويضمد به يسكن الصداع الحار. وقال ابن سينا: ورقها وخيوطها ضماد للصداع الحار، وأصناف ثمرتها كثيرة وأعجبها عيون البقر كل حبة كجوزة وأصابع العذارى، فإن حباتها طوال كأصابع العذارى المخضوبة فربما يكون العنقود نحو الذراع والدوالى وهو عنب أسود غير حالك وعناقيده عظيمة كأنها رءوس معلقة وحباته تنكسر بالفم. قال ابن سينا: العنب المقطوف فى الوقت يحرك البطن، وقال غيره: يسمن ويقوى شهوة الجماع ويولد مادة المنى، تبخيرها ينفع لنهش الهوام والأفاعى، وهو مع الخل دواء جيد للبواسير والقوبة. وأما الخمر فقد ذكر سبب حدوثها أن جمشيد الملك فى بعض متصيداته رأى فى كل شىء من الجبال كرمة عليها عناقيد عنب فتعجب منها وأمر بقطعها. وقال: إنا سمعنا أن الجبال ينبت فيها السموم فلعل هذه منها وأمر بحفظها حتى يجربها فيمن يستحق القتل، فجعلوها فى رحلهم فتكسرت حباتها فعصروها وجعلوا ماءها فى ظرف حتى عاد الملك إلى مستقره فأمر بإحضار رجل يستحق القتل وأحضر العصير وقد احتدت وصارت خمرًا فسقى الرجل منها قهرًا فشربها بمشقة شديدة فما شكوا فى كونها سما فزادوا فى سقيه فنام الرجل نومة ثقيلة فلم يشكوا فى أنه يجود بنفسه، فلما انتبه من نومه قال:

اسقونى مرة أخرى فسقوه مراراً فما كان إلا الخير فشرب غيره وذكر ما فيه من اللذة والطرب وشرب الملك أيضًا وأمر بغرس تلك الشجرة فى البلاد ليكثر ثمرها ففعلوا ذلك. وأما الخل فهو نعم الإدام كما قال ﷺ؛ ويصب على نزف الدم فيقطعه، وينفع من الجرب والقوبى وحرق النار: ووضعه على الرأس ينفع من الصداع الحار، والمضمضة به تنفع الأسنان المتحركة وتفتق الشهوة ويحلل الاستسقاء، وأما الزبيب «فإن النبى ﷺ أهدى إليه الزبيب فقال: بسم الله نعم الطعام الزبيب يشد العصب ويذهب الوصب ويطفئ الغضب ويرضى الرب ويطيب النكهة ويذهب البلغم ويصفى اللون» وقالت الأطباء: إنه يقوى المعدة ويحبس الطبع بالعجم وبغير العجم يطلق، والله الموفق.

● **كمثرى:** قال صاحب الفلاحة: إذا أردت أن تتقى الكمثرى زمانًا طويلاً فخذ ظرفًا واجعل فيه شيئًا من الملح وضع كل واحدة من الكمثرى فى الظرف على الشجرة فإنها تبقى زمانًا طويلاً ولا يفسد زهرها له تأثير عجيب فى تقوية الدماغ. ثمرتها قال ابن سينا: تسكن الصفراء لكنه يحدث القولنج. قال صاحب الفلاحة: إذا طليت رأس كل كمثراة بشىء من الزفت وعلقتها فإنها تبقى زمانًا طويلاً، وكذلك إذا جعلتها فى فخارة بعد ما طليت رأس كل واحدة بشىء من الزفت وجعلت رأسها نحو الأرض على مثال ما تكون على الشجرة.

● **لاعية:** تعد من السموم تنبت فى سفوح الجبال ورقها من اليتوعات، إذا دق وشرب أسهل إسهالاً شديدًا نورها طيب الرائحة جدًا يرعى النحل منها فعسلها يكون مضرًا جدًا. وإذا ألقيت شيئًا منها فى غدير يطفو سمكه على وجه الماء.

● **لبان:** شجرة ذات شوكة لا ينمو أكثر من ذراعين؛ وهى شجرة تنبت فى الجبال بشجر عمان ورقها كورق الآس صمغها هو الكندر يعقر مواضع منها بالفئوس فيسيل منها الكندر، ويقال له أيضًا اللبان من أدام مضغه ذكا قلبه وأعانه على حفظ الأشياء التى نسيها، وهو يدمل الجراحات الطرية ويمنع الخبيثة من الانتشار، ويجعل على القوباء بشحم البط يزيلها، ويقوى الذهن ويقطع الرعاف.

● **لوز:** قال صاحب الفلاحة: يجعل اللوز فى العسل ثم يزرع لتكون ثمرته طيبة جدًا، وإذا أردت أن ينفرك تجعل لبه فى قرطاس أو ورقة كما ذكرنا فى الجوز، وإذا أردت أن لا يتساقط منها شىء فاجعل فى وسط فروعها رأس حمار معلقة. أما الحلو فينفع من السعال وينقى الصدر سيما مع التين ويسمن وينفع من عضة الكلب الكلب. قال ابن سينا: إنه يسمن ويقوى البصر وينفع من القولنج والمر منه إذا طبخ وجعل على

الكلف كان دواء نافعًا ويفتح القولنج، وإذا اختلط اللوز المر بالعسل وأكل نفع من القولنج، ومن أراد أن لا يثمل فليأكل سبع لوزات مرة على الريق وخمسة قبل الشرب فإن قوة الشراب لا يعمل فيه لخاصية، وينفع من الجرب.

● **ليمون:** إنه من أشجار بلاد الحر وخواص شجر الليمون وثمرتها تشبه بالأترج وقد مرت فلا نعيدها هنا، ولماء الليمون خاصية عجيبة فى دفع سم الحيات والأفاعى. ومن عجيب حكاياتها ما ذكره أبو جعفر بن عبد الله الضبى من ثقات البصرة قال: كانت لى ضيعة على نهر الدير وكنت متوطنًا بها وبجنب دارى بستان ظهرت فيه أفعى كأنها جراب طولاً وسعة وانتفاخًا وكثرت جناياتها فطلبت حاويًا يصيدها فجاء رجل وبخر بدخنة فخرجت عليه فلما رآها هاله أمرها فنهشته فتلف فى الحال فانتشر خبرها وامتنع الحاوون عنها، وتركت البستان والدار حتى جاءنى رجل يومًا قال: بلغنى أمر الحية التى عندكم جئت لتدلنى عليها: قلت: إنها عن قريب قتلت حاويًا ما أحب تعرضك لها، فقال: إنه كان أخى وجئت لآخذ بثأره فأريته البستان فأخرج دهنًا فطلى به جميع بدنه وجلست أنا فوق السطح أنظر فأخرج دخانة وبخر بها فما كان بأسرع من أن ظهرت كأنها دب فحين قربت من الحاوى دهمها فهربت منه فتبعها ولحقها فقبضها فالتفت عليه وعضت يده وفلتت فحملنا الرجل فمات فى ليلته وأنا على هذه مدا، فإذا فى بعض الأيام جاءنى رجل وسألنى ما سألنى السائل قبله وكان شبيهًا بصورته فمنعته. قال: الرجلان كانا إخوتى ولابد إما الأخذ بثأرهما أو اللحوق بهما، فعينت له البستان وصعدت السطح فأخرج الدهن وطلى به بدنه حتى صار الدهن يتقاطر منه ثم بخر فخرجت الأفعى فطلبها الحواء فأخذت تحاربه فتمكنت يد الحواء من قفاه فانقلبت عليه وعضت إبهامه فبادر الحواء وخزم فاها وجعلها فى سلة وأخرج سكينًا كان معه، وقطع إبهام نفسه، وأغلى زيتًا وكواها به فحملناه إلى الضيعة فرأى ليمونة بيد صبى يلعب بها فقال أهذا موجود عندكم؟ قلت: نعم، فقال: أغثنى بما تقدر عليه منه فإن هذا فى بلدنا يقوم مقام الترياق. قلت: أين هو بلدكم؟ قال: عمان. فأتيته بشىء من الليمون فأخذ يقضمه ويسرع فى أكله وعصر ماءه وطلى به موضع اللسعة حتى جاوز وقت موت إخوته وأصبح من غد سالمًا. وقال: ما خلصنى الله إلا بالليمون وأظن أن أخوى لو وقع لهما لما تلفا، ثم أخرج الأفعى وقطع رأسها وذنبها وأغلاها فى طنجير وأخرج دهنها وجعلها فى قارورة وانصرف، والله الموفق للصواب.

● **مشمش:** شجرة عجيبة شحم ثمرتها ولبها مأكولان طيبان، بخلاف غيرها من

الثمار فإن المأكول إما شحمها أو لبها. وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ «أن نبيًا من الأنبياء بعثه الله تعالى إلى قومه وكان لهم عيد يجتمعون فيه فى كل سنة، فأتى النبى ذلك اليوم ودعاهم إلى الله تعالى، فقالوا له: ادع الله تعالى أن يخرج لنا من هذا الخشب اليابس ثمرة على لون ثيابنا وكانت ثيابهم صفراء، فدعا النبى ﷺ فاخضر وأورق وأتى بالمشمش فى ساعته فمن أكل منه على عزم أن يؤمن خرج نواه حلوا، ومن أكل على عزم أن يكفر ولا يؤمن خرج نواه مرًا» ورقها يزيل الضرس إذا مضغ والضرس كلال الأسنان من أكل الحامض والرطب من المشمش يولد الحميات لسرعة عفونته، ومضدده إذا نقع بالماء يزيل الحميات. وحكى أن طبيبًا مر برجل يغرس شجرة المشمش، فقال له: ماذا تصنع؟ فقال: أعمل لى ولك يعنى أنتفع أنا بعلته وأنت بعلته يأكلها الناس فيمرضون ويحتاجون إلى الطبيب دهن نواه ينفع من البواسير ودهن لبه المر له خاصية دهن اللوز المر وقد مر فلا نعيده.

● **موز:** شجرة تنبت بالجروف وأكثر ما يوجد فى الجزائر أوراقها طويلة عريضة تكون ثلاثة أذرع فى ذراعين ليست منخرطة كنبات السعفة لكنها تشبه المربعة ويكون ارتفاعها قامة باسطة، ولا تزال تنبت فراخها حولها فإذا أدرك موزها تقطع الأم ويؤخذ قنوها وتطلع فراخها التى كانت قد لحقت بها فتصير أمًا، ولا تثمر كل أم إلا مرة واحدة ثمرتها تشبه بالعنب إلا أنها حلوة دسمة. قال ابن سينا: يدر البول ويزيد فى الباه، والإكثار منه يولد السدد.

● **نارنج:** قال صاحب كتاب الفلاحة: لو زرع النرجس تحت شجرة النارنج تبدلت حموضته بالحلاوة، ورقها إذا مضغ طيب النكهة ويقطع رائحة الثوم والبصل، نورها طيب الرائحة بخلاف نور الأترج ينفع الدماغ ويقوى القلب ثمرتها شبيهة بثمرة الأترج فى الخواص وقد مر فلا نعيده، حبها يطيب النكهة ويجفف ويدخن به لدفع النمل.

● **نارجيل:** هو الجوز الهندى، زعم أهل الحجاز أن شجرة النارجيل هى المقل لكنها أثمرت نارجيلا لطباع التربة والأهوية على ثمرتها ليف يتخذ منه الحبال يستعمل فى سفن البحر لا يتعفن ويصبر على ماء البحر طويلاً، لبنها كالزبد كثير الحلاوة إذا كان رطبًا وإن كان يابسًا عتيقًا ينقى البدن من حب القرع، وأكله يزيد فى مادة المنى سيما مع السكر ويزيد فى الباه أيضًا، ودهنه نافع للبواسير سيما إذا كان عتيقًا.

● **نبق:** قال صاحب كتاب الفلاحة: إذا نقعت نواة النبق فى عصارة الورد أيامًا ثم زرعته شممت منها رائحة الورد من ثمرتها وورقها، وإذا نقعت فى عسل ولبن ثم تجفف

وتزرع فإن ثمرتها تحلو وتطيب، ورقها هو السدر الذى يغسل به الرأس يقوى الشعر ويمنع انتشاره ويطوله، ثمرها قد يكون حلوًا وقد يكون حامضًا، واليابس منه يمنع النزف والإسهال الكائن من ضعف المعدة إذا قلى ودق مع نواه.

● **نخل:** شجرة مباركة لا توجد إلا ببلاد الإسلام، قال ﷺ: «أكرموا عمتكم النخلة» وإنما سماها عمتنا لأنها خلقت من فضلة طينة آدم عليه الصلاة والسلام وأنها تشبه الإنسان من حيث استقامة قدها وطولها وامتياز ذكرها عن أنثاها واختصاصها باللقاح ولو قطع رأسها هلكت ولطلعها رائحة المنى ولها غلاف كالمشيمة التى كون الولد فيها، والجمار الذى على رأسها لو أصابه آفة هلكت النخلة كهيئة مخ الإنسان إذا أصابه آفة، ولو قطع منها غصن لا يرجع بدله كعضو الإنسان وعليها ليف كشعر يكون على الإنسان، قال صاحب الفلاحة: إذا لم يثمر شىء من النخل يأخذ رجل فأسًا ويقرب منه ويقول لغيره: إنى أريد قطع هذه الشجرة لأنها لا تثمر، فيقول الآخر: لا تفعل فإنها تثمر فى هذه السنة، فيقول الرجل: إنها لا تفعل شيئًا ويضربها ضربتين أو ثلاثًا، فيمسكه الآخر بيده ويقول: لا تفعل فإنها شجرة حسنة واصبر عليها هذه السنة فإن لم تثمر فاصنع بها ما شئت، قال: فإذا فعل ذلك فإن الشجرة تثمر ثمرًا كثيرًا، وكذلك غير النخل من الأشجار إذا فعل به هذا يثمر. وقال أيضًا: إذا قاربت بين ذكران النخل وإناثها فإنها يكثر حملها لأنها تستأنس بالمجاورة، وإذا قطع إلفها من الذكران فلا تحمل شيئًا لفراقها، وإذا غرست الذكران وسط الإناث فهبت الريح فخالطت الإناث رائحة طلع الذكران حملت من تلك الرائحة كل أنثى حوله، وإن اتخذت لها منطقة من الأسرب يكثر ثمرتها ولا يسقط منها شىء، وكذلك لو اتخذت لها أوتادًا من خشب البلوط ودققتها فى الأرض حول خشبها إن أحرق لا يكون له فحم، وإذا وضع السقف على جذعه ينكسر، فإن فلقته نصفين وجعلت ظهر أحدهما إلى الآخر يبقى زمانًا طويلاً. خواصها إذا مضغ بعد أكل الثوم يقطع رائحته، وثمرتها، حكى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «العجوة من الجنة وهى شفاء من السم» والبسر، قال ابن سينا: إنه والبلح جيدان للعمور والبسر مصدّع وكثيرًا ما يوقع فى النافض والقشعريرة. وأما الرطب فقال الربيع بن خيثم ليس للنفساء عندى دواء إلا الرطب وكانت الأكاسرة زمان الرطب يرفعون عن سماطهم الحلاوى، وفى زمن الورد يرفعون المشموم، وفى زمن البطيخ يرفعون الأشنان، والرطب يلين الطبع ويزيد فى المنى ومع الخيار والخس أنفع.

● **ورد:** قال ابن سينا: هى الشجرة المعروفة إذا أردت أن تخرج أوراقها من أكمامها سريعًا فاسقها الماء الحار، وإذا جعلت وقت غرسها فى جوف قضبانها شيئًا من الثوم تزداد رائحتها جدًا، خشبها تهرب منه الحيات، وإن لسعت حية عند شجة الورد لا يؤثر سمعها شيئًا، زهرها أحسن الأزهار لونًا وشكلاً ورائحة. قال ابن سينا: الورد يصلح رائحة العرق إذا استعمل فى الحمام ولذلك تستعمله النساء محالقة علاجًا لزفر العرق، وقال قوم: إنه يقطع الثآليل ويخرج السلا والشوك مسحوقًا ويسكن الصداع رطبًا ويضر بالمزكوم، والنوم على المفروش منه يقطع الشهوة، والجعل يموت من رائحته وكذلك كل حيوان يتولد من العفونة، عصارته تنفع من الرمد ونزيف الدم، وماء الورد ينفع من الغشى إذا رش على وجه المغشى عليه ودهنه يدهن به منخر السنور يمرض.

● **ياسمين:** شجرة معروفة ثمرتها زهرها وهو أصفر وأبيض وأرجوانى. قال ابن سينا: رطبه ويابسه يذهب الكلف، وكثرة شمه تورث صفرة الوجه ويصدع ولكنه يحلل الصداع البلغمى. وقال غيره: ينفع أصحاب اللقوة والفالج وعرق النسا، ودهنه ينفع عسر البول تمريخًا، والله الموفق للصواب.

* * *

القسم الثانى من النبات: النجوم

النجم: كل نبت ليس له ساق صلب مرتفع مثل الزروع والبقول والرياحين والحشائش البرية فنقول: إن الله تعالى أجرى منته كل سنة أن يحيى الأرض بعد موتها فيجرى يابس أنهارها وينشر رفات نباتها فترى الأوراق مخضرة والأنوار والأزهار مصفرة ومحمرة ليستدل بها على إحياء الأموات وإعادة العظام الرفات، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠]. ومن الأمور العجيبة القوة التى خلقها الله تعالى فى نفس الحب فإنها إذا وقعت فى الأرض جذبت بواسطة تلك القوة الرطوبة من نفس الأرض مما حواليها كما تجذب شعلة النار فى السراج تلك الرطوبة فتعمل فيها القوى الطبيعية بإرادة الله تعالى حتى تبلغ كمالها كما أراد الله تعالى. والندوم فى النبات كالحيوانات الصغار فى الحيوان والأشجار الكبار كالحيوانات الكبار، فكما أن شدة البرد لا تبقى من الحيوانات التى لا عظم لها فكذلك لا تبقى من النبات شيئًا إلا ما له خشب صلب، واعلم أن عقول العقلاء متحيرة فى أمر الحشائش وعجائبها وأفهام الأذكياء

قاصرة عن ضبط خواصها وفوائدها، وكيف لا مع ما يشاهد من اختلاف صور قضبانها واختلاف أشكالها وألوانها وعجيب ستور أوراقها وأنهارها، وكل لون منها ينقسم إلى أقسام كالحمرة مثلاً فإنها وردى وأرجوانى وسوسى وشقائق وآذريونى وإلى غير ذلك مع اشتراكها كلها فى الحمرة، ثم عجائب روائحها ومخالفة بعضها البعض مع اشتراك الكل فى الطيب، ثم عجائب أشكال حبوبها فإنه لكل واحدة شكل وورق وعرق وزهر ولون وطعم ورائحة وخاصة بل خاصيات لا يعرفها غير الله والتى عرفها الإنسان بالنسبة إلى ما لم يعرفه كقطر من البحر.

ولنذكر شيئًا من خواصها وما ركب الله تعالى فيها من الأدوية مرتبة على حروف المعجم إن شاء الله تعالى:

● **آذن الفأر:** حشيشة صغيرة الورق دقيقة القضبان تبسط على وجه الأرض منها ما له زهر أسمانجونى ومنها ما له زهر لازوردى، إذا وضعت على الشوك أو السلا أبرزته وتلصق الجراحات ويسعط بها لقوة وتشرب للصرع.

● **آذريون:** زهرة فى غاية الحمرة وفى وسطه سواد كأنه نصف بلوطة إذا قطعت عرضًا. قال ابن سينا: ينفع من داء الثعلب مسحوقًا بخل، ورماده ينفع من عرق النسا وينفع من السموم كلها خصوصًا للدماغ. وقال ديسقوريدس: إن احتملت المرأة منه شيئًا ثم يغشاها زوجها حملت وإن احتملتها وهى حامل أسقطت. وقال غيره: إذا دخلت الحبلى بيتًا فيه آذريون أسقطت.

● **إذخر:** نبت طيب الرائحة ينفع من الحكة ويقوى المعدة ويدر البول والحيض ويفتت الحصا، وينفع من وجع الأسنان إذا كان من برد.

● **أرز:** ذكروا أن المداومة على أكله تزيد فى نضارة الوجه ويخصب البدن، وأكله يرى أحلامًا طيبة قشره يعد من السموم. قال ابن سينا: من سقى منه اعتراه فى الوقت وجع فى الفم واللسان فإنه من السموم، والله أعلم.

● **أسفاناج:** ينفع من السعال وخشونة الصدر وأوجاع الظهر من الحرارة وكثرة الدم لكنه يسىء الهضم، بزره ينفع من الحمى وأوجاع القلب، والقدر المأخوذ منه درهم، والله الموفق.

● **إسقيل:** وهو بصل الفأر. قال ابن سينا: ؛ إنه يقطع الثآليل طلاء وينفع من الصرع والماليخوليا وعرق النسا والفالج ويشد اللثة ويثبت الأسنان المتحركة ويزيل البخر، وإن علق على صاحب الطحال واحدًا وأربعين يومًا طلح طحاله، وينفع الاستسقاء واليرقان

وخله يحسن اللون.

• **أشترغار:** شوك معروف تأكل الإبل منه أكلاً ذريعًا فينفع من حمى الربع، وخله جيد للمعدة يفتق الشهوة ويعين على الهضم لكنه يورث الغليان ويضر بالدماغ ضرراً بينا.

• **أشنان:** هو الحرض الذى يغسل به. وهو أنواع ألطفها الأبيض الذى يسمى حرض العصافير ثم الأخضر، وكلاهما جلاء منق، درهم منه يدر البول والحيض وثلاثة دراهم تسقط الأجنة وعشرة دراهم قتالة، ودخان الأخضر ينفر منه الهوام كلها كل ذلك عن ابن سينا.

• **إفسنتين:** حشيشة يشبه ورقها ورق الصعتر. قال ابن سينا: إنه يمنع الثياب من السوس والمداد من التغير والكاغد من الأرضة، ويحسن اللون، وينفع من داء الثعلب وداء الحية، وينفع من الآثار البنفسجية ويزيلها عن الجلد، وينفع من فساد الهواء.

• **أقحوان:** قضبان دقيقة عليها زهر أبيض وقد يكون أحمر ينفع من النواصير، وإذا أديم شمه أحدث السبات، وهو ودهنه يفتح البواسير وغير البواسير وينفع من القولنج ووجع المثانة.

• **أكشوث:** حشيشة تلتف على الشجر والشوك لا ورق له مر الطعم جدًا فربما تلتف على الشجرة الكرمة فتجعل عناقيدها مرة، لها نور صغار أبيض إذا شرب بالخل سكن الفواق، وماؤه عجيب لليرقان ويدر البول والحيض وينفع من الحميات العتيقة والمغص.

• **بابونج:** شجرة معروفة منها أصفر الزهر ومنها أبيضه، قال ابن سينا: إنها نافعة من الصداع البارد وتدر الطمث شربًا وجلوسًا فى مائها وتخرج الجنين والمشيمة، وتنفع من القولنج الزبلى نعوذ بالله منه، كل ذلك عن ابن سينا.

• **بارد نجويه:** يقال لها بالفارسية بادر نكبو. قال ابن سينا: إنه يقتل العقرب ويطيب النكهة ويزيل البخر، وينفع من الجرب السوداوية ويفرح القلب ويذهب الخفقان، وينفع من الفواق. وقال غيره: يصفى الذهن وينفع من العلل البلغمية والسوداوية.

• **بادروج:** هو الحوك، قيل إن استنشاقه يحدث عطاسًا كثيرًا والإكثار من أكله يورث ظلمة العين ويولد الدود فى البطن، زعموا أنه إذا مضغ وجعل فى الشمس يتولد فيه الدود قال ابن سينا: عصارته تنفع الرعاف سيما بخل خمر وكافور ويحدث ظلمة العين أكلاً ويقوى البصر جلاء، وبزره ينفع من عسر البول، ويوضع على لسع الزنابير والعقارب يبرئه.

● **باذنجان:** أكله يورث أخلاطًا رديئة وخيالات فاسدة، قال معمر بن المثنى: قطعت فى ثلاثة مجالس ولم أجد لذلك سببًا إلا أنى أكثرت من أكل الباذنجان فى أحدهما ومن الباقلاء فى الثانى ومن الزيتون فى الثالث. قال الحكماء: يشق الباذنجان ويجفف فى الظل ثم يسحق بشحم البقر ويطلى به ثدى البنات قبل أن يكعب فإنه لا يتدلى ويبقى على الصدر. وقال ابن سينا: يولد السدد والسوداء ويفسد اللون ويسود البشرة ويصفر الوجه ويولد الجذام والسرطانات والصداع والسدد والبواسير، وإن أردت أن يبقى زمانًا طويلاً فاغمسه فى الشحم المذاب وعلقه فإنه يبقى زمانًا.

● **باقلا:** قال صاحب الفلاحة: إذا نقعت الباقلا قبل أن تغرسه فى ماء نطرون رومى أسرع نباته قبل جميع أنواعه، ورقة إن أكل عاد صحيحًا، إذا تم القمر بدار زهرة، النظر إليه يورث الهم والحزن. وإذا سحق فى هاون رصاص ووضع فى الشمس صار خضابًا جيدًا، شربه يورث ظلمة العين والأحلام الفاسدة. قال الجاحظ: الإكثار من الباقلا يفسد العقل ويقطع رائحة الثوم وإذا قطع نصفين ووضع على نزف الدم قطعه، وإذا اعتلفت الدجاجة منه انقطع بيضها، والباقلا بقشرها تجلو البهق والكلف والنمش طلاء وتحسن اللون، قشره يضمد به عانة الصبى يمنع نبات الشعر عليه، والله أعلم.

● **برشاوشان:** حشيشة منبتها حياض الماء والشطوط والأنهار لها قضبان حمر تميل إلى السواد بلا ساق ولا زهر، ورقها يشبه ورق الكرفس، زعموا أن أفراسياب ملك الترك لما قتل سياوش ملك الفرس ظلمًا نبتت هذه الحشيشة من دمه. ورقها، قال ابن سينا: ينفع من البواسير ويفتت الحصا ويدر البول والطمث ويخرج المشيمة.

● **برنجاسف:** نبات له ورق صغار دقاق بيض وصفر يشبه الأفسنتين يظهر فى الصيف ينفع من الصداع البارد ضمادًا، ومسلوقه ينفع من الزكام ويسقط المشيمة والجنين وينفع من السدد والدوار وإذا نثر على القروح جففها ويفتت حصى الكلى.

● **بصل:** قال صاحب الفلاحة: إذا أردت زرع البصل فقشر بزره لتكون ثمرته حسنة، وكلما كان نزو فى الأرض أكثر كان أقوى، وليترصد لوقت زرعه غروب الثريا ليكون طعمه طيبًا وكذلك عند حصاده. قالوا: الاكتحال بماء البصل مع العسل مما يحد البصر ويزيل ضعفه. وزعم الجاحظ أن الإكثار منه يفسد العقل. وعن معاوية أنه وفد إليه وفد فقرب إليهم الطعام ثم عاد بالبصل وقال: كلوا من هذا فإن كل من جاء أرضنا وأكل منه لم يضره ماؤها. وأما دفعه لغائلة السموم فأمر لا يشك فيه. ومن العجائب أن من أراد تقشير البصل وتقطيعه يغرز سكينة فى بصلة ويتركها على رأس السكين ثم

يقطعها ويقشرها فإنه لا يتأذى من رائحتها. قال ابن سينا: البصل يحمر اللون بجذبه الدم إلى الخارج وله خاصية فى دفع ضرر المياه وتهييج الباه وينفع من عضة الكلب الكلب إذا طلى عليها وأكله يدفع ضرر الريح السموم، وعصارته تنفع من الماء النازل فى العين ويجلو البصر، وبزره يكتحل به لبياض العين ويذهب البهق ويدلك به لداء الثعلب فينفع، وهو بالملح يقلع الثآليل.

● **بطيخ:** قال صاحب الفلاحة: ينقع بزر البطيخ فى العسل واللبن ثم يزرع فتكون ثمرته فى غاية الحلاوة ورائحة البطيخ يحدثها قوى الأدوية، وإذا كان البطيخ فى بيت لا يختمر فيه العجين أصلاً، وإذا اجتازت الحائض بالمطبخة تغير جميع بطيخها، وإذا أصاب بزر البطيخ والقثاء ورائحة الدهن يصير مرًا وذلك بأن يجعل البزر فى ظرف كان فيه دهن أو شدة فى خرقة أصابها دهن. وإذا وضعت بزر البطيخ فى وسط الورد ثم زرعته تشم من بطيخه رائحة الورد وإن وضعت رأس حمار فى وسط مبطخة دفع عنها كثيرًا من الآفات وأسرع نباتها وحملها، وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن البطيخ كان أحب الثمار إلى النبى ﷺ قال: «تفكهوا بالبطيخ وعضوا منه فإن ماءه رحمة وحلاوته من حلاوة الجنة، من أكل لقمة من البطيخ كتب الله له ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة فإنه أخرج من الجنة» وعن وهب بن منبه فى بعض الكتب أن البطيخ طعام وشراب وفاكهة، وخلال وأشنان وريحان ينقى المعدة ويشهى الطعام ويصفى اللون ويزيد فى ماء الصلب. وقال ابن سينا: البطيخ ينقى الجلد، وبزره ينفع من البهق والكلف والحزاز. قشره يلصق بالجبهة يمنع النوازل إلى العين، أكل لحمه ينفع من حصا الكلى والمثانة.

● **بنفسج:** ينبت فى مواضع ظليلة حسنة زهره إذا شرب بالماء نفع من الخناق وأم الصبيان. قال ابن سينا: يسكن الصداع الدموى شمًا وطلاء وينفع الرمد الحار. وقال غيره: شم البنفسج مضر بالزكام ودهنه نعم الطلاء للجرب اليابس.

● **بودانش:** قال ابن سينا: إنه حشيشة تنبت مع البيش وأى بيش جاورها لم تنم شجرته وهو أعظم ترياق للبيش وله جميع منافع البيش من دفع البرص والجذام، وهو ترياق لكل سم سيما سم الأفاعى.

● **بهار:** هو الذى يقال له عين البقر ورده أصفر وورقه أحمر الوسط شمه ينفع الدماغ ويحلل الرياح الغليظة التى فى الرأس، والله الموفق.

● **بيش:** نبات ينبت بأرض الهند نصف درهم منه سم قاتل. وعلامته أنه يعرض لمن

سقى منه جحوظ العين وورم الشفتين واللسان والدوار والغشى: ذكر أن ملوك الهند إذا أرادوا الغدر بملوك تعاديهم ربوا جارية بالبيشى من طفولتها وذلك بأن يفرش البيش تحت مهدها مدة ثم تحت فراشها مدة ثم تحت ثيابها مدة، وهكذا على التدريج إلى أن تأكل الجارية منها ولم يضرها فحينئذ تمت التربية ثم يبعثوها مع الهدايا إلى من أرادوا الغدر به فإنه إذا واقعها مات، والسمان يعلف منها ولا يضرها شيئًا وكذلك فأرة البيش، وهو حيوان يسكن فى أصله ويأكل منه. قال ابن سينا: إنه يذهب البرص طلاء وشربًا وينفع من الجذام وهو سم قاتل يقتل نصف درهم منه وترياقه فأرة البيش.

● **ترمس:** هو الباقلا المصرى، قال صاحب الفلاحة: إذا أردت أن يزكو الترمس فازرعه عند استواء الليل والنهار ولا يتربص به المطر، و إذا نبت فاترك فيه البقر قبل أن يتورد فإن البقر ترعى ما فيه من غريب ولا ترعى الترمس حينئذ لمرارته فإنه يزكو جدًا، ومن خاصية الترمس أنك إذا زرعته فى أرض لا ينبت بها النبات ثلاث مرات، قال ابن سينا يرقق الشعر ويجلو الكلف والبهق والآثار الكريهة ويجلو الوجه سيما إذا طبخ بماء حتى يتهرى، وإذا رششت البيت بطبيخ الترمس هرب منه الذباب.

● **ثوم:** قال صاحب الفلاحة: إذا زرعت الثوم فى الأيام التى يكون القمر بها تحت الأرض لم توجد له رائحة وليترصد غروب الثريا لوقت الزرع، ورقه يمضغ ويجعل على العين الرمدة يكون أنفع لها من كل ذرور، وإن مضغ مع العسل وطلى به الوجه ذهب شقاقه وكلفه، ومن أكله على الريق لا يضره سم ولا لدغ. وقال ابن سينا: إنه ينفع من تغير المياه ويشرب بطبيخ الفوتنج فيقتل القمل والصئبان؛ ورماده إذا طلى بالعسل على البهق وكهبة العضو نفع، ومشويه يسكن أوجاع الأسنان ويصفى الحلق مطبوخًا وينفع من السعال المزمن، وهو نافع من لسع الهوام والحيات إذا شرب بالشراب، وقال ابن سينا: وقد جربنا ذلك فى عضة الكلب الكلب، ومن خواصه دفع الحكاك عن المقعدة إذا أخذ منه صاحبها شيئًا واحتمله، وإذا أردت أن تعرف أن المرأة بكر أم ثيب، فاخلط الثوم المدقوق مع العسل وأمرها أن تتحمل به واصبر عليها ساعتين فإن شممت رائحة الثوم من فيها فهى بكر وإلا فهى ثيب، و من خواصه إزالة البخر الذى لا يقبل المعالجة إذا داوم على أكله سنة كاملة.

● **جاورس:** هو الدخن، قال صاحب الفلاحة: الأرض التى يزرع بها الجاورس تفسد ولا ترجع إلى صلاحها إلا بعد مدة طويلة، حبه يبقى مدة طويلة لا تصيبه آفة ولهذا يدخره الناس لخوف القحط، قال ابن سينا: إنه ضماد جيد لتسكين الأوجاع. وقال

غيره: إنه يمسك الطبع جدًا بيبوسته ويسقط الأجنة.

● **جرجير:** هو الأيهقان إذا زرعته وسط البقول نفعها ويزكو نبتها ويدفع عنها الآفات كالدود ونحوه. وعن على رضى الله تعالى عنه قال: من أكل جرجيرًا ثم نام بات الجذام يتردد فى جوفه، وإن أخذت مدقوقه ودلكت به الكلف أزاله، ومن مضغ منه وطلى به إبطه زال صنانه، ويخلط الجرجير بمرارة البقر ويطلى به يزيل آثار القروح، وبزره بالعسل يحرك الباه ويزيد الإنعاظ، ومن عجيب خواصه أن الغراب إذا أكل من بزر الجرجير انتثر ريشه.

● **جزر:** أصله يطبخ بالعسل ويؤكل منه كل يوم خمسة دراهم يزيد فى الباه زيادة عظيمة ويقوى الكلية، بزره يغلى على النار ويبخر به تحت المرأة فإن الجنين يسقط بإذن الله تعالى.

● **حاج:** ضرب من الشوك يقع عليه الترنجبين طلاء وأكثر ما يوجد بأرض خراسان وما وراء النهر. وفى الأمثال: الحاجة فى الصدر حاجة، وشوك هذا النبت طويل جدًا حاد كالإبر والإبل تأكل منه أكلا ذريعًا لا يخدشها شوكه، طله ينفع من السعال ويلين الصدر ويسكن العطش ويزيد الصداع ويطلق البطن.

● **حاشا:** حشيشة لها زهر يميل إلى الحمرة مستدير وأوراق صغار. قال ديسقوريدس: أكثر ما ينبت على الصخر، قال ابن سينا: إنه يحلل الثآليل ويخلط بالطعام فيحفظ صحة البصر ويزيل ضعفه.

● **حرف:** هو حب الرشاد أكله يزيد فى الذهن والذكاء ويهيج الباه عصارته تحفظ الشعر قال ابن سينا: ينفع من الجرب المتقرح ومن عرق النسا والقوباء شربًا وضمادًا، وكذلك من نهش الهوام شربًا وضمادًا مع العسل، وإذا دخن به طرد الهوام وإذا داومت على أكله الحبلى سقط جنينها.

● **حرشف:** نبات ذو شوك يقال له بالفارسية كنكر. قال ابن سينا: ينفع من داء الثعلب طلاء وماؤه يقتل القمل إذا غسل به الرأس ويذهب الجدار، وإذا أكل يزيل نتن الإبط لخاصية فيه ويزيد فى قوة الباه.

● **حرمل:** نبت معروف له رائحة كريهة. قال ابن سينا: إنه صالح لأوجاع المفاصل وفيه قوة مسكرة كإسكار الخمر ينفع من القولنج شربًا وطلاء، وبزر الحرمل ينفع فى خل ويرش به البيت لا يدخله الذباب.

● **حسك:** عشب يضرب إلى الصفرة له شوك مدحرج ينفع من قروح اللثة العفنة

ويزيد فى الباه ويفتت الحصا وينفع من عسر البول والقولنج شرابًا وطلاء، وبزره يسقى شرابًا للسموم القاتلة ويرش طبيخه فيقتل البراغيث وإن رش بطبيخه جحر الحيات هربت وكذلك إن دس شوكه فيها.

● **حلبة:** قال صاحب الفلاحة: إذا خلطت بزرها بالبذور ثم زرعته يسلم من الدود. قال ابن سينا: دهنها مع الآس ينفع الشعر والآثار المتقرحة وهو من أدوية الكلف، ويحسن الوجه ويغير النكهة إلا أنه ينتن رائحة البول والبدن والعرق.

● **حمص:** قال ابن سينا: أكله يحسن اللون وكذلك الطلاء به ويجلو النمش. وزعموا أن أكله نيئًا يورث البخر ودهنه ينفع من القوبا، ونقيعه ينفع من وجع الضرس ويصفى الصوت، وطبيخه يخرج الجنين ويزيد فى الباه وينعظ بقوة إذا شرب على الريق.

● **حندقوق:** من خواصه أن ينفع من نهش الحيات طلاء، وعصارته تنفع من ظلمة البصر شربًا واكتحالاً. قال ابن سينا: إنه ينفع من الصرع ووجع الحلق والخوانيق وورقه وبزره يهيجان الباه. قال ابن سينا: فيما يقال إن صاحب حمى الغب يسقى من ورقه ثلاث ورقات أو من بزره ثلاث حبات فيشوش على الحمى أدوارها والحمى الربع أربعًا من أيهما شئت. وقال غيره: بزر الحندقوق يورث الجرب لكنه ينفع من لسع الهوام.

● **حنظل:** نبت معروف تحب الظباء أكله والسباع تهرب من شجر الحنظل والشجرة التى ليس عليها إلا حبة واحدة من الحنظل فإنها رديئة جدًا، وورقها الطرى يقطع نزف الدم وينفع من الماليخوليا والصرع، ثمرتها إذا نقعتها فى الماء ورشَشت به البيت ماتت براغيثه، قال القاضى أبو على التنوخى عن بعض بنى عقيل إنه قال: كانت عندنا جارية زمنة ومن عادتنا أن نقور الحنظل ونجعل فيه شيئًا من اللبن ونرد رأسها إلى مكانها وندفنه فى الرماد الحار حتى يغلى فإذا غلت حسا ذلك من أراد الإسهال. قال: فاتخذنا ثلاث حناظل لثلاثة أنفس فالجارية الزمنة حسب جميع الثلاث فحصل لها إسهال شديد حتى أيسا من حياتها، فلما كان الليل انقطع إسهالها وقامت ومشت برجليها وعاشت بعد ذلك سنين، والحنظل يدلك به الجذام وداء الفيل وعرق النسا والنقرس، وأصله نافع لنهش الأفاعى وهو أنفع الأدوية للدغ العقرب سقيًا وطلاء، وسقى واحد لدغته العرب فى أربع مواضع فبرئ فى الحال.

● **حنطة:** قال كعب الأحبار رضى الله عنه: لما أهبط آدم عليه السلام أتاه ميكائيل عليه السلام بشىء من حب الحنطة وقال: هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث الأرض

وابذر البذر، وقال: لم يزل الحب من عهد آدم إلى زمن إدريس عليهما السلام كبيض النعامة، فلما كفر الناس نقص إلى قدر بيض الدجاجة ثم إلى قدر بيض الحمامة ثم إلى قدر البندقة، وكان زمن العزيز على قدر الحمصة. قال صاحب الفلاحة: الحبة التى تقع على قرن الثور عند بث البذر لا تنبت أصلاً: حبها ينقى الوجه وكذلك النشا، ودقوقها ينفع من عضة الكلب الكلب ضماداً ويوضع على حديدة محماة حتى يظهر منها رطوبة ويصلى بتلك الرطوبة القوباء يزيلها، خميرها يخلط بالملح ويضمد به الدماميل ينضجها، خبزها يبل بماء وملح ويضمد به القوباء ينفعها.

● **خبازى:** حشيشة معروفة ينضم ورقها بالليل ويفتح بالنهار، ورقها إذا طلى به الجرب والحكة والقمل أزالها ويسكن لسع الزنابير ضماداً خصوصاً مع الزيت؛ وإذا مضغ الملح وجعل على النواصير نفعها، بزرها يشربه المسموم ويتقايأ مرة بعد أخرى يدفع عنه غائلة السم. وينفع من نهش الرتيلا.

● **خربق:** نبت ورقه كورق الدلب وساقه قصير وشكله كشكل العناقيد. قال صاحب الفلاحة: إذا غرست فى البستان قضبان الخربق مات ما فيها من البراغيث، وإذا زرعتها مع أى بذر كتان لا يقربها الطير، وإذا دخلت البيت به هربت الهوام منه ولا يبقى فيه بق ولا برغوث ولا ذباب ونحوها، وإن جعلته فى العجين وتركته للفأرة إذا أكلته ماتت، وإن دققته مع الكبريت ونثرته فى جحر النمل هربت، وإذا طليت اللحم بالخربق ووضعته للسباع اصطيدت بالسهولة، وهو سم قاتل للإنسان والسباع، قال ابن سينا: إذا نبت الخربق عند أصل كرمة صار شرابها مسهلاً، ويطلى على البهق والثآليل ويزيلهما واستفراغه ينفع من البرص، وإذا طبخ بالخل وقطر فى الأذن نفع الدوى ويقوى قوة السمع، وإذا تمضمض به سكن وجع السن.

● **خردل:** بزره يبقى فى عصير العنب يمنعه أن يغلى ويبقى على حاله. قال محمد ابن زكريا الرازى: إن جعلت الخردل فى كوى الحيات قتلها قال ابن سينا: يقتل دخانه الهوام وينقى الوجه ويزيل النكهة وأثر الدم الميت. والبرى منه ينفع من حمى الربع، ومن داء الثعلب والقوباء ضماداً وكذلك وجع المفاصل وعرق النسا. عصارته قطور لوجع الأذن، وإن شرب على الريق ذكى الفهم وشهى الباه.

● **خس:** قال صاحب الفلاحة: إذا تركت بزره فى وسط النانخواه ثم زرعته يسلم من جميع الآفات، وإذا أخذت بعر الجمل ونقبتها وتركت فيها بزر الخس والجرجير وحب الرشاد وتحفر لها وتسترها بالتراب وتسقيها ينبت عليها هذه الأنواع الثلاثة على

ساق، وإذا قطعت أوراقه السفلانية يطيب طعم الفوقانيات، والخس يجلب النوم ويدفع العطش ويقطع شهوة الباه ولذلك يأكله الخصيان الأقوياء على النساء وتأكله النساء اللاتى غاب عنهن أزواجهن بالخل ليقطع عنهن شهوة الوقاع، والإدمان على أكله يورث ظلمة البصر لكنه يكثر اللبن ويمنع من السكر، بزره إن استف منه منع من كثرة الاحتلام وهملان المنى.

● **خشخاش:** يورث النعاس كالخس وهو أبيض وأسود وأحمر وأما الأبيض فنافع للسعال جدًا من نوازل الصدر ومع العسل يزيد فى المنى. وأما الأسود فمنوّم جدًا وصاحب السهر إذا ضمد به جبهته انتفع به. عصارة المصرى تسمى أفيونًا، وهو مخدر مسكن كل وجع شربًا وطلاء، الشربة منه مقدار عدسة، وإذا طلى به الرأس سكن وجعه لكنه يبطل الفهم والذهن وإن طلى به النقرس سكن وجعه.

● **خصى الثعلب:** حشيشة حلوة الطعم تسمى ثمرتها خصى الثعلب، هو ينفع من التشنج والفالج ويعين على الباه، ويفعل فعل السقنقور إذا استعمل مع الشراب.

● **خصى الكلب:** حشيشة مثل خصى الكلب ثمرتها زوجان أحدهما تحت والآخر فوق وأحدهما رخو والآخر ممتلئ، يحلل الأورام البلغمية ويبقى القروح وينفع للبواسير والرطب منها يزيد فى الباه واليابس يقطعه، وحكى ابن سينا: أنه شاهد ذلك بأرض شروان فأخبره بعض سكان تلك البلاد بأن الذابل هو الذى يزيد والرطب قاطع فقال: أظن أن الأمر بالعكس، والله أعلم.

● **خطمى:** هو النبت المشهور له نور أحمر وقد يكون أبيض. قال ابن سينا: يطلى على البهق بالخل ويجلس فى الشمس ينفع نفعًا بينا وينفع من الخنازير سيما مع الكبريت، ويطبخ ويشرب من مائه ينفع من عسر البول وعسر الولادة، وورق الخطمى الرومى منه يدق مع الكراث والشحم ويوضع على لدغ العقرب والحية ينفع جدًا، وينفع منه مثقال من القولنج شربًا وإذا غسل به الشعر نفعه ويضمد به الجرب ينفع نفعًا بينا.

● **خيار:** قال صاحب الفلاحة، إن أردت استعجال باكورته فاعمد إلى فخارة فى ذى ماء وازرع فيها الخيار بزرًا وكلما سخنت الشمس أطلعها إليها وكذلك للمطر أيضًا وإذا غابت الشمس ردها إلى أكناف البيوت وتعاهد سقيها نضحًا ورشا، فإذا انسلخ الشتاء فانقل ما فى الفخارة إلى الأرض فإذا نبتت فاقطع شيئًا من أعلى ورقها فإنه يسرع بثمرته على جميع أصنافه بأيام يسيرة وإذا أردت أن لا يضره الدود فاخلط بزره إذا زرعته شيئًا من النانخواه، ثمرته تنفع من الحميات المحرقة ويدر البول ويعطش فى الحال لاستحالته

إلى الصفراء، بزره يدق ويطلى به الوجه يحسن اللون.

● **خيرى:** ويسمى المنثور أيضًا: قال صاحب الفلاحة: إذا أخذت من الأحمر والأصفر الأبيض من كل واحد قضيبًا وضفرتها مثل الضفيرة ثم غرستها فإذا نبتت تجد فى غصن واحد أوراقًا مختلفة الألوان، شمه ينفع الدماغ البارد الرطب وتحلل الرياح الغليظة ويدر الحيض ويسقط المشيمة شربًا.

● **دفلى:** برى ونهرى فالبرى ورقه كورق الحمقاء بل أدق وقضبانه طوال منبسطة على الأرض ينبت فى الخرابات، والنهرى على شطوط الأنهار وينهض قضبانه على الأرض وشوكه خفى وورقه كورق الخلاف وأعلى ساقه أغلظ من أسفله أو فقاحه كالورد الأحمر وثمرتها صلبة محشوة شيئًا كالصوف، قال ابن سينا: ورقه تهرب منه البراغيث، وأكله يقتل الناس وسائر الحيوانات، قال بليناس: علم بعض الملوك بعدو قصده فى عسكر لا طاقة له به فأخذ من الشعير وطبخه بالدفلى وتركه حتى جف فأخذ الشعير معه وخرج إلى وجه العدو، فلما قرب من العدو تنحى عنه وترك الأثقال والميرة والشعير فورد عسكر العدو وأطلقوا دوابهم فى الشعير فهلكت كلها فكر عليهم وأسرهم: قال ابن سينا: يرش البيت بطبيخ الدفلى تموت براغيثه وأرضته ونحوهما، وإذا دلكت مسنًا بالدفلى وحددت عليه النصل يحتد ولا يكل زمانًا، وإن حفرت فى وسط البيت حفرة وألقيت فيها شيئًا من الدفلى اجتمعت براغيث البيت فيها، ويهرب الفأر والخفاش من الدفلى.

● **رازيانج:** هو النبت المشهور منه برى ومنه بستانى، رطبه يعقد اللبن ويدر الطمث والبول ويفتح من السدد ويمنع من نزول الماء والبرى يفتت الحصى وينفع من الحميات العتيقة ويحلل الرياح ويحد البصر، قال دقراطيس إن الهوام ترعى الرازيانج الطرى ليقوى بصرها، والحيات إذا خرجت من تحت الأرض وحكت أعينها عليه استضاءت، فسبحان من ألهمها ذلك.

● **ريباس:** نبت جبلى لا ينبت إلا على الصخر قيل إنه من تأثير الرعد، وذكر هذا القول عند كسرى وقد شكوا من قلة الريباس فقال: رشوا الماء واضربوا بالطبل استخفافًا بكلامهم. قال ابن سينا: إنه ينفع من الطاعون، والاكتحال بعصارته يحد البصر وينفع من الحصبة والجدرى ويقطع السكر وينفع من الغثيان.

● **ريحان:** يقال له بالفارسية شاهسفرم: ذكر الفرس أنه لم يكن قبل كسرى أنوشروان شىء من الريحان وأنه وجد فى زمانه. وسببه أنه كان ذات يوم جالسًا للمظالم

إذ أقبلت حية عظيمة تنساب تحت سريره فهموا بقتلها، فقال الملك: كفوا عنها فإنى أظنها مظلومة فمرت تنساب حتى استدارت على فوهة بئر فنزلت فيها ثم أقبلت تتطلع فإذا فى قعر البئر حية مقتولة وعلى متنها عقرب أسود فأدلى بعض الأساورة رمحه إلى العقرب ونخسها به وأتى الملك يخبره بحال الحية، فلما كان العام القابل أقبلت الحية فى اليوم الذى كان كسرى قاعدًا فيه للمظالم وجعلت تنساب حتى وقفت ونفضت من فيها بزرًا أسود فأمر الملك أن يزرع فنبتت منه الشاهسفرم، وكان الملك كثير الشكاية من الزكام واجتماع الفضول فى الدماغ فاستعمل منه فنفعه جدًا. قال ابن سينا: الريحان ينفع من البواسير بزره يجعل فى دم الجمل ويطلى به الإبط فإنه يدفع الصنان القوى الذى لا علاج له، والريحان ينفع من الدوار والرعاف.

• **زعفران:** هو نبت نوره الزعفران وأصله يشبه البصل يدق ويعصر يكون عصيره كالحليب وقد يجفف ويتخذ منه الدقيق ويؤكل: قال ابن سينا: بزره ينوم ويحسن اللون ويجلو البصر ويمنع النوازل إليه ويكتحل به للزرقة العارضة فى الأمراض، ويهيج الباه ويدر البول، وزعم قوم أنه إن سقى للطلق المتطاول وضعت من ساعتها، ويقوى القلب ويفرح ويورث الضحك، والزائد على الدرهم سم قاتل ولا يقرب سام أبرص بيتًا فيه زعفران. قال بليناس الحكيم: إذا عسرت الولادة على المرأة أو سقوط المشيمة تأخذ بيدها عشرة دراهم زعفران لا زائدًا ولا ناقصًا فتخلص.

• **سادج:** نبت يكون بأرض الهند. قالوا: إن الماء إذا جف فى المستنقعات أوان الصيف أحرقوا فيها الحطب لينبت السادج فإن لم يفعلوا لا يكون منه شىء، له أوراق وقضبان على مثال الشاهسفرم وله نور ينبت فى المياه فيقوم على وجه الماء من غير تعلق بأصل. قال ابن سينا: يجعل فى وسط الثياب يحفظها من السوس، ويطيب النكهة إذا جعل تحت اللسان، وقال غيره: ينفع من وجع القلب ويذهب نتن الإبط، والله الموفق.

• **سذاب:** هو النبت المشهور، فوائده كثيرة عجيبة. قالوا: إذا ترك فى برج الحمام لا يقربه سنور، وإذا ترك فى بيت لا يقربه حية، وأكله يزيد فى قوة الباه وإذا دخن به تحت حبلى أسقطت، ورائحته تنفع المصروع والصداع الشديد فى الحال، سيما إذا كان رطبًا، والاكتحال بعصارته مع لبن النساء يزيل ظلمة العين، وإن نقع فى ماء ورش به البيت ماتت براغيثه، والمدقوق منه بالزيت يجعل تحت السن الوجعة يسكن ألمها. قال ابن سينا: يطلى مع النطرون على البهق والثآليل والتوتية يزيلها ويقطع رائحة الثوم.

• **سلق:** قالوا: يلقى السلق فى النبيذ يصيرها خلا فى يوم وليلة. قال صاحب

الفلاحة: إن سمدت أرضها بخثى البقر يقوى أصله ويطيب طعمه. قال ابن سينا: عصارته تقلع الثآليل وتقتل القمل ويغسل به الرأس فيذهب البخالة وانتشار الشعر، ويزيل الكلف إذا غسلت الموضع بالنطرون ثم طليت به.

● **سمسم:** قال ابن سينا: ورقه وعصارة شجره يطول الشعر، وبزره يزيل خضرة الضربة والدم الجامد، وهو نافع من الشقاق شربًا وطلاء ومسمن جدًا، ونقيعه يدر الحيض، ومقلوه يزيد فى قوة الباه ومادة المنى.

● **سنبل:** نبت طيب الرائحة جدًا له سنبلة صغيرة يطيب النكهة ويخفف اللسان إذا مسك فى الفم، ومن خواصه تقوية الدماغ ومنع النوازل وإنبات الشعر فى الأشفار إذا جعل فى الكحل، وينقى الصدر، وينفع من الخفقان ويحبس النزف من الرحم.

● **سوسن:** نبت له ساق وزهر مختلف الألوان من بياض وصفرة وأسمانجونية رائحته تجلب النوم يلطخ به الكلف يزيله، يضمد به الرأس مع الخل يزيل الصداع، وهو ينفع من نهش الهوام ويسحق ويخلط بالعسل للبهق والجرب طلاء وإذا غسل به الوجه جلاه ونقاه. قال صاحب الفلاحة: إذا جعلت السوسن فى ظرف جديد واستوثقت رأس الظرف يبقى طريًا غضًا طوال السنة، دهنه يزيل نتن المنخرين.

● **سيسنبر:** نبت له رائحة طيبة يقال له النمام لأن رائحته تدل عليه، ورقه يسكن الصداع إذا ضمد به الجبهة والصدغين وينفع من لسع الزنابير ضمادًا. قال ابن سينا: إذا فرشت السيسنبر تهرب منه أكثر الهوام وهو يقتل القمل ضمادًا ويزيل الفواق شربًا ويخرج الجنين الميت والديدان وحب القرع شربًا، بزره يسكن الفواق والمغص شربًا ويسهل الولادة.

● **شبث:** نبت مشهور. قال صاحب الفلاحة: إذا أثيرت الأرض وسقيت ولم تزرع ومضى على ذلك سنة ينبت فيها الشبث من غير بث حب، أكله يورث ظلمة البصر. قال ابن سينا: إنه منوم جدًا، وإذا سحق وعجن وضمد به البواسير قلعها وأبرأها. قال بليناس: إذا مضغت الشبث الأبيض وأخذت النار فى فمك لا تضرك، وإذا وضعت الشبث تحت مخدة الإنسان ذهب عنه الفزع والغطيط، بزره يدر اللبن وينفع من الفواق الامتلائى والمغص ويقطع مادة المنى ويقلع البواسير.

● **شبرم:** نبت فى البساتين قضيب دقيق، ورقه كورق الطرخون. قال ابن سينا: هو مضر بالباه ومادة المنى ولبنه معين على قلع الأسنان، ويولد الحميات ويقتل منه درهمان.

• **شجر مريم:** شوك أصله الغرطنيثا. قال ابن سينا: ينفع من الزكام البارد ونزول الماء فى العين أصله يدفع الفواق ويسقط الأجنة.

• **شعير:** من الحنطة. عن على رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «إن الله تعالى خلق الشعير من الحنطة، وذلك أن جبرائيل عليه الصلاة والسلام أتى آدم عليه السلام بحفنة من الحنطة وقال: هذا الذى اخترته على جنة رب العالمين هو لك رزق ولولدك، فعمد آدم إلى قبضة منها وعمدت حواء إلى قبضة، فقال آدم لحواء: لا تزرعى فخالفته فجاء الذى زرعت حواء شعيرًا. وخاصية الشعير أن يحفظ الأشياء عن التعفن والتغير. قال صاحب الفلاحة: لو تركت فى الشعير عنبًا بعناقيده لم يتغير وأكلت فى كل يوم عنبًا طريًا كأنه قطف من كرمه. قال ابن سينا: الشعير يستعمل على الكلف طلاء ويطبخ بالخل الثقيف ويضمد به الجرب المنقرح والنقرس.

• **شقائق النعمان:** والعرب يقولون: إنه خد العذارى: قيل كان ظهر فى الكوفة نبت الشقائق فمر النعمان بن المنذر به وقال: من نزع منه شيئًا انزعوا كتفه فنسب إلى النعمان، وشقائق النعمان يدور مع الشمس ينفتح ورقه بالنهار وينضم بالليل، الاكتحال منه ينفى ظلمة البصر. قال ابن سينا: إنه مع قشر الجوز خضاب يسود الشعر هو نافع للجرب والقروح وإذا طبخ بقضبانه يدر اللبن، ويمزج عرق شقائق النعمان بماء الورد فإذا رششت على الثياب البيض يحمر الثوب وإذا يبس لا يبقى على الثوب منه أثر أصلاً.

• **شلجم:** قال صاحب كتاب الفلاحة: بزر الشلجم وبزر الكرنب إذا أتى عليهما ثلاث سنين ينبت من بزر الشلجم الكرنب وينبت من بزر الكرنب الشلجم وهذا أمر يعرفه الزارعون، وإن نقعت بزر الشلجم فى عصير الزيت أو العسل ينبت حلوًا طيب الطعم جدًا والمطبوخ منه يحرك شهوة الوقاع ويضمد به العضو والخدر إذا كان حارًا ينفعه نفعًا بينًا، بزره يعلق على صاحب الأبنة ينفعه.

• **شوكران:** سم قاتل ساقه كساق الرازيانج وورقه كورق القثاء وبزره كالأنيسون وله زهر أبيض. قال ابن سينا: يطلى به موضع النتف يمنع نبات الشعر ثانيًا ويضمد به ثدى النساء فلا يعظم وينفع من نزف الدم بتجميده، ويمرج به أعضاء المنى فيمنع من الاحتلام.

• **شونيز:** قال محمد بن زكريا الرازى: يرش البيت بطبيخ الشونيز يقتل براغيثه، ويسحق الشونيز مع الصابون ويطلى به الوجه يزيل كلفه، وإن بخرت به وبالقلقند البيت

لم يدخله بق البتة، قال ابن سينا: إنه يقطع الثآليل والخيلان والبهق والبرص وينفع من الزكام طلاء؛ وطبيخه ينفع من وجع الأسنان مضمضة سيما مع خشب الصنوبر، والهوام تهرب من دخانه، وإن سحق بدهن الرشاد مع ابتداء الماء. قالوا: الإكثار منه قاتل.

● **شيح:** نبات أجوف العود ورقه كورق السرو. قال ابن سينا: إنه يقتل الديدان وحب القرع ورماده بالزيت نافع من داء الثعلب. دهنه ينبت اللحم المتباطئ ويمنع من برد النافض ومن لدغ العقارب والرتيلا والسموم كلها.

● **شيلم:** هو الزوان يدق ويعجن ويوضع على موضع دخل فيه شوك أو سلا يجذبه ويخرجه، ويطلى على البهق مع الكبريت، ومع بزر الكتان يحلل الأورام والخنازير، ومع الحنطة على القروح والقوباء ذرورًا، والبخور به يعين على الحبل.

● **صعتر:** إذا مضغ يسكن وجع الأسنان ويقتل الديدان وحب القرع والبرى منه ينفع من لسع الحيات، ذكر أن القنفذ وابن عرس إذا تناهشا الأفاعى والحيات تعالجا بأكل الصعتر البرى وإنما كتب بالصاد لئلا يشتبه بالشعير.

● **طرخون:** هو النبت المعروف إذا مضغ أزال حس الذوق حتى لا يحس الإنسان بعد مضغها بمرارة الأدوية المرة. قال ابن سينا: إنه يحدث وجع الحلق ويقطع شهوة الباه، وأصل الطرخون الجبلى هو العاقر قرحًا، وهو نافع من وجع السن، وإذا طبخ بالخل وأمسك فى الفم يشد الأسنان المتحركة، ويدلك البذر به قبل نوبة النافض ينفعه، وإذا مضغ وجعل على موضع اللسعة ينفعها نفعًا بينًا.

● **عبيران:** قال ابن سينا: إنه نافع من الزكام الحادث من البرودة وماؤه يحد البصر.

● **عدس:** إذا خلطت العدس بأى بزر كان وافقه، فإذا أردت أن يتعجل فاجعله فى أخثاء البقر ثم ازرعه، وزعم أن آكله يزداد ارتياحًا وجدلاً إلا أن الإكثار منه يورث الجذام وظلمة البصر. وقال ابن سينا: إنه مع السويق ضماد جيد للنقرس، آكله يرى أحلامًا رديئة.

● **عظلم:** حشيشة يوجد من عصارتها النيل يجلو الكلف والبهق، وينفع من داء الثعلب والجراحات البردية والقروح العفنة ويخرج الشوك، ومع السكر ينفع من سعال الصبيان وكذلك عصارته.

● **عنب الثعلب:** هو أنواع: منه أخضر الورق وأصفر الثمرة وهو مستعمل، ومنه نوع يخدر كالأفيون ومنه قاتل، عصارته جميعًا تقوى البصر اكتحالاً، ومن المخدر اثنتا

عشرة حبة يورث الجنون، ومن القتل أربعة دراهم تفعل ذلك.

● **فجل:** قال صاحب الفلاحة: إذا نقعت بزر الفجل فى العسل وزرعته يأتى فجله حلوًا طيبًا أكله يورث جشاء منتنًا: قال أبو الفرج: سببه أن الفجل يلتمس الفضلات البردية فإذا ورد الفجل قطعها بأثرها فيكون النتن من الفضلات لا من الفجل كما ترى من الحمأة فإنها إذا لم تزعج فلا رائحة لها فإذا أثيرت يظهر منها رائحة منتنة، أكل الفجل بعد الثوم يقطع رائحة الثوم والمداومة على أكله تنقى المعدة وإن أكلته النفساء زاد فى لبنها وإن أكله الرجال زاد فى قوة فهمهم لكنه يفسد الصوت، وإن وضع شرخة منه على عقرب ماتت، وإن لدغت العقرب من أكل فجلا لم تضره وهو ينبت الشعر فى داء الثعلب وداء الحية، وأكله يكثر القمل فى البدن ويضر بالرأس والأسنان والعين، والضماد به مع العسل يقطع الآثار الكمدة من الوجه وغيره، وإذا ألقيته فى الشراب يفسده وعصارته يطلى بها الكلف يزيله، وإذا طليت سلة الحواة بالنوشادر وعصير الفجل ماتت حياتها، وإن شربها صاحب اليرقان خمسة أيام زالت صفرته، وإن اكتحل به يحد البصر وينفع من بياض العين، قشره يكتحل به مجففًا مسحوقًا يحد البصر ويهرب منه العقرب وإن طلى به الوجه أزال كلفه، بزره يهيج الباه أكلاً وينفع من السموم، ورقه. قال ابن سينا وماسويه: يحد البصر ويزيد فى اللبن.

● **عرفج:** ويقال له البقلة الحمقاء لأنها تنبت فى ممر المياه. قال: ومن ترك العرفج فى فراشه نام عليه لم ير شيئًا من الأحلام أصلاً، ولا يوضع على شىء من القروح إلا نفعه وينفع من الباه نفعًا بينًا. قال ابن سينا: تحك به الثآليل يقلعها، ورقها ينفع من أصابه ضرس من أكل الحموضة، بزرها إن شرب الإنسان منه مدافا بالخل يصبر على العطش طويلاً، والمسافرون يستصحبونها فى أسفارهم عند توقع فقد الماء، والإكثار منه يقطع شهوة الوقاع والله أعلم.

● **فنجكشت:** نبات لعظمه كاد أن يكون شجرًا ينبت بقرب الماء ورقه كورق الزيتون وله زهر، قال ابن سينا: إنه ينقى اللون، وإذا ضمد به يزيل الإعياء والصداع ويكثر اللبن ويقلل مادة المنى ويدخن به عند شدة الشهوة للنساء، وينفع من لسع الحيات شربًا ومن عض السباع ضمادًا، ويدخن به لطرد الهوام ويجعل منه شىء فى الفراش يمنع الاحتلام.

● **قوبح:** نبت معروف طيب الرائحة صغير الأوراق منه نهرى ومنه جبلى، فالنهرى يفيق المغشى عليه إذا شمه وينفع من نهش الهوام ضمادًا ويطرد الهوام تدخينًا، ورقه

يطرد الهوام ومضغه يزيل روائح الثوم وهو يقطع الباه، والجبلى يزيل الآثار السوداء ضماداً مطبوخًا بالشراب ويستحم بطبيخه للجرب والحكة وينفع من الجذام وقروح الفم والفواق واليرقان وهو جيد للدغ العقارب.

• **قاتل الذئب:** حشيشة لا تستعمل ألبتة ويقتل الذباب قتلاً وحيًا.

• **قاتل الكلب:** حشيشة تجذب الرعاف و تقتل الكلاب بسرعة كما ذكر.

• **قتاد:** شجرة مشوكة معروفة تتخذها الناس وقودًا إبرها طويلة حادة جدًا يقال للأمور الصعبة دونها خرط القتاد، صمغها الكثير ينفع من السعال وقرحة الرئة ويصفى الصوت والله الموفق.

• **قت:** علف الدواب دهنه أنفع شىء للرعشة.

• **قثاء:** قال صاحب الفلاحة: إذا أردت أن يكون القثاء على صورة شىء من الحيوانات فخذ قالبًا للصورة التى أردت واجعلها فيه وهى صغيرة واستوثق منها ربطًا بحيث لا يدخل القالب ريح ولا غبار فإنها إذا عظمت فيه كانت على صورة القالب التى جعلتها فيه، وإذا عبرت طوامس النساء بالقثاء تغيرت وذبلت وفسدت، وإن أصاب بزرها رائحة الدهن صارت ثمرتها مرة، وإذا نقعت بزرها بالعسل واللبن تكون ثمرتها حلوة طيبة. قال ابن سينا: إنه ينفع من عضة الكلب الكلب أكلا، ثمرتها تسكن العطش وتقوى المثانة وتنفس حرارة المغمى عليه، بزرها يدر البول ويحسن اللون طلاء ويطفئ حرارة الصفراء.

• **قرطم:** نبت يقال له بالفارسية كاثه يره. قال ابن سينا: بزره ينقى الصدر ويصفى الصوت وينفع من القولنج، وإذا أكل بتين أو عسل ينفع من الباه، زهره هو العصفر ينقى الكلب والبهق ويطلى بالخل على القوباء.

• **قطن:** زعموا أن عصارة ورقها إن سقى لصبى به إسهال نفعه جدًا، ثمرته إن كانت ناعمة تنعم البدن وإن كانت خشنة لبسها يهزل البدن، وينفع المبرودين لبسها، قشر جوزها محروقًا ينفع القرحة اللثة والفم نفعًا بينًا.

• **قنابرى:** يجلو الكلف والبهق وهو أنفع شىء للبرص أكلا وضماداً يذهبه فى أيام يسيرة، وورقه ضماد لقروح الثدى الخشنة وللسع الهوام كلها.

• **قنب:** منه برى، ومنه بستانى، فالبرى طول شجره ذراع، ورقها يغلب عليه البياض وثمرتها كالفلفل، والبستانى هو الشهدانج، ورقه البنج إذا أكل منه شىء يخلط العقل ويفسد الذكر ويحدث بالمحرورين خناقًا أو جنونًا وهو مخدر يقطع النزف ويسكن

بتخديره الأوجاع الضربانية حتى وجع النقرس طلاء وشربًا، بزره يسكن أوجاع العين، وكذلك عصارته. قال ابن سينا: إنه يصدع ويظلم البصر واستكثاره يخفف المنى، وقال غيره: إنه يطرد الرياح ودهنه دواء جيد لوجع الأذن من البرودة.

● **قنبيط:** هو الكرنب. قال صاحب الفلاحة: إذا زرع فى الأرض السبخة كبر جرمه ويطيب طعمه ولا يتدور ورقه مع قضبانه، يدق ويوضع على جبهة الحزين يفرج عنه، ومن أكل منه يرى منامات هائلة، وإن اعتادت الصبيان أكله أسرع نباتهم، ويصفى صوت من به بحوحة ولذلك يديم عليه أصحاب الغناء. وقال ابن سينا: القنبيط يسقط الأوجاع وينفع من الرعشة ومنوم جدًا ومظلم للبصر، بزره يدخن به المناخس والبساتين يقتل دودها، وإذا احتملته المرأة بعد الجماع أفسد المنى، وأكله يزيد فى مادة المنى.

● **قيصوم:** نبت طيب الرائحة والحيات تهرب منه ومن رائحته فإن زرعته حوالى القرية لا يبقى فيها حية: قال ابن سينا: ينفع من إنبات اللحية البطيئة النبات إذا طبخ ببعض الأدهان ويدر الطمث ويخرج الجنين ينفع من عسر البول ومن النافض إذا مزج بالدهن. وإذا افترش طرد الهوام وإذا سقى بالشراب نفع من السموم كلها.

● **كاوزوان:** معناه لسان الثور. قال ابن سينا: خاصيته التفريح وإزالة الغم.

● **كتان:** هو النبات المبارك الذى يتخذ منه الثياب، ثيابه تنعم البدن وتخصبه سيما فى الصيف ولأصحاب الأمزجة الحارة دخان الكتان ينفع من الزكام، بزره يسكن الأوجاع ضمادًا ومع النطرون والتين ينفع من الكلف ومع الشمع ينفع من برص الأظافر.

● **كراث:** منه شامى ومنه نبطى. قال صاحب الفلاحة: من أراد زرعه فلينثر بزره ثم يسقيه بعد ثلاثة أيام ليكون نبته قويًا، وإن أردت أن يكون أصله قويًا جدًا تجعل فى كل بعرة من بعر الغنم ثلاث حبات فإنه ينبت أقوى ما يكون، والكراث يدق ويوضع على لسع العقرب والزنبور يسكن وجعه فى الحال، وإدامة أكله تورث ظلمة البصر. قال ابن سينا: الكراث الشامى يذهب بالثآليل والبثرات وأكله يفسد اللثة والأسنان ويضر بالبصر، والنبطى ينفع البواسير مصلوقًا مأكولاً وضمادًا ويحرك الباه ويوضع على الجراحات الدامية يقطع دمها وأصحاب الألحان يستعملونه لتصفية أصواتهم.

● **كرسنة:** حب فى حجم العدس إلا أنه غير مفرطح بل مضلع ولونه ما بين الغبرة والصفرة وطعمه ما بين الماش والعدس، وقال ابن سينا: هو طلاء جيد للبهق والكلف والبرص ويحسن اللون ودقيقه يسمن المهازيل يضمد بالشراب على نهش الأفاعى وعضة الكلب الكلب والإنسان الصائم.

● **كرفس:** منه برى ومنه بستانى، يطيب النكهة ويهيج شهوة الباه للرجال والنساء ويوضع على العضو المرتعش يسكن. قال ابن سينا: البستانى طيب النكهة ويستعمله من يشاور الملوك سرًا وينفع من الجرب والقوباء وإذا لدغت العقرب آكله يشتد الأمر به، فينبغى أن يتجنب أيام ظهور العقارب، عصارته تنفع من ظلمة العين اكتحالاً، أصله يعلق على الرقبة ينفع من وجع السن، بزره ينفع من الاستسقاء وعسر البول ويخرج المشيمة، وإذا بخر به عند قوم سدروا وناموا، وهو ينفع من وجع السن والفواق الذى عن الامتلاء.

● **كراويا:** قال ابن سينا: ينفع من الرياح ويطردها وينفع من الخفقان وهو جيد لقتل الديدان والمغص الشديد.

● **كزبرة:** قال بليناس: يقلع الكزبرة بأصلها قلعًا رفيقًا ويعلق على فخذ صاحبة الطلق تضع فى الحال، قال ابن سينا: رطبه ينوم ويولد ظلمة البصر ويابسه يكسر قسوة الباه ويخفف المنى وعصارته مع اللبن تسكن الضربان الشديد والإكثار منه رطبًا ويابسًا يخلط الذهن، بزره ينفع من لسعة الزنبور، يتناول منه ثلاث راحات يسكن الوجع ويزيل رائحة البصل والثوم، وقال بليناس: يبخر به البيت تهرب الحيات والعقارب منه.

● **كلواشة:** حشيشة يلقى شىء منها فى الفراش تجد البراغيث كلها لا تقدر على الظهور ولا على أذى، فتؤخذ حينئذ بسهولة.

● **كمون:** قالوا: إن الحمام يحبه فإذا أردت أن تألف لمسكنها فاطرح شيئًا من الكمون قبل أن يخرج لطلب العلف فإنها تزداد حبًا لمسكنها والنمل تهرب من رائحته. قال ابن سينا: إذا غسل الوجع بمائة صفاه وإن استكثر من أكله يورث صفرة الوجه وإذا سحق بالخل واشتم قطع الرعاف وعصارته تجلو البصر ويؤخذ الكمون والملح سواء ويجعل أقراصًا ويترك فى وسط الدقيق الدرمك يبقى زمانًا طويلاً لا تصيبه آفة أصلاً.

● **كمأة:** نبات يتولد من تحت الأرض لا بزر لها ولا عرق، لكنه ينبطح كالجواهر فى أعماق الأرض جاء فى الحديث «إن الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين» وإنما شبه بالمن لأنه ينبت فى الأرض بلا تعب كما أن المن يقع من الهواء من غير تعب، والعرب تقول: إن الكمأة تبقى فى الأرض فيمطر عليها مطر الصيف فتستحيل أفاعى، ومنه نوع يتولد فى ظل شجرة الزيتون يسمى القطر وهو نوع سم قاتل. قال ابن سينا: الكمأة يخاف منها الفالج والسكتة وماؤها يجلو العين كما هو مروى عن رسول الله ﷺ. وقال غيره: يورث القولنج وعسر البول.

● **لبلاب:** ويقال له حبل المساكين يلتف على الشجرة ويرتقى منه خيوط دقاق وورق رقاق طوال، ينفع من الصداع المزمن، ورقه بالخل ينفع من الطحال. قال ابن سينا: لبن اللبلاب يحلق الشعر ويقتل القمل.

● **لسان الحمل:** نبات يشبه لسان الحمل فى شكله. قال ابن سينا: أصله يعلق على صاحب الخنازير ينفعه، وطبيخ أصوله ينفع من وجع السن مضمضة، والعدسة التى يكون فيها لسان الحمل بدل السلق تنفع من الصرع، وقيل إنه نافع من حمى الربع.

● **لسان العصافير:** نبات يشبه لسان العصافير، ورقه يدمل الجروح. قال ابن سينا: ينفع من الخفقان ويزيد فى الباه.

● **لصف:** يقال له بالفارسية كبر، ثمرته تشبه القثاء يجعل فى العصير يحفظه من الغليان قشورًا، أصله نافع من عرق النسا ومن الفالج والخدر، ويعض على قشوره بالسن الوجعة ينفعها سيما إذا كان رطبًا، ورقها ينفع من البواسير ويزيد فى الباه وهو ترياق السموم، ويقطر ماؤه فى الأذن التى فيها دبيب يقتله، ويطلى به البهق يزيله.

● **لفاح:** منه نوع أبيض الورق لا ساق له يقال هو الذكر، شمه كثيرًا يورث السكتة، ورقه يدلك به البرص أسبوعًا يزيله من غير تقريح، وشمه ينفع من الصداع لكنه يبلد الحواس وينوم، وبزره إذا خلط بكبريت لم تمسه النار. أصل اللفاح البرى اليبروح وهو على صورة الإنسان، الذكر كالذكر، والأنثى كالأنثى، زعموا أن من قلعه مات فإذا أرادوا ذلك شدوه فى كلب أو حيوان خسيس حتى يمشى به ويقلعه، يجعل ضمادًا للأورام الصلبة والخنازير والدماميل وأوجاع المفاصل يبرئها، ومن احتمل منه شيئًا أسبته، ويتخذ ذلك لدفع السهر. قال ابن سينا: من احتاج إلى قطع عضو والعياذ بالله يسقى من ذلك ثلاث لولوسات فى شراب فيسبته ولا يكون له حس عند القطع.

● **لوبيا:** نبت معروف. قال ابن سينا: من أكله يرى أحلامًا رديئة، وقال غيره: يخصب البدن ويخرج المشيمة والجنين الميت ويدر الطمث وينقى من دم النفاس.

● **لينوفر:** نبات طيب الرائحة ينبت فى الآجام والمياه القائمة فى فضاء ويغيب النهار كله ويظهر بالليل. قال ابن سينا: إنه منوم مسكن للصداع الحار، لكنه يكمد شهوة الباه ويجمد المنى لخاصية فيه، بزره يذهب البرص طلاء بالماء وأكله يضعف الباه وإذا جعل على داء الثعلب أبرأه.

● **ماش:** هو النبت المعروف. قال ابن سينا: إنه مضر بالباه، وقال غيره: يضمد به الأعضاء فيسكن وجعها ويضعف الأسنان.

● **مازريون:** حشيشة معروفة من اليتوعات منها صغير وكبير، فالكبير يشبه ورق الزيتون والأسود منها قتال جدًا وجميع أصنافها يستعمل للبهق والبرش والبرص طلاء ويخلط بها الكبريت ليكون أبلغ قال ابن سينا: يسقى بالشراب لنهش الهوام فإذا خلط بالسويق وجمع بماء أو زيت قتل الفأر والكلاب والخنازير والقاتل للناس درهمان. وقال غيره: يقتل السمك فى الماء ويدفع الاستسقاء، وإذا سقى العليل منه درهمًا فإنه يسهله إسهالا محكمًا يزيل عنه الاستسقاء لكن العلاج بها خطر جدًا. وذكر القاضى أبو على التنوخى أن بعض من ابتلى بالاستسقاء عجز الأطباء عن علاجه فأيقن بالهلاك وترك المعالجة والاحتماء، فاجتاز عليه رجل فى دروب بغداد يبيع الجراد المقلى فاشترى منه وأكل كثيرًا فانحل طبعه ثلاثة أيام ثم عاد إلى حاله وعوفى، فسأله الطبيب عن حاله فذكر له أكل الجراد، فقال لصاحب الجراد من أين أخذته؟ فقال: من الموضع الفلانى، فذهب إليه فرأى أكثر نبته المازريون، فعلم الطبيب أن الجراد قد أكل منه فنقصت قوة المازريون ثم نضجت فنقصت شيئًا آخر فأكلها الرجل وقد اعتدلت فصارت سبب النجاة لمن عجز الأطباء عن علاجه: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

● **ماهيز هرج:** نبات له قضب دقيقة مستوية ورقه كورق الطرخون شديد الشبه بالشبرم إلا أنه أطول، فى لونه غبرة إلى صفرة يعده الناس من اليتوعات إذا طرح منه فى الغدير أسكر السمك وأطفاها، وهو نافع من النقرس ووجع المفاصل والظهر.

● **مرزنجوش:** نبت طيب الرائحة: قال ابن سينا: نافع من الشقيقة والصداع، وطبيخه ينفع من الاستسقاء والمغص وعسر البول، ومع الخل ضمادًا للسع العقارب، وبزره يسقى لمن به لسعة الزنبور قدر درهم يسكن وجعه فى الحال، دهنه ضماد للفالج: يابسه يطلى بالعسل على كهبة الداء واخضراره خصوصًا لجرب العين.

● **ناردين:** هو السنبل الزومى ورقه كورق العصفر وأغصانه صفر ملس ولا ساق له ولا زهر ولا ثمر، ينبت أهداب العين إذا جعل فى الأكحال، ودرهم منه ينفع من الفالج واللقوة.

● **نانخواه:** نبت معروف. قال صاحب الفلاحة: من علف الغنم منه فى الشتاء كثرت نطفها وولدت إناثها توأمًا وازدادت أصوافها وألبانها ولم يتعرض لها القراد، وكذلك نحل العسل إذا حرثت منه وهو نافع من كل لدغ ولسع. قال بليناس: من أدام النظر إليه اصفر وجهه. قال ابن سينا: شربه والطلاء به يحيل اللون إلى الصفرة، وهو من أدوية البهق والبرص ويعجن بالعسل لكهوبة الدم ضمادًا، وطبيخه يصب على لدغ

العقارب يسكن، ويشرب للدغ الهوام.

● **نرجس:** عن رسول الله ﷺ: «شموا النرجس فما منكم إلا من له بين الصدر والفؤاد شعبة من برص أو جنون أو جذام لا يذهبها إلا شم النرجس» وقال جالينوس: من كان له رغيفان فليجعل أحدهما فى ثمن النرجس فإن الخبز غذاء البدن والنرجس غذاء الروح: وقال صاحب الفلاحة: إذا قطعت بصل النرجس قطعًا صليبيًا أو عبرت فيه شوكتين عبورًا ثم زرعته نبت نرجسًا مضاعفًا. وزعموا أن من قطع نظره على النرجس حالة المجامعة تنعقد شهوته عقدًا لا ينحل، وإذا وضعت بصلة على الجراحة التأمت شقوقها وقال ابن سينا إنه يخرج الشوك والسلا، سيما مع دقيق السلم والعسل، زهره يجلو الكلف والبهق وينفع من الصداع. وأكله يهيج القيء، وإذا شرب منه أربعة دراهم مع ماء العسل أسقط الأجنة الأموات.

● **نسرين:** قال ابن سينا البستانى منه يقتل ديدان الأذن وينفع من الطنين والدوى وأوجاع الأسنان، والبرى منه يطلى به الجبهة يسكن الصداع وينفع من الفواق.

● **نعنع:** قال ابن سينا: إنه يقوى المعدة ويسكن الفواق ويعين على الباه والمرأة إذا احتملته قبل الجماع يمنع الحبل، ويضمد به الجبهة ينفع من الصداع ومن عضة الكلب الكلب، عصارته بالخل تمنع سيلان الدم من الباطن. وقال غيره: إذا شرب بالخل يحرك شهوة الباه ويقوى المعدة، ويسكن الفواق والامتلاء.

● **هليون:** حشيشة لها ورق، وبزره منه جبلى ومنه سهلى. قال ابن سينا: ورقه يطبخ ويشرب ينفع من وجع الظهر وعرق النسا، وهو نافع من الفالج الريحى، أصله يطبخ ويشرب ينفع من وجع الظهر وعسر البول وعسر الحبل ويزيد فى الباه وفى مادة المنى، بزره جيد لوجع الضرس ويدر الطمث ويضر بالمعدة.

ومن الحكايات العجيبة، ما حكى لى صديق إربلى أن بجبال إربل هليونًا كثيرًا، وكان عامل تلك الناحية يتخذ منه كل سنة شرابًا يبعثه إلى صاحب إربل، فوقع الأكراد اللصوص على القافلة ونهبوهم ورأوا آنية الشرب فحسبوا أنها عسل فأكلوا منها وأفرطوا فغلبهم الإسهال حتى ضعفوا وعجزوا عن الحركة، فمر عليهم بعض المارين فلما رآهم على تلك الحالة أخبر صاحب إربل بحالهم فبعث إليهم من حملهم إلى إربل مطروحين على الدواب، فاستقبل الناس دخولهم يضحكون بهم ويقولون هم سكارى هليون.

● **هندبا:** قال على كرم الله وجهه ورضى عنه: فى كل ورقة من الهندبا وزن حبة من ماء الجنة قال ابن سينا: يضمد به النقرس ينفعه وينفع من الرمد الحار، ولبن الهندبا

البرى يجلو بياض العين، أصله مع ورقه ضمادًا للسع العقرب والحية والزنبور وسام أبرص، وينفع من حمى الربع.

● **ورس:** نبت يزرع باليمن يشبه السمسم فإذا جف عند إدراكه تفتتت خريطته فينفض منها الورس ويزرع، نبته يبقى عشرين سنة، وينفع من الكلف والنمش طلاء فإذا شرب نفع من الوضح وفتت الحصا.

● **يقطين:** هو القرع إذا أردت أن يعظم القرع فدع بزره على الأرض معكوسًا عند الزرع. وقال على رضى الله عنه: إذا طبختم اللحم فأكثروا القرع فيه فإنه يسلى القلب الحزين ومن خواصه أن الذباب لا يقع على شجرته، ولما خرج يونس عليه الصلاة والسلام من بطن الحوت أنبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين لدفع الذباب حتى صلبت بشرته، والله الموفق للصواب.

وليكن هذا آخر مقالة النبات، والله تعالى أعلم.

* * *

النظر الثالث: فى الحيوان

أما الحيوان ففى المرتبة الثالثة من الكائنات وأبعد المولدات عن الأمهات لأن المرتبة الأولى للمعادن وهى باقية على الجمادية لقربها من البسائط، والمرتبة الثانية للنبات فإنها متوسطة بين المعادن والحيوان بحصول النشو والنمو وفوات الحس والحركة، والمرتبة الثالثة للحيوان فإنه قد جمع بين النشو والنمو والحس والحركة وهذه قوى موجودة فى جميع أفراد الحيوان حتى فى الذباب والبعوض، وأما الحس فلأن الله تعالى لما قضى لكل حيوان أمدا معلومًا وأبدان الحيوانات متعرضة للآفات المفسدة بها والمهلكة إياها فاقتضت الحكمة الإلهية لها القوة الحساسة لتشعر بواسطتها بالمنافى فتدفعه عن نفسها إذا أحست بألم فلولا هذه القوة لما أحس الحيوان بالجوع إلى أن يموت بغتة فجأة من عدم الغذاء ولكان إذا نام فأصاب يده أو رجله نار لم يكن يحس به حتى ينتبه من نومه، فإذا هو بلا يد ولا رجل، وأما الحركة فإن الحيوان لما كان محتاجًا إلى الغذاء، ولم يكن غذاؤه يكفيه فى جميع الأوقات اقتضت الحكمة الإلهية آلات الحركة ليتحرك إلى الغذاء، ولولا القوة لاحتاج الحيوان إلى الغذاء ولم يقدر على المشى إليها فمات جوعًا كشجرة لا تجد الماء حتى تجف. ولكان إذا أصابه آفة من حرق أو غرق بقى فى مكانه حتى أدركه الغرق أو الحرق، ولما كانت الحيوانات بعضها عدو لبعض اقتضت الحكمة الإلهية لكل حيوان آلة يحفظ بها نفسه من عدوه.

فمنها: ما يدفع العدو بالقوة والمقاومة كالفيل والأسد والجاموس.

ومنها: ما يسلم من عدوه بالفرار فأعطى آلة الفرار كالظباء والأرانب والطيور.

ومنها: ما يحفظ نفسه بسلاح كالقنفذ والشاهين والسلحفاة.

ومنها: ما يحفظ نفسه بحصن كالفأر والحية والهوام. ومقتضى الحكمة الإلهية أن الله تعالى خلق لكل حيوان من الأعضاء ما يتوقف عليه بقاء ذاته ونوعه، لا زائدًا ولا ناقصًا، ولذلك اختلفت أشكالها وأعضاؤها وتنوعت أنواعها بأنواع كثيرة.

روى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى خلق فى الأرض ألف أمة ستمائة منها فى البحر وأربعمائة منها فى البر» وقال بعض المفسرين: من أراد أن يعرف معنى قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٨] فليوقد نارًا فى وسط حلقة بالليل ثم لينظر ما يغشى تلك النار من أنواع الحيوان فإنه

يرى صورا عجيبة وأشكالاً غريبة لم يكن يظن أن الله تعالى خلق شيئًا منها فى العالم، على أن الذى يغشى تلك النار يختلف باختلاف المواضع من الغياض والجبال والبحار والصحارى فإن سكان كل بقعة تخالف سكان غيرها: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر:٣١] فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأوضح برهانه لا إله إلا هو سبحانه.

ولنذكر الآن بعض أنواع الحيوان وعجائبها وخواصها إن شاء الله تعالى:

* * *

النوع الأول: فى حقيقة الإنسان والنظر فيه أمور

النظر الأول: فى حقيقة الإنسان

اعلم أن الإنسان مجموع مركب من النفس والبدن وأنه أشرف الحيوانات وخلاصة المخلوقات، ركبه الله تعالى فى أحسن صورة روحًا وبدنًا وخصصه بالنطق والعقل سرًا وعلنًا وزين ظاهره بالحواس والحظ الأوفى وباطنه بالقوى ما هو أشرف وأقوى، وهيأ للنفس الناطقة الدماغ وأسكنه أعلى محل وأوفق رتبة، وزينة بالفكر والذكر والحفظ وسلط عليه الجواهر العقلية لتكون النفس أميره والعقل وزيره والقوى جنوده والحس المشترك مريده والأعضاء خدمه والبدن محل مملكته والحواس يسافرون فى جميع الأوقات فى عالمهم ويلتقطون الأخبار والموافقة والمخالفة ويعرضونها على الحس المشترك الذى هو واسطة بين النفس والحواس على باب المدينة، وهو يعرضها على القوة العقلية لتختار ما يوافق وتطرح ما يخالف، فمن هذا الوجه فالإنسان عالمَ صغير، ومن حيث إنه يتغذى وينمو قالوا نبات، ومن حيث إنه يحس ويتحرك قالوا حيوان، ومَن حيث إنه يعلم حقائق الأشياء قالوا ملك فصار مجمعًا لهذه المعانى فإذا صرف همه إلى جهة من هذه الجهات ليلتحق بها، فإن كان قد صرف همته إلى الجهة الطبيعية فيكون راضيًا من أمر دنياه بالتغذى وتنقية الفضول، وإن كان إلى الحيوانية فيكون إما غضوبًا كسبع أو أكولاً كبقر أو شرها كخنزير أو جزعًا ككلب أو حقودًا كجمل أو متكبرًا كنمر أو ذا روغان كثعلب أو يجمع هذا كله فيكون شيطانًا مريدًا، وإن كان صرف همته إلى الجهة الملكية فيكون متوجهًا إلى العالم الأعلى ولا يرضى بالمنزل الأسفل والمربع الأدنى فيكون مرادًا من قوله عز وجل: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠]، والله الموفق للصواب.

* * *

النظر الثانى: فى النفس الناطقة

قالوا: هو كما أول النفس الطبيعى إلى جهة ما يعقل من الأمور الكلية.

واعلم أن الإنسان حال ما يكون شديد الاهتمام بالشىء يقول قلت كذا وفعلت كذا

وهو فى هذه الحالة عالم بذاته عاقل عن جميع أعضائه الظاهرة والباطنة، والمعلوم فى هذه الحالة هو النفس وإنه متقلد لهذه التكاليف متعرض لخطر الثواب والعقاب باق بعد الموت إما فى نعيم وسعادة كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]، وإما فى جحيم وشقاوة كما قال عز من قائل: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]، وروى أن رسول الله ﷺ قال فى يوم بدر لما قتل صناديد قريش وألقوا فى قليب بدر: «يا عتبة يا شيبة قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ فقيل: يا رسول الله تناديهم وهم أموات؟ فقال: والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع منهم لكلامى لكنهم لا يقدرون على الجواب» وهذه النفس فى البدن كالوالى فى مملكته والقوى والأعضاء كالخدم له وهو متصرف فيها وإنها مجبولة على طاعته لا تستطيع مخالفته، فالبدن مملكة النفس ومدينته والقلب واسطة المملكة والأعضاء كالخدم والقوى الباطنة كصناع المدينة والعقل كالوزير المشفق الناصح، والشهوة طالب أرزاق الخدم، والغضب صاحب الشرطة وهو عبد مكار خبيث يتمثل بصورة الناصح ونصحه سم قاتل ودأبه أبدًا منازعة الوزير الناصح، والقوة المتخيلة فى مقدم الدماغ كالخازن واللسان كالترجمان والحواس الخمس جواسيس وقد وكل كل واحد منهم بأخبار صقع من الأصقاع، فقد وكل العين بعالم الألوان والسمع بعالم الأصوات وكذلك سائرها فإنها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه الأصقاع ويردونها إلى الحس المشترك الذى هو صاحب البريد وهو يسلمها إلى الخازن والخازن يحفظها لتستعمل النفس منها ما تحتاج إليه وقت حاجتها فى تدبير مملكته، وهذه النفس أبدى الوجود لكنه متنقل من حال إلى حال ومن دار إلى دار. وقد ذكر على رضى الله عنه فى بعض خطبه: إنما خلقتم للأبد من دار إلى دار تنتقلون من الأصلاب إلى الأرحام، ومن الأرحام إلى الدنيا، ومن الدنيا إلى البرزخ ومن البرزخ إلى الجنة أو النار، ثم تلا قوله عز وجل: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

وقال الشيخ الرئيس فى تعلق النفس بالبدن واستئناسه به ومفارقته إياه، شعرًا:

هبطت إليك من المحل الأرفع ... ورقاء ذات تعزز وترفع
محجوبة عن كل مقلة ناظر ... وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما ... كرهت فراقك وهى ذات تفجع
أنفت وما سكنت فلما استئنست ... أنفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهودًا بالحمى ... ومنازلاً بعراقها لم تقنع

حتى إذا اتصلت بهـاء هبوطها من ميم مركزهـا بذات الأجرع
غلقت بها هاء الثقيل فأصبحت بين المعـالم والطلول الخضع
تبكى إذ ذكرت عهـودًا بالحمى بمدافـع تهمى ولما تقطـع
إذ عاقها شرك الكثيف وصدها قفص عن الأوج الفسيح المربع
وتظل ساجمة على الدمن التى درست بتكرار الرياح الأربع
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
وغـدت مفارقة لكل مخلف عنهـا حليف الدب غير مشيع
سمعت وقد كشف الغطاء فأبصرت مـا ليس يدرك بالعيون الهجع
وعـدت تغرد فوق ذروة شاهق والعلم يرفع كل من لم يرفع
فلأى شىء أهبطت من شاهق سام إلى قرع الحضيض الأوضع
إن كـان أهبطها الإله لحكمة طويت عن العبد اللبيب الأورع
فهبوطها إن كـان ضربة لازب لتكون سامعـة بما لم تسمع
وتكون عالمـة بكل حقيقة فى العـالمين وخرقهـا لم يرقع
وهى التى قطع الزمـان طريقها حتى لقـد غربت بغير المطلع
فكأنهـا برق تألق بالحمى ثم انطـوى فكأنه لم يطلع

زعموا أن هذه النفوس فى هذا العالم الجسمانى وما قد ابتلى به من آفات هذا البدن كرجل حكيم فى بلد أو قرية وقد ابتلى بعشق امرأة رعناء فاجرة سيئة الخلق وهى فى أكثر الأوقات تطالبه بالمأكول الطيب والمشروب اللذيذ والثياب الفاخرة والمسكن المزخرف والشهوات المردية وإن ذلك الحكيم من شدة محنته بعظم محبتها وعظم بلائه بصحبتها قد صرف كل همته إلى إصراف أمرها وأكثر عنايته إلى إصلاح شأنها، وقد نسى أمر نفسه وإصلاح شأنه وبلدته وأقاربه الذين نشأ فيهم ونعمته التى كان فيها، ولا راحة لهذا الحكيم إلا بمفارقة هذه المرأة والتسلى عن حبها، ولكنه إن سمع هذا الحديث تنشق مرارته من خوف مفارقتها، ولا يخفى أن النفوس جواهر روحانية لا حاجة لها إلى الأكل والشرب واللباس والنكاح، فإن كل ذلك مما يحتاج إليه البدن فى قوام وجوده، والنفس ما دام مع هذا البدن تكثر همومه لإصلاح هذا البدن ولا راحة للنفس دون مفارقته كما قلنا: إن الحكيم المبتلى بحب المومسة لا راحة له إلا بمفارقتها والسلوّ عنها، والله المستعان، وعليه التوكل.

فصل: فى نفوس عجيبة التأثيرات

ذهب أهل الحق إلى أن النفوس مختلفة بحسب جواهرها، فمنها نفوس علوانية نورانية لها شعور بعالم الأرواح فتستفيد بالفيض من عالم الأرواح أمورًا عجيبة، ومنها نفوس كثيفة كدرة مشغوفة بالجسمانية لا حظ لها من عالم الأرواح. وذهب بعض الحكماء إلى أن النفوس الناطقة جنس تحته أنواع وتحت كل نوع أفراد لا يخالف بعضها بعضًا إلا بالعدد وكل نوع منها كالولد لروح من الأرواح السماوية وهذا هو الذى تسميه أصحاب الطلسمات بالطباع التام، ويزعمون أنه يتولى إصلاح تلك النفوس تارة بالمنامات وتارة بالإلهامات وتارة بالنفث فى الروح.

فمن النفوس الفاضلة: نفوس الأنبياء: صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فإن الله تعالى لما أراد أن يجعلهم قدوة للخلق جمع فى نفوسهم أنواع الفضائل ونفى عنهم أصناف الرذائل لاقتداء الخلق بهم وأظهر عليها الآثار العجيبة لانقياد الخلق إليهم.

ومنها: نفوس الأولياء: فإنها لما كانت تابعة لنفوس الأنبياء مشتبهة بها صدرت عنها آثار عجيبة كما ذكرنا فى مقامات الزهاد والعباد والعارفين من شفاء المرضى باستشفائهم وسقى الأرض باستسقائهم وصرف الوباء والمؤذيات بدعائهم وتبدل نفرة الطيور بالهدو والوقوع وصولة السباع بالبصبصة والخضوع، وإلى غير ذلك من الأمور التى تحكى عنهم.

ومنها: نفوس أصحاب الفراسة: وهى نفوس تستدل بالأحوال الظاهرة على الأمور الباطنة وإنه استدلال صحيح، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥]، وقد قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى».

حكى أبو سعيد الخراز قال: رأيت فى الحرم رجلاً فقيرًا ليس عليه إلا ما يستر عورته فأنفت نفسى منه فتفرس فى ذلك. وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة:٢٣٥] فندمت على ذلك واستغفرت فى نفسى فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى:٢٥].

وحكى أن الشافعى رضى الله تعالى عنه ومحمد بن الحسن رحمة الله عليهما رأيا رجلاً، فقال أحدهما: إنه نجار، وقال الآخر: بل حداد، فسألا عنه فقال: كنت حدادًا قبل هذا والآن صرت نجارًا.

وحكى عبيد الله بن ظبيان وكان أميرًا من أمراء العراق فنادى إنه كان يترصد الفتك

بالحجاج مدة. قال: فظفرت به يومًا كان واقفًا على باب داره وحده فقلت فى نفسى الآن وقته فتفرس ذلك فى وبقى بينى وبينه مقدار رمح. فقال لى: أخذت كتابك من فلان؟ فقلت: لا. قال: امض إليه فإن كتابك معه، فلما سمعت اسم الكتاب تركت عزمى وانصرفت لطلب الكتاب، فأدركنى عدوانه.

ومنها: نفوس أصحاب القيافة: والقيافة على ضربين: قيافة البشر، وقيافة الأثر:

أما قيافة البشر: فالاستدلال بهيئات الأعضاء على الإنسان، ويختص هذا الاستدلال بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على أحدهم مولود فى عشرين امرأة فيهن أمه يلحقه بها.

حكى بعض التجار قال: ورثت من أبى مملوكًا أسود شيخًا فكنت فى بعض أسفارى راكبًا على بعير والمملوك يقوده، فاجتاز علينا رجل من بنى مدلج أمعن فينا نظره وقال: ما أشبه الراكب بالقائد، فوقع فى قلبى من قوله ما وقع، حتى رجعت إلى أمى وأخبرتها بما قال المدلجى، فقالت صدق والله المدلجى، اعلم يا بنى أنه كان زوجى شيخًا كبيرًا ذا مال لم يولد له ولد، فخشيت أن يفوت ماله عنا بموته فمكنت نفسى من هذا المملوك الأسود فحملت بك، ولولا أن هذا شىء ستعلمه فى الآخرة ما أخبرتك فى الدنيا.

وأما قيافة الأثر: فالاستدلال بآثار الأقدام والخفاف والحوافر، وقد اختص هذا الاستدلال بقوم فى المغرب أرضهم ذات رمل فإذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تبعوا آثار قدميه حتى يظفروا به. ومن العجب ما حكى أنهم يعرفون أثر قدم الشاب من الشيخ، والرجل من المرأة والغريب من المتوطن.

ومنها: نفوس الكهنة: وهى نفوس تتلقى الروحانيات وتكتسب أحوال الكائنات التى تدل عليها المنامات وغيرها من الحادثات.

حكى أن ربيعة بن نصر اللخمى رأى رؤيا هائلة فبعث إلى أهل مملكته يسأل عن تفسيرها فقالوا ليبعث الملك إلى سطيح وشق فلا يجد أعلم منهما بها، فبعث إليهما فقدما؛ فقال الملك لسطيح: رأيت رؤيا هالتنى فأخبرنى بها فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها، فقال سطيح: رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض نعمة فأكلت منها كل ذات جمجمة، فقال الملك: ما أخطأت منها شيئًا، فما تأويلها؟ فقال: ليهبطن بأرضكم الحبش وليملكن ما بين أبين وجرش، فقال الملك: يا سطيح إن هذا لغائظ، فأخبرنى متى هو كائن أفى زمانى أم بعده فقال: بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين

تمضين من السنين، ثم يقتلون بها أجمعين أو يخرجون منها هاربين، فقال الملك: ومن الذى يملك قبلهم؟ قال: ابن ذى يزن يخرج عليهم من عدن ولا يترك منهم أحدًا باليمن. قال الملك: أيدوم ملك ذلك أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع. قال: ومن يقطعه؟ قال: نبى زكى كريم عظيم يأتيه الوحى من قبل العلى. قال الملك: ومن هذا النبى؟ قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر، قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون. قال: أحق ما تخبر به؟ قال: نعم، والشفق والقمر إذا اتسق إن ما نبأتك به لحق. فلما فرغ من حديثه دعا بشق وخاطبه مثل ما خاطب سطيحًا وكتم جواب سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان؟ فقال شق: رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فأكلت منها كل ذات نسمة، فعلم الملك اتفاقهما: فقال: ما أخللت بشىء منها يا شق، فما تأويلها؟ قال: لينزلن أرضكم السودان وليملؤن ما بين أبين ونجران، فقال الملك: إن هذا لغائظ، فمتى هو كائن فى زمانى أم بعده؟ فقال: بل بعده زمان ثم ينقذكم منه عظيم ذو شان ويذيقهم أشد الهوان. قال: ومن هذا العظيم الشان؟ قال: غلام من بنى ذى يزن يخرج من عدن، قال الملك: أيدوم سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول من الرسل يأتى بالحق والعدل من أهل الدين والفضل يبقى الملك فى قومه إلى يوم الفصل، ثم إنه اتفق استيلاء الحبشة على اليمن وملكوها إلى أن جاء سيف بن ذى يزن إلى كسرى واستنجده فأمده بعساكره برًا وبحرًا وقتلوا الحبشة قتلاً ذريعًا وأخرجوهم من اليمن، وملكها سيف بن ذى يزن فاجتمع على بابه رؤساء العرب ودخل عليه عبد المطلب ابن هاشم جد رسول الله ﷺ مع قومه فأكرمه وخلع عليه وقال: إنا نجد فى كتبنا أن هذا الملك صائر إلى أحد أولاده فليتنى كنت أدركه.

ومنها: نفوس أصحاب العرافة: وهى نفوس تستدل ببعض الحوادث على بعض لمناسبة بينهما أو مشابهة خفية.

كما حكى أن الإسكندر تملك بعض البلاد فدخل هيكلها فوجد فيها امرأة تنسج ثوبًا فقالت: أيها الملك أعطيت ملكًا ذا طول وعرض، ثم دخلها والى بلدها فقالت له: إن الإسكندر سيعزلك، فغضب الوالى فقالت: لا تغضب إن النفوس تعلم أمورًا بعلامات فإن الإسكندر لما دخل كنت أدبر طول الثوب وعرضه، وأنت لما دخلت فرغت منه وأردت قطعه فكان الأمر كما قالت.

وحكى أن سيف بن ذى يزن لما استنصر بكسرى على قتال الحبشة بعث إليهم كسرى

فى جند عظيم براً وبحراً، فخرج إليهم ملك الحبشة مسروق بن أبرهة فى مائة ألف من الحبشة وغيرهم من حمير وكهلان، فتصاده القوم وكان بين عينى مسروق بن أبرهة ياقوتة حمراء معلقة من تاجه بعلاق من الذهب تضىء كالنار، وعلى فيل عظيم فقاتل عليه ساعة ثم نزل عن الفيل وركب جملاً ساعة، ثم نزل عن الجمل وركب فرسًا ساعة، ثم أنف من محاربتهم على الفرس استصغاراً لأصحاب سيف، فدعا بحمار فركبه، فتأمل هرمز ذلك وقال: احملوا عليه فإن ملكه قد ذهب انتقل عن كبير إلى صغير، فحملوا عليهم وكشفوا الحبشة فأخذتهم السيوف من كل جانب وقتلوا مسروق ابن أبرهة وخواصه.

وحكى عن على رضى الله عنه أنه لما جلس للبيعة فأول من بايعه طلحة بن عبيد الله، فبايعه بيده وكانت يده شلاء فتطير منها على رضى الله عنه، وقال ما أخلقه أن ينكث، فكان كذلك، ولم تصف له الخلافة إلى أن درج إلى رحمة الله تعالى.

وحكى إبراهيم بن المهدى قال: بعث إلى الأمين فسرت إليه فإذا هو جالس فى طارم خشبها عود وصندل مزين بأنواع الحرير والديباج الأخضر والذهب الأحمر، وإذا سليمان ابن منصور معه فى القبة وبين يدى الأمين قدح من بلور مخروط، وكان شديد الإعجاب به فقال: إنما بعثت إليكما لما بلغنى وصول طاهر بن الحسين إلى النهروان وقد صنع فى أمرنا من المكروه ما صنع، فدعوتكما لأفرج همى بكما، فأقبلنا نحدثه فدعا بجارية تسمى صعب، فتطيرنا بها لاسمها فأمرها أن تغنى فغنت:

أبكى فراقهم عينى فأرّقها ... إن التفرق للمشتاق بكّاء
مازال يعدو عليهم ريب دهرهم ... حتى تفانوا وريب الدهر عدّاء

فزجرها وتطير من قولها وقال لها: لعنك الله ما عرفت غير هذا؟ فقال: يا سيدى ما قصدت إلى ما نطقت إلا أنك تحبه فعاد إلى حزنه، فأقبلنا نحدثه إلى أن ضحك، ثم أقبل وقال لها: هات ما عندك، فغنت:

همو قتلوه كى يكونوا مكانه ... كما فعلت يومًا بكسرى مرازبه
بنى هاشم كيف التواصل بيننا ... وعند أخيه سيفه ونجائبه

فزجرها وعاد إلى الحالة الأولى فسليناه حتى عاد إلى الضحك، وأقبل عليها فى الثالثة وقال لها: غنى فغنت:

أما ورب السكون والحرك ... إن المنايا شديدة الشرك
ما اختلف الليل والنهار ولا ... دار نجم السما فى فلك

إلا بنقل النعيم عن ملك ... قد انتهى ملكه إلى ملك
وملك ذى العرش دائم أبدًا ... ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها: قومى لعنك الله، فقامت فعثرت بالقدح الذى كان بين يديه فكسرته، وكانت ليلة مقمرة ونحن على شاطئ دجلة فقمنا متعجبين مما شاهدنا، متفكرين فى أمره فسمعنا قائلاً يقول: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف:٤١]، وكان ذلك آخر الاجتماع به.

وحكى صاعد بن محمود النهاوندى أنه كان ببغداد عراف من الطرقيين يخبر بأشياء قلما يخطئ فيها، فجاءه رجل وقال له: إن لى مسألة إن أصبت فيها فلك كذا وكذا، فقال: سلها، فقال: إن أخرجتها لك لا أطمئن إلى جوابها فمكث يسيرًا ثم قال: تسألنى عن محبوس؟ فقال: أصبت والله فأخبرنى عن حبسه؟ فقال الشرط أملك إذا وفيت بالوعد أخبرتك بحاله، فمضى الرجل إلى بيته وأتاه بما وعده به وقال: أخبرنى عن حبسه؟ فقال: إنه يخرج عن قريب ويخلع عليه، فلم يمض أيام حتى كان الأمر على ما قال، فأتى السائل إلى العراف وقال له: أخبرنى بكيفية معرفتك أمر هذا المحبوس؟ فقال له: اعلم أنى إذا سئلت عن شىء أنظر أمامى وعن يمينى وعن يسارى فإن رأيت شيئًا يكون بينه وبين المسئول مناسبة أو مشابهة أجبت على وفق ذلك، فإنك لما سألتنى رأيت قربة فيها ماء مع رجل سقاء فقلت السؤال محبوس ولما سألتنى ثانيًا رأيت تلك القربة بعينها قد أفرغت وألقاها الرجل السقاء على منكبه فقلت يخرج ويخلع عليه، والله أعلم بغيبه.

* * *

النظر الثالث: فى تولد الإنسان

اعلم أن الغذاء إذا ورد المعدة وأثرت فيها القوة الهاضمة تصفيه وتجذب ما فيه إلى الكبد فالكبد يقسمه على جميع البدن وما فضل من الغذاء فى الهضم الأخير يبعث إلى النخاع ومن النخاع إلى الأنثيين فيستحيل فيهما إلى طبيعة المنى يدغدغ ويهيج اضطراب القدم فلا يسكن إلا بنفض تلك المادة فيكون ذلك سبب اجتماع الذكر والأنثى، فإذا حصلت النطفة فى الرحم صار نطفة الذكر والأنثى ممتزجين على شكل كرة فتنعقد عليها بحرارة الرحم قشرة رقيقة كما ترى فى العجين إذا وضع فى شىء حار وتتشبث بها أفواه العروق التى يرد منها دم الحيض إلى الرحم، ثم إن القوة المصورة بإذن الله تعالى تجمع

دهنية النطفة فتأخذ منها حصة إلى الوسط إعدادًا للقلب ومن عن يمينه حصة الكبد ومن أعلاه حصة الدماغ، ثم تخلق السرة متصلة بوريد وشريان وهذا يتم فى ستة أيام، ثم تأخذ فى التخطيط والتنقيط ويتم ذلك إلى خمسة عشر يومًا، ثم ينفذ دم الحيض فى جميع الكرة فيصير علقة، وبعده باثنى عشر يومًا تصير الرطوبة لحمًا متميز الأجزاء وتمتد رطوبة النخاع فإنه أساس البدن، وبعده بسبعة أيام ينفصل الرأس عن المنكبين والأطراف من الضلوع والبطن إلى أربعين يومًا، ثم تظهر عظامه وتكسى باللحم المتولد من دم الحيض كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٣، ١٤].

* * *

فصل: فى وضع الجنين فى الرحم

قال بقراط: إنه جالس ورأسه على ركبتيه وعضداه ملتصقتان بأضلاعه ويداه حاملتان لرأسه، ورأسه نحو رأس الأم ورجلاه نحو رجليها مقبوض الأعضاء على غاية ما يمكن من الهندام ووجهه إلى صلب حاملته وصلبه إلى مراقها وكونه على هذا الوضع بعناية الله عز وجل وذلك أن الرأس أثقل من سائر الأعضاء فاحتيج إلى ما يحمله فأسند بالركبتين والركبتان ضعيفتان رطبتان خفف عنهما بأن عاونتهما اليدان فى الحمل، وصير الوجه إلى جانب صلبها ليكون أحفظ من المصادمات بدفع الصلب إلى جهة مراقها لأن صلبه أبعد عن قبول الآفة لأن هذا الوضع موافق جدًا لسهولة الولادة، لأن رأسه إذا كان قريبًا من رجليه وانحل الرباط من الرحم جاء على رأسه ثقيل يهوى إلى أسفل بسرعة، وأيضًا فإن أقرب الأشكال إلى المستدير المنحنى والمستدير أبعد عن قبول الآفات فلذلك جعل شكل الجنين على هذا الوجه ليكون أبعد عن قبول الآفات، ولأن القلب الذى هو ينبوع الحياة يكون محفوظًا وأن شكله على هذه الهيئة ضرورى الوقوع لأن الجنين فى موضع ضيق فجمع بالحكمة الإلهية سائر أعضائه وجعله كالكرة ليسعى فى ذلك الموضع الضيق، كما أنا نحن إذا كنا فى موضع ضيق جمعنا أعضاءنا فيكون شكلنا قريبًا من شكل الجنين فى الرحم.

* * *

فصل: فى سبب الذكورة والأنوثة

زعم بعضهم أن السبب لذلك زيادة حرارة خلقها الله تعالى للمادة التى يخلق منها الذكر ونقصانها فى المادة التى يخلق منها الأنثى وكذلك تبرز أعضاء التناسل من هذا وتخفى من هذه، ثم إذا كانت الحرارة الغريزية فى أصل الخلقة كاملة خرج الذكر تام الأعضاء قوى التذكير وإن نقصت نقصت قوة تذكيره فتشبه أفعاله أفعال النساء وهكذا قوة التأنيث فإن من الإناث من تشبه أفعالها أفعال الرجال، إذا تصورت هذه المراتب فربما يقع فيها مرتبة بعيدة الاتفاق فيكون المولود لا ذكرًا ولا أنثى بل خنثى، ومنهم من زعم أن الأغلب على خلقة الذكور وقوعها فى الجانب الأيمن من الرحم وفى خلقة الأنثى وقوعها فى الجانب الأيسر، وربما يعين على الإناث الفصل الحار والبلد الحار والريح الجنوب وسن الكهولة كما أن أضداده تعين على الذكور وهو الفصل البارد والبلد البارد والريح الشمال وسن الشباب. وزعم قوم أن نطفة الذكر إن جرت من يمينه إلى يمينها كان الولد ذكرًا تام الذكورة، وإن جرت من يساره إلى يسارها كان الولد أنثى تام الأنوثة، وإن جرت من يمينه إلى يسارها كان ذكرًا مؤنثًا كما ترى فى الرجال من تشبه أفعاله أفعال النساء، وإن جرت من يساره إلى يمينها كانت أنثى مذكرة كما ترى فى النساء من تشبه أفعالها أفعال الرجال، والله تعالى أعلم.

* * *

فصل: فى وضع الحمل

اعلم أن القوة الإلهية إذا كملت فى المولود أبرزته القوة الموجودة فى الرحم إذ لو بقى فى الرحم بعد كماله لاحتاج إلى غذاء كثير لكبره ولا يسهل خروجه لكبره والوعاء لا يحمله فيفضى إلى هلاكه وهلاك أمه، فإذا كمل المولود كفت القوة الماسكة عن الإمساك وتحركت الدافعة للدفع، وهو أيضًا يتحرك بيديه ورجليه فينشق الغشاء المطيف به وانحل رباط الجنين فيقع كالشىء الواقع من أعلى إلى أسفل، فعند ذلك ينقبض قعر الرحم وينفتح عنقه ويبتدئ بالرطوبات التى كانت فى الأغشية قبل ورود الجنين لينزلق المجرى فيسهل الخروج، والخروج إذا كان طبيعيًا يبتدئ بالرأس لأن أعاليه أثقل من أسافله فإن من السرة إلى الرأس أثقل مما هو من السرة إلى القدم فينزل الثقيل أولاً ثم يتبعه الخفيف بتقدير العزيز العليم.

النظر الرابع: فى تشاريح أعضاء الإنسان

اعلم أن فى تشريح الأعضاء من العجائب ما تحير فيها عقول الأولين والآخرين، وقصر عن إدراك بعضها فهم الخلق أجمعين، ولكثرة ما فيها من العجائب قال جل من قائل: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

ولنذكر شيئًا من عجائب أعضاء الإنسان والأسرار المودعة فيه وفى تركيبها إن شاء الله تعالى فنقول:

الأعضاء أجسام متولدة من أول مزاج الأخلاط، وهى على قسمين: متشابهة ومركبة.

القسم الأول: المتشابهة

وهى التى يكون حدها كلها حد خروجها، وهى أنواع:

● **النوع الأول: العظام:**

وهى أجسام صلبة جعلت قوامًا للبدن ودعامة تنشأ منها الرطوبات وتمتد من بعض الأعضاء إلى بعض فيشدها ويقويها ويكون له بها الاعتماد فى الحركات، ولم يتم ذلك بشىء من الأعضاء الرخوة كاللحم فاقتضت حكمة البارى تعالى خلق العظام لتلك المنافع، فمنها ما يكون للبدن كالأساس مثل فقار الصلب فإن البدن يبنى عليه كالخشبة التى تبنى عليها السفينة، ومنها ما قياسه قياس المجن كعظم اليافوخ، ومنها ما هو كالدافع يدفع به المؤذى كالأساس على فقار الظهر، ومنها ما هى لسد فرج بين التناسل كالعظام السمسمانيات بين السلاميات، وما خلق للدعامة والوقاية خلق مصمتًا لزيادة الحاجة إلى صلابته، وما كان لأجل الحركة خلق مجوّفًا ليكون جرمه خفيفًا وجوفه يكون محل غذائه وهو المخ فيغذيه ويرطبه كيلا يتفتت. والحكمة فى أن كل عضو خلق من عظام لا من عظم واحد لأن الآفات صائبة لها، فعند ذلك يسلم الآخر بخلاف ما إذا كان عظمًا واحدًا فإن الآفة إذا أصابت بعض أطرافها صار الكل موجوعًا، وأيضًا عند الحاجة إلى حركة بعضها لا يفتقر إلى حركة لأن الكل وجميع العظام إذا عدّت تكون مائتين وثمانيًا وأربعين عظمًا سوى السمسمانيات وعظم الحنجرة الشبيهة باللام.

● **النوع الثانى: فى الغضروف:**

وهو جسم متوسط بين اللحم والعظم فى الصلابة واللين ينبت على أطراف العظام

فى موضع دعت الحاجة فيه إلى العظم وإلى اللحم فيدخل الغضروف بينهما حتى لا يتأذى اللحم بصلابة العظم ولا يتألم العظم برطوبة اللحم. وأيضًا إنها آلات الحركة والاحتكاك تكسر اليابس وتفسخ الرطب فاحتاج إلى متوسط لا ينكسر ولا ينفسخ برطوبته وهو الغضروف.

• النوع الثالث: العصب:

وهو جسم لين لدن ينشأ من الدماغ والنخاع كنهر يأخذ من عين فالعين الدماغ والنهر النخاع. وفائدته الحس والحركة لسائر الأعضاء، ولما كان الدماغ غير محتمل للأعصاب ينشأ منها ويصل إلى أقصى غاية البدن أجرى الله تعالى منها نهرًا فى الدماغ ليتشعب منه الجداول وتصل إلى جميع أجزاء البدن، وأما أعصاب الرأس فتفيد الحس والحركة للوجه والأعضاء الباطنة وأما سائر الأعضاء الظاهرة فإنها تستفيد بالحس والحركة من النخاع.

• النوع الرابع: الرباط:

وهو جسم كالعصب فى الشكل إلا أنه أصلب منه ينشأ من العظام فيربط بعضها ببعض: ولما كانت الحركة الإرادية إنما تكون بقوة تفيض من الدماغ بواسطة العصب، والعصب لدن لطيف لا يحسن اتصاله بالعظام بلطف البارى تعالى بإنبات جسم من العظام شبيه بالعصب أصلب منه وألين من العظام وهو الرباط ليحسن اتصال العصب بالعظم بواسطته.

• النوع الخامس: اللحم:

وهو جسم حار رطب. من منافعه معاونة الأعصاب والشرايين والأوردة فإنها باردة يابسة، فلولا حرارة اللحم لأتاها الهواء من خارج وأفسدها، ولما كانت هى حوامل الروح والغذاء واحتاجت إلى الهضم ولا يتم ذلك بنفسها خلق الله تعالى معينًا من اللحم محيطًا بها ليتم الهضم الجيد، ومن منافعه حشو خلل العظام فيستوى شكل الأعضاء به كما يستوى البناء بالطين فيفيدها حسنًا وزينة.

• النوع السادس: الشحم:

وهو جسم حار لطيف هوائى خلق على أطراف العضل ومواضع العصب فإنها آلة الحس والحركة فافتقرت إلى مواتاة فى الفعل والانفعال وذلك إنما يتم بالحار الرطب. ولما كان العصب باردًا يابسًا ألحق بالشحم يسخنه ويعينه على هضم الغذاء وإنضاجه ولم يلحقه باللحم كالعروق، لأن الغرض من اللحم هضم ما فى داخل العروق فحسب،

والغرض من الشحم تسخين العصب على وجه لا يمنعه من سرعة الحركة، فلو ألحق بجسم غليظ كاللحم تعسرت حركته وتبلد جسمه، وكما قلنا إن مثال اللحم كطين البناء فكذلك أمثال الشحم كجصته.

• النوع السابع: الشرايين:

وهي جداول مضاعفة لأنها وعاء الروح خلقت ذات صفاقين إلا واحدة منها فإن الشرايين تحمل الروح الحيواني من القلب إلى سائر البدن كالزيت للمصباح وإنما خلقت ذات صفاقين صيانة للروح التي فيها واحتياطًا بحفظها فيطلع من القلب شعبتان إحداهما إلى الرئة وإنها ذات طبقة واحدة ليكون أسلس وأطوع للانبساط والانقباض عند الاستنشاق، والشعبة الأخرى تنقسم قسمين أحدهما يمضي صاعدًا والآخر إلى أسفل حتى استوعبا جميع البدن.

• النوع الثامن: الأوردة:

وهي جداول تشبه الشرايين إلا أنها ذات طبقة واحدة لأن ما تحويه من الدم أغلظ مما تحويه الشرايين وتنشأ من الكبد وتحمل الغذاء إلى سائر الأعضاء، وأول ما ينبت من الكبد عرقان، أحدهما من الجانب المحدب ومنفعته جذب الغذاء من الكبد ويسمى الباب، والآخر من الجانب المحدب ومنفعته اتصال الغذاء من الكبد إلى سائر الأعضاء ويسمى الأجوف.

• النوع التاسع: الثرب:

وهو جسم شحمي خص بإلحاق المعدة من قدام ليفيدها حرارة مع سهولة الانبساط إذا امتلأت المعدة من الغذاء.

• النوع العاشر: الغشاء:

هو جسم منتسج من ليف عصباني كنسج الثياب ينبسط على سطوح الأعضاء التي لا حس لها يحويها كاللفائف فيصير لها حافظًا يحفظ جواهرها وأشكالها على هيئاتها ومنبهًا لها على المؤذي إذا طرأ عليها.

• النوع الحادي عشر: الجلد:

وهو جسم مركب من الشظايا العصبية والرباطية والأجزاء الشعرية من العروق بنسج بعضها في بعض كما ينسج الغشاء فيحل البدن بأسرها فيحفظ ما تحويه لصلابتها ويشعر بسبب الحس بما يوافقه ويخالفه، وهو مفيض فضولاً إلى أعضاء البدن الظاهرة لأنها تدفع الفضول من العروق والوسخ إلى المسام.

• النوع الثانى عشر: المخ:

وهو جسم مناسب لطبيعة العظم خلقت فى تجاويف العظام لغذائها وذلك أن حرارة الدم ورطوبته اعتدلت ببرودة العظم ويبوسته فصار غذاء صالحًا للعظم، والله أعلم بالصواب.

* * *

القسم الثانى من الأعضاء: المركبة

وهو على نوعين ظاهرة وباطنة.

أما الظاهر: فأنواع:

• الأول: الرأس:

ولما كان الرأس محل السمع والبصر وهما محتاجان إلى مكان عال لأن محل الديدبان لا يصلح إلا عاليًا ليطلع على الأخبار من البعد ويخبر بها اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الرأس فى أعلى موضع من البدن وخلق مستديرًا لأن الشكل المستدير أكثر مساحة من غيره من الأشكال وقد احتيج إلى زيادة المساحة لكثرة ما تضمنها، والشكل الكروى أحسن الأشكال ولا ينفعل من المصادمات انفعال ذى الزوايا وخلق مستديرًا إلى الطول لأن منابت الأعصاب الدماغية موضوعة فى الطول، وخلق الجمجمة صلبة حاوية للدماغ لتمنع الآفات عنه كالبيضة التى توقى بها الرأس، وخلقت مركبة من عظام ليبقى بعضها سليمًا إذا أصاب البعض آفة.

فصل: فى العين:

لما كانت الحاجة إلى العين ماسة اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون فى غاية الرقة واللين ووقاها بضروب كثيرة من الوقاية، فوضعها فى حفرة من العظم وجعل حولها عظامًا صلبة وغطاها بالأجفان وصانها بالأهداب وجعلها عينين اثنتين حتى لو أصاب إحداهما آفة بقيت الأخرى سليمة، وجعلهما فى الرأس لأن حاسة البصر بمنزلة الديدبان وأنه كلما كان أعلى مكانًا كانت مسافة مبصراته أكثر، ولأن العصبة التى فيها الروح الباصرة رقيقة جدًا نازلة من الدماغ لا تحمل مسافة بعيدة وقد وضعت أمام البدن لتكون حارسة للأعضاء التى غطاؤها ضعيف كالبطن وغيره، ولأن عمل الأعضاء الخارجة كاليد والرجل من قدام لتكون مشاهدة لأعمالها وهى سبع طبقات. وتركيبها أنه ينشأ من الدماغ من تحت القحف عصبة مجوفة تنتهى إلى قعر العين وعليها غشاءان أحدهما

غليظ والآخر رقيق، فإذا صارت إلى عظم العين فارقها الغشاء الغليظ وصار لباسًا وغشاء لعظم العين وتسمى الطبقة الصلبية، ويفارقها أيضًا الغشاء الرقيق ويصير لباسًا وغشاء دون الطبقة الصلبية وتسمى الطبقة المشيمية لشبهها بالمشيمة، وتعرض العصبية نفسها أن تصير غشاء بين الغشاءين المذكورين ويسمى الغشاء الشبكى، ثم يتكون فى وسط هذا جسم لين رطب فى لون الزجاج يسمى الرطوبة الزجاجية، ويتكون فى وسط هذا الجسم جسم آخر مستدير إلا أنه مفرطح شبيه بالجليد فى صفائه وتسمى الرطوبة الجليدية وتحيط الزجاجية بالجليد بمقدار النصف ويعلو النصف الآخر جسم شبيه بنسج العنكبوت شديد الصفاء والصقال وتسمى الطبقة العنكبوتية ثم يعلو هذا الجسم جسم سائل فى لون بياض البيض تسمى الرطوبة البيضية، ثم يعلو الرطوبة جسم رقيق أملس الخارج يختلف لونه فى الناس فربما كان شديد السواد، وربما كان دون ذلك وفى وسطه حين يحاذى الجليد ثقب يتسع ويضيق فى حال دون حال بمقدار حاجة الجليدية إلى الضوء فيضيق عند الضوء الشديد ويتسع فى الظلمة وهذا الثقب هو الحدقة، ويسمى هذا الغشاء الطبقة العينية ويعلوها ويغشاها جسم كثيف صاف شبيه بصفيحة رقيقة من قرن أبيض وتسمى الطبقة القرنية غير أنها تتكون بكون الطبقة التى تحتها المسماة العينية، ويعلوها ويغشاها إلى موضع سواد العين فى حوله جسم أبيض اللون صلب يسمى الملتحم وهو بياض العين ونباته من الجلد الذى خارج القحف ونبات القرنية من الطبقة الصلبية ونبات القرنية العينية من الطبقة المشيمية ونبات العنكبوتية من الطبقة الشبكية، والله الموفق.

أما الروح الباصر: فإنه فى جوفه عصبتان يبتدئان من غور البطنين المتلازمين المقدمين من الدماغ نبتًا يصير النابت منهما يسارًا ونبتًا يصير النابت منهما يمينًا ثم يلتقيان على مقاطع صلبى، ثم ينفذ النابت يمينًا إلى الحدقة اليمنى والنابت يسارًا إلى الحدقة اليسرى. ولوقوع هذا التقاطع منافع: منها أن الروح السائل إلى إحدى الحدقتين لا يكون محجوبًا عن الأخرى وإذا عرضت لإحداهما آفة صار الروح الناظر من الطريقين إلى العين السليمة، ولذلك ترى إحدى الحدقتين أقوى إبصارًا إذا غمضت الأخرى لقوة اندفاع الروح الباصر إليها، وأما منافع الطبقات والرطوبات فكثيرة والحاجة إليها للطبيب ليس كتابنا بصدده، وأما الجفن فمنشؤه من الجلد الذى هو على خارج القحف والرأس، وفيه ثلاث عضلات تأتى اثنتان من جهة الموقين يجذبان الجفن إلى أسفل جذبًا متشابهًا، وأما فتح الجفن فيكفيه عضلة واحدة تأتى من وسط الجفن فينبسط طرف وترها على

طرف الجفن فإذا نشجت فتحت العين، وأما الجفن الأسفل فإنه لا عضلة فيه وجعل الأسفل أصغر من الأعلى لأن الأعلى يستر الحدقة مرة ويكشفها أخرى بتحركه، وأما الأسفل فإنه غير متحرك فلو زيد على هذا القدر لستر شيئًا من الحدقة دائمًا ولكن فضول العين تجتمع فيه ولا يسيل، وأما منفعته فليمنع نكادة ما يلاقى الحدقة من خارج ويمنع عند انطباقها وصول الغبار والدخان والشعاع ويصقل الحدقة دائمًا ويبعد عنها ما أصابها من الهباء والقذى، وأما الأهداب فإنها بمنزلة السياج حول العين يمنع عن الحدقة بعض الأشياء التى لا يمنعها الجفن مع انفتاح العين كما ترى عند هبوب الريح الذى يأتى بالقذى فتفتح أدنى فتح وتتصل الأهداب الفوقانية بالسفلانية فيحصل منها شبه شباك لينظر من ورائها فتحصل الرؤية مع اندفاع القذى، والله أعلم.

فصل: فى الآذان:

ولما كانت القوى السامعة لا تفيد السمع إلا بواسطة قرع الصوت الهواء ووصول ذلك الهواء إلى الدماغ فاقتضت الحكمة الإلهية مجرى السمع فى عظم صلب ذى عطفات وتعاريج كثيرة إلى أن ينتهى إلى عصبتين ناشئتين من الدماغ، وذلك العصب لو كان بارزًا لأضر به الهواء البارد فيخرج من حد الاعتدال بملاقاة أدنى برودة لأن طبعه بارد فجعل كامنا فى الدماغ لهذا المعنى، وقد جعل مجراه مفتوحًا أبدًا ليصل إليه الهواء المقروع دائمًا فيسمع ما يشاء وما لم يشأ. ولما كان فى فتحه سعة وكان متعرضًا لآفات البرد والغبار ومصادمة الهواء المقروع بعنف كالرعد والصيحة العظيمة جعل مجراه ذا عطاف وتعاريج على هيئة اللولب لئلا يصل الهواء إلى السمع دفعة واحدة بل يبقى فى العطاف ويرد على السمع شيئًا فشيئًا وتسكن شدته فى التعاريج فيفهم بالتأنى وجعلت مجراه صدفة ناشدة لرد الصوت إلى الثقبة وتمنعه من الانتشار وخلقت من الغضروف لأن الغضروف موافق لقبول الصوت.

فصل: فى الأنف:

خلق الأنف بارزًا عن الوجه لما فيه من الجمال ولتكون أرنبته آلة لاستنشاق الهواء، وخلق مجراه مفتوحًا لأن الحاجة إلى استنشاق الهواء للتنفس ضرورية دائمًا، وإنما جعل مجراتين احتياطًا لمصلحة النفس حتى لو أصاب إحدى المجراتين آفة تحصل بالأخرى مصلحة التنفس، وخلقت قصبته صلبة لتكون وقاية للوجه من المصادمات وأرنبته لينة ليحصل بانقباضها وانبساطها جذب الهواء كما ترى من كير الحدادين. ومجراه إذا علا ينقسم قسمين أحدهما يفضى إلى فضاء الفم والآخر يمر صاعدًا حتى يفضى إلى العظم

الشبيه بالمصفاة الموضوع فى وجه محل الإحساس فيحصل بأحد القسمين الشم وبالآخر التنفس، وإنما جعل فى منتهى ثقبتى الأنف عظم مثقوب شبيه بالمصفاة لتصل الروائح بنفسها إلى موضع الإحساس ويستفرغ منها الفضول المخاطية، ولم تجعل هذه المنافذ مستقيمة بل معوجة إذ لو كانت مستقيمة لكان الهواء المستنشق يصل إلى الدماغ بسرعة فيفسد فجعلت مموجة ليبقى الهواء فى تلك التعاريج مدة فتتكسر برودتها فإذا وصل إلى الدماغ يكون معتدلاً، وجعل منفذ المنخرين إلى الحنك حيث يوازى الحلقوم ليكون التنفس أسهل، ولو لم يكن كذلك لما أمكن إطباق الفم ساعة ولو كان التنفس بالفم لكان الفم جافًا بدخول الهواء وخروجه فلم يحصل إدراك الطعم ولا حركة اللسان ولا مضغ الطعام ولا بلعه.

فصل: فى الشفة:

خلقت الشفتان أمام الفم غطاء للحوم الأسنان ومعينًا فى تناول الغذاء وآلة للامتصاص ولمجِّ ما يحتاج إليه من الفم والكلام، وخلقتا من طبيعة اللحم ممتزجة بطبيعة الجلد واتصلت بهما عضلات الوجنتين من فوق وعضلات الذقن من تحت وعضلات الفك من الجانبين، وإنما خلقتا من طبيعة اللحم للحركة والحس والانبساط والانقباض والالتواء بواسطة الأوتار والأعصاب التى خالطتها، وإنما خلقتا من طبيعة الجلد ليكون لهما أدنى صلابة مع لين فتتشكل بالأشكال المختلفة بحسب الحاجة.

فصل: فى الفم:

ولما كان الإنسان محتاجًا إلى غذاء يدخل من خارج خلق له الفم، ولما كانت الحاجة إلى الغذاء وقتًا بعد وقت خلق الفم بحيث ينفتح مرة وينطبق أخرى بخلاف المنخرين فإنهما خلقتا مفتوحتين لدوام الاستنشاق، ثم لم يخلق مجرى الفم مستقيم التجويف كقصبة الرئة مثلاً بحيث لا يصلح إلا لمرور الغذاء بل جعل فيه فضاء يجتمع الطعام فيه حتى يصير مستعدًا للبلع ولتختبره آلة الذوق، فإن كان صالحًا طحنته آلة الطحن وإلا مجته وجعل عليه الشفتان يطبقانه لئلا تجف رطوبته بالهواء الواصل إليه من خارج كما فى سائر الأعضاء لأن هذه الرطوبة معينة على بلع الطعام وتحريك اللسان للكلام، ومن منافعه كونه مدخلاً للهواء إلى قصبة الرئة، ولما كان بقاء الإنسان لا يمكن إلا بالتنفس اقتضت عناية البارى تعالى للتنفس طريقين: أحدهما بالخياشيم والآخر بالفم حتى لو تعطل أحد الطريقين لآفة أو مرض يحصل التنفس بالطريق الآخر، وأما اللسان فإنه مؤلف من لحم رخو وتحته فوهتان يخرج منهما اللعاب يفيض إلى الغدد الموضوعة عند

أصله يتعرف به الطعام وينتفع به فى الكلام وإدارة المأكول عند المضع، وجعل مقداره بحيث يصل إلى جميع أطراف الفم وجعل أصله أعظم للثبات وأطرافه أدق لتسهيل حركته عند الكلام وإدارة الطعام وتنقية أصول الأسنان عن بقية المأكول وأما الأسنان فإنها خلقت من جوهر آخر مغاير لجوهر سائر العظام، وقياسها بالنسبة إلى سائر العظام جوهر الذكر المسقى إلى الأنيث وجعل مقاديمها حادة للعض والقطع، والأنياب غليظة حادة الرؤوس للنهش والطواحن عريضة للطحن، وجعل أسناخ الأضراس العليا أكثر عددًا من أسناخ الأضراس السفلى وذلك لأن العليا معلقة فتحتاج إلى زيادة، وأما السفلى فإنها موضوعة على القرار فيكفيها أدنى وثاق وثبات كالسندان.

فصل: فى اللحيين:

ولما وجب أن يكون الفم متحركًا للمضغ والكلام ومفتوحًا لاستنشاق الهواء فى بعض الأوقات اقتضى التدبير الإلهى تحريك الفك الأسفل لأن تحريكه أسهل من تحريك الفك الأعلى وأنفع. وأما سهولته فلأنه أصغر حجمًا وأطوع حركة وأما نفعه فلأن الفك الأعلى متصل بالرأس ومواضع الحواس وكان يتحرك بحركته الدماغ والحواس وذلك فيه من الفساد ما لا يخفى فخلق الفك الأعلى ثابتًا والأسفل متحركًا، وجعل فى عظم الرأس عند الصدغين ثقبتين واسعتين علق فيهما الفك الأسفل تعليقًا سلسلاً ليسهل انطباقه وانفتاحه.

فصل: فى الشعر:

قالوا: إن الفضلة الباقية من الغذاء إذا أثرت فيها الحرارة بحدتها وأخرجتها من الجلد، فما كان منها لطيفًا تحلل تحليلاً خفيفًا على الحس وما كان غليظًا تحلل فى المسام وتكالف فيحدث منه الشعر فجعل بعضها زينة ووقاية كشعر الرأس فإنه غطاء وزينة وكالحاجب فإنه يمنع ما ينحدر من الجبهة إلى العين وهو زينة أيضًا وكالأهداب فإنها تحوط العين كالسياج وتصير عليها كالشباك حتى ينظر من ورائها عند هبوب الرياح ونثرها القذى وفيه من الزينة ما لا يخفى. ومنها ما جعل للزينة كالشارب واللحية فإنهما يفيدان الجمال والبهاء ومن لا لحية له لا بهاء له، ومنها ما ينبت فى المواضع الحارة الرطبة كالإبط والعانة وهو كالعشب الذى ينبت فى القراح ذات الندى وإن لم يقصد إنباته فإنه فضلة يندفع إليها فى الإنسان بخلاف سائر الحيوان فإن شعورها لباسها وزينتها.

• النوع الثانى: العنق:

ولما كان الرأس معدن الحواس وكان بعض الحواس كالسمع والبصر يحتاج إلى أن يكون فى أعلى الأماكن اقتضى التدبير الإلهى أن يكون الرأس على عضو طالع من البدن وهو العنق، ثم جعل هذا العضو متحركًا إلى جهات مختلفة بعضلات تمده إلى فوق وأسفل وقدام وخلف ويمين ويسار ومورِبًا ومستديرًا لتعم منفعته الحواس وإنها فى جهة واحدة فكأنها فى جهات، وجعلت قصبه الرئة والمرىء فيها وهى سبع فقرات، ولما كانت الفقرات العنقية محمولة على ما تحتها من الفقرات وجب أن تكون أصغر من الحامل ولما كان مخرج أول النخاع وجب أن يكون ثقبها أعظم من ثقب فقرات الصلب. ولما كان جرمها رقيقًا لا يحتمل الثقب الكبير اقتضى التدبير الإلهى أن يكون ثقبها فى أطرافها ليكون فى كل فقرة منها نصف الثقب ويكون فى طرفه لا فى وسطه فإن النخاع وما أحاط به من الأغشية محتاجة إلى الغذاء، فجعل فى كل فقرة ثقبتان يمينًا ويسارًا يخرج عن كل واحدة شعبة من العصب ويدخل فيه وريد وشريان فيفيد كل ثقبة ثلاث منافع. وفى جوف العنق المرىء لازدراد الطعام والشراب وقصبة الرئة لينفذ الهواء إلى الرئة، وجعل لقصبة الرئة غطاء ينطبق عليها وقت ازدراد الطعام والشراب لئلا يقع فى مجرى النفس شىء وهو آلة الصوت أيضًا.

• النوع الثالث: الصدر:

ولما كان الصدر وقاية للقلب خلق صلبًا من إحدى عشرة فقرة ذات سناسن وأجنحة عراض لكونها وقاية القلب واتصلت بالأضلاع لتحوى أعضاء التنفس، وإنما لم يخلق عظمًا واحدًا لما عرف من الفائدة فى سائر المواضع وخلقت هشة لتكون أسلس فى مساعدة ما يطيف بها من أعضاء التنفس فى الانبساط والانقباض.

• النوع الرابع: اليد:

ولما كانت الحكمة الإلهية اقتضت أن النفس الإنسانية تدرك بالحواس ما ينفعها وما يؤذيها من قوام البدن خلقت لها آلة لتتناول بها ما ينفعها وتبعد عنها ما يضرها وهى اليد، خلقت من ثلاثة أجزاء من العضد والساعد والكف.

أما العضد فقد خلق من عظم واحد قوى متصل بالكف بمفصل واحد حتى يمكنه التحرك إلى جميع الجهات وذلك بأن خلق رأس العظم مستديرًا وركب على رأس الكتف فى حق ليكون خلفها سلسلة إلى جميع الجهات.

ولما كانت اليد آلة لأعمال كثيرة مختلفة جعل الكتفان موضوعين على جانبى البدن غير ملاقيين للأضلاع لينبسط اليدان فى اليمين والشمال على استقامة ويلتقيان من قدام وخلف فيمكنهما الوصول إلى جميع الجهات بسهولة. وأما الساعد فخلق مؤلفًا من عظمين متلاصقين طويلين يسميان الزندين والفوقانى الذى يلى الإبهام منهما أدق ويسمى الزند الأعلى والأسفل الذى يلى الخنصر منهما أغلظ، لأنه حامل ومنفعة الزند الأعلى أن يكون به حركة الساعد إلى الالتواء والانقباض ومنفعة الزند الأسفل أن يكون به حركة الساعد إلى الانقباض والانبساط. أما الكف فخلقت مركبة من أربعة عظام متباعدة لتكون الأصابع الأربع مركبة عليها. وخلق عظم الرسغ صلبًا قويًا لأن تركيب المشط والأصابع الأربع عليه فهو كالعهدة التى عليها اعتماد اليد، وخلق وضع الأصابع الأربع على صف واحدة والإبهام مقابلاً لها ليدغمها كلها بواحدة وجعلت غليظة قوية لتكون مساوية لقوة الباقى، وخلقت الأصابع مختلفة المقادير لتستوى أناملها كلها عند تقعير الراحة وعند القبض تبقى كالصندوق الحافظ للشىء والإبهام وعليه كالقفل ويمكن أن يكون سلاحًا يضرب به العدو، فلو اجتمع الأولون والآخرون على وضع أحسن من هذا لا يمكنهم، فسبحان من أحسن كل شىء خلقه، وخلق الأصابع من عظام مصمتة ليدعمها فلو كانت لحمة لكانت أفعالها واهية ولم يخلق من عظم واحد لتتشكل بالأشكال المختلفة ولم تزد على ثلاث أنامل لأنها كانت تورث ضعفًا ولو خلقت من أنملتين لكانت الوثاقة أزيد لكن الحركات كانت تنقص عن الكفاية والحاجة إلى الحركات المتقنة أمسّ من الحاجة إلى الوثاقة، وخلق عظام قواعدها أعرض ورءوسها أدق لتحسن نسبة الحامل إلى المحمول، وخلق عظامًا مستديرة لتكون أبعد من الآفات، وخلقت مصمتة لتكون أقوى على الثبات. وخلق باطنها لحميًا ليتمكن من القبض ولا كذلك ظاهرها ليكون سلاحًا موجعًا.

فصل: فى الظفر:

خلق الظفر للإنسان بمنزلة المخلب للطير والحافر للفرس والظلف فى سائر الحيوان وقاية لقوائمها، وجعل معينًا للأصابع فى الإمساك إذ به يقوم وثاقها ويمكنه التقاط الأشياء الدقيقة وهى آلة لأعمال كثيرة كالحك والجرد والنتف وغيرها، وجعل صلابتها مع لين ليفيد الفائدتين جميعًا، وجعلها قد أحاط بها اللحم من الجوانب لئلا تتسارع إليها الآفات.

● النوع الخامس: البطن:

وهو غشاء مستدير من الصدر إلى الأنثيين ليستبطن آلات الجوف التى هى تحت الحجاب ليكون وقاية جامعة لجميعها مع الوقاية الخاصة بكل واحد منها، وإنما اقتصر على غشاء من غير عظم لأنه بين يدى الحاسة فتحرسه من الآفات بخلاف الظهر والدماغ وليكون لها انبساط وانقباض عند امتلاء المعدة وخلوها.

● النوع السادس: الظهر:

ولما كان الظهر غائبًا عن الحاسة اقتضى التدبير الإلهى إحكامه وتوثيقه بعظام صلبة ذات سناسن وأجنحة جنة ووقاية للآلات الشريفة التى وراءه كالرئة والقلب والمعدة، وخلق فقاره كالقاعدة لسائر العظام كالخشبة التى تهيأ أولاً ثم يربط بها سائر خشب السفينة ثانيًا، فإن عظام الفص والأصابع والرأس واليدين والرجلين كلها مربوطة بها، وخلقت خرزات للانحناء ولكون النخاع فى وسطها والحاجة إلى حفظ النخاع ماسة، وخلق لكل فقرة شوكة ثابتة إلى الجانب الوحشى وجناحان من يمينها ويسارها وربطت برباطات عصبية وغشيت بالجوهر الغضروفى ويقال لهذه الشوكات السناسن وإنما خلقت لتكون خشبة بارزة تلقاها الآفات الهاجمة من خارج فتصيبها النكاية وتسلم الخرزات من غيره وإنما غشاها بالغضروف لئلا تتكسر عند مصادمة الأشياء الصلبة. وأما الرباطات العصبية ليربط بعضها ببعض ربطًا وثيقًا فتصير كالشىء الواحد، وأما الأجنحة فتكون مدخلاً لرءوس الأضلاع فيها ووقاية للخرزات من جوانبها كما أن السناسن وقاية من ورائها وإنما خلقت خرزات ليسلم الباقى إن أصابت الآفة شيئًا منها: ولما كان انحناء البدن إلى قدام أكثر من انحنائه إلى خلف جعل السناسن والربط من خلف ليكون قدامها أسلس للحركة فصار جملة الصلب كشىء واحد مخصوص بأفضل الأشكال وهو المستدير لأنه أبعد الأشكال عن قبول الآفات، وتعطفت رءوس الخرزات العالية إلى أسفل والسافلة إلى أعلى واجتمعت العاشرة وهو الواسطة ذات فقرة لا بارز لها، وجعلت الفم الفوقانية والسفلانية متوجهة إليها لأن الإنسان يحتاج إلى الانحناء وذلك بأن تميل الواسطة إلى ضد الجهة وما فوقها وما تحتها إلى الجهة لأن طرفى الصلب يميلان إلى الالتقاط والواسطة تميل إلى خلاف جهة ميل الطرفين كانحناء القوس عند المد. ولما كان الواجب أن يعم الحس الظاهر جميع البدن وجب أن يصل إليها شعب العصب ولم يمكن إيصال عصب الدماغ إليها لبعد ما بين هذه الأعضاء والدماغ ودقة أعصابه فإن حجم الدماغ لا يحتمل أعصابًا قوية تصل إلى جميع أعضاء البدن فاقتضت

الحكمة الإلهية إخراج شعبة قوية من مؤخر الدماغ فى طول البدن وهو النخاع وأحاط به عظام الفقرات ليحفظ النخاع بصلابتها وأخرج من النخاع فى كل موضع يحتاج إلى التحريك والإحساس عصبًا يتصل به والقطن مع العجز كالقاعدة للصلب وهو دعامة وحامل لعظم العانة ومنبت لأعصاب الرجل.

• النوع السابع: الجنب:

وهو مركب من الأضلاع وقد شدت خللها بلحم دقيق وقاية لما يحيط به من آلات النفس وآلات الغذاء ولم يجعل عظمًا واحدًا لئلا يثقل ولا تعم آفته، وكل ضلع مقوس يدخل منه زائدتان فى نقرتين غامرتين فى كل جناح من أجنحة الفقرات فالصلب كالحائزة والأضلاع كالجذوع واللحوم فى خللها كالعوارض. ولما كانت محيطة بالرئة والقلب وجب الاحتياط فى وقايته فخلقت الأضلاع السبعة العليا مشتملة على ما تحويها من جميع الجوانب ملتقية عند القص وجناح الفقرات. وأما ما يلى ذلك فخلقت من خلف محرزة حيث لا يحرسه الحاسة، ولم يتصل من قدام بل درجت يسيرًا يسيرًا فى الانقطاع لتصير وقاية للكبد والطحال وتتوسع لمكان المعدة ولا تنضغط عند امتلائها، فالخمسة المتقاصدة خلقت رؤوسها متصلة بغضاريف ليأمن الانكسار عند المصادمات ولئلا يلاقى الأعضاء اللينة والحجاب بصلابتها بل بجرم متوسط فى الصلابة واللين.

• النوع الثامن: الرجل:

ولما كان المقصود من الرجل القيام والمشى وحمل البدن واقفًا وماشيًا والقعود مع التشكل بأشكال مختلفة جعل آخر الرجل على ما يوافق إتمام هذه المقاصد فى الجوهر والشكل والمقدار والعدد والوضع والتأليف، وخلق ركبة عظم الفخذ على الورك على استقامة وعظم الساق على الفخذ على نحو ينقبض إلى خلف ليتم الانتصاب والتخطى والقعود مفترشًا ومتربعًا وغيرها من الأنحاء والأشكال الكثيرة، وخلق طول القدم ومشطها ووسعها لفائدة الثبات والاستقرار، وخلق أصابعها على نحو آخر مخالف لأصابع اليد فإنها كلها فى سطر واحد ليتم بها الثبات والاستقرار على الأشياء المختلفة كالمحدب والمقعر والصعود بالمراقى والدرج. وخلق العصب من عظم صلب ليكون حاملاً للبدن، وخلق الكعب فيما بين الساق والعقب ليعين القدم على الانقباض والانبساط فى المشى وغيره من الحركات، والله الموفق للصواب.

* * *

الضرب الثانى من الأعضاء المركبة: الأعضاء الباطنة

وهى أنواع:

• النوع الأول: الدماغ:

وهو جسم لدن محوى فى غشاءين منبع للروح النفسانى ومنه ينبعث فى الأعصاب إلى سائر البدن، ولما كان جوهر الدماغ شديد اللين اقتضت الحكمة أن يكون فى غشاء رقيق وهى الأم لتحفظه وتكون وقاية له ثم خلق بين القحف والدماغ غشاء غليظًا يلاقى القحف من داخل يكون كالبطانة لها ويكون هذا الغشاء وقاية للدماغ من الأشياء الغريبة. ولما كان جوهر الدماغ لينًا سريع الانفعال من أدنى سبب خلق له حصن صلب من العظم وهو القحف وجعل بعيدًا منه ليدفع الآفات عنه، وجعل خريطة للدماغ معلقة من القحف غير ملاقية له لأنها لو كانت ملاقية والقحف صلب يصادمه دائمًا فينضغط عنه وكان دائم النكاية. وللدماغ ثلاث بطون وكل بطن فى عرضه ذو جزءين، أما البطن المقدم فهو محسوس الانفصال ينقسم إلى جزءين عظيمين يمنة ويسرة وهذا الجزء يعين على الاستنشاق وعلى نفض الفضول والعطاس، وأما البطن المؤخر فهو أيضًا عظيم وهو مبدأ النخاع لكنه أصغر من البطن المقدم. وأما البطن الأوسط فإنه كمنفذ من الجزء المقدم إلى الجزء المؤخر وكدهليز مضروب بينهما يؤدى عن التصور إلى الحفظ فلما كان كذلك كان أحسن موضع للتفكر والتذكر، فالحكمة الإلهية اقتضت أن يكون مقدم الدماغ فى غاية اللين لأن ظاهره منشأ شعب الحواس وباطنه محل التخيل والإحساس ولين الموضع مناسب لهما للانطباع وسرعة القبول وأن يكون مؤخر الدماغ أصلب من المقدم لأن ظاهره منشأ الشعبة العظيمة التى هى النخاع وباطنه موضع الحفظ والصلابة مناسبة لهما، فسبحان من أتقن كل شيء خلقه، وهو اللطيف لما يشاء، والله الموفق.

• النوع الثانى: الرئة:

وهو جسم متخلخل رخو كأنه زبد منعقد وذلك لكونه آلة الترويح عن القلب دعت الحاجة إلى الخفة والانبساط والانقباض، ومعنى الترويح جذب هواء صاف يقع على القلب ويخرج هواء محترقًا أحرقته حرارة القلب، ومدخل الهواء ومخرجه قصبة الرئة وخلقت مجرى واسعًا من عظم غضروفى على شكل حلق مربوطة بعضها ببعض. وإنما خلق واسعًا لينفذ فيه من الهواء شيء كثير فى زمان يسير وإنما خلق من حلق غضروفية ليكون مفتوحًا دائمًا ولا يحتاج إلى آلة تفتحها لأن الحاجة إلى التنفس ماسة دائمًا، وإنما

خلقت قصبة الرئة محتاجة إلى أن تتسع فى حال وتضيق فى حال لاختلاف الحاجة عند شدة الصوت وضعفه ولذلك لم يخلق حلقاتها تامة وإلا لم تتمدد فى العرض المذكور فخلق ثلاثة أرباعها غضروفية وتمم الباقى بالغشاء، وجعل جانبها الغشائى إلى نحو المرىء ليتطاوع عند الازدراد، وجانبها الغضروفى إلى الخارج لأنه أصلب فيكون أصبر على المصادم الخارجى. ثم إن قصبة الرئة لما جاوزت الترقوة وانبسطت إلى فضاء الصدر انقسمت إلى قسمين يمينًا ويسارًا ثم ينقسم كل قسم منها إلى أقسام مختلفة على حسب أقسام الأوردة والشرايين فى منافذ هذه القصبات ليدخل الهواء فى الشرايين من الرئة عند انبساط القلب ويندفع فيها الدخان عند انقباضها. ولما كان الهواء الذى تجذبه الرئة ليس صالحًا لترويح القلب حتى يصير معتدلاً خلقت القصبات التى هى خزانة الهواء تحفظ جوهر الهواء المحصور فيها وإعداده موافقًا للقلب وصالحًا لأن يتكون منه الروح، كما أن جوهر الكيلوس المحصور فى الكبد ينضجه الكبد ويجعله صالحًا لأن يتكون منه بدل ما يحلل من الأعضاء. وأما نفس الرئة فتكتنف بالقلب، وهى منقسمة قسمين: أحدهما فى تجويف الصدر الأيمن والآخر فى تجويف الصدر الأيسر لتحصل منفعة الرئتين مادامت الرئة سليمة، ومتى وقعت فى إحدى الجهتين آفة تمنعها من بادية فعلها قام الجانب الآخر بفائدة الترويح ولا يؤدى إلى فساد البدن والله تعالى الموفق.

● النوع الثالث: القلب:

وهو جسم صنوبرى الشكل لحمى الجوهر له جوف يحوى الدم، والروح الحيوانى ينشأ منه وينصب فى الشرايين إلى سائر البدن، ولحمه قوى لئلا يتناثر من المؤذيات، وأعلاه غليظ لأنه منبت الشرايين وأسفله مستدق ليبعد عن عظام الصدر من جهاته، وله غلاف يسمى الشغاف خلق لوقايته لأنه منبع الروح الحيوانى ولهذا وضع فى وسط البدن فى موضع حصين مثل نتو من عظام الصدر والظهر والأضلاع، وجعل هذا الحصن متجافيًا عنه ليفيد الوقاية من غير مماسة. ولما كان محتاجًا إلى الدم الذى أنضجه الكبد ولطفه وأسخنه ليفيد قوة الحياة جعل فى القلب تجويف يرد إليه الدم من الكبد ويستقر فيه حتى يتغذى منه هو ويغذى غيره، ولما كان القلب محتاجًا إلى الغذاء كسائر الأعضاء وجب أن يرد إليه الغذاء من الكبد فخرج من جذبة الكبد عرق عظيم ودخل فى تجويف القلب من الجانب الأيمن ليملأ ما يتغذى منه القلب والباقى يسرى فى الشرايين إلى جميع البدن. ولما كان القلب محتاجًا إلى الإحساس بالمؤذى خلق له شعبة دقيقة متصلة بالغشاء الذى على القلب منشؤها من الدماغ لفائدتين: الأولى الإحساس بالمؤذى

بواسطة الغشاء والأخرى أن القلب معدن القوة الحيوانية، وهذه القوة تنفعل بالأفعال النفسانية كالغضب والخوف والسرور والحزن، فهذه أفعال أسبابها أمور خارجة عن البدن فالحواس تدركها وتؤديها إلى النفس فيصل آثارها إلى القلب فينفعل بالانفعالات التى تبتغى فوجب أن يكون بين الدماغ والقلب اتصال فجعل الشعبة الواصلة من الدماغ مثبوتة فى جميع جرم القلب لتتم الفوائد التى ذكرناها، والله أعلم.

● النوع الرابع: الكبد:

وهو جسم لحمى ألين من القلب وأرطب يحمل روحًا طبيعيًا ودمًا غذائيًا ينفذ منه فى العروق إلى سائر الأعضاء، وهو موضوع فى الجانب الأيمن تحت الضلوع العالية من ضلوع الخلف وشكله هلالى وتقعيره فى الجانب الذى يلى المعدة وحدبته تلى الحجاب، وهو مربوط برباطات تتصل بالغشاء الذى عليه، وينبت من مقعره قناة تنقسم إلى أقسام منها ما يأتى قعر المعدة وإلى الأمعاء، وبهذه الفوهات تجذب الغذاء إلى الكبد ويصير فى الكبد ما ينضجه، وفى جذبة الكبد عروق تسمى الأوردة يجرى فيها الدم إلى سائر الأعضاء، وخلق جرم الكبد شبيهًا بالدم الجامد ليحيل الكيلوس فيه إلى شبه جوهرة.

● النوع الخامس: المرارة:

وهى وعاء المرة الصفراء موضوعة فى قعر الجانب الأعلى من الكبد، ولها مجريان أحدهما يتصل بتقعير الكبد والآخر يتشعب فيتصل بالأمعاء العليا وبأسفل المعدة فالمرارة تجذب من مقعر الكبد المرة الصفراء وتقذفها إلى الأمعاء، أما الجذب فلتصفية الدم عن المرة الصفراء، وأما القذف فلتنقية الأمعاء من الفضول وينصب منها إلى عضلة المخرج فيثبته على الحاجة، ولما كانت المعدة والأمعاء محتاجة إلى التنقية من الفضول لما بقى فيها من بقية الغذاء فضلة لزجة يتلطخ بها جعل للمرة مجرى ضيقًا إلى المعدة فتنصب إليها المرة وتجلوها من الخلط البلغمى وتغسلها، فإن البلغم لا يزال يتولد فى المعدة عند خلاء المعدة واشتداد الجوع، فلو كان انصبابها وقت امتلاء المعدة لاختلطت بالغذاء وأفسدتها.

● النوع السادس: الطحال:

وهو جسم لحمى طويل الشكل موضوع فى الجانب الأيسر يحوى دمًا سوداويًا ينبت منه قناتان إحداهما تتصل بتقعير الكبد تجذب الخلط السوداوى من الدم لئلا ينفذ الدم مع السوداء بل يصفو عن الخلط الردىء، والقناة الثانية تتصل بفم المعدة وتثبته على شهوة الغذاء انظر إلى حكمة الصانع جلت قدرته كيف اقتضى تدبيره تصفية الدم من الصفراء والسوداء ليكون الغذاء صالحًا سليمًا من الفضول ثم استعملها لفائدتين عظيمتين

إحداهما التنبيه على شهوة الغذاء والأخرى التنبيه على خروج الفضلة.

• النوع السابع: المعدة:

وهى شبيهة بقرعة طويلة العنق مركبة ثلاث طبقات مركبة من شظايا دقاق شبيهة بشظايا العصب تسمى الليف يحيط بها لحم وليف أحد الطبقات بالطول والأخرى بالعرض والأخرى بالورب، فالليف الطولانى يجذب الغذاء والليف الذى بالعرض يدفعها والمورب يمسكها ربما تؤثر فيه الحرارة وتنضجها، ووضعت تحت القلب وبين الكبد والطحال يمينًا ويسارًا ولحم الصلب من خلف لينال من حرارة هذه الأعضاء فينهضم فيها الغذاء وجعل أمامها إلى صفاق البطن ليمدد إذا امتلأت من الغذاء، وخلقت مستديرة الشكل لتسع غذاء كثيرًا وقعرها أوسع من أعلاها لأن قامة الإنسان منتصبة وما يتناوله من الطعام والشراب ثقيل فميل الجميع إلى جهة قعر المعدة فوجب أن يكون أوسع، وفم المعدة مفتوح أبدًا لأن وضعه فوق المعدة فلا يخرج منه ما فى المعدة، وخلق مجراها إلى الأمعاء بحيث ينفتح فى وقت ويتعلق فى وقت لأن وضعه أسفل فيحتاج الغذاء إلى أن يلبث فيه ريثما ينهضم، فلو كان مفتوحًا لنزل الغذاء فيه من غير هضم، فإذا صار الغذاء نضيجًا كف الماسكة عن الإمساك وأخذت الدافعة فى الدفع إلى الأمعاء، وخلق من خارج المعدة عليها غشاء وثرب، أما الغشاء فليكون وقاية لها ويربطها بالأعضاء التى حولها وأما الثرب فلتسخين المعدة بالحار الدسم وجعل الثرب من قدام أكثر لأن توقع وصول البرد من هذا الجار أكثر، وخلق فم المعدة عصبانيًا ليكون قوى الإحساس بالحاجة إلى الغذاء؛ وخلق قعرها لحمانيًا لينضج الغذاء بحرارة اللحم.

• النوع الثامن: المعى:

وهو جسم من جوهر المعدة مجوّف ليس بواسع التجويف له شظايا بالطول والعرض والورب ينزل فيه ما انهضم فى المعدة من الغذاء وهذا الجسم ينعطف ويلتف وفى مروره عطاف كثيرة، ويليه من الكبد جداول كثيرة ضيقة وإنما خلق من جوهر المعدة ليتم فيه هضم ما قصرت المعدة عن هضمه، وإنما خلق ضيقًا ليكون اشتماله على ما ينفذ فيه زمانًا طويلاً فيتمكن من هضم الغذاء، وأما طوله فليهضم الثانى ما فات الأول وهكذا إلى آخرها ولا يبقى مع الفضول غذاء فيه، وأما الشظايا فالموضوع بالطول لجذب الغذاء والموضوع بالعرض لدفعه والموضوع بالورب لإمساكه، والأمعاء جميعًا ستة وفى آخرها تجويف واسع يجتمع فيه الثقل كما يجتمع البول فى المثانة وعلى طرف هذا المعاء العضلة المانعة حتى تطلقه عند الإرادة.

• النوع التاسع: الكلية:

وهى جسم صلب لحمى من شأنه تصفية الدم يجذب المائية ويرسل تلك المائية إلى المثانة وهما اثنتان على جنبى خرز الصلب بالقرب من الكبد ولكل واحدة منهما عنقان أحدهما يتصل بالعرق الطالع من جذبة الكبد والآخر يمر إلى المثانة، ولما كان الغذاء محتاجًا إلى قوام رقيق ليمكن نفوذه فى العروق الدقيقة ولابد لها من قوام صالح جذبت الكلية منها ما زاد على قدر الحاجة وأرسلتها إلى المثانة وخلق كليتين، إذ لو كانت واحدة لكبر جرمها فإن وضعت فى أحد الجانبين مال البدن إليها وإن وضعت فى الوسط انفصلت عن الفقار.

• النوع العاشر: المثانة:

وهى جسم مجوف عصبانى مؤلف من طبقتين على فمه عضلة تضمه وتفتحه وتمنع خروج البول من غير إرادة وذكرنا أنها تفيض البول ويأتيها من الكليتين وإنما خلقت عصبانية لتحس بالامتلاء وجعل داخلها من ثلاث لفائف إحداها بالطول حتى تجذب المائية من الكليتين والثانية بالعرض ليتم بها الدفع إلى خارج والثالثة بالورب لتتم بها الإمساك إلى أن يجتمع شىء كثير ثم تدفعها مرة واحدة، وجعل على فمها عضلة تفتحها وتغلقها بالاختيار.

• النوع الحادى عشر: آلات التوليد:

وهى متساوية فى الذكور والإناث إلا أن القوة المدبرة أبرزت آلة الذكور لفرط حرارتهم وتركت آلات الإناث داخلة لنقصان حرارتهم، فإذا فرضت الآلة بارزة فالصفن الذى هو كيس الأنثيين الرحم فى الإناث والإحليل عنق الرحم إلا أن الخصى فى الذكور داخل الصفن وفى الإناث خارج الرحم بجنبها ليتسع مكان الجنين، والأنثيان من الرجل والمرأة من لحم غددى صلب ينصب المنى منهما فى الذكور إلى الإحليل وفى الإناث إلى داخل الرحم. والقضيب جسم عصبى ثابت من عظم العانة كثير التجاويف فيه عروق كثيرة ينفذ منه مجريان إلى الأنثيين ينصب منهما المنى إلى الإحليل، وهو بمنزلة رقبة الرحم التى فى الإناث. ولما وجب أن يكون القضيب متواترًا حالة التوليد لإيصال المنى إلى فم الرحم متقلصًا فى غير تلك الحالة اقتضت القوة المدبرة خلقه من جوهر صلب ذى تجاويف حتى إذا امتلأ تجويفه من الريح توتر، وإذا خلا من الريح استرخى، والرحم من جوهر عصبى لتكون صادقة الحس والالتذاذ وليمكنها أن تتمدد وتتسع عند نمو الجنين وتنقبض عند خلوها، وخلق للرحم بطنان يمينًا ويسارًا وجعل

البطن الأيمن أسخن من الأيسر ليكون الأيمن موافقًا للذكور والأيسر موافقًا للإناث، ولها عنق يمتد إلى القبل وإنه بمثابة الإحليل من الذكر، هذا ما صح عند أصحاب التشريح، والله أعلم بالصواب.

• خاتمة:

قال بعض الحكماء فى تشبيه بدن الإنسان بمدينة: لما خلق الله تعالى بدن الإنسان وسواه ونفخ فيه من روحه كان مثل أساس بيته وتركيب أجزائه مثال مدينة بنيت من أشياء مختلفة كالحجارة والآجر واللبن والجص والطين والنورة والرماد والخشب والحديد وما شاكلها، فأحكم بنيتها وشيد بنيانها وحصن سورها وحفظ شوارعها وقسم محالها وزين منازلها وملأ خزائنها وأجرى أنهارها وفتح سواقيها وأشغل صناعها وأقعد تجارها ودبر ملكها وأخدم ملكها، فخلق تسعة جواهر مختلفة أشكالها وهى ملاك بنيانها ثم ألفها وركب بعضها فوق بعض طبقات متصلات بهندامها ثم أسندها، بمائتين وثمانية وأربعين عمودًا ثم إنه سمرها ومد حبالها وشد وصالها بسبعمائة وعشرين رباطًا ممدودات ملتفات عليها ثم قدر بيوتها وقسم جوانبها وأودعها إحدى عشرة خزانة مملوءة جواهر مختلفة ألوانها، وخط شوارعها وأنفذ طرقاتها وفتح أبوابها ثلاثمائة وثلاثين مسلكًا لسكانها، واستخرج منها عيونًا وشق فيها أنهار ثلاثمائة وستين جدولاً مختلفات بجريانها، وفتح على سورها اثنى عشر بابًا من درجات مسالك لخزانها، وأحكم بناء هذه المدينة على أيدى ثمانية صناع متعاونين هم خدامها. ووكل بحفظها خمسة حراس خواص على حفظ أركانها، ثم رفع هذه المدينة فى الهواء على عمودين وحركها إلى ست جهات بجناحين، ثم أسكن فيها ثلاث قبائل من الجن والإنس والملائكة هى سكانها ثم رأس عليهم ملكًا واحدًا وأمره بحفظها وأوصاه بسياستهم.

تفسير ذلك: أما الجواهر التسعة فهى العظام والمخ والعصب والعروق والدم واللحم والجلد والظفر والشعر. والطبقات العشر هى الرأس والرقبة والصدر والبطن والجوف والحقوان والوركان والفخذان والساقان والقدمان، والأعمدة هى العظام، والرباطات هى الأعصاب، والأحد عشر جزءًا هى الدماغ والنخاع والرئة والقلب والكبد والطحال والمرارة والمعدة والمعى والكليتان والأنثيان، والشوارع والطرقات هى العروق الضوارب، والأنهار الأوردة، والأبواب الاثنا عشر العينان والأذنان والمنخران والثديان والسبيلان والفم والسرة والصناع الثمانية هى القوة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة والمصورة والحواس الخمس السمع والبصر والشم والذوق واللمس،

والعمودان الرجلان والجناحان اليدان: والجهات الست معروفة، والقبائل الثلاث النفوس الثلاث فالنفس الشهوانية كالجن، والنفس الحيوانية كالإنس، والنفس الناطقة كالملائكة، والرئيس الواحد عليهم هو العقل، والله الموفق للصواب.

* * *

النظر الخامس: فى القوى

القوى صنف من الملائكة خلقها الله تعالى لتدبير الأبدان وقوام منافع أعضائها من الأفعال والإدراكات فتشبه أفعالها فيها صناع البلاد وسكانها، فإنّ حال البدن مع الروح، وهذه القوة تشبه مدينة عامرة بآلاتها مأنوسة بسكانها مفتوحة الأسواق مسلوكة الطرقات مشتغلة الصناع وحاله عند النوم وهذه الحواس وسكون الحركات تشبه حال المدينة بالليل إذا غلقت أبوابها وتعطلت صناعها ونام أهلها. ومنهم من قال: إن البدن كبيت بنقوش وصور عجيبة وألوان مختلفة، فالقوى تلك للنقوش، والصور والنفس كالسراج الذى يدار فى أطراف البيت وبسبب وصول ضوئه إلى آخر البيت يرى له فى سقفه وحيطانه وفرشه عجائب بينهن فيها بل فى كل زاوية من زواياه مثل الحس والعقل والفهم القوى الظاهرة والباطنة والجمال وغيرها، فإذا فارق النفس بطلت هذه المعانى كما أن البيت عند انطفاء السرج لا يرى لتلك النقوش والصور أثر عجائب القوى خارجة عن فهم الإنسان، لكن أحببت أن أذكر بعض ما أدركه أذكياء النفوس من الحكماء من العجائب المودعة فى الأنواع الأربعة من القوى، والله الموفق للصواب.

* * *

النوع الأول: القوى الظاهرة

وهى الحواس الخمس:

● **الأولى: حاسة اللمس:**

وهى قوة منبثة فى جميع جلد البدن تدرك كما يلاقيه ويؤثر فيه فإنها أول حاسة خلقت للحيوان حتى إذا مسه نار أو حديد جارح يحس به فيهرب منه، ولا يتصور حيوان إلا وله هذه الحاسة حتى الدودة التى فى الطين فإنها إذا غرز فيها إبرة انقبضت.

● **الثانية: الشم:**

وهو قوة فى مقدم الدماغ تدرك الروائح التى يؤدى إليها الهواء المتكيف بتلك الكيفية.

● **الثالثة: البصر:**

وهى قوة مرتبة فى عصبة مجوفة فى العين تدرك صور الأشياء ذوات الأضواء والألوان، فإن الضوء إذا سرى فى الأجسام الشفافة وحمل معه ألوان الأجسام واتصل بحدقة الحيوان وسرى فيها كما يسرى فى الأجسام الشفافة انصبغت الحدقة بتلك الألوان كما ينصبغ الهواء بالضياء فعند ذلك تحس القوة الباصرة.

● **الرابعة: السمع:**

وهو قوة مرتبة فى عصب داخل الصماخ يدرك الصوت الذى يؤدى إليه الهواء بالتموج وحاله شبيه بتموج الماء، فإن الهواء أشد لطافة من الماء، فإذا وقع شىء فى الماء يحدث من وقوعه دوائر، وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه إلى أن يضمحل فكذلك يحصل من وقوع الصوت فى الهواء تموج فأى سامع حصل فى ذلك التموج دخل أذنه فتحس به القوة السامعة.

● **الخامسة: الذوق:**

وهو قوة منبثة فى جرم اللسان يدرك بها ما يماسه من الطعوم بواسطة الرطوبة العذبة التى تحت اللسان، فإن تلك الرطوبة تخالف الجسم الذى فيه كيفية الطعم فيتكيف بتلك الكيفية فيحصل الإحساس بالطعم.

* * *

فصل: فى فوائد هذه القوى

أما اللمس فقد بينا أن كل حيوان له هذه الحاسة حتى الدودة تدرك بها الحار والبارد والرطب واليابس والصلب واللين والخشن والأملس والثقيل والخفيف، إلا أن الحيوان لو لم تخلق له إلا هذه القوة لكان ناقصًا إذا كان لا يحس بالغذاء إذا كان بعيدًا عنه فافتقر إلى قوة أخرى يدرك بها ما تبعد عنه فاقتضت حكمة البارى خلق البصر ليدرك به ما بعد عنه ويدرك جهته إلا أنه لو اقتصر على هذا لكان أيضًا ناقصًا لأنه لا يدرك إلا الشىء المحاذى، وأما ما بينه وبينه حجاب فلا يمكنه إدراكه إلا بكلام منظوم فاقتضت حكمة البارى تعالى السمع ليدرك به الغرض ممن يكون وراء الجدار، ولو اقتصر على هذا لكان ناقصًا لأنه إذا وصل إليه الغذاء فلا يدرى أنه موافق أو مخالف فربما يكون شيئًا مضرًا فيهلكه فاقتضت حكمة البارى عز وجل خلق الذوق ليدرك به الموافق والمخالف.

النوع الثانى: القوى الباطنة

وهى أصناف:

- **الأولى: القوى الجاذبة:**

وهى التى تجذب النافع من الغذاء، وهى موجودة فى سائر الأعضاء لأن كل عضو يجذب ما يوافقه وغذاء كل عضو يخالف غذاء الآخر.

- **الثانية: الماسكة:**

وهى التى تمسك الغذاء ريثما تتصرف فيها القوة المغيرة، وذلك بأن تجعل العضو محتويًا على الغذاء بحيث لا تترك فرجة.

- **الثالثة: الهاضمة:**

وهى التى تحيل ما جذبته الجاذبة وأمسكته الماسكة إلى مزاج صالح تجعل بعضها جزءًا من المغتذى وبعضها فضلاً.

- **الرابعة: الدافعة:**

وهى التى تدفع الفضل الذى لا يصلح أن يكون غذاء أو زادًا على قدر الكفاية، والله أعلم بالصواب.

* * *

الصنف الثانى: القوى الخادمة

وهى أربع أيضًا:

- **الأولى: الغاذية:**

وهى التى تحيل الغذاء إلى مشابهة المغتذى ليخلف بدل ما يتحلل.

- **الثانية: النامية:**

وهى التى تزيد فى أقطار الجسم على التناسب الطبيعى ليبلغ به تمام النشوى، والفرق بينها وبين الغاذية أن الغاذية تورد الغذاء تارة مساويًا وتارة زائدًا وتارة ناقصًا، وأما النامية فلا تورد إلا زائدًا من المتحلل.

- **الثالثة: المولدة:**

وهى القوة التى تولد ما يصلح أن يكون مبدأ لشخص آخر كالنطفة فى الحيوان

والحب والنوى فى النبات.

• الرابعة: المصوّرة:

وهى التى يصدر عنها التخطيط والتشكيل والملاسة والخشونة وأمثال ذلك.

• فصل: فى الفوائد العجيبة لهذه القوة فى أمر التغذية:

وذلك أن تصير جزء النبات جزء الحيوان بأن تصيره فى المعدة مثل ماء الكشك الثخين ثم تجذبه إلى الكبد فيصير دمًا. ثم الكبد يقسمه على البدن بواسطة الأوردة فيصل إلى كل عضو حظه فيصير لحمًا وعظمًا بأطوار وتصرفات كثيرة فيه؛ كما أن البر يجعل طحينًا ثم خبزًا بتصرف صناع البلد فيه فصناع الباطن القوى كما أن صناع الظاهر أهل البلد، فقد أسبغ الله عليك نعمه ظاهرة وباطنة. فأقول: لابد من قوة تجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه ولابد من قوة أخرى تمسك الغذاء فى جواره ريثما تعمل فيه القوة الأخرى، ولابد من قوة أخرى تخلع عنه صورة الدم وتعطيه صورة العضو، ولابد من قوة أخرى تدفع عنه الفضل والزائد على الحاجة فهذه هى القوى الخادمة، ثم لابد من قوة تلصق ثم لابد من قوة تراعى المقادير فى الإلصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يزيل عرضه وبالمجوف ما لا يزيل تجويفه، ويحفظ على كل واحد قدر حاجته، فلو جمع على الأنف من الغذاء مقدار كما يجمع على الفخذ كبر الأنف وبطل تجويفه وتشوهت صورة الإنسان، بل ينبغى أن يسوق إلى الأجفان مع دقتها وإلى الحدقة مع صفائها وإلى الفخذ مع غلظها وإلى العظام مع صلابتها ما يليق بكل واحد من حيث القدر والشكل وإلا بطلت الصورة، ولابد من قوة أخرى تتصرف فى أمور التناسل بأن يفصل من الغذاء جوهر النطفة لبقاء النوع فإن كل فرد من الأفراد ضرورى الفناء، ولابد من قوة أخرى يصدر عنها تمريخات مختلفة بحسب كل عضو حتى يجعل من النطفة المتشابهة الأجزاء أعضاء مختلفة طويل وعريض ومستدير وزوراوية ومجوف ومصمت ودقيق وغليظ وصلب ورخو وهى أنقاش تنقش فى ظلمة الأحشاء هذه الأشكال العجيبة الحدقة والأجفان والجبهة والخد والأنف والشفة والذقن ولا يرى ذلك النقاش لا داخلاً ولا خارجًا ولا خبر للأم به ولا للأب، فسبحان من فتح عين أوليائه حتى شاهدوه فى جميع ذات العالم.

* * *

الصنف الثالث: القوى المدركة التى فى الباطن

وهى خمس:

• **الأولى: الحس المشترك:**

وهى قوة فى مقدم الدماغ تدرك صورة المحسوسات على سبيل المشاهدة وذلك غير البصر، ألا ترى القطرة النازلة خطًا مستقيمًا والنطفة الدائرة بسرعة خطًا مستديرًا وليس ذلك فى البصر لأن البصر لا يدرك إلا المقابل والمقابل نطفة وقطرة فالذى يدرك الخط والدائرة قوة أخرى غير البصر، فالصور الواردة على هذه القوة تارة تكون من خارج بواسطة الحواس، وتارة من داخل فإن **القوة الثانية المتخيلة** ربما ركبت صورة وأوردتها على الحس المشترك فتصير مشاهده كالصورة التى يدركها الحس المشترك وهى خزانته.

• **الثالثة: الوهم:**

وهو قوة فى وسط الدماغ التى لا تدر المعانى الجزئية المتعلقة بالمحسوسات كصداقة زيد عداوة عمرو، وهى التى تحكم فى الشاة أن الولد معطوف عليه والذئب مهروب عنه.

• **الرابعة: الحافظة:**

وهى قوة فى مؤخرة الدماغ تحفظ المعانى التى يؤدى إليها الوهم كأنها خزانته.

• **الخامسة: المفكرة:**

وهى قوة فى وسط الدماغ أيضًا تتصرف فى الصور الموجودة فى الخيال والمعانى الحاصلة فى الحافظة بالتفصيل والتركيب، فإن كانت فى طاعة العقل تسمى مفكرة وإن لم تكن تسمى متخيلة وهى التى تتخيل إنسانًا عظيم الرأس أو إنسانًا ذا رأسين.

* * *

النوع الثالث: القوى المحركة

وهى صنفان:

• **الصنف الأول: الباعثة:**

وهى ضربان:

الأول: الشهوانية: وهى القوة التى تدعو إلى طلب النافع ومن جملتها شهوة المأكول

فإنها مادة القوى كلها، فلو خلق للحيوان جميع القوى سوى الشهوانية لكانت القوى كلها ساطعة والحواس معطلة، فكم من مريض يرى الطعام وقد يقع الاشتياق له وقد سقطت شهوته فالقوى كلها بسبب ذلك معطلة فاقتضت حكمة البارى تعالى شهوة الغذاء فى الحيوان ووكلها به ليضطره بالمتقاضى إلى التناول ليبقى بالغذاء سليم القوى صحيح الأعضاء ومنها شهوة الوقاع فلو لم يخلق للحيوان هذه القوى لأدى إلى انقطاع نسله سيما نوع الإنسان فإن له قوة الفكر والحفظ كأن يمتنع عن المباشرة لما فيه من تعب الحمل والوضع والتربية فاقتضت حكمة البارى تعالى قوة الوقاع فى الحيوان ووكلها به كالمتقاضى لتدعوه إلى الوقاع فيبقى نسله.

الضرب الثانى: القوة الغضبية: وهى التى تدعو إلى الغلبة، فلو لم يخلق للحيوان هذه القوة لبقى عرضة للآفات لأنه كثير الأعداء فكل حيوان يقصد إما نفسه ليجعله طعمة أو يقصد ما عنده من الغذاء، ونوع الإنسان أحوج إلى هذه القوة لكثرة من يزاحمه فى النفس والمال والجاه والحرم وغيرها فلابد للحيوان من قوة يدفع بها من يغلبه بالدفع.

● **الصنف الثانى: القوى الفاعلة:**

وهى التى يصدر عنها تحريك الأعضاء بمباشرة الأفعال طاعة للقوة الشوقية وذلك بأن تشد الأوتار أو ترخيها فتحرك بها الأعضاء والمفاصل، فلولا هذه القوة لكان جميع بدن الحيوان كاليد الشلاء فكان الانفعال والقبض والبسط غير ممكن فلم يكن له آلة الطلب والهرب كالزمن فاقتضت حكمة البارى عز وجل آلات الحركة لتكون حركته بمقتضى الشهوة طلبًا وبمقتضى الكراهة هربًا.

* * *

النوع الرابع: القوى العقلية

وهى أربع مراتب:

● **الأولى:** القوة التى بها يفارق الإنسان البهائم: وهى استعداد لقبول العلوم النظرية والصناعات الفكرية.

● **الثانية:** القوة التى تدخل الوجود للصبى المميز: وبها يدرك الضروريات والممكنات والممتنعات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد والشخص الواحد لا يكون فى مكانين فيقال له التصورات والتصديقات الضرورية.

• **الثالثة:** قوة تحل بها العلوم المستفادة من التجارب بمجارى الأحوال: فمن اتصف بها يقال له عاقل فى العادة ومن خلا عنها يقال له غبى غمر، وهى معان مجتمعة فى الذهن فيستنبط بها مصالح الأغراض.

• **الرابعة:** قوة يعرف بها حقائق الأمور مباهيها ومقاطعها حتى يقمع الشهوة العاجلة للذة الآجلة ويحتمل المكروه العاجل لسلامة الآجل فيسمى صاحبها عاقلاً من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر فى العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة والأولان مجبولان والأخيران مكتسبان، وقد قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه:

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع
فلا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

* * *

فصل: فى تفاوت الناس فى العقل

اختلف الناس فيه والحق أن التفاوت يتطرق إلى القسم الأول والثالث والرابع، أما الثانى فهو العلم بوجوب الضروريات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فإنه غير قابل للتفاوت.

أما القسم الأول: وهو الغريزة: فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده فإنه مثل نور يشرق على النفس ومبادئ إشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو إلى تمام الأربعين، وقد شاهدنا الناس فى ذلك مختلفين فى فهم العلوم وانقسامهم إلى ذكى وبليد ومغفل ويقظ، وقد روى عن رسول الله ﷺ فى حديث طويل آخره قال الله تعالى: «إنى خلقت العقل من أصناف شتى كعدد الرمل؛ فمن الناس من أعطى حبة، ومنهم من أعطى حبتين، ومنهم الثلاث والأربع، ومنهم من أعطى فرقًا، ومنهم من أعطى وسقا، ومنهم من أعطى أكثر من ذلك».

ومن الحكايات العجيبة: ما حكى أن بعض الأطباء دخل على مريض وجس نبضه وشاهد تعسره فقال له: لعلك تناولت شيئًا من الفواكه؟ قال المريض: نعم، فقال الطبيب لا ترجع تأكل منها فإنها تضرك، ثم دخل عليه فى اليوم الثانى ورأى النبض والتفسرة، فقال: لعلك أكلت لحم فروج. قال المريض: نعم، فقال الطبيب: لا ترجع

تأكله فإنه يضرك فتعجب الناس من حذق الطبيب وكان للطبيب ابن، فقال له: يا أبت كيف عرفت تناوله الفاكهة والفروج؟ قال: يا بنى ما عرفت ذلك بالطب وحده بل بالطب والفراسة، فقال له: كيف عرفت بالفراسة؟ فقال له: إنى لما دخلت دار المريض رأيت على سطح الدار سقاطات الفواكه ثم رأيت فى وجه المريض انتفاخًا وفى النبض لينا وفى التفسرة غلظًا وفجاجة، وعلمت أن الفاكهة إذا حضرت عند المريض لا يصبر عنها فظهر لى من هذه الشواهد أنه تناول الفاكهة وما جزمت بها بل قلت لعلك أكلت، وفى اليوم الثانى رأيت على باب الدار ريش الفروج وفى النبض امتلاء وفى الرسوب غلظ فعرفت أن الفروج لا يأكله إلا المريض غالبًا فظهر بهذه الشواهد وما جزمت به بل قلت لعلك فعلت هذا، فسمع ابنه هذا الكلام فأحب أن يسلك مسلك أبيه فدخل على مريض وجس نبضه وشاهد تفسرته فقال له: لعلك أكلت لحم حمار؟ فقال المريض: حاشا وكلا كيف يؤكل لحم الحمار أيها الطبيب؟ فخجل ابن الطبيب وخرج، فانتهى ذلك إلى أبيه فأحضره وسأله كيف عرفت أنه أكل لحم الحمار؟ فقال: لأنى رأيت فى دارهم برذعة فعلمت أنها لا تكون إلا للحمار، ثم قلت لو كان الحمار حيًا لكانت برذعته عليه وإذا لم يكن حيًا فإنهم ذبحوه وأكلوه، فقال أبوه: لو كان شىء من هذه المقدمات صحيحًا لرجوت فيك النجابة ولكن المقدمات كلها فاسدة وطمع النجابة فيك محال، ونعم ما قال، فلا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع.

وحُكِىَ أن أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه كان جالسًا يذكر الدروس فدخل عليه شخص ذو هيئة: فلما بدا قال لأصحابه: تثبتوا كيلا يأخذ عليكم هذا الرجل شيئًا، فلما جلس وأبو حنيفة رحمة الله عليه يذكر أوقات الصلاة قال: أما الصبح فوقته من طلوع الفجر الثانى إلى طلوع الشمس فإذا طلعت الشمس زال وقتها، فقال ذلك الرجل: فإن طلعت الشمس قبل الفجر كيف يكون حكمها؟ فالتفت أبو حنيفة إلى أصحابه وقال: كونوا كما شئتم فإن الأمر على خلاف ما حسبنا.

وحُكى أن معاوية بن مروان ضاع له باز، فقال: أغلقوا باب المدينة كيلا يخرج.

وحُكى أن الوزير أبا السعادات خطأ الفرس تحته فأمر بقطع قضيبه، فقيل له فى ذلك؟ فقال: أعطوه ولكن لا تعرفوه أنى علمت ذلك.

أما القسم الثالث: وهو علم التجارب والرسوم والعادات: فتفاوت الناس فيه ظاهر ويدل عليه حكايات: منها ما حكى أن أبا النجم العجلى دخل على هشام بن عبد الملك وأنشد أرجوزته التى أولها، الحمد لله الواهب المجزل، وهى من أجود شعره، وهشام

أصغى إليه إلى أن انتهى إلى قوله: والشمس فى الجو كعين الأحول، فغضب هشام وكان أحول وأمر بصفعه وإخراجه.

وحكى أن بعض الملوك قال لصاحب خيله: قدم الفرس الأبيض، فقال له الوزير لا تقل الفرس الأبيض فإنه عيب يخل بهيبة الملوك ولكن قل الفرس الأشهب، فلما أحضر السماط قال لصاحب سماطه: قدم الصحن الأشهب فقال له الوزير: قل ما شئت فما فى تقويمك حيلة.

وحكى أن عتاب بن ورقاء دخل على عمرو بن هداب وقد كف بصره فقال له: يا سيدى لا يسوءك فقدهما، فإنك لو رأيت ثوابهما لتمنيت أن الله تعالى يقطع يديك ورجليك ويدق عنقك.

القسم الرابع: انتهاء القوة الغريزية إلى حد يعرف به عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة لأجل سلامة العاقبة: ولا يخفى الناس فيه فإن إقدام الشبان على المعاصى أكثر من إقدام المشايخ وكذلك إقدام العلماء أقل من إقدام العوام لقوة علمهم بضرر المعاصى كما ترى أن الأطباء أقدر على الاحتماء من غيرهم.

وحكى أن بعض الملوك كان يتخذ كل سنة وزيرًا فإذا تمت السنة عزله وبعثه إلى جزيرة واستوزر غيره إلى أن اتخذ وزيرًا عاقلاً، فلما ولى بعث إلى تلك الجزيرة وبنى بها دارًا لنفسه ونقل إليها ما كان له من الأموال فلما تمت السنة لم يعزله الملك بل أقره على حاله فسئل الملك عن ذلك فقال: اعلموا أنى كنت محتاجًا إلى وزير عاقل ينظر فى العواقب فما وجدت إلا من يراعى الحال ولا ينظر فى العواقب، فكرهت أن أعجل عزله فصبرت على سوء تدبيره سنة، فلما عزلته كرهت اختلاطه بالناس وهو مطلع على أسرار ملكى فبعثته إلى الجزيرة، وأما هذا الرجل فوجدته مراعيًا للعواقب فى جميع أموره فلست أستبدل به مادام هذا تدبيره، والله الموفق للصواب بمنه وكرمه.

* * *

فصل: فى خواص الإنسان وفوائد أجزائه، وهو النظر السادس

أما خواصه فكثيرة:

منها: النطق وهو القوة التى يعرف بها الإنسان ما فى ضمير غيره بواسطة رمز أو إشارة أو كناية والكلام أقوى الدلالات منها.

ومنها: قوة التعجب وهى التى توجب الضحك عند رؤية ما يتعجب منه وذلك من

خاصة الإنسان دون غيره من سائر الحيوانات.

ومنها: نبات الشعر على رأسه بخلاف سائر الحيوان لأن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون شعر الحيوانات كسوتها ووقايتها من الحر والبرد، أما الإنسان فلما كانت كسوته من خارج جعل شعره على رأسه ليكون زينة ووقاية، وخلق الإنسان أزعر إذ لو كان أزغب لبطل الجمال وحاسة اللمس.

ومنها: الشيب فإنه لا يوجد إلا فى الإنسان وسببه أن الإنسان أضعف حرارة وأكثر رطوبة وبياض الشعر إنما يكون من بلغم متعفن ولهذا لا يوجد إلا عند تغير المزاج إلى الرطوبة فى آخر سن الكهولة عند قصور الحرارة وكثرة الرطوبة فيحدث بخار متراوح متعفن يتولد منه شعر أبيض.

ومنها: أنه إذا لمس العضو الوجع بالكف خف وجعه، وكذلك إذا أصابه ضربة أو خدشة يمسكها بكفه فيسكن فى الحال.

ومنها: سراية بعض الأمراض، زعموا أن من أدام النظر إلى العين الرمدة ترمد عينه، ومن خالط الأجرب والأبرص والمجذوم يحل به مثله.

ومنها: أن الأبرص إذا مشى حافيًا على الأرض لا ينبت موضع قدمه.

ومنها: أن الإنسان إذا خصى يضعف بدنه بخلاف كثير من الحيوانات. وينتن ريحه ويتغير وتكثر شهوة أكله وتطول عظامه وتعوج أصابعه وتقوى شهوة جماعه ويحتلم كثيرًا ويطول عمره ويقل شعر بدنه ويصير صوته حادًا رقيقًا. ومن عجيب ما يعرض للخصيان سرعة الغضب والرضا وضيق الصدر عن كتمان السر وحب اللعب بالشطرنج.

ومنها: أن الأعمى يصير أكثر الناس نكاحًا كما أن الخصى يصير أصح الناس إبصارًا فإنهما طرفان ما نقص من أحدهما زاد فى الآخر فازداد العميان إما قوة الفهم أو الحفظ أو النكاح.

ومنها: أن الحائض إذا كشف عن سرتها انقشع السحاب، وإذا استلقت فى أرض يخاف عليها البرد سلمت من ضرره، وإذا دنت من الرياض والأشجار فسدت، وإذا مرت فى المقثأة تصير القثاء مرة، وإذا نظرت فى المرآة تكدرت، وإذا وطئها الرجل يصير بليدًا وينقص من نشاطه وطراوته وحسنه، وإذا مست المصروع سكن صرعه، وإذا وطئت سلخ الحية ماتت تلك الحية وإذا رعت الغنم لم يقربها الذئب ولو دنا منها يوجع بطنه، وخرقة حيضها إذا شدت على مؤخر السفينة تأمن من الرياح المخالفة.

ومنها: أن صاحبة الطلق إذا لبس قميصها من به حمى الربع قبل أن يغسل تزول عنه.

فصل: فى فوائد أجزاء الإنسان

شعره: يدخن به ينفع من النسيان ويغلى على النار ثم يطلى به رجل المنقرس يزول وجعه، وشعر المرأة إذا وقع فى الماء الملح المكشوف للشمس يصير حية.

جمجمة الإنسان: إذا كانت نخرة تجعل فى برج الحمام يكثر فيه ويألفه، وإذا وقعت فى أرض يهرب عنها البق.

دماغه: يسقى للملسوع أو يجعل على الموضع قدر حبتين أخرج السم من الموضع.

ودمع الإنسان: إذا كان من الفرح وهو بارد يجمع ويعطى للحزين يزول حزنه وإن أعطى للمصروع يزول صرعه، وإن كان من حزين يجمع ويعطى إنسانًا يبكى بكاءً شديدًا.

ريقه: سم للعقرب، ذكر لجالينوس أن ههنا رجلاً يرقى العقارب فتموت فأحضر وأحضر غداء وأكل معه ثم أحضر عقربًا فرقى وتفل عليها فلم يظهر بها شىء فعلم أن تلك الخاصية للعاب على الريق.

ريق الصائم: يبل به المغناطيس تبطل قوته فلا يجذب الحديد، أول سن تقع من الصبى يحفظ كيلا تقع على الأرض وتتخذ لها عروة من الفضة وتعلق على المرأة لا تحبل، وزعم بعضهم أن السن التى تقع من الألم يوم السبت أول الشهر إذا جعلت تحت رأس من يغط فى نومه فإنه لا يغط، وسن الصبى تدق ناعمًا وتجعل على نهش الحيات تنفع نفعًا بينًا.

سن الميت: تعلق على من به وجع السن يسكن ألمه.

عظم الميت: يعلق على صاحب حمى الربع تزول حماه وتشد على رجل المنقرس تنفعه ويسحق وينفخ فى دماغ السكران يبطل سكره، ومن غلب عليه السهر فإن كان رجلاً ينفخ فى دماغه سحاقة عظم المرأة الميتة فإنه ينام وإن كانت امرأة نفخ فى دماغها سحاقة عظم الرجل الميت فإنها تنام.

عظم الإنسان: يحرق ويسقى من الصرع. قال جالينوس: رأيت إنسانًا يسقى الناس به تبرأ سرة الإنسان المقطوعة حال ولادته يجعل شىء منها تحت فص زبرجد من تختم به أمن من القولنج.

قلفة الصبى: تجفف وتدق ويخلط معها شىء من المسك ويسقى من به ابتداء الجذام يقف ولا يزيد.

خصيته: إذا علقت فى خشبة وغرزت فى وسط الزرع لا يقربه الجراد، وكذلك لو جعل فى بستان، ولو أكل خصية الإنسان كلب أو سنور أصابه الجنون، ولو جففت وسحقت واكتحل بها الأجهر يزول عنه، ولو أكل منها الخصى يحتلم، زعموا أن قلامة أظفار الإنسان كلها إذا أحرقت وسقيت إنسانًا يحبه حبًا شديدًا بشرط أنه يعلم، قالوا إنه مجرب.

دمه: يخلط بالماء ويطلى به بدن اللديغ يسكن وجعه، وإذا رعف الإنسان فكتب اسمه بدمه على خرقة ووضعها نصب عينيه انقطع دمه.

دم الحيض: يطلى به عضة الكلب يبرئه وكذلك من البهق والبرص وإذا طلى العين به من خارج سكن وجعها.

دم حيض البكر: ينفع من بياض العين إذا اكتحل به.

ثدى الجارية: إذا طلى بدم بكارة الجارية حال افتضاضها لا يكبر.

نطفته: يطلى بها البهق والبرص والقوبا يزيلها، وإذا خلط به زهر الغبيرا أو جفف وأعطى امرأة عشقته عشقًا مبرحًا.

عرقه: إذا ترشح فى الحمام يطلى به الدماميل ينضجها.

عرق المصارعين: يطلى به ثدى المرأة التى انعقد اللبن من ثديها يزول وجعها.

عرق النساء: يطلى به الجرب ينفعه.

لبن النساء: يشرب مع شيء من العسل يفتت الحجر من المثانة.

لبن الجارية: يداف بشيء من الزعفران أو حب السفرجل ويقطر فى الأذن قليلاً قليلاً يسكن وجعها.

بوله: يغلى ويطلى به رجل المنقرس يزول وجعها وإذا شرب ينفع من نهش الأفاعى والأدوية القتالة.

بول الصبى الذى لم يحتلم: يطبخ فى إناء نحاس مع العسل جلاء للبياض العارض فى العين ويشرب منه صاحب اليرقان ما مقداره رطل بحيث لا يدرى يزول عنه ذلك.

بول من لم يبلغ عشرين: إذا شربه صاحب البرص برئ منه، ويطلى به الجرب المتقرح والحكة والقوبا يمنعها من أن تسعى، قال ابن سينا: بول الإنسان مع رماد الكرم يوضع على موضع النزف يقف وينفع من نهش الأفاعى شربًا، وقال أيضًا: أمر إنسان مطحول فى النوم يشرب من بوله كل يوم ثلاث حفنات ففعل فعوفى وجرب فوجد عجيبًا.

رجيعه فى الصبا: يكتحل به يزيل بياض العين قال بليناس: يداف شيء منه مع خمر ويسقى من به القالنج العسر فإنه يطلى، ومن لسعته الرتيلا يسقى منه ويجعل فى تنور حتى يعرق عرقًا كثيرًا فإنه ينجو من الموت ويؤخذ الرجيع من بيت الزنبور ويحرقان ويطلى به الجرب فى الحمام ثلاثة أيام فإنه يزول، وإن اكتحل به أيامًا يزول جرب العين، وإذا جفف الرجيع وسحق وعجن بالعسل يطلى به ينفع من الخوانيق ويزيلها، وكذلك شربها ينفع أيضًا لمن أصابه سهم مسموم.

حيات بطن الإنسان: تجفف وتسحق ويكتحل بها يذهب بياض العين. والله الموفق للصواب.

* * *

النوع الثانى من الحيوان: [الجن]

زعموا أن الجن حيوان نارى مشف الجرم شأنه أن يتشكل بأشكال مختلفة، واختلف الناس فى وجود الجن فمنهم من ذهب إلى أن الجن والشياطين مردة الإنس وهم قوم من المعتزلة، ومنهم من ذهب إلى أن الله تعالى خلق الملائكة من نور النار وخلق الجن من لهبها والشياطين من دخانها، وأن هذه الأنواع لا يراها الناظر، وأنها تتشكل بما شاءت من الأشكال فإذا تكاثفت صورتها يراها الناظر.

وجاء فى الأخبار أن نوع الجن فى قديم الزمان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كانوا سكان الأرض، وكانوا قد طبقوا الأرض برًا وبحرًا وسهلاً وجبلاً وكثرت نعم الله تعالى عليهم فكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة فطغت وبغت وتركت وصية أنبيائها وأكثرت فى الأرض الفساد، فأرسل الله تعالى إليهم جندًا من الملائكة فسكنت الأرض وطردت الجن إلى أطراف الجزائر وأسرت منها كثيرًا وكان ممن أسر عزازيل وجرى بينهم قتال وكان عزازيل إذ ذاك صبيًا نشأ مع الملائكة وتعلم من علمهم وأخذ يسوسهم وطالت أيامه حتى صار رئيسًا، وبقى الأمر على ذلك زمانًا طويلاً حتى جرى بينه وبين آدم ما جرى كما قال الله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ [ص: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

قال مجاهد: لإبليس خمسة من الأولاد وقد جعل لكل واحد منهم على شىء من أمره، فذكر أن أسماءهم ببرة والأعور ومسوط وداسم وزلنبور، أما ببرة فصاحب المصائب يأمر بالثبور وشق الجيوب، وأما الأعور فإنه صاحب الزنا يأمر به ويزينه فى أعينهم، وأما مسوط فصاحب الكذب، وأما داسم فيدخل بين الزوجين ويوقع بينهما البغضاء، وأما زلنبور فهو صاحب السوق فبسببه لا يزال أهل السوق متخاصمين.

وعن أبى أمامة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ: «أن إبليس لما نزل إلى الأرض قال: يا رب أنزلتنى وجعلتنى رجيمًا فاجعل لى بيتًا، قال: الحمام، قال: فاجعل لى مجلسًا، قال: الأسواق ومجامع الطرق، قال: فاجعل لى طعامًا، قال: ما لم يذكر اسم الله عليه، قال: فاجعل لى شرابًا، قال: كل مسكر، قال: فاجعل لى مؤذنًا، قال:

المزامير، قال: فاجعل لى قرآنًا، قال: الشعر، قال: فاجعل لى خطًا، قال: الوشم، قال: فاجعل لى حديثًا، قال: الكذب، قال: فاجعل لى مصائد، قال: النساء».

* * *

فصل: فى عجائب من مكايد الشيطان

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كان راهب فى بنى إسرائيل اسمه برصيصا مستجاب الدعوة فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فحملوها إليه فأبى أن يقبلها فما زالوا به حتى قبلها، وكانت عنده ليعالجها فأتاه الشيطان فوسوس إليه وزين له مقاربتها فلم يزل حتى وقع عليها فحملت منه فوسوس إليه وقال الآن يأتيها أهلها فتفتضح فاقتلها وقل لهم ماتت فقتلها ودفنها، فأتى الشيطان أهلها وأخبرهم أنه أحبلها وقتلها ودفنها، فأتاه أهلها وأرادوا قتله فأتاه الشيطان وقال له: أنا الذى أخذتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها فأطعنى تنجح وتنج واسجد لى سجدتين، ففعل فقتل على الكفر. قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر:١٦].

ومنها: ما روى عن عيسى عليه السلام أنه لما رفع كان له تلامذة يدعون الناس إلى التوحيد وأكبرهم أربع نفر مرقس وهو أصغرهم سنًا ومحسن وهو أعبدهم ومنبوس وهو وسطهم ويوقاس وهو أسنهم فبنى كل واحد منهم صومعة يعبد الله تعالى فيها فجاء الشيطان إلى مرقس وبيده سراج فقال له من أنت؟ قال: أنا رسول المسيح إليك وإلى أصحابك يقول: ويلكم أنتم عرفتم أنى كنت أبرئ الأكمه والأبرص، وأحيى الموتى، ومن كان كذلك يكون إلهًا فكيف تنسبونى إلى العبودية، فنزل عن صومعته ودخل على محسن وأخبره بما سمع من الشيطان فقاما إلى صومعة منبوس وذكرا له ما كان من الشيطان فقال منبوس: كانت نفسى تحدثنى بذلك غير أنى كنت أكذبها. فقاموا إلى صومعة يوقاس وحدثوه بذلك فقال لهم: إن عيسى ثالث ثلاثة، فادعوا الناس إلى ذلك فضلوا وأضلوا لعنهم الله.

ومنها: ما ذكر فى الإسرائيليات أن عابدًا سمع أن قومًا يعبدون شجرة من دون الله تعالى فقام بالفأس لقطع الشجرة فلقيه إبليس لعنه الله فى صورة شيخ فقال له: وأى شيء تريد يرحمك الله؟ فقال: أريد قطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله، فقال له: ما أنت وذاك تركت عبادتك وتفرغت لهذا فالقوم إن قطعتها يعبدون غيرها. فقال

العابد: لا بد لى من قطعها، فقال إبليس: أنا أمنعك من قطعها، فقاتله العابد وضربه على الأرض وقعد على صدره، فقال له إبليس: أطلقنى حتى أكلمك؟ فأطلقه فقال: يا هذا إن الله تعالى قد أسقط عنك هذا وله فى الأرض عباد لو شاء أمرهم بقطعها، فقال العابد: لا بد لى من قطعها فنابذه للقتال فغلبه العابد مرة أخرى وصرعه، فقال له إبليس لعنه الله: هل لك أن تجعل بينى وبينك أمرًا هو خير لك من هذا الحال؟ فقال له العابد: وما هو؟ فقال له: أنت رجل فقير فلعلك تحب أن تتفضل على إخوانك وجيرانك وتستغنى عن الناس؟ فقال: نعم فقال ارجع عن ذلك ولك علىَّ أن أجعل تحت رأسك كل ليلة دينارين تأخذهما وتنفقهما على عيالك وتتصدق منهما فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة. فتفكر العابد وقال: صدقت فيما قلت فعاهده على ذلك وحلف له وعاد العابد إلى متعبده، فلما أصبح العابد رأى دينارين تحت رأسه فأخذهما وكذلك فى اليوم الثانى فلما كان فى اليوم الثالث وما بعده لم ير شيئًا، فغضب وأخذ الفأس وذهب نحو الشجرة فاستقبله إبليس لعنه الله فى صورة ذلك الشيخ وقال له: إلى أين تريد؟ قال: إلى قطع هذه الشجرة، فقال له: ليس لك إلى ذلك من سبيل فتناوله العابد ليغلبه كما غلبه قبل ذلك، فقال إبليس، هيهات هيهات وأخذ العابد وضربه على الأرض كالعصفور وقال له: لئن لم تنته عن هذا الأمر وإلا ذبحتك، فقال العابد: خل عنى وأخبرنى كيف غلبتنى؟ فقال: لما غضبت لله تعالى سخرنى الله تعالى لك والآن غضبت للدنيا ولنفسك فصرعتك.

ومنها: ما ذكر أن مزدك ادعى النبوة فى زمن قبار ملك الفرس وجعل الأموال والأبضاع مشتركة بين الناس فتبعه خلق كثير لا يحصى ولا يعد، فاحتال ابن كسرى الخير وقتل مزدك وأصحابه اثنى عشر ألفًا فى يوم واحد وهرب منهم كثيرون واختفوا فى البلاد فإذا مات منهم ميت دفنوه وقعدوا مترصدين أول ليلة من دفنه فيأتيهم إبليس لعنه الله على صورة الميت يقول جئتكم لأودعكم اعلموا أن دين مزدك حق، حتى لو مات أحدهم فجأة وكان عنده وديعة: قالوا اصبر فإنه يأتينا للوداع فنستخبره عن الوديعة.

* * *

فصل: ذكر بعض المتشيطنة

وأشهرها: الغول: زعموا أن الغول حيوان شاذ مشوه لم تحكمه الطبيعة، وأنه لما خرج مفردًا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار، وهو يناسب الإنسان والبهيمة وأنه

يتراءى لمن يسافر وحده فى الليالى وأوقات الخلوات ويتوهمون أنه إنسان فيصد المسافر عن الطريق. وقال بعضهم إن الشياطين إذا أرادوا استراق السمع تصيبهم الشهب فمنهم من احترق ومنهم من وقع فى البحر فصار تمساحًا ومنهم من وقع فى البر فصار غولاً. قال الجاحظ: الغول كل شىء من الجن يتعرض للفساد ويكون فى ضروب الصور والثياب. قال كعب بن زهير:

فما تدوم على حال تكون بها كمــا تلون فى أثوابهــا الغول

وذكر جماعة من الصحابة رضى الله عنهم أنهم رأوا الغول فى أسفارهم منهم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه رأى الغول فى سفره إلى الشام قبل الإسلام فضربه بالسيف، وذكر ثابت بن جابر الفهمى رحمة الله عليه أنه لقى الغول وجرى بينهما ما ذكر، فقال الشاعر المعروف بتأبط شرًا الفهمى فى ذلك:

ألا مــن مبلـغ فتيــــان فهـم بمــا لاقيت عنـد رحـا بطــان
فإنى قـد لقيـت الغـول تهوى بشهب كالصحيفة صحصحان
فقلـت له كلانا نضــــو دهـر أخـا سفر فخـلى لى مكــانى
فشـدت شـدة نحـوى فأهـوى لها كفى بمصقــــول يمــــانى
فأضربهــا بلا دهـش فخـرت صـريعًا لليـــــدين وللجـران
فقالـت عـد فقلت لهـا رويدًا مكـانك إننى ثبـت الجنــــان
فلـم أنفــك متكئًا لديهــــا لأنظـر مطبخًا مــــــاذا أتانى
إذا عينــــــان فى رأس قبيـح كرأس الهـر مشقــوق اللسـان
وسـاق مخــدج وسرار كلـب وثــوب مـن عــلا وشنـــان

ومنها: **السعلاة**: وهى نوع من المتشيطنة مغاير للغول. قال عبيد بن أيوب يذكرها:

وسـاخرة منى ولـو أن عينهـــا رأت ما ألاقيه من الهول حبت
أبيت وسعــلاة وغــــول بقفـرة إذا الليل وارى الجن فيـه أزنت

وأكثر ما توجد السعلاة بالغياض إذا ظفرت بإنسان ترقصه وتلعب به كما تلعب الهر بالفأرة، رأيت رجلاً من بلاد أصفهيد ذكر أن عندهم من هذا النوع كثير، وذكروا أن الذئب ربما يصطادها بالليل يأكلها فإذا افترسها ترفع صوتها تقول أدركونى فإن الذئب قد أكلنى، وربما تنادى من يخلصنى ومعى مائة دينار يأخذها، والقوم يعرفون أنه كلام السعلاة ولا يخلصها أحد فيأكلها الذئب.

ومنها: **الغدار**: وهو نوع آخر من المتشيطنة يوجد بأكناف اليمن وربما توجد بتهائم

مصر وأعاليها يلحق الإنسان فيدعوه إلى نفسه فيقع عليه، فإذا أصاب الإنسان منه يقول أهل النواحى: أمنكوح أم مذعور؟ فإن كان منكوحًا يئسوا منه، لأن له قضيبًا كقرن الثور يقتل الإنسان بغرزه فيه وإن كان مذعورًا سكن روعه وشجع، والإنسان إذا عاين ذلك يخر مغشيًا عليه وربما لم يكترث لشجاعة نفسه.

ومنها: **الدلهاب**: وهو نوع آخر من المتشيطنة يوجد فى جزائر البحار، وهو على صورة إنسان راكب على نعامة يأكل لحوم الناس الذين يقذفهم البحر. وذكر بعضهم: أن الدلهاب إذا تعرض لمركب فى البحر وأراد أخذ أحدهم فحاربوه فصاح بهم صيحة خروا على وجوههم فأخذهم.

ومنها: **الشق**: وهو نوع آخر من المتشيطنة صورة كنصف آدمى، زعموا أن النسناس مركب من الشق والإنسان، يظهر للإنسان فى أسفاره.

وذُكر أن علقمة بن صفوان بن أمية خرج فى بعض الليالى فانتهى إلى موضع يعرف بحومان فإذا قد تعرض له شق فقال علقمة: إنى مقتول، وإن لحمى مأكول. أضربهم بالهدلول ضرب غلام بهلول، فقال علقمة: يا شق اقبل مالى ومالك عهد على بفضلك تقتل من لا يقتلك. فقال شق هيت لك نفسى فاصبر لما قد حم لك فضرب كل واحد منهما صاحبه فقتله فوقعا ميتين وهو مشهور أن علقمة بن صفوان قتله الجن، والله تعالى أعلم.

ومنها: **المذهب**: ذهب بعض العباد أن لهم شيطانًا يقال له المذهب يخدمهم ويريد أن يريهم العجب. وأن بعض العباد نزل به ضيف وأقام عنده أيامًا لم ير فى صومعة العابد أحدًا وكان يرى كل ليلة عند الإفطار منارة ومسرجة وخوانًا عليه طعام، فتعجب الضيف من ذلك وسأل العابد عنه فأعرض عن جوابه فألح عليه فقال: اعلم أن هذا منذ مدة يأتينى به شيطان يريد أن أحمله على كراماتى، وأنا أعلم أنه من الشيطان من أول يوم فعند ذلك انطفأ السراج وزال الطعام، والله الموفق للصواب.

* * *

فصل: فى حكايات عجيبة عن الجن وما جرى لهم

روى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أن إبليس لعنه الله يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأعظمهم فتنة أدناهم منه مجلسًا فيجىء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئًا ثم يجىء أحدهم فيقول فرقت بينه وبين

أهله فيقول نعم أنت ابنى فيدنيه منى».

ومنها: ما حكى أن الله تعالى لما سخر الجن لسليمان عليه السلام نادى جبريل عليه الصلاة والسلام: أيتها الجن والشياطين أجيبوا بإذن الله تعالى لنبيه سليمان بن داود، فخرجت الجن والشياطين من المفازات ومن الجبال والآكام والأودية والفلوات والآجام وهى تقول: لبيك لبيك، تسوقها الملائكة سوق الراعى غنمه حتى حشرت لسليمان طائعة ذليلة، وهى يومئذ أربعمائة وعشرون فرقة، فوقفوا بين يدى سليمان فجعل ينظر إلى خلقها وعجائب صورها وهم بيض وسود وصفر وشق وبلق على صورة الخيل والبغال والسباع ولها خراطيم وأذناب وحوافر وقرون، فسجد سليمان لله تعالى وقال: اللهم ألبسنى من القوة والهيبة ما أستطيع النظر إليهم، فأتاه جبريل عليه السلام وقال: إن الله تعالى قواك عليهم قم من مكانك، فقام والخاتم فى إصبعه فخرت الجن والشياطين ساجدة، ثم رفعت رؤوسها وقالت: يا بن داود إنا قد حشرنا إليك وأمرنا لك بالطاعة، فجعل سليمان عليه السلام يسألهم عن أديانهم وقبائلهم ومساكنهم وطعامهم وشرابهم وهم يجيبونه، فقال لهم: ما لكم صوركم مختلفة وأبوكم الجان واحد؟ فقالوا: إن اختلاف صورنا لاختلاف معاصينا واختلاطه بنا ومناكحتنا مع ذريته، فنظر سليمان عليه السلام فرأى المردة يهمون بالفساد والملائكة يحولون بينهم وبين ذلك بالأعمدة، فصفد المردة وفرقهم فى الأعمال المختلفة من عمل الحديد والنحاس وقطع الأحجار والصخور والأشجار وأبنية الحصون، وأمر نساءهم بغزل القز والإبريسم والقطن ونسج البسط والنمارق، وأمر بعضهم بعمل المحاريب والتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات، فاتخذوا له قدورًا من الحجارة كل قدر تأكل منها ألف نسمة، وأشغل طائفة منهم بالطحن وطائفة بالخبز وأخرى بالذبح والسلخ، وطائفة بالغوص فى البحار لاستخراج الجواهر واللآلئ، وطائفة لحفر الآبار والقنا وشق الأنهار، وطائفة لاستخراج الكنوز من تحت الأرض، وطائفة بالمعدنيات واستخراجها من المعادن، وطائفة برياضة الخيل الصعاب، فأشغل كل طائفة منهم بأمر صعب ليقل فسادهم ويكون قوة ملكه.

وقال وهب بن منبه رضى الله تعالى عنه: كان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا شرب الماء كلحت الشياطين فى وجهه وهو لا يراهم لأن الكوز كان يمنعه فكره ذلك منهم فاتخذ له صخر الجنى الأوانى من القوارير كان يشرب منها ولا يمنعه من ذلك رؤية الشياطين، ثم أمره أن يتخذ له مدينة من القوارير لا تحجب سقوفها وحيطانها شيء، فبنى مدينة على طول عسكر سليمان عليه الصلاة والسلام وعرضه، وجعل لكل

سبط من الأسباط فيها قصرًا فى طول ألف ذراع وعرض مثله وفى كل قصر دور ومجالس وبيوت وغرف للرجال والنساء ثم بنى مجلسًا، فى طول ألف ذراع وعرضه كذلك ليجلس فيه العلماء والقضاة، ثم بنى لسليمان عليه السلام قصرًا رفيعًا عجيبًا فى طول خمسة آلاف ذراع وعرضه مثله وزخرفه بأنواع القوارير ورصعه بأنواع الجوهر، وكان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا ركب الريح على بساطه فى هذه المدينة يرى كل شيء كان على بساطه خارج المدينة لصفاء القوارير حتى الطباخين والخبازين وجميع من ركب بساطه من الجن والإنس والخيل والخدم والحشم وكان الكل بمرأى من سليمان عليه الصلاة والسلام والريح تمشى بأمره رخاء حيث أصاب.

وقال وهب بن منبه: لما رد الله تعالى على سليمان ملكه أمر الريح الصرصر حتى حشرت إليه شياطين الدنيا فرآهم سليمان عليه السلام على صورة عجيبة. منهم من كانت وجوههم إلى أقفيتهم ويخرج النار من فيه، ومنهم من كان يمشى على أربع، ومنهم من كان له رأسان ومنهم من كانت رؤوسهم رءوس الأسد وأبدانهم أبدان الفيلة، فرأى سليمان عليه السلام شيطانًا نصفه صورة الكلب ونصفه صورة السنور وله خرطوم طويل فقال له: من أنت؟ فقال: أنا مهر بن هفان بن فيلان فقال سليمان عليه السلام: ما عندك من الأعمال؟ فقال عندى عمل الغناء وعصر الخمر وشربه، وأزين الشرب والغناء لبنى آدم، فأمر بتصفيده ثم مر به آخر قبيح الشكل أسود له سمج الكلاب والدم يقطر من كل شعرة على بدنه وهو قبيح الشكل جدًا، فقال له: من أنت؟ قال: أنا الهلهال بن المحول، فقال له: ما عملك؟ فقال: سفك الدماء، فأمر بتصفيده، فقال يا نبى الله لا تقيدنى فإنى أحشر إليك جبابرة الأرض وأعطيك العهد والميثاق ألا أفسد فى مملكتك فأخذ عليه الميثاق ظافر وختم على عنقه وأطلقه، ومر به آخر فى صورة قرد له أظافر كالمناجل وهو قابض على بربط، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا مرة بن الحارث، فقال له: ما عملك؟ فقال: أنا أول من وضع هذا البربط وحركها فلا يجد أحد لذة الملاهى، إلا بى، فأمر بتصفيده.

قال أبو عبيدة: خرج عبيد بن الأبرص يريد الشام فلما كان ببعض الطريق عرض له شجاع يلهث عطشًا فعمد عبيد إلى راوية ونزل عن بعيره وسقى الشجاع حتى روى، ثم مضى حتى أتى الشام وقضى حاجته وانصرف فإذا فى إحدى الليالى أضل بعيره ونكب عن الطريق ظنه وإذا هاتف يقول:

يا صاحب البكر المضل مذهبه — دونك هـــذا البكر منا فاركبه

حتى إذا الليل تراءى غيهـــه   وأقبل الصبـــح ولاح كوكبـــه
فحط عنـــه رحلـه وسيبـــه

فرأى بعيرًا فاستوى على ظهره فلم يلبث أن رأى باب داره وكان على مسيرة عشرين مرحلة فأقبل يحط عنه الرحل وهو يقول:

يا صاحب البكر قد أنجبت من كرم   ومن فيـــاف تضل المـدلج الهـــادى
هـلا بـدأت لنا خلـوًا لنعـرف مـــن   هـذا الذى جاد بالنعمـاء فى الوادى
ارجـع حميدًا فقـد بلغت حـــاجتنا   بوركـت من ذى سلام رائح غـــادى

فأجابه يقول:

أنا الشجـــــــاع الذى أرويتنى ظمأ   فى ضحضح خصب عن أهله صادى
وجــــــــدت بالمـــاء لمـــا عز مطلبـــه   نصف النهار على الرمضاء فى الوادى
هــــــــذا جــزاؤك منـــا لا نمـــن بـه   لك الجميـــــل علينا إنك البـــــادى
الخير يبقى وإن طـــال الزمـــــــان به   والشر أخبـث مـــا أوعيــت مـن زاد

قال جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه: وفدت إلى رسول الله ﷺ، فأمسيت بواد وحدى فإذا شخص واقف على فقال لى: انطلق. قلت: وأنا آمن؟ قال: نعم، فذهبت معه إلى جمع شيب وشبان، فقالوا: إنسى؟ قال: إنسى. قالوا: أنشدنا، فأنشدتهم:

* ودع هريرة إن الركب مرتحل *

فضحكوا وقالوا: شعر سجل، ادعه يا غلام فأقبل شخص كأنه رمح ورأسه مثل قلة، فقالوا: هذا إنسى أنشدنا من شعرك؟ قال جرير: فحدثتهم إلى الصبح، وعلمونى دواء لا أحد يعرفه إلى اليوم، فلما قدمت إلى رسول الله ﷺ وأخبرته به قال: حدث الناس به، وقد جرى ذكر الجن فى مجلس عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال رجل من بنى الحارث: خرجت عاشر عشرة أريد الشام فتأخرت عن أصحابى حتى اختلط الظلام فرفعت لى نار فقصدتها، فإذا أنا بخيمة أمامها جارية جميلة، فقلت لها: ما تصنعين فى هذا المكان؟ فقالت: أنا جارية من فزارة اختطفنى عفريت وهو يغيب عنى بالليل ويأتينى بالنهار، فقلت لها: امضى معى، فقالت: إنى أخاف على نفسى الهلاك، فألححت عليها فأركبتها ناقتى وجعلت أمشى فسرنا حتى طلع القمر، فالتفت فإذا ظليم عظيم عليه راكب فقالت ها هو قد أتى فما تريد أصنع، فنزلت وأنخت راحلتى وخططت حولها وقرأت آية من القرآن وتعوذت بالله، فتقدم إلى وأنشد يقول:

ياذا الذى للحين يدعوه القدر — خل عن الحسناء رسلاً ثم سر
إنى أمر مــالك حين فاصطبر

فأجبته وقلت:

ياذا الذى للحين يدعـوه الحمق — خل عن الحسنـاء رسلاً وانطلق
فلست فى الجن بأول من عشق

فبرز إلىَّ فى صورة أسود فتصارعنا فلم يغلب أحد منا صاحبه، فقال لى: هل لك فى خصال ثلاث؟ قلت: ما هى؟ قال: تجز ناصيتى وتعرض عن الجارية، قلت: ناصيتك أهون شىء علىَّ. ثم قال: فتأخذ ما تشاء من الإبل؟ قلت: لا أبيع دينى بعرض الدنيا. قال: فأخدمك أيام حياتى؟ قلت: ما لى إلى خدمتك حاجة، فأنشد يقول:

بلى جسدى والحب يبلى جــديده — ولم يبل منى إذ بلى جسدى وحدى
عليك سلام الله يا دعــد مـا جرت — رياح الصبا فى الغور يومًا وفى نجد

فسرت بها إلى أهلها فزوجنيها أهلها ولى منها أولاد.

وحكى بعض الرعاة أنه نزل بواد بغنمه فسلب ذئب شاة من غنمه فقام ورفع صوته ونادى: يا عامر الوادى، فسمع صوتًا يقول: يا سرحان رد عليه غنمه، فجاء الذئب بالشاة وتركها وذهب.

وحُكى عن بعض الأعراب أنه أبق له غلام قال: فخرجت أقفو أثره فبينما أنا أسير إذ رأيت أربعة يختصمون فى شعر الفرزدق وجرير، فدنوت إليهم وسلمت عليهم وقلت لهم: أيهما أشعر؟ فقال شيخ منهم: الذى يقول:

وكـل رضيـع منتهــاه رضاعـــه — وكل كلبـى مــن اللــؤم راضــع
فلم تتبعــوا مـوت الهزيل ببابكم — بنى الكلب والحامى الحفيظة مانع

فقال أحدهم: والله كان الصعب شاعرًا، ولقد كان حاطب له قرن فى الجواب حيث قال:

إذا قيل أى النـاس شر عشيرة — وأكثر عارًا قيل تلك مجـاشع
ولو سفرت يومًا نساء مجاشع — بدت سـوءة فبمـا تجن البراقع

وأنشد شيخ منهم:

لا تعــدلن بشعر كنـــدة غيـره — إلا اللـواتى مـن مقــــال زياد
لله هادر فى القريض لقد جنى — منـــه العـــداة زيادهم بجيــاد

فقلت له: ما عرفت الصعب وحاطبًا وهادرًا؟ قال الشيخ: أما الصعب فالناطق على لسان اليربوعى، وحاطب على لسان الذبيانى. وهادر على لسانى قال: فضحكت وظننت أن كلامهم استهزاء، قال بعضهم: هل لك من حاجة إلى غلامك؟ قلت: وما علمك بقصة غلامى؟ قال: كعلمى بجهلك. قلت: أو جاهل أنا عندك؟ قال: وأحمق، ثم قام ومضى وجاء بغلامى، فلما رأيت الغلام غشى علىَّ وكان الغلام مكتوفًا بلا رباط، فقال لى ذلك الرجل: انفخ فى كفَ غلامك حتى يستوى، فنفخت، فأطلق، فصرت بعد ذلك لا أنفخ فى شىء من الأوجاع إلا برئ.

وذكر إبراهيم بن المنصور: أن محمدًا الأمين غضب عليه فسلمه إلى كوثر الخادم فحبسه فى سرداب وأغلق عليه الباب وكان إبراهيم عديم المثل فى الغناء. قال: فمكثت فى السرداب ليلة فلما أصبحت إذا أنا بشيخ خرج من زاوية السرداب دفع إلىَّ وسطًا وقال: كل فأكلت ثم أخرج قنينة وقال: اشرب فشربت، ثم قال غن لى فغنيت:

لى مـــدة لا بـد أبلغهـا ... معلومة فإذا انقضـت مـت
لو ساورتنى الأسد ضارية ... لغلبتها إن لم يجى الوقت

فسمع كوثر صوتى فذهب إلى الأمين وقال له: إن عمك قد جن ها هو قاعد يغنى فى السرداب بكيت وكيت، فأمر بإحضارى فأخبرته بالقصة فرضى عنى وأمر لى بسبعمائة ألف درهم.

* * *

النوع الثالث من الحيوان: الدواب

هذا النوع أحسن البهائم صورة وأكثرها نفعًا، ولما كان الإنسان لطيف البدن بطىء المشى كثير العدو من جنسه وغير جنسه وحركاته قاصرة عن الوفاء بمقاصده من الطلب والهرب اقتضت الحكمة الإلهية خلق هذا النوع من الحيوان وهداه إلى تذليلها وتصريفها تحته فى إنجاح مقاصده ليقوم له مقام الجناح للطائر والقوائم للبهائم والدواب، فقال عز من قائل: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل:٨] زعموا أن آذانها إنما خلقت فوق رأسها ذات حركات شتى لتحاذى بالثقب جهات شتى ويرد الهواء إليه فتكن فائدة السمع أكثر، ولما كان الفرس أذكى حسًا من الحمار خلقت أذنه أصغر من أذن الحمار وذنبه أطول من ذنب الحمار لأن الفرس يكفيه من قرع الهواء دون ما يكفى الحمار لصفاء حس الفرس وكدورة حس الحمار وكذلك طول ذنبه لأن إحساسه بلدغ الهوام فوق إحساس الحمار فجعل طاقات ذنبه طويلة ليطرد بها الهوام عن بدنه، ولما كان المطلوب من الدواب السير صلبت حوافرها ليمكن المشى الكثير عليها وليكون سلاحًا دافعًا للعدو فإن كل حيوان له حافر لا قرن له لأن المادة لا تفى بهما جميعًا وكل حيوان له قرن لا حافر له بل له ظلف فإن المادة تفى بها فتتم آل المشى والسلاح، فسبحان من أعطى كل شىء ما يستحقه دون الزيادة والنقصان.

ولنذكر ما يتعلق بأصناف الدواب إن شاء الله تعالى:

● فرس:

هو أحسن الحيوانات شكلاً بعد الإنسان وأرشد الدواب عدوًا وذكاء، وله خصال حميدة وأخلاق مرضية، وله صفاء اللون وحسن الصورة وتناسب الأعضاء وحسن طاعته للفارس كيف شاء صرفه وانقاد له، ومن الخيل ما لا يبول ولا يروث ما دام الراكب عليها، ومنها ما يستعمل فى لعب الأكرة مرارًا يتعلم ذلك فراكبه لا يحتاج إلى إدارته بل يكون نظره على الكرة كلما رأى الكرة عدا خلفها ومن الخيل ما يعرف صاحبه ولا يمكن غيره من ركوبه ومن كرم أخلاقه إنه إذا ضلت حجرة ولدها يرضع مهرها سائر الحجور إشفاقًا عليه. وقال محمد بن السائب الكلبى: إن الصافنات الجياد التى عرضت على سليمان عليه الصلاة والسلام كانت ألف فرس ورثها من أبيه داود عليه الصلاة والسلام، فلما ألهته عن صلاة العصر حتى توارت بالحجاب عرقبها إلا أفراسًا فوافد

عليها قوم من الأزد وكانوا أصهاره فلما فرغوا قالوا يا نبى الله أرضنا شاسعة زودنا ما يبلغنا إليها، فأعطاهم من تلك الخيل وقال: إذا نزلتم منزلاً فاحملوا عليه غلامًا واحتطبوا فإنكم لا تورون ناركم حتى يأتيكم بطعام فساروا بالفرس، وكانوا إذا نزلوا منزلاً حملوا عليه غلامهم للقنص فلا يفوته شىء يقع عليه عينه من ظبى أو بقر أو حمار إلى أن قدموا بلادهم فسموا ذلك الفرس زاد الراكب، وزعموا أن خيل العرب من نتاجه.

فصل فى خواص أجزائه:

سنه: تشد على الصبى تنبت أسنانه بلا ألم ويترك تحت رأس من يغط فى نومه يزول عنه ذلك.

لحمه: صالح لطرد الرياح.

ذنبه: يؤخذ منه شعره ويمد على باب البيت عرضًا لم يدخله بعوضة.

حافر الرمكة: إذا تبخرت به المرأة يخرج الجنين الميت والمشيمة المحتبسة.

حافر الفرس الشموس: تدفن فى الدار تهرب عنها الفأرة، وإذا سقيت الفراريج أول ما تسقيها فى حافر الفرس لا يقربها باشق ولا شاهين ولا شىء من الجوارح.

وعرقه: يطلى به عانة الصبى وإبطه لا ينبت عليهما الشعر.

وزبله: يدخن به تحت من عسرت ولادتها تسهل عليها، ويابسه يذر على الجراحات ينقطع دمها.

• البغل:

المتولد من الفرس والحمار إن كان الذكر حمارًا فشديد الشبه بالفرس وإن كان الذكر فرسًا فشديد الشبه بالحمار، ومن العجب أن كل عضو فرضته منه يكون بين الفرس والحمار وكذلك أخلاقه فليس له ذكاء الفرس ولا بلادة الحمار وكذلك صوته ومشيه بين الفرس والحمار ولا شك فى عقمها، لكن منهم من يقول إن الولد لا يتعلق فى رحمها، ومنهم من يقول يتعلق لكن مخرجه ضيق لا يمكنه الخروج فتموت الأم وكذلك يجعلونها مكتوبة لأن الذكر إذا نزل عليها أحبلها فتموت بالولادة.

فصل فى خواص أجزائه:

شحم أذنه: إذا سقى امرأة لا تحبل، وكذا.

وسخ: أذنه يداف ويسقى يمنع من الحبل.

مخه: إذا طعم إنسان منه ينقض من جميع حواسه حتى يبقى كالنائم، وإذا أطعمت الحبلى تلد ابنها خبيثًا.

قلبه: تأكله المرأة لا تحبل أبدًا.

نحاتة حافره: إذا أحرقت حتى صارت رمادًا يمنع من الحبل إذا أكلته المرأة، ويطلى به رأس الأقرع بدهن الآس ينبت شعره.

خصيته: تشد خرقة حرير وتعلق على دابة تقوى على السير ولا تتعب.

بوله: تشربه المرأة تسقط الجنين الميت وصاحبة الطلق تضع سريعًا.

زبله: زعموا أن المزكوم إذا شمه وتفل عليه ثم رماه على الطريق فمن تخطاه ينتقل الزكام إليه ويبرأ التافل.

الزنبور الذي يوجد في البغال: يجفف ويتبخر به صاحب البواسير يبرأ، وجلد جبهته يحرق في مكان لا يتم فيه شيء من الأمور البتة.

• حمار:

حيوان خدر الأعضاء من غاية البرودة كدر القوى إلى الحافظة فإنه إذا مشى بطريق لا ينساه بعد ذلك، وإذا ضل المكارى طريقه قدم حمارًا قارحًا ويخلى سبيله يمشى كما أراد يمينًا وشمالاً فإنه يعثر بالطريق وإذا وقع بالطريق يحرك رأسه وأذنيه وذنبه يعنى إذا أصاب الطريق، وزعموا أن الكلب إذا سمع نهيق الحمار يتألم ظهره، وإذا سد أذناه لا ينهق، وإذا رأى الأسد وقف مكانه وربما عدا إليه يحسب أن ذلك ينفعه من سطوته كما أن الشاة إذا تسلمها الذئب فإنها تعدو مع الذئب تحسب أن ذلك ينفعها من سطوته. وقال بليناس في كتاب الخواص: إذا حملت خنزيرًا عطشانًا على ظهر حمار فإذا شرب الحمار مات الخنزير.

فصل في خواص أجزائه:

مخه: من سقى منه يغلب عليه النسيان، ولو سقيته الحبلى ولدت أبله.

سنه: يجعل تحت رأس من به سهر ينام.

كبده: يشد مجففًا على منْ به حمى الربع تزول عنه.

طحاله: يجفف ويطلى به ثدى النساء يكثر لبنها.

حافره: يسحق ويطلى به جبهة المصروع أيامًا يزول صرعه، ويخلط بالزيت ويطلى به الخنازير يحللها. قال: يسحق حافر الحمار ويطلى به البرص فإنه يقلعه ولو كان عتيقًا، وإذا تدخنت المرأة به يسرع خروج ولدها حيًا كان أو ميتًا وإذا خلط محرقًا بدهن الجوز وجعل على الناصور يصلحه، ويؤخذ من ذنبه ثلاث طاقات حين نزوانه على الأتان ويشد على ساق الرجل ينعظ في الحال.

لحمه: من أكل منه يأمن من آفات السموم، وينفع صاحب الجذام نفعًا بينًا.

دمه: يطلى به البواسير مرارًا تسقط.

لبنه: يسقى الصبى الذى يكثر بكاؤه يزول عنه، ومن ضرب بالسياط يكمد بجلد الحمار فى الوقت الذى سلخ وينام فيه يومه فإنه يزول الألم.

جلد جبهته: يعلق على المصروع يزول صرعه.٠

ذنبه: يلقى فى النبيذ شىء من شعره يقع بين شاربيها خصومة، وتسقى عصارة روثه لمن فى مثانته حصاة يفتتها، وذكر الجاحظ: أن تلك العصارة دواء للضرس المأكول.

● حمار الوحش:

هذا النوع شديد الشبه بعضها بالبعض، وذكروا أن الفحل إذا رأى جحشًا ذكرًا ينزع خصيته حتى لا يزاحمه إذا كبر فى أتانه، والأتان إذا ضربها الطلق طلبت موضعًا قليل المسلك ووضعت فيه خوفًا من أن يكون الولد ذكرًا فيخصيه الفحل ثم إذا صلب حافره وقدر على العدو أتت به إلى الغابة، ومن عاداتها أنها لا ينقطع بعضها عن بعض ولو كانت ألوفًا ولذلك يسهل صيدها فإن الصائد يكمن فى مضيق ويصبر حتى يعبر عليها بعضها ثم يخرج فلو رجعت البقية سلمت من الصائد لكنها أرادت اللحوق بالتى عبرت فيرمى الصائد منها ما يرمى، ومن حمر الوحش صنف يسمى الأخدرية منسوبة إلى أخدر حصان كان لكسرى أزدشير توحش واجتمع بغابات فضرب فيها فالمتولد منه يقال له الأخدرية وهذا الصنف أحسنها شكلاً وأشدها عدواً.

فصل فى خواص أجزائه:

مخه: يسحق بدهن الزئبق ويطلى به البهق فإنه يزول، ومن أكل منه مع الخس وكان كثير الاحتلام يندفع عنه وينفع لمن يبول فى الفراش.

مرارته: قال ابن سينا: تقلع التوتة.

لحمه: ينفع من النقرس طلاء مع دهن الورد.

شحمه: جيد للكلف طلاء.

حافره: يتخذ منه خاتم ويعلق على أصحاب الجنون والصرع رأس الشهر يزيل عنه ذلك، ويكتحل به محرقًا ينفع من ظلمة العين والغشاوة.

روثه: يحرق فى تنور الخباز يسقط جميع أقراصه، وإذا سحق وخلط ببياض البيض واستنشق به ينفع من الرعاف.

* * *

النوع الرابع من الحيوان: النعم

هذا النوع كثير الفائدة شديد الانقياد ليس له شراسة الدواب ولا نفرة السباع، ولشدة حاجة الناس إليها لم يخلق لها سلاح شديد كأنياب السباع وبراثنها وأنياب الحشرات وإبرها، ومن شأنها الثبات والصبر على التعب والجوع والعطش وخلقت ذلولاً كما قال تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس:٧٢]، وخلق القرن للبقر سلاحًا ليتدارك تقصير الحافر، وجعل لها بدل الحافر ظلفًا لقصور المادة عن الحافر والقرن، وربما صرفت المادة فى جهة أنفع وتركت الجهة التى هى أقل نفعًا كترك الفك الأعلى للبقر بلا سن وصرف مادتها إلى القرن، والقوة المدبرة بإذن الله تعالى تؤيد الحيوان إما بسلاح أو جثة أو هرب وأى هذه فقدت مادتها دبرت بمادة أخرى حتى يكمل لها ما تحتاج إليه فى بقاء شخصه ونوعه، ثم إن النعم لما كان مأكلها الحشيش اقتضت الحكمة الإلهية أفواهًا واسعة وأسنانًا حدادًا وأضراسًا صلابًا تطحن بها الصلب من الحب والنوى، ولما افتقرت إلى زيادة قوة لتتمكن من العمل المطلوب منها خلق لها كرش واسع لتحمل فيه من العلف شيئًا كثيرًا يفى بغذائها فإذا رجعت إلى مكانها تجعلها بالاجترار مهيأة للنضج فعند ذلك طبيعتها تميز لطفها من ثقيلها فتجعل التبن اليابس لحمًا ودمًا، ومن العجب القوة التى خلقها الله تعالى فى أضراسها فإنها بالليل والنهار فى الطحن لا تفتر إلا قليلاً، فلو كانت من الحديد الذكر لانسحقت وتفتتت فسبحانه ما أعظم شأنه.

ولنذكر بعض ما يتعلق بواحد واحد:

• إبل:

من الحيوانات العجيبة وإن كان عجبها سقط من أعين الناس لكثرة رؤيتهم إياها وهو أنه حيوان عظيم الجسم شديد الانقياد ينهض بالحمل الثقيل ويبرك به، وتأخذ بزمامه فأرة تقوده إلى حيث شاءت. ويتخذ على ظهره بيت يقعد الإنسان فيه مع مأكوله ومشروبه وملبوسه وظروفها والوسادة والملحفة والنمرقة كما فى بيته ويتخذ للبيت سقف وهو يمشى بكل هذه ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية:١٧]، وربما تصبر عن الماء عشرة أيام وإنما طولت رقبته ليستعين بها على النهوض بالحمل الثقيل وينال الأرض يرعى منها حالة قيامه لتكون الرقبة مناسبة للقوائم وليبلغ مشفره سائر جسده يحكه به، يهيج فى شباط وعند ذلك لا خبر له بالحمل يحمل ما يحمله

بعيران أو ثلاثة تؤخذ عصارة النودنج وتقطر فى منخريه يذهب عنه ذلك، وإذا مرض أكل من شجرة البلوط يزول عنه، والشقشقة التى يخرجها لم تعرف أى شىء هى، وقد يجتر والشقشقة خارجة، وإذا نهشته حية يأكل السرطان تزول عنه غائلة السم، قال ابن سينا: بهذا عرف أن السرطان نافع لنهش الحية.

فصل فى خواص أجزائه:

قالوا: ليس للبعير مرارة وإنما على كبده شىء يشبهها، وهى جلدة فيها لعاب يكتحل به ينفع من الغشاء العتيق، وتطلى به الرقبة ينفع من الخوانيق، ووزن قيراط مع مثله من المسك يسعط به ينفع من الصرع.

كبده: يداوم على أكله يدفع نزول الماء.

شحمه: لم يوضع فى موضع إلا وهربت الحيات منه.

سنامه: يذاب ويطلى به البواسير يسكن وجعها.

كرشه: فيه غدة إذا خرجت منه استحجرت وإذا سحقت بالخل ابيضت وهى من أنفع الأشياء للسموم القتالة، ذكر ذلك بليناس.

عظمه: يسحق ويخلط بالزيت ويطلى به رأس المصروع يزول صرعه.

شعره: يشد على الفخذ الأيسر يمنع سلس البول، ويشد على فخذ الصبى الذى يبول فى الفراش يمنع ذلك.

وبره: يذر محرقًا على الأنف يحبس الرعاف والدم والسائل من الجراحات إذا ذر عليها.

لبنها: ينفع من السمومات كلها والتمضمض به ينفع للأسنان المأكولة.

بوله: يغلى حتى ينعقد ويطلى به الناصور يزيله؛ شربه يقوى على الجماع ويزيل صفرة الوجه.

بعره: قال ابن سينا: يقطع الرعاف ويمنع الجدرى أن يبقى أثره ويزيل الثآليل.

• بقر:

حيوان شديد القوة كثير المنفعة خلقه الله تعالى ذلولاً، وإنما لم يخلق له سلاح شديد كما للسباع لأنه فى رعاية الإنسان والإنسان يدفع عنه عدوه ولأن حاجة الإنسان إليه ماسة فلو كان له سلاح شديد لصعب على الإنسان ضبطه، والبقر الأجم يعلم أن سلاحه فى رأسه فتستعمل محل القرن كما ترى من العجاجيل قبل نبات القرن تنطح برؤوسها وذلك لمعنى خلقت لطبيعتها فتعلم ذلك بالطبع، وليس للبقر الثنايا الفوقانية

فتقطع الحشيش بالتحتانية ولو لم يحصن لم يفد عملاً كثيرًا لأنه كثير النزوان إذا هاج لا يندفع بالسيف فتسقط قوته ويهرم سريعًا، وزعموا أن البقر إذا دهن قرنه لا يخور البتة وينتفع به ظلفه إذا أصابه الحفا وله مشية مليحة بتبختر، وإذا مرض مرضًا شديدًا ركب فى قرنه شيء من العاج يبرأ مرضه.

فصل فى خواص أجزائه:

قرنه: يحرق ويجعل فى طعام صاحب حمى الربع تزول عنه، ويشرب فى شيء من الأشربة يزيد فى الباه ويقوى القضيب ويورث النعوظ وينفخ فى منخر الراعف ينقطع دمه، ويحرق قرنه حتى يصير رمادًا ويداف بالخل ويطلى به البرص مستقبلاً به الشمس فإنه يزول.

مخه طريًا: يداف بدهن ويقطر فى الأذن الوجعة يسكن وجعها.

لسان الثور الأسود: يجفف ويسحق ويمزج بماء حماض الأترج ويستف منه مقدار مثقال فإنه لا يخاصم أحدًا إلا غلبه.

مرارته: مع بزر الجرجير وبزر الفجل، وماؤه يعرض على النار ليقوى ويطلى به الكلف فإنه يزول عنه إذا تركه زمانًا.

مرارة البقر: تخلط بورق الغبيرا مدقوقًا وتتحمل به المرأة فإنها تحبل، وفى مرارة البقر حجر قدر عدسة يجعل فى ماء الشهدانج وماء العرفج ويسعط به المصروع يزول صرعه، وتطلى الشجرة بمرارة البقر لا يتولد فيها الدود، وتخلط مرارة البقر ببعر الفأر ويتحمل به صاحب القولنج ينتفخ فى الحال.

مرارة البقر السوداء: يكتحل بها من به ظلمة العين فإنه يحد بصره حتى يقرأ نقش الخاتم: وإذا أردت أن ترى عجبًا فادفن جرة فى الأرض إلى عنقها وقد طليت باطنها بشحم البقر فإن البراغيث كلها تجتمع فيها.

كلية البقر: تعلق على من به الخنازير تزول.

خصية الفحل: تجفف وتسحق وتشرب تهيج الباه وتنعظ وتعين على كثرة الجماع.

قضيبه: يجفف ويسحق ويلقى على البيض النيمرشت ويحسى فإنه يزيد فى الباه حتى يرى عجبًا.

كعبه: يحرق ويدلك به السن يبيضها ويذهب وسخها.

لبنه: يزيل صفرة اللون، وإذا شرب بالمخيض ينفع من البواسير.

سمنها: يطلى به للسع العقرب يبرئها للوقت والعتيق منه نافع للجراحات.

دمه: يطلى به الورم يسكن وجعه. قال بليناس، يخلط بول الثور ببول الإنسان ويوضع على أصابع اليدين والرجلين فإنه يزيل حمى الربع. وأقل ما يحتاج إلى ذلك ثلاث مرات، وهذا من العجائب.

أخثاء البقر: يخلط بخل التمر ويضمد به الدماميل الصلبة يردعها، واليابس منه يخلط بخل وماء ورد ويضمد له لسعة الزنبور يسكن وجعها وتطلى خلية النحل به يكثر فيها ويقوى، وإذا طليت به الثآليل قلعها.

• بقر الوحش:

يقال له بالفارسية كوزن له قرن عظيم ذو شعب كل سنة تنبت على قرنه شعبة زائدة. وقرنه مصمت بخلاف قرون سائر الحيوانات فإن قرونها مجوفة، وإذا سمع الغناء أو صوت الملاهى يصغى إليها ولا يحذر حينئذ من النشاب لشدة التذاذه بها. وإذا رفع أذنه يسمع الأصوات فإذا أرخاها لا يسمع شيئًا، وإذا مرض يأكل الحيات والأفاعى يزول مرضه ويأكل الأفاعى من ذنبها فإذا وصل إلى رأسها يرميها والأفعى إذا أحست به تنسل فى جحرها، والبقرة تأتى إلى جحرها وتجعل فمها على الجحر وتجذبها بقوة النفس فتقتلها.

وحُكى أن بقرة أزعجت وتبعها الفرسان والكلاب وهى تعدو سريعًا فأصابت فى عدوها حية فوقفت وقتلتها ثم شرعت فى العدو فكأنها رأت أن قتل الحية أهم من نجاة النفس.

فصل فى خواص أجزائه:

مخه: يطعم صاحب الفالج ينفعه نفعًا بينًا.

قرنه: من استصحب معه منه شعبة نفرت عنه السباع ويدخن به فى بيت تهرب منه الحيات؛ ورماده يذر فى السن المتآكلة المتألمة يسكن وجعها.

دمعه: ترياق وللسموم كلها.

دمه: يسقى ينفع القولنج وينفع أيضًا من به عسر البول.

جلده: يبخر به البيت تهرب منه الحيات.

شعره: يبخر به البيت يهرب منه الفأر والخفاش، يأخذ من شعره ويتركه فى عشه ليأمن من الحية والخنفساء.

كعبه: يشد على العضد يأمن من الحشرات كلها.

ظلفه: يبخر به البيت تهرب عنه الحيات، والله أعلم.

• جاموس:

حيوان عظيم لا ينام البتة ولعله فى بعض أوقات الليل يغمض جفنه. زعموا أن فى دماغه دودة تتحرك دائمًا لا تجعله ينام ويدفع السباع عن نفسه ويقتل التمساح مع عظم بدنه ولذلك يسرحون الجواميس على أطرف النيل. والجاموس يمشى إلى الأسد وهو ثابت الجنان وليس له إلا قرنه وليس فى قرنه حدة فضلاً عن حدة أطراف مخالب الأسد وأنيابها ويغلب الأسد. قالوا: إنما يغلب الجاموس الأسد لأنه يدب الأسد عن نفسه والأسد يريد أن يجعله طعامًا، وقالوا: إنه لا ينزو على أمه.

فصل فى خواص أجزائه:

الدودة: التى فى دماغه إذا علقت على أحد لا ينام ما دامت عليه.

لحمه: يورث تولد القمل.

شحمه: يذاب بالملح الأندرانى ويطلى به الكلف والجرب والبرص يزيلها.

• زرافة:

رأسها كرأس الإبل وقرنها كقرن البقر وجلدها كالنمر وقوائمها كالبعير وأظلافها كالبقر، طويلة العنق جدًا طويلة اليدين قصيرة الرجلين، وصورتها بالبعير أقرب وجلدها بالبقر أقرب وأشبه، وذنبها كذنب الظباء. قالوا: الزرافة متولدة من ناقة الحبش والبقرة الوحشية والضبعان، وذلك أن الضبعان ببلاد الحبشة تسفد الناقة فتجىء بولد بين خلقة الناقة والضبعان فإن كان ولد تلك الناقة ذكرًا ولحق بالمهاة أتت الزرافة.

وحكى طهمان الحكيم أن بجانب الجنوب بقرب خط الاستواء يجتمع بالصيف حيوانات مختلفة الأنواع على مصانع الماء من شدة العطش والحر فربما تسافدت غير أنواعها فيتولد مثل الزرافة والسمع والعسار وأمثالها، والزرافة من الخلق العجيب ليس عندها إلا ظرافة الصورة وغرابة النتاج.

• الضأن:

جعل الله البركة فى نوع الغنم فتراها تلد فى كل عام مرة واحدة ويؤكل منها ما شاء الله ويمتلئ منها وجه الأرض بخلاف السباع فإنها تلد ستًا وسبعًا ولا يرى منها إلا واحد فى أطراف الأرض. والغنم مال مبارك محبوب حتى لو أرادوا مدح إنسان قالوا إنه كبش من الكباش، ومن عجائبه أنه يرى الفيل والبعير والجاموس ولا يخافها مع ضخامة أبدانها ويرى الذئب وإذا رآه اعتراه خوف عظيم لمعنى خلقه الله تعالى فيه، وسمعت أن القطيع إذا كان على طرف دجلة وأحس بالذئب هربت وخاضت فى الماء

حتى تتوسطه فإذا أمنت عادت إلى مكانها.

وأعجب من هذا أن الغنم تلد فى ليلة واحدة عددًا كثيرًا ثم إن الراعى يسرح بالأمهات من الغد ويأتى بها عند العشى ويخلى بين الأمهات والأولاد فيذهب كل واحد إلى أمه، ويجلب من الهند نوع من الضأن على صدره ألية وعلى كتفيه أليتان وعلى فخذيه أليتان وعلى ذنبه ألية وربما تكبر ألية الضأن حتى تمنعه من المشى فيتخذ لأليتها عجلة توضع عليها وتشد إلى صدرها فيمشى الضأن وتجر العجلة والألية عليها، وذكروا أن الغنم إذا تسافدت عند نزول المطر لا تعلق بولد وإن كان ذلك عند هبوب الشمال تكون الأولاد ذكورًا وإن كان عند مجىء الجنوب تكون الأولاد إناثًا، وزعموا أن الضأن إذا رعت الزرع يرجع وإذا رعته المعز لا يرجع.

فصل فى خواص أجزائها:

قرن الكبش: إذا دفن تحت الشجرة بكرت بالحمل قبل أوانها، ويكتحل بمرارة الضأن مع العسل ينفع من نزول الماء فى العين ويزيل البياض الذى فى العين إزالة عجيبة.

مخه: يورث البله وأصحاب الصرع إذا أكلوا منه يشتد صرعهم.

عظمه: يحرق بخشب الطرفاء ويخلط رماده بدهن الشمع المتخذ من دهن الورد ويطلى به موضع الفسخ والهشم يصلحه.

قال بليناس: إذا احتملت المرأة صوف النعجة قطع الحبل، وإذا غطيت الإناء بصوف أبيض وفيه عسل لا يقربه النمل.

● معز:

حيوان غبى أحمق فلذلك إذا أرادوا ذم إنسان قالوا تيس من التيوس أى فى غاية الغباوة والنتن والمعز يفضل على الضأن بغزارة اللبن وثخانة الجلد، وما نقص من ألية المعز يزاد فى شحمها ولذلك قالوا ألية المعز فى بطنه. ومن العجب أن الله تعالى لما خلق جلد الضأن رقيقًا أكثر صوفه ولما خلق الله عز وجل جلد المعز ثخينًا رق شعره ليحصل للمعز بثخانة الجلد ورقة الشعر ما يحصل للضأن برقة الجلد وكثافة الصوف، ونتن التيس يضرب به المثل، فإن جميع بدنه كالإبط، والجدى إذا رأى الشبل يقرب إليه يسيرًا يسيرًا فإذا شم رائحته غشى عليه ووقع كالميت فإذا غاب الشبل عنه يرجع إلى حاله، ومن العناكب نوع يقال له الرتيلا له لعاب إذا مشى على الإنسان نال من لعابه ألمًا عظيمًا حتى يفضى الأمر به إلى الموت غالبًا فالجدى يأكل منه شيئًا كثيرًا وينفعه فسبحان من أعطى كل شىء خاصية.

فصل فى خواص أجزائه:

قال بليناس: قرن ماعز أبيض يسحق ويشد فى خرقة. ويجعل تحت رأس نائم فإنه لا ينتبه ما دام تحت رأسه.

مرارة التيس: تخلط بمرارة البقر وتلطخ به فتيلة تجعل فى الأذن تزيل الطرش وتمنع نزول الماء، ويكتحل بمرارة التيس بعد نتف الشعر من الجفن فإنه يمنعه من النبات، وينفع أيضًا من الغشاوة اكتحالاً ومن الغشى، ويقلع اللحمة الزائدة التى يقال لها التوتة، وينفع طلاء من الورم الذى يقال له داء الفيل.

لحية التيس: تشد على صاحب حمى الربع تزول حماه وتشد على رأس من به صداع تنفعه.

كبد الجدى: يشوى وإذا سالت منه رطوبه يكتحل بها فإنها تنفع من الغشاء، وإذا احتملت المرأة من كبد المعز شيئًا تنكسر شهوتها بحيث لا تميل للرجال زمانًا طويلاً.

طحاله: يقطعه صاحب وجع الطحال بيده ويعلقه فى بيت هو فيه فإذا جف الطحال زال ألم المطحول، ويسقى المعز فى ظرف خشب أربعين يومًا ثم يذبح ويأكل المطحول طحاله فإنه يتهرى ولو كان الظرف من خشب الطرفاء كان أقوى تأثيرًا.

لحمه: يورث الهم والنسيان ويحرك الوسواس. قال بليناس: دم التيس يفتت حجر المغناطيس وكذلك كل حجر يذبحه عليه يفتته، وتسقى إبرة بدم المعز فإنها إذا ثقب بها أذن يلتم جلده، وإذا سلخ وهو حار ووضع على لسع الأفعى وجميع الهوام وعلى المضروب السياط بدفع الألم.

لعاب التيس: يسقى يهيج الباه.

لبن الماعز: ينفع من النوازل ويحبسها ويحسن اللون شربًا سيما مع السكر خصوصًا للنساء وهو علاج للنسيان والغم والوسواس ويرخى لثة الأسنان ويحدث ظلمة البصر ويهيج الباه.

أنفحة الجدى الخرفان: تجذب الفضول من أعماق البدن.

بوله: يغلى حتى يغلظ ويخلط بمثله من السكر ويطلى به الجرب فى الحمام ثلاث مرات يذهب.

بعره: يجعل تحت رأس صبى يبكى كثيرًا أعدادًا منها فإنه يزول عنه. قال ابن سينا: بعر الماعز يحلل الخنازير بقوة وإذا احتملته المرأة بصوفة يمنع من سيلان الدم من الرحم،

وبعر الماعز مع الضأن والخل يوضع على العضو المحترق بشمع ودهن ورد ينفعه، والبعر اليابس مجرب لحرق النار فى البدن.

• ظبى:

وهو أشد الحيوانات نفورًا. ومن طبعه أنه إذا أراد دخول كناسه يدخله مستديرًا ويستقبل بعينه ما يخافه على نفسه وخشفانه فإنه إن رأى أحدًا أبصره حين دخوله الكناس لا يدخله وإلا دخل؛ وترى الظبى إذا رعى الحنظل يستعذبها وماء الحنظل يسيل من فمه ومن شدقيه ويستلذ بذلك، ويرد البحر ويشرب من مائه المر العلقم فالعجب لحيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلى مرارة الحنظل، وأما ظباء المسك فإنهم كظباء بلادنا إلا أن لها نابين معقفين خارجين من الفم كما للفيل وربما صيدت والمسك فى سرتها غير نضجة يكون فيه زهومة، ومثله مثل الثمار إذا قطعت قبل الإدراك فإنها تكون ناقصة الطعم والرائحة وأجود المسك ما ألقاه الغزال وذلك أن الطبيعة تدفع مواد الدم إلى سرته فإذا استحكم الدم فيها ونضج يجمع من ذلك إربة وحكة فى سرته فيفزع حينئذ إلى صخرة حادة فيحتك بها ملتذًا بذلك فتنفجر المادة حينئذ وتسيل على ذلك الحجر كانفجار الخراج والدماميل إذا نضجت فيجد الغزال بخروجها لذة، والناس يتبعون مراعيها فى الجبال فيجدون ذلك الدم قد جف على الصخور فيحملونه ويدعونه فى نوافح معهم مدة لذلك فهذا هو أصل المسك الذى يستعمله ملوكهم ويتهادونه فيما بينهم.

فصل فى خواص أجزائه:

قرنه: ينحت ويبخر به لطرد الهوام.

لسانه: يجفف فى الظل ويطعم للمرأة السلطة تزول سلاطتها.

مرارته: تقطر فى الأذن الوجعة يزول وجعها.

بعر الظبى وجلده: يحرقان ويجعلان فى طعام الصبى يأكله ينشأ ذلك الصبى حافظًا فصيحًا ذلقًا.

مسكه: يقوى الدماغ وينشف الرطوبات منه ويجلو بياض العين ويقوى القلب وينفع من الخفقان، وهو ترياق للسموم إلا أنه يورث صفرة الوجه، ومن خواصه أن استعماله فى الطعام يورث البخر.

• إيل:

هو المعز الجبلى وأكثر أحواله يشبه بقر الوحش من أكل الأفاعى وغيرها، وهو يرمى

بنفسه من قلة الجبل إذا خاف من الصياد ولو كان ألف ذراع ويقع على قرنه ويسلم وعدد سنى عمره عدد عقود قرنه، وإذا لسعته حية أكل السرطان ولذلك قالوا إن السرطان دواء للدغ الحية، وإذا مشت الأروى خلف الذئب أسقطت ولدها والإيل يصادق السمك فيمشى إلى ساحل البحر فيرى السمك، والسمك أيضًا يقصد الساحل ليرى الإيل والصيادون يعرفون هذا المعنى فيلبسون جلد الإيل ليقصدهم السمك فيصطادون منه ما شاءوا.

فصل فى خواص أجزائه:

إذا شرب المصروع من برادة قرنه وزن مثقال مع مسك فى ماء قراح على الريق نفعه نفعًا بينًا، ويسحق ويطلى به البهق والبرص يزيلهما، والحيات تهرب من رائحتها إذا دخن بها، وإذا علق على صاحبة الطلق تضع فى الحال.

مرارته: يكتحل بها تنفع الغشا. قال ابن سينا: مرارة التيوس الجبلية ترياق لجميع السموم.

كبده: يشوى ويجفف ويتخذ منه ذرور ينفع من الغشاوة وظلمة البصر.

لحمه: يورث حمى الربع ويدلك به لسعة العقرب والزنبور يسكن ألمهما، والعقرب تموت من رائحة شحم الإيل.

قضيبه: يسحق ويشرب ينفع من لسع الأفاعى ويهيج الباه ويجفف نيئًا فإذا أصاب الإنسان عسر البول أو ريح القولنج يغسله ويسقى غسالته ينفتح البول والقولنج.

خصيته: إذا جففت وشربت هيجت الإنعاظ الشديد الذى لا يكاد يسكن.

جلده: يتخذ منه سفرة لا يقربها فأرة ولا حية ولا شىء من الهوام.

ذنبه مع قرنه: يحرقان ويخلط رمادهما بالدهن ويطلى به أسفل القدم فإنه لا يتعب من السير ويزيد فى المشى نشاطًا.

شعره: يدخن به يهرب من رائحته جميع الهوام.

شعر ذنبه: سم قاتل يعرض لمن شربه غم وغشى، بوله يخلط بالعسل يلعقه صاحب القولنج ينفع فى الحال.

بعره: يذر على سيلان الدم يحبسه.

بعر الأروى: إذا وقع فى ماء وشربه الماعز يأخذه داء يسمى الأباء يقتله، ولا يضر الضأن، والله الموفق.

* * *

النوع الخامس من الحيوان: السباع

هذا النوع من الحيوان شديد الشبه بالشياطين لما فيه من الكبر والغضب وضيق الخلق وكثرة الفساد وقلة الاستئناس، ولما لم تكن عناية الإنسان مصروفة إلى تربيتها كأنواع الغنم خلق الله تعالى لها آلات تحصل بها الأطعمة كالعدو الشديد والقوة والحرارة والأنياب والبراثن والهيئة الهائلة وسعة الفم وغلظ الرقبة وسعة الصدر ورقة الخصر. ولما كانت كثيرة الفساد رفع الله البركة عنها فترى نوع السباع تلد فى كل سنة مرة واحدة أو مرتين فى كل بطن ستًا أو سبعًا ولا يبقى منها إلا القليل فى أطراف الأرض ولولا ذلك لامتلأ وجه الأرض من السباع، بخلاف الغنم فإن الله تعالى جعل فيها البركة فلو كان جميع أنواع السباع بعدد الغنم لأدى إلى فساد عظيم، فسبحانه ما أعظم شأنه بكثرة المنافع وبتقليل المضار رفقًا بعباده وشفقة على خلقه، إنه على ما يشاء قدير.

ولنذكر بعض أفراد ما يتعلق بالسباع مرتبًا على حروف المعجم:

● **ابن آوى:**

يقال له بالفارسية: سعال حيوان مفسد للكروم والثمار إذا وقع نظر الدجاج عليه لا يصبر حتى يأتيه ليأكله ولو كانت الدجاجة على سطح أو شجرة تقع عنه. ومن العجب أن الدجاج إذا رأت كلبًا أو ثعلبًا أو سنورًا أو شيئًا من الحيوانات الطالبة لها لم تتحرك وإن مر بها ابن آوى سقطت حتى لو كانت مائة لم تبق واحدة إلا رمت نفسها إليه، وانقياد الدجاج لابن آوى كانقياد الشاة للذئب، وإذا أراد ابن آوى صيد طير البحر يجمع حزمة شوك أو حطب ويرميها فوق الماء حتى يستأنس بها الطير ويمشى خلفها، والطير لا ينفر من الحزمة لأنه يستأنس بها فيثب من خلفها ويصطاد ما يشاء.

فصل فى خواص أجزائه:

لسانه: إذا ترك فى بيت وقعت الخصومة بين أهله: ويسقى من مرارته نصف درهم بالماء الحار على الريق ثلاثة أيام ينفع من وجع الطحال.

لحمه: ينفع من الجنون والصرع الآتى عند آخر الأهلة.

كبده: ينفع المصروع إذا سقى منه وزن مثقال.

مخ عظمه: يخلط بالبورق ويضمد به البرص يزيله بإذن الله تعالى.

● **ابن عرس:**

حيوان دقيق طويل يقال له بالفارسية راسو هو عدو الفأر يدخل جحرها يخرجها ويحب الحلى والجواهر يسرقها، ويعادى التمساح فإن التمساح لا يزال مفتوح الفم وابن عرس يدخل فمه وينزل جوفه ويأكل من جوفه أحشاءه ويمزقها ويخرج، ويعادى الحية أيضًا وإذا أراد قتال الحية يأكل السذاب لأن رائحة السذاب تضعف الحية فيقتلها ابن عرس وإذا مرض أكل بيض الدجاج يزول مرضه.

وحكى أن ابن عرس تبع فأرة فصعدت شجرة ولم يزل يتبعها حتى انتهت إلى رأس الغصن ولم يبق مهرب فنزلت على ورقة وعضت طرفها وعلقت نفسها فيها، فعند ذلك صاح ابن عرس فجاءت زوجته فلما انتهت إلى تحت الشجرة قطع ابن عرس الورقة التى عضتها الفأرة فسقطت فاصطادها ابن عرس الذى كان تحت الشجرة.

فصل فى خواص أجزائه:

دماغه: يكتحل به ينفع من ظلمة العين.

لحمه: يستعمل ضمادًا لوجع المفاصل ويخلط بالشراب يستعمل للصرع.

شحمه: يطلى به السن ينفع فى الحال، وصاحب الزق يطلى خشبة بهذا الشحم، وإذا اشتكى أحد سنه يضع عليه تلك الخشبة فإنه يقع بسهولة ويظهر دمه من رقبته ويطلى به الخنازير يحللها ويحفظ دمه بدم فأرة ويمزج بالماء ويرش به البيت فإن الخصومة تقع بين أهله، ولو دفن ابن عرس وفأرة فى بيت فعل فعل ذلك.

كعبه: إذا استصحبته المرأة حالة المباضعة لم تحمل.

خصيته: تفعل مثل ذلك.

زبله: يجعل على الجراحة ينقطع دمها، والله الموفق.

● **أرنب:**

حيوان كثير التوالد يقال له بالفارسية حوز كوش، قيل إنه سنة ذكر وسنة أنثى، وتحيض مثل النساء يديه أقصر من رجليه إذا نام تشخص عيناه وإذا مرض أكل من القصب الأخضر يزول مرضه.

فصل فى خواص أجزائه:

دماغه: تأكل المرأة منه وتتحمل ويباشرها زوجها تحبل وإذا مرج به أسنان الصبى أسرع نباتها بلا وجع، قالوا يؤخذ من الأرنب مثل السن المتآكلة إن كانت أعلى أو أسفل أو يمينًا أو يسارًا، يؤخذ من الأرنب مثل ذلك إذا وضعت عليه تنبته بإذن الله تعالى.

مرارته: إن سقى منها إنسان غلب عليه النوم ولم يزل كذلك حتى يسقى الخل.
طحاله: يأكله صاحب الشرقة مع السكر النبات تزول شرقته.
دمه: إذا شربته المرأة لم تحبل أبدًا.
ذكره: فى كتاب الخواص: وإذا اكتحل به لا ينبت الشعر فى العين. قال ابن سينا: ويطلى به البهق الأسود والكلف فيزول، قال ابن سينا: يطبخ ويقعد فى مرقته صاحب النقرس وصاحب وجع المفاصل ينفعه نفعًا جيدًا.
أنفحته: تضاف فى ماء ولبن ويشربه صاحب القولنج يزول وجعه من ساعته: قال بليناس: أكل أنفحته تنفع القولنج إلا أن أنفحة الأرنب أقوى وإذا شرب بخل نفع من الصرع وهو بالخل ترياق نافع من جميع السموم.
رجله: تشد على من به وجع المفاصل اليمنى على اليمنى واليسرى على اليسرى يزول وجعه.
فرجها: تأكله المرأة ثم يجامعها زوجها فإنها تحبل.
كعبه: زعم العرب أنها تنفع من العين والسحر ويشد على المرأة مع زبله لا تحبل.
وشعره: يبخر به يمنع من وجع الرئة، ويجعل شىء منها على الموضع الذى يسيل منه الدم ينقطع.

● **أسد:**

هو أشد السباع قوة وأكثرها جراءة وأعظمها هيبة وأهولها صورة لأنه لا يهاب شيئًا من الحيوان ولا يوجد حيوان له شدة بطشه، زعموا أنه لا يأكل من صيد غيره البتة وإذا صاد شيئًا أكل قلبه وترك الباقى لغيره ولا يرجع إليه ويحب الغناء وصوت الدف والشبابة وإذا رأى ضوءًا بالليل ذهب إليه ووقف بالبعد منه وحينئذ يسكن غضبه وزعموا أنه من ذل له وتواضع ينجو منه وإذا أكل لحم الفريسة يقصد السلخ ويأكل منه. وإذا مرض أكل قردًا يزول مرضه وقل ما تفارقه الحمى ولذلك يقال للحمى داء الأسد: وإن أصابه نصل وبقى في بدنه يأكل السعد يخرج النصل من بدنه وهذه خاصية فى الأسد، وإن أصابه خدش أو جراحة تجتمع عليه الذئاب ولا تنتقل عنه حتى تقتله، ويهرب من الديك الأبيض ومن ضرب الطاس وجميع الحيوانات تهرب من زئيره إلا الحمار فإنه يقف عن السعى ولا يزأر حاله جوعه حتى لا يهرب الصيد، والنمل يفعل بالأسد ما يفعله البق بالفيل فإنه فى عذاب من النمل، وإذا ولت اللبوة يتعرض لأشبالها فعند الولادة تطلب أرضًا ندية لدفع النمل، واللبوة تضعف عند الولادة لأن الولد يخدش

رحمها ببرائنه فالليث يأتى بحرباء لتأكلها فتبرأ من مرضها. وقالوا ليس فى السباع أشد تجرؤا من الأسد وأنه لا يتعرض للمرأة الطامث.

وحكى القاضى محمد بن سهل الواسطى أنه خرج صناع لقطع القصب من قرنه على نهر جعفر فرأوا شبلاً كالسنور فقتله أحدهم فقال الباقون الساعة يأتى أبواه يطلبانه ونحن نبيت فى الصحراء فلا نأمن، فما كان بأسرع من أن سمعنا زئير الأسد فهربنا ولجأنا إلى بيت خارج الأجمة فصعدنا الغرفة ولها باب، فلما رأى الأسد شبله قتيلاً جاء على أثرنا فوجدنا مجتمعين فى الغرفة فجعل يثب نحو الغرفة حتى يصعد فلم يقدر فصعد أكمة هناك وصاح صيحة شديدة فأتى بضعة عشر سبعًا فلما جاءوا الغرفة فلم يقدروا ونحن كالموتى فاجتمعت السباع كالحلقة وصاحوا صيحة هائلة فما كان إلا ساعة حتى جاء سبع أسود هزيل متجرد الشعر طويل فتلقته السباع ووقفت بين يديه، فجاء نحو الغرفة والسباع حوله فوثب حتى صعد إلى باب الغرفة ونحن قد أغلقناه وقعدنا خلفه، فلم يزل يدفع الباب بمؤخره حتى كسر منه لوحين فدخل عجزه إلينا فعمد أحدنا إلى ذنبه وجذبناه إلى داخل وقطعناه بمنجل فصاح صيحة عظيمة منكرة ورمى نفسه إلى الأرض، فلم يزل يخدش السباع وينهشها حتى قتل غير واحد منها وهربت السباع من بين يديه وهام هو فى الصحراء يتبعها، فنزلنا ولحقنا بالقرية وأخبرنا أهلها بما رأينا، فقال شيخ كبير: إنه كالجراد العتيق إذا قطع ذنبه أكله الفأر، والله أعلم.

فصل فى خواص أجزائه:

سنه: من استصحبه أمن من وجع السن، ويعلق على الصبى تنبت أسنانه بسهولة.

مرارته: تسقى لإنسان يبقى جريئًا جسورًا شجاعًا مقدامًا ويزول عنه الصرع وداء الثعلب، والاكتحال به يمنع سيلان الدم، وتطلى به الخنازير يستأصلها.

شحمه: يطلى به البواسير والأورام الحارة ينفعها ويطلى به الوجه والبدن لا يقربه شيء من السباع وإن ترك فى بيت يهرب منه الفأر والعقرب، ولو ألقى فى ظرف ماء لا يشربه شيء من الدواب، والشحم الذى بين عينيه يذاب ويمسح به الرجل وجهه يهابه كل من يراه.

لحمه: ينفع الفالج والاسترخاء.

دمه: إذا طلى به السرطان يزيله وكذا جميع أنواع السباع وإذا مزج بالحلتيت وطلى به البرص مرارًا أزاله.

خصيته: تولد العقر فى الرجال ومن أكلته لم تحبل.

برثنه: يأخذه الإنسان معه لا يقربه شىء من السباع وإذا طرح فى الماء وشربته الدواب أو النعم أصابها هزال ولم تسمن بعده البتة.

جلده: ينام عليه صاحب حمى الربع يوم نوبته ويغطى بالثياب حتى يعرق تزول عنه وإذا داوم عليه الجلوس يذهب البواسير ويذهب أيضًا الخوف من الخائف ولو اتخذ من جلده طبل أى فرس سمع صوته فزع، وجلد جبهته يشد على الجبهة تحت العمامة يبقى صاحب هيبة وافرة عند الملوك وإذا أدرج جلده فى جلد سائر الدواب تساقط وبرها، وإذا أحرق شعره فى موضع تهرب منه سائر السباع، من به حب القرع يخلط رماد هذا الشعر بدهن الشمع ويحمله يزول عنه ذلك.

شعره: يجعل منه فى النبيذ قليل ويسقى لإنسان فإنه يبغضه ولا يعود إلى شربها بعد ذلك.

• ببر:

حيوان هندى أقوى من الأسد بينه وبين الأسد معاداة، وإذا قصد الببر النمر فالأسد يعاون النمر وبين العقرب والببر مصادقة وربما تتخذ العقرب فى شعر الببر بيتًا. قال الجاحظ: إذا رمى الببر استكلب فعند ذلك تخافه جميع السباع، وإذا مرض الببر يأكل كلبًا يزول مرضه، وإذا هرم لا يتعرض للناس بخلاف الذئب، وإذا وضعت ببرة ولدها يأكله الضب.

فصل فى خواص أجزائه:

من به برسام يطلى رأسه بمرارة الببر مضروبة بالماء تنفعه نفعًا بينًا وإذا احتملت المرأة منه لا تلد أبدًا وإن كانت حاملاً سقط الجنين.

كعبه: يشد على البريد لا يتعب من السير ولو سار كل يوم عشرين فرسخًا.

جلده: يجلس عليه من به حب القرع يزول عنه ويدخن به تحت ذيل من به حمى الغب تزول حماه ويتولد النمل من رائحة دخان جلده.

شعره: يدخن به تهرب منه جميع الهوام إلا النمل فإنها تجتمع بدخانه.

• ثعلب:

حيوان كثير الحيل، عجيب الروغان والعطفات والمكر والالتفات يتخذ لوكره أبوابًا حتى لو سد عليه باب يخرج من الآخر.

شعره يتساقط كل سنة لذلك سمى تساقط شعر الإنسان داء الثعلب، ويجعل العنصل حول بيته حتى لا يقصده الذئب فإن الذئب إذا وقعت رجله على العنصل يموت وينام

فى وجاره بطمأنينة، وإذا جاع يرمى نفسه فى الصحراء متماوتًا ويمد يديه ورجليه ويركز بطنه وينفخه حتى يحسبه الطير أنه ميت فيجتمع عليه الطير ليأكله فيصيد منها ما شاء.

وحكى بعضهم قال: مررت على ثعلب فوجدته قد ركز بدنه فظننت أنه قد مات منذ أيام فتركته فلما أحس بالكلاب علم أن حيلته لا تخفى على الكلاب فوثب وولى هاربًا وصار فى شجرة وإذا نزلت عليه الجوارح تضرب بجناحها حتى يدركه الكلب يستلقى ويخدش الجارحة خدشًا لا تقربه بعد ذلك، وله حيلة فى قتل القنفذ وذلك أنه إذا لقى القنفذ استدار القنفذ وأمكنه من شوكه فيبول الثعلب عليه فإذا فعل ذلك اعتراه الانسياب فانبسط وتمدد فيقبض على مراق بطنه ويأكله، وإذا مرض أكل البصل البرى يبرأ، وإذا تولدت القمل فيه وتأذى منه أخذ بفيه ليفة أو صوفة ويقف فى الماء ثم ينزل قليلاً قليلاً حتى يجتمع القمل فى تلك الليفة أو الصوفة ثم تخليها ويغوص فى الماء ويسبح ويستريح.

فصل فى خواص أجزائه:

رأسه: إذا ترك فى برج الحمام يهرب عنها.

نابه: يشد على الصبى الذى به ريح الصبيان يذهب عنه ويزول عنه فزع النوم وتحسن أخلاقه.

ونابه اليسرى: يعلق على من تألم من نابه اليسرى واليمنى على اليمنى يزول ألمها.

مرارته: تنفخ فى أنف المصروع لا يصرع فى ذلك الشهر ويكتحل بها من نزول الماء.

لحمه: ينفع من اللقوة والجذام والفالج إذا داوم على أكله.

شحمه: يذاب ويطلى به رجل المنقرس يزول وجعه فى الحال ويطلى به خشب الرمان ويفرش فى البيت تجتمع عليه البراغيث.

خصيته: تشد على الصبى ينبت سنه بسهولة.

قضيبه: يشد على من به صداع يزول عنه.

جلده: من أحسن الفراء ليس فى الوبر أكثر وفاء منه. قال ابن سينا: إنه أنفع شىء للمبطونين.

دمه: يطلى به رأس الصبى ينبت شعرًا حسنًا ولو كان أقرع قبل ذلك.

ذنبه: إذا استصحبه إنسان لا يؤثر فيه حيلة محتال عليه، وإذا علق شىء من الحيوان يدخن بوبر الثعلب فى كوز طبق الرأس، والعليل يجعل فمه عليه فإذا وصل الدخان إليه سقط فى الحال.

زبله: يعين على الحبل إن استعمل عند المباضعة.

• جريس:

حيوان فى حجم الجدى ذو عدو شديد على رأسه قرن واحد كقرن الكركند وأكثر عدوه على رجليه لا يلحقه شيء لسرعة مشيته وأنه لا يوجد فى غياض سجستان وبلغار.

فصل فى خواص أجزائه:

دمه: يشربه من به خناق بالماء الحار ينفتح فى الحال.

لحمه: يطبخ بالقنطريون ويأكله صاحب القولنج ينفتح فى الحال.

شحمه مع رماد كعبه: يجعل على العراق الموجوع يسكن ألمه ويتخلص منه سريعًا.

• خنزير:

حيوان سمج والعين تكرهه له نابان كنابى الفيل يضرب بهما ورأسه كرأس الجاموس وله ظلف كما للبقر والغنم، وللخنازير عند الهيجان خصومة شديدة على الإناث ذكروا أن الذكر يدلك جسمه بالطين. والأشياء اللزجة حتى يصير ظاهر بدنه كالجوشن لا يؤثر فيه ناب الخنازير وعلامة هيجانه إطراق رأسه وتغير صوته، وإذا نزا الذكر على الأنثى يبقى فوقها زمانًا مثل الذباب، وإذا دفنت سفرجلة ينبش الأرض كلها حتى يظفر بها، والخنزير أنسل الحيوان لأنها قد تضع عشرين خنوصًا، والخنزير يأكل الحيات أكلاً ذريعًا وسموم الحيات لا تؤثر فى الخنازير، وهو أروغ من الثعلب يهرب عن من قصده حتى يمشى خلفه كثيرًا ويتعب ثم يكر عليه فيضربه بنابه يقطعه، وإذا جاع ثلاثة أيام ثم أكل سمن فى يومين وهكذا تفعل بها النصارى بالروم يجوعونها ثلاثًا ثم يعلفونها لتسمن، وإن مرض أكل السرطان يزول مرضه. ومن خواصه العجيبة ما ذكروا أن الخنزير إذا شد على ظهر الحمار بحيث لا يقدر على الحركة فإذا بال الحمار مات الخنزير، والفيل يهرب من صوت الخنزير.

فصل فى خواص أجزائه:

نابه: يستصحبها الإنسان يبقى مكرّمًا عند الناس ويأمن العين، ويترك فى الدهن أسبوعًا ثم يدهن به الرأس فإنه يطول الشعر ويؤخر الشيب، وزعموا أن الإنسان إذا رأى نابه اليسرى يصيبه فى يومه ذلك غم ولا يتأخر.

مرارته: تجفف وتجعل على البواسير تسقط، ويسقى منه صاحب الصرع مع شيء من البول العتيق يزول صرعه.

لحمه: أطيب لحم الحيوان نافع من لسع الهوام يطعم منه البازى المهزول بدهن الجوز يسمن سريعًا.

شحمه: يدلك به العضو المنفوخ بلبن ويخلط به زرق الحمام وبزر الكتان، ويضمد به الخنازير والدماميل الصلبة ينضجها ويخرج وسخها.

شحمه الطرى: يطلى به البواسير ينفعها نفعًا بينًا.

عظمه: يوصل بعظم الإنسان يلتئم سريعًا ويستقيم من غير اعوجاج وليس لشىء من عظام الحيوان هذه الخاصية، ويشد فى خرقة كتان على صاحب حمى الربع تزول عنه بالتدريج، ولو أحرق وشد فى خرقة أو صرة وترك فى مسيل ماء الأرز يأتى بريع كثير ولا يقربه الخنزير ويحرق عظمه ويسحق ويحشى به الناصور يبرأ.

جلده: يترك فى البيت يهرب منه البق.

كعبه: يحرق حتى يبيض رماده ويسحق ويسقى القولنج والمغص المزمن يزيلهما. قال ابن سينا: إذا طلى به البرص نفعه.

بوله: يسقى بالنبيذ يفتت حجر المثانة.

زبله: يسمد به شجرة التفاح تحمر ثمرتها، وإذا احتملته المرأة تسقط المشيمة وتدفع عنها أذى النفاس، ويطلى به الرتيلا يحللها.

● دب:

حيوان جسيم سمين يحب العزلة، وإذا جاء الشتاء يدخل وجاره الذى اتخذه فى الغيران ولا يخرج منه حتى يطيب الهواء، وإذا جاع يمص يديه ورجليه فيدفع بذلك جوعه، ويخرج من وجاره فى فصل الربيع أسمن مما كان، ويخاصم البقر فإذا نطحه البقر استلقى ويأخذ بيديه قرنيه ويعضه عضًا شديدًا يقهره، وعند ولادتها تستقبل بنات نعش الصغرى تسهل ولادتها، والدبة إذا ولدت يكون ولدها كقطعة لحم تخاف عليه من النمل فتنقلها من موضع إلى موضع خوفًا من النمل فإذا صلب بدن الولد أقرته من موضع، وربما تركت أولادها وترضع ولد الضبع، ولهذا تقول العرب: فلان أحمق من جعار وهى الأنثى من الدب، ولا يخاف شيئًا إلا الأسد.

حكى بعضهم أن أسدًا قصده فالتجأ إلى شجرة فصعد عليها فإذا على بعض أغصانها دب يقطف ثمرتها، فلما رآنى الأسد قد قصدت الشجرة جاء وافترش تحتها ينتظر نزولى، فنظرت إلى الدب فإذا هو يشير بأصبعه إلى فيه يعنى لا تنطق كى لا يعرف الأسد أنى على الشجرة. قال: فبقيت متحيرًا بين الدب والأسد وكان معى سكين صغير

فأخرجته وجعلت أقطع الغصن الذى عليه الدب فقطعت أكثره وانكسر الباقى فثقل الدب فوقع على الأرض فوثب الأسد عليه وتصارعا زمانًا وغلبه الأسد فأكله ومر.

فصل فى خواص أجزائه:

نابه: يلقى فى لبن المرضعة ويسقى للصبى تنبت أسنانه بسهولة.

عيناه: يعلقان فى خرقة كتان على صاحب حمى الربع تزول عنه.

مرارته: تنفع من ظلمة العين اكتحالاً، قال الشيخ: شحمه يزيل البرص طلاء وينفع من الشقاق العارض من البرد ويلين المفاصل والعصب طلاء.

دمه: يخلط بعصارة الكزبرة يطلى به الموضع الذى لا يريد أن ينبت عليه فإنه لا ينبت، وإذا نتفت الشعر التى فى العين واكتحل بعده بهذا الدم لا ترجع تنبت.

جلده: يعلق على الصبى الذى ساء خلقه يذهب عنه ذلك.

● دلق:

حيوان وحشى عدو الحمام لا يستأنس ألبته يشهد السنور إذا دخل برجًا لا يترك واحدًا فيه. ذكروا أن الثعابين تنقطع من صوت الدلق، ولذلك أكثر الدلق يوجد بأرض مصر فإنها كثيرة الثعابين. ومن عجيب ما ذكر أنه إذا ربط رأس عود بخيط شديد الفتل فى رقبة دلق ويقابل به بيت العصافير فإنه يلج فيه ويأخذ العصافير وفراخها ويخرج بها ولا يقتل منها شيئًا حتى لو طيف به على بيوت العصافير يخرجها كلها أحياء.

فصل فى خواص أجزائه:

عينه اليمنى: تعلق على صاحب حمى الربع تزول عنه بالتدريج ولو علق عليه اليسرى عادت.

شحمه: يزيل إكلال الأسنان العارض من أكل الحامض.

دمه: يقطر فى أنف المصروع نصف دانق يفيق وينفعه.

شحمه: يدخن به برج الحمام يهرب منه كلها، وتهرب الحية والعقرب أيضًا من رائحته.

جلده: يجلس عليه صاحب البواسير ينفعه.

خصيته: يهرب الفأر من دخانها.

● ذئب:

حيوان كثير الخبث ذو غارات وخصومات ومكابرة وحيل شديدة وصبر على المطاولة وقلما يخطئ فى وثبته، وعند اجتماعها لا ينفر أحد منها إذ لا يأمن أحد على نفسه

منها، وإذا نامت واجهت بعضها بعضًا حتى قالوا ينام بإحدى عينيه وإذا أصاب أحدهما جراحة أكلته البقية، والأنثى أكثر فسادًا من الذكر، وإذا عجز عن من يقاومه يعوى حتى يأتيه من يسمع عواءه يعاونه، وإذا مرض ينفرد عن الذئاب لعلمه بأنها إن علمت بضعفه أكلته، وإذا رأى مع الرجل عصا يفزع منه، ومن رمى إليه الحجر يتركه ومن رمى إليه النشاب لا يتركه، وإذا مرض أكل حشيشة تسمى جعدة يزول مرضه، وإذا دنا من الغنم يعوى ثم يذهب إلى جهة أخرى ليذهب الكلب إلى الجهة التى سمع منها العواء ثم يأتى يسلب الغنم والكلب بعيد عنه، ويأخذ بقفا الشاة ويضربها بذنبه حتى تعدو معه، وأكثر ما يأتى وقت طلوع الشمس لأنه يعلم أن الكلب طول الليل يحرس ولا ينام وفى ذلك الوقت يغلبه النوم، وزعموا أن الفرس لا تعدو خلف الذئب وإن ركضها الفارس تعثر وإن وقع حافر الفرس على أثر الذئب تبلد خصره ويسحب قوائمه، وإن عض ذئب برذونا اشتد خصره وإن عض شاة طاب لحمها، ولا تتولد الحيوانات المؤذية فى صوفها، والذئب أشد الحيوانات شمًا وإذا رمى الإنسان وشم منه رائحة الدم لا ينجو منه وإن كان أشد الناس قلبًا وأتمهم قوة وسلاحًا. قال الجاحظ: إن السباع القوية ذوات الرياسة لا تتعرض للإنسان إلا بعد الهرم والعجز عن صيد الوحش والجوع الشديد، والذئب ليس كذلك بل هو أشد السباع طلبًا للإنسان. قال بليناس: إن وقعت عين الإنسان على الذئب أولاً استرخى الذئب وإن وقعت عين الذئب على الإنسان أولاً استرخى الإنسان.

فصل فى خواص أجزائه:

رأسه: يعلق فى برج الحمام لا يقربه السنور ولا ما يؤذى الحمام، وإذا دفن رأس الذئب فى زريبة تمرض غنمها وتموت.

نابه: من استصحبه يدفع عنه قوة النبيذ ولا يسكره. ولو علق نابه على الفرس سبق الخيل.

عينه اليمنى: من استصحبها تدفع عنه قوة البله ولا يفزع فى الليل.

عينه اليسرى: من استصحبها لا يغلبه النوم.

مرارته: يطلى بها بين الحاجبين يبقى مكرمًا بين الناس، وتشد على الفخذ اليمنى تزيد فى قوة الباه، ويسقى منها قدر دانق مع حبة من المسك للمصروع الذى يصرع أول كل شهر يزول عنه ذلك، ولو احتملته المرأة العقيم تحبل بإذن الله تعالى إذا باشرها زوجها، ويكتحل بها ينفع من نزول الماء فى العين ومن الغشاوة.

دمه: يخلط بدهن الجوز ويقطر فى الأذن يزيل الطرش، وإذا سقيت المرأة منه لا تحبل أبدًا.

خصيته: تؤكل مشوية تهيج الباه، ومن أخذها معه يأتى النساء كثيرًا.

عظمه: يسحق ويذر حول الزربية لا يقربها الذئب.

عظم ساقه: يحرق يهرب من دخانه الفأر.

كعبه: يشد على ساق الماشى لا يتعب من السير، ويشد على صبى سيئ الخلق توسع أخلاقه، ومن استصحب كعبه اليمنى يغلب فى مخاصمته الرجال ومن استصحب اليسرى يغلب فى مخاصمته النساء، وزعم بعضهم أنه يحظى عند السلاطين، ويعلق على الرمح فى الحرب تنفر الخيل منه.

جلده: قال بليناس: من جلس عليه يأمن القولنج ما دام عليه.

ذنبه: يدفن فى قرية لا يقربها الذباب.

بوله: زعموا أن المرأة إذا بالت على بول الذئب لا تحبل أبدًا زبله يسقى منه صاحب القولنج يبرأ فى الحال. قال بليناس: وإن علق على صاحب القولنج يبرأ فى الحال.

• ساد:

هو حيوان على صفة الفيل إلا أنه أصغر منه جثة وأعظم من الثور. قيل: إن ولدها يخرج رأسه من الرحم ويرعى حتى يقوى، فإذا قوى خرج وهرب من الأم مخافة أن تلحسه بلسانها فإن لسانها مثل الشوك وإنها إن وجدته لحسته حتى ينحاز لحمه عن عظمه. وحكى أبو الريحان أن هذا الحيوان بأرض الهند.

• سنجاب:

حيوان كالفأر إلا أنه أكبر منه حجمًا.

شعره: فى غاية النعومة يتخذ من جلده الفراء يلبسها المتنعمون صيفًا لأنها تبرد بخلاف سائر الفراء.

لحمه: يطعم منه المجنون يزول جنونه ويأكله صاحب الأمراض السوداوية ينفعه، والله الموفق.

• سنور:

حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر. ذكر أن سفينة نوح عليه السلام تأذى أهلها من الفأر فمسح نوح عليه السلام جبهة الأسد فعطس ورمى سنورين فلذلك هو أشبه حيوان بالأسد يحب النظافة يمسح وجهه بلعابه وإذا تلطخ شىء من بدنه لا

يلبث حتى ينظفه، وعند هيجان شهوته آخر الشتاء ينال ألمًا شديدًا من لدغ مادة النطفة فلا يزال يصيح حتى ينفض تلك المادة، وإذا ولدت الأنثى يغلب عليها الجوع الشديد فإذا لم تجد ما تأكله تأكل أولادها وإذا رمت بعرها تدفنه حتى لا يشم رائحته الفأر فيهرب ولذلك تشمه فإن وجدت رائحته ألقت عليه من التراب وزيادة أخرى، وإذا مر الفأر على السقف استلقى السنور وحرك يديه ورجليه فيسقط الفأر من السقف فزعًا وإذا ظفر بها يلعب بها زمانًا طويلاً وربما خلى سبيلها حتى تمعن فى الهرب فإذا ظنت أنها نجت وثب عليها فلا يزال يخدعها بالسلامة ويوريها الحسرة ويلتذ بتعذيبها ثم يأكلها.

وزعموا أن من أكل لحم السنور الأسود لم يعمل فيه السحر، وقد جعل الله تعالى فى قلب الفيل الهرب من السنور فكلما يراه يهرب منه.

فصل فى خواص أجزائه:

عيناه: إذا جففتا وبخر بها الإنسان لم يطلب حاجة إلا قضيت.

نابه: من استصحبها لم يفزع بالليل من شىء.

قلبه: يشد فى قطعة من جلده: من استصحبه لا تظفر به الأعداء.

مرارته: من اكتحل بها يرى بالليل مثل ما يرى بالنهار، وتخلط بدهن الزئبق نصف درهم ويسعط به ينفع من اللقوة.

طحال السنور الأسود: يشد على المرأة المستحاضة ينقطع دمها ولا تحيض ما دام ذلك مشدودًا عليها.

دمه: يسقى منه صاحب الجذام ينفعه نفعًا بينا ذكر بليناس فى كتاب الخواص أن من شرب دم السنور الأسود تحبه النساء.

بعره: يهرب الفأر من رائحته ويذاب بدهن الآس ويدهن به بدن الإنسان وقت الحمى فإن الحمى لا تأتيه، ويذاب بالماء ويطلى به المنقرس يزول وجعه.

● سنور البر:

حيوان على شكل السنور الأهلى إلا أن حجمه أكبر ولكثرة عدوه يبالغ فى حفظ نفسه ونوعه حتى يحفظ بعضها بعضًا فى النهار فإذا كان الليل أقاموا حارسًا لا ينام فإذا نام قتلوه.

مخه: عجيب لوجع الكلى ولعسر البول إذا أديف بماء الجرجير وسخن على النار وشرب على الريق فى الحمام.

دماغه: يدخن به يخرج المنى من الرحم.

● **سرباس:**

قالوا: إنه حيوان يوجد فى الغياض بكابل وراء بلسان فى قصبة أنفه اثنتا عشرة ثقبة، إذا تنفس يسمع من صوته صوت المزمار. ثم ذكروا أن المزمار اتخذ على مثال قصبة أنف ذلك الحيوان، فالحيوانات تجتمع عليه لاستماع هذا الصوت فربما تدهش من لذة استماعها، فإذا رأى سرباس ذلك منهم يصيد منهم ما شاء وإن لم يرد صيد شيء منها أو ضجر منها ومن اجتماعها عليه صاح فيهم صيحة عظيمة هائلة تنفر كلها عنه، والله الموفق.

● **ساده وار:**

حيوان يوجد بأقصى بلاد الروم يقال له أيضًا أرس، له قرن عليه اثنتان وأربعون شعبة مجوفة فإذا هبت الريح يجتمع الهواء فيها فيسمع منه صوت فى غاية الطيب وتجتمع الحيوانات عنده لما تسمع من حسن صوته. وذكر أن بعض الملوك أهدى إليه قرن منها فترك بين يديه عند هبوب الريح فكان يخرج منه صوت عجيب مطرب حتى يكاد يدهش الإنسان من سماعه طربًا ثم وضعوه منكوسًا فكان يخرج منه صوت حزين حتى يكاد يغلب على الإنسان عند سماعه البكاء.

● **ضبع:**

يقال له بالفارسية كعنار حيوان قليل العدو قبيح المنظر ينبش القبور ويخرج الجيف، والعرب تزعم أنها لا تأكل إلا لحوم الشجعان ولهذا قال ابن زبيرة:

حـديني وحرمنى جعـار وأسرهـا بلحم امرئ لم يشهد النوم ناظره

وذكر أن الضبع سنة ذكر وسنة أنثى كالأرنب، وبين الضبع والكلب عداوة، فإن وقع ظل الضبع على الكلب يقف مكانه ولا يقدر على المشى خوفًا من الضبع أن يأكله، وإن مرض الضبع أكل لحم الكلب يبرأ، وبين الضبع والذئب مصادقة ويتولد منهما ولد يقال له السمع وهو حيوان عجيب الشكل بين الضبع والذئب، فإن كان الذكر ذئبًا يقال له العسبار وشكله عجيب أيضًا. وفى العرب قوم يقال لهم الضبعيون ومنهم الضبعى ولو كان أحدهم فى قفل فيه ألف نفر وجاء الضبع لا يقصد أحدًا إلا الضبعى، وزعموا أن الضبع الصحيح يطبخ كما هو تنفع مرقته ودسمه من الأوجاع الباردة والرياح.

فصل فى خواص أجزائه:

رأسه: يجعل فى برج يجتمع عليه حمام كثير.

لسانه: من يأخذه معه لم ينبح عليه كلب ولم يتلعثم عند المحاجة ويغلب خصمه،

وإذا علق على باب دار فيها عرس أو دعوة لم يقع فيها مكروه ويزداد فرحهم.

نابه: من اصطحبه لم ينس شيئًا.

مرارته: تنفع من نزول الماء اكتحالاً وتجلو البصر من الظلمة، قال بليناس: تخلط مرارة الضبع بدم العصافير ويطلى به الإنسان عينه يمنع من نزول الماء.

قلبه: يعلق على الصبى يبقى ذكيًا ويتعلم الأشياء بسرعة.

مخه: يطلى به الحواجب يكون محبوبًا إلى الناس، ولو طلى به كلب جن.

يده اليمنى: من استصحبها تقضى حوائجه عند الملوك، وتشد على عضد المرأة أو ساقها تسهل ولادتها.

برثنه: تعلق على شجرة لا يقربها طير ضار.

قضيبه: قال هرمس: يجفف ويسحق ويستف منه الرجل قدر دانقين فإنه يهيج به شهوة الوقاع بحيث لا يمل من النساء ولو أتى عشرين امرأة، وإن أسقيته المرأة الفاجرة تترك الفجور ولا تميل إليه، قال بليناس:

فرجها وجلد سرتها: إن شد على رجل لم تنظر إليه امرأة إلا أحبته وإن شد على امرأة لم ينظر إليها رجل إلا أحبها. وإن شد فرجها على المحموم زالت حماه.

جلده: يتخذ منه غربال يغربل به البر ثم يزرع فإن زرعه يأمن من الجراد والجوارح كلها. قال ابن سينا: ينفع من عضة الكلب الكلب فإذا فرغ من الماء يسقى فى إداوة من جلد الضبع أو مغشاة بجلد الضبع. وقال بليناس: إذا أخذت شيئًا من جلد الضبع وشددت فيها شيئًا من ورق الشيح وربطته فى خرقة حرير على إنسان، فإن النساء تتبعه ويرى من ذلك أمرًا عجيبًا، ولو دفن فى باب بيت لا يدخله الكلب وإذا شددته على رقبة الأرنب تهرب عنه الكلاب وحين يسلخ الجلد إذا أخذته وطفت به معالم قرية وعلقته على بابها لا يصيبها آفة.

الشعور التى حول أنفه: تنتفها وتحرق وتسحق بزيت ويدهن به للمحبة يزول ما به.

بعره: يخلط بدهن الآس ويدهن به الرأس فإنه ينبت به الشعر ويحسنه.

● عناق:

يقال له بالفارسية شياه كوس، فوق الكلب حجمًا حسن الصورة جدًا لونه كلون البعير الأحمر وأذناه سوداوان يصيد كما يصيد الفهد وإذا مشى أخفى آثاره، ويصيد الكركى فإذا طار الكركى يثب وثبة شديدة نحو الهوى ويأخذه برجله، والله الموفق.

• فالا:

قال ابن سينا: إنه حيوان أصغر من ابن عرس فى حجمه، ولونه أميل إلى الرمدة مع لطافة ودقة وطول وسعة فمه إذا رأى حيوانًا ظفر به ويتعلق بخصيته ويناله بعضة منه وجع شديد صعب العلاج.

• فهد:

حيوان شديد الغضب ضيق الخلق ذو وثبات بعيدة كثير النوم ويستأنس بالناس خلاف النمر. وقال بعضهم: إن الفهد متولد بين الأسد والنمر والله أعلم، وسائر السباع تحب رائحة الفهد والسباع الصغار تتبع رائحته لتأكل من فضلة فريسته. قال الجاحظ: الفهد إذا سَمن عرف أنه مطلوب وإن حركته ثقيلة وإن كوكبه يقتله ورائحته مشهية للسباع يخاف من الأسد والنمر فيخفى نفسه حتى تنقضى أيام سمنه، ولا يكاد يكون على علاوة الريح لئلا يحمل الريح رائحته إلى السباع، ويحب الأصوات الحسنة يصغى إليها إصغاء شديدًا، وإذا مرض أكل لحم الكلب يزول مرضه، ويتولد منه ومن الدب حيوان عجيب الشكل يقال له كوسال.

فصل فى خواص أجزائه:

لحمه: يورث حدة الذهب وقوة البدن.

دمه: من سقى منه تغلبه البلاهة.

برثنه: إذا ترك فى موضع هرب الفأر منه.

• فيل:

هو حيوان ظريف بهى نبيل من أعظم الحيوانات وربما كان فى فمها ثلاثمائة سن وهو أطرف وألطف من كل حيوان خفيف الروح رشيد صنع الله فى خلقته عجائب قدرته وهو أن رقبته لما كانت قصيرة خلق الله لها خرطومًا طويلاً يقوم مقامها يرفع العلف والماء إلى فمه بها وتدور على جميع بدنه كما تدور يد الإنسان ويضرب بها، وله أذنان كبيرتان كل واحدة على شكل يزين متحركتان وإنما يدفع بهما الذباب والبق عن فمه بهما لأنه مفتوح دائمًا فلو دخل شىء من البق أو الذباب إلى فمه لهلك وليس له عن المفاصل إلا مفصل الكعب والكتف والفخذ ولا يظهر له شهوة الضراب إلا بعد خمس سنين ويضع لسبع سنين ولدًا مستوى الأعضاء، والفيل يعادى الحية إذا رآها يقتلها تحت رجله، والحية تلدغ الفيل تهلكه، والفيل إذا تعب تدلك كتفاه بالسمن والماء الحار يزول تعبه، وإذا مرض يأكل حية ميته يزول مرضه، وإذا وقع على جنبه لا يقدر على القيام

فتخبر الفيلة بعضها بعضًا فيأتيه الفيل الكبير يجعل خرطومه، تحته وسائر الفيلة يعاونونه حتى ينتصب على قوائم، والفيل إذا أراد قلع شجرة يلف خرطومه عليها ويقلعها من أصلها. وقالوا: ربما يعيش الفيل أربعمائة سنة. قال الزيادى: رأيت فيلاً فى أيام المنصور، وقالوا إنه يسجد لسابور ذى الأكتاف وللمنصور، من زمانه أربعمائة سنة وإذا علم الملك سجد له كلما رآه، والفيل أشد الحيوانات حقدًا.

حُكى أن رجلاً فيالا ضرب فيلاً فقالوا له لا تنم حيث ينالك فإنه حيوان حقود، فشد الفيال الفيل إلى أصل شجرة وأحكم وثاقه وتنحى عنه ونام، وكان لذلك الفيال شعر كثير منفوش فتناول الفيل بخرطومه غصنًا ووضع رأسه على رأس الفيال ولوى بها حتى ظن أنه تشبث به ثم جذب العصا جذبة قوية فإذا الفيال تحت قوائمه فخبطه خبطًا هشمه.

فصل فى خواص أجزائه:

قالوا: من سقى من وسخ أذنه ينام سبعة أيام.

برادة نابه: إذا تضمد بها تنفع من الداحس.

مرارته: يطلى بها البرص ويترك ثلاثة أيام يزول.

عظمه: يعلق فى رقاب الصبيان يدفع عنهم الصرع، وإن علق فى رقبة البقر يدفع عنها الموت، وإذا سحق وعجن بالعسل وطلى به الكلف يزول، ولو علق العاج على شجرة لم تثمر تلك السنة، ولو دخن فى بيت فيه بق مات البق، وحكاك العاج ينثر على الجراحة الميتة تبرأ وينفخ فى خيشوم الراعف ينقطع دمه، ولو أكلت المرأة من حكاك العاج تحبل إذا أتاها زوجها.

جلده: يشد قطعة منه على من به حمى نافض تزول عنه وتسقط البواسير من دخانه وإذا نام على جلد الفيل صاحب يزول عنه.

بوله: إذا رش فى مكان يهرب الفأر منه، وإذا سقيت منه المرأة العاقر تحبل.

زبله: يتخذ منه سافة تتحمل بها المرأة لا تحبل، ويسقى منه صاحب القولنج لا يعود قولنجه أبدًا، ويدخن تحت ذيل من به حمى ينفعه نفعًا بينًا، وزوانى الهند اللاتى وقفن يتحملن زبل الفيل دفعًا للحبل واستبقاء للطراوة والشباب فإنهن موقوفات على جميع أصناف الرجال، وهذا أسرع إلى الحبل لأنها لا تعدم من يوافق مزاجها مزاجه فتحبل فيبطل جمالها.

• قرد:

حيوان قبيح مليح ذكى سريع الفهم يتعلم الصنعة. وأهدى ملك النوبة إلى المتوكل قردًا خياطًا وآخر صائغًا، وأهل اليمن يعلمون القرود القيام بحوائجهم حتى إن القصاب والبقال يعلم القرد الحفظ للدكان، فالقرد يحفظ دكانه حتى يعود صاحبه، وتلد القردة فى بطن واحد من واحد إلى عشرة واثنى عشر وتحمل الأنثى بعض أولادها والباقى يحمله الذكر، وللقرد مجالس مشهورة تجتمع فيها كثيرًا يسمع منها حس همهمة، والإناث معتزلات عن الذكور وللذكور منها غيرة شديدة على الإناث.

وحكى بعض أهل صنعاء أنه مر بقرد فى سفح جبل نائم واضع رأسه فى حجر زوجته وقد غاص فى نومه فإذا بقرد آخر قد جاء ووقف حذاءها فوضعت القردة رأس زوجها رويدًا رويدًا وقامت إلى ذلك القرد وجامعها كما يجامع الرجل المرأة، فلما انتبه القرد ولم يجدها اتبع أثرها حتى وجدها فلما دنا منها شمها فعلم أنها زنت، فصاح صيحة عظيمة فاجتمع عليه كثير من القرود فأخبرهم بفعلها فحفروا لها حفرة وجعلوها فى تلك الحفرة ورجموها حتى ماتت، قال بليناس: إذا ألقيت القرد فى ماء وسقيت من ذلك الماء إنسانًا أشبه القرود فى أفعاله. وقال أيضًا: من تصبح بوجه القرد عشرة أيام متوالية جلب إليه السرور، ولا يكاد يحزن واتسع رزقه وأحبته النساء محبة شديدة وأعجبن به.

فصل فى خواص أجزائه:

عينه: تعلق على إنسان يمزح معه كل من رآه.

سنه: يعلق على إنسان لا يغلبه النوم ولا الفزع بالليل، ويكتحل به بعد أن يسحق يزيل بياض العين.

لحمه: ينفع من الجذام أكلاً وعرف ذلك من الأسد، فإنه كثير الجذام وإذا أكل القرد برئ.

دمه: من شرب منه يخرس حتى لا يقدر على الكلام أصلاً ويقبح فى أعين الناس.

جلده: إذا علق على شجرة يدفع عنها ضرر البرد، ويتخذ من جلده غربال يغربل به البذر، فإنها إذا زرعت تسلم من آفات الجراد، والله الموفق.

• كركند:

حيوان فى جثة الفيل خلقته خلقة الثور إلا أنه أعظم منه ذو حافر وقرون وغضبه سريع وحملته صادقة تخافه جميع الحيوانات بأرض الهند على رأسه قرن حاد الرأس

غليظ الأسفل فيه أنحاء محدبة إلى وجهه ومقعرة إلى ظهره، ومن العجب كونه جمع بين الحافر والقرن فإن كل حيوان ذى حافر ليس له قرن وهو أقل الحيوانات عدوًا يعيش سبعمائة سنة وهيجانه بعد خمسين سنة ومدة حمله ثلاث سنين. وزعموا أن الكركند إذا كان بأرض لم يدع شيئًا من الحيوانات فى تلك البلاد حتى لو كان بينه وبينها مائة فرسخ من جميع الجهات فإنها تهرب من هيبته، وإذا رأى الفيل يأتيه من ورائه ويضرب بقرنه بطنه ويقوم على رجليه ويدفع الفيل حتى ينتشب بقرنه ثم يريد أن يتخلص فلا يمكنه فيخر على الأرض فيموت هو والفيل أيضًا. وذكروا أن السلاح لا يعمل فى الكركند ولا يقاومه سبع ولا بهيمة وأنه يحب الفاختة يمشى إلى شجرة عليها عش الفاختة يقف تحتها ويطيب نفسه بهديرها والفاختة تقع على قرنه فلا يحرك رأسه لكيلا تنفر الفاختة.

فصل فى خواص أجزائه:

قالوا: على قرنه شعبة منحنية انحناؤها مخالف لانحناء القرن. وله خواص. وعلامة صحتها أنه يرى منها شكل فارس لا توجد تلك الشعبة، إلا عند ملوك الهند. ومن خواصها حل كل عقد، فلو أخذها صاحب القولنج بيده ينفتح فى الحال، والمرأة التى ضربها الطلق إذا أخذته بيدها وضعت فى الحال، ولو أرادوا استخلاص حصن توضع الشعبة فى الماء ويرش فى الحصن فإنه يتخلص، ولو سحق منها شىء وسقى لمصروع يزول صرعه وكذلك من به فالج أو شنج، وحاملها يأمن عين السوء ولا تكبو به الفرس، وإذا ترك فى الماء الحار يتركه باردًا، ومن عضه الكلب يسقى من قرن الكركند بدهن البلسان ينفعه نفعًا بينًا. قال ابن أبى الخير الأسيراباذى صاحب كتاب «برهة نامت الخلاص» حاكيًا عن أبيه قال: كنت رائحًا إلى عرنين مع قافلة فأتانا الخبر أن قومًا من اللصوص فى الطريق فأصاب القوم اضطراب من ذلك، وكان فينا رجل، فقال: يا قوم لا تحزنوا فإنى أكفيكم شرهم بشرط أنكم تذهبون بى إليهم، فذهب به بعض أهل القفل إلى موضع اللصوص وكانوا فى شعب بين جبلين، فأخرج شيئًا من وسطه ودلكه بالتراب دلكًا شديدًا ثم أشرف عليهم ونثر ذلك التراب على رؤوسهم فهبت ريح عاصفة فى ذلك الشعب منع اللصوص من القيام ومن قام منهم وقع، ثم عادوا إلى القفل ثم قال: امضوا بدعة وسلامة، ففزنا من ذلك المقام وسلمنا فلما وصلنا إلى عرنين دخلت يومًا على الشيخ الرئيس أبى على فرأيت ذلك الرجل عنده فأخبرته بصنيعه فقال: كان ذلك عنده قرن الكركند وفيها عجائب كثيرة، وهذا الرجل من خواص أصدقائنا جاءنا من بلاد الهند وأهدى إلينا ذلك العقد، ويتخذ من قرن الكركند نصل السكاكين فإذا

قربت من طعام أو شراب فيه سم كسر قوة السم.

عينه اليمنى: تعلق على الإنسان تزول عنه الآلام كلها ولا يقربه الجن ولا الحيات، واليسرى تمنع من النافض والحمى، ويتخذ من جلده الجواشن والتحافيف لا يعمل فيها شىء من السلاح.

● كلب:

حيوان شديد الرياضة كثير الوفاء دائم الجوع والسهر يخدم كثيرًا ويحرس ويدفع اللصوص قال الجاحظ: من ذكاء الكلب أنه إذا اتبع الظباء يعرف التيس من العنز فيترك العنز ويقصد التيس وإن كان التيس أشد عدوًا، لكن يعلم أن التيس يعتريه البول من الفزع فلا يستطيع الإراقة مع شدة الحصر فيقل عدوه فيعتريه البهر فيلحقه الكلب، وأما العنز إذا اعتراها البول أراقته لسعة السبيل وسهولة المخرج فلا تقصر وهذا شىء عرف من الكلب مرارًا وهو ظاهر عند المكلبين. وقال أيضًا: من عجائبه أنه يخرج يوم الثلج ووجه الأرض مغشى من الثلج ومعه الصياد المجرب لا يعلم موضع الصيد مع ذهنه وعقله والكلب يذهب يمينًا وشمالاً ولا يزال يتشمم حتى يعرف مواضع الصيد بأنفاس أبدانها وبخار أصوافها وإذابة ما لاقاها من وجارها، وهذا غامض جدًا لا يدركه إلا الكلب الماهر، وإذا صبت السحائب بالثلوج على الكلاب فى أيام الشتاء لقى منها جهدًا، فمتى أبصر غنمًا نبح لأنه يذكر ما لقى من مثله وفى المثل: لا يضر السحاب نباح الكلاب، وإذا نبح على إنسان بالليل فلا ينجه إلا أن يقعد فإذا قعد انصرف كأنه قد ظفر به، وقد يصيب الكلب فى الصيف جنون لأن مزاجه حار يابس جدًا ويزيده الصيف حرارة ويبوسة فيغلب عليه المرارة فيحدث له هذا المرض فيصير ريقه سمًا، وعلامة ذلك اللهث الدائم واحمرار العينين وإطراق الرأس واعوجاج الرقبة واسترخاء الذنب وجعله بين فخذيه ويمشى مائلاً خائفًا كأنه سكران كئيب مغموم ويتعثر فى كل خطوة وإذا لاح له شبح عدا إليه حاملاً عليه سواء كان شجرًا أو حجرًا أو حيوانًا وقلما تكون حملته مع نباح بخلاف سائر الكلاب، وإذا نبح يكون فى نباحه بحوحة، والكلاب تنحرف عنه، وإذا دنا من بعضها على غفلة بصبصت وخشعت بين يديه ورامت أن تهرب وتفر، ومرض هذا الكلب صعب المداواة، ومن عضه ينبح كالكلب ويرى بوله مرشوشًا على صورة الكلب وينظر فى الماء يرى صورة الكلب ولا يشرب من الماء حتى يهلك عطشًا.

وحُكى أن كلبًا عض بغلة فعضت البغلة راكبها فصار الراكب أيضًا مكلوبًا، وإذا

مرض الكلب أكل سنابل القمح. هذا، وإذا سمع صوت الحمار يتألم رأسه وإذا سمع المحتصب صوت الكلب الأبيض أو الأحمر يكون لجناحيه لون جيد، والكلب يرتبط عند السفاد والحكمة فى ذلك أن نطفة الذكر يابسة لزجة لا تخرج إلا بزمان وينتفخ إحليله كى لا يخرج حتى ينزل تمام المنى، وإذا رمى إنسان كلبًا بحجر فأخذه بفمه ثم ألقاه فذلك الحجر إن ترك فى برج الحمام هرب منه وإذا ألقى فى الشراب من شربه يعربد، ومن عجيب ما حكى عن الكلب أن شخصًا قتل شخصًا بأصفهان وألقاه فى بئر وللمقتول كلب يرى ذلك فيأتى الكلب كل يوم ويحفر رأس البئر ويزيح التراب عنها. وإذا رأى القاتل نبح عليه، فلما تكرر ذلك منه حفروا البئر فوجدوا فيها المقتول فعذبوا القاتل حتى أقر.

فصل فى خواص أجزائه:

عينا الكلب الأسود الميت: إذا دفنتا تحت جدار يخرب وإن أخذهما الإنسان معه لا تنبح عليه الكلاب.

نابه: يشد على الكلب العقور لا يعقر ويشد على الصبى تنبت أسنانه بلا وجع ومن يتكلم فى نومه يستصحبها لا يرجع يتكلم فى النوم، وناب الكلب الكلب الذى عض إنسانًا يشد فى قطعة جلد على عضد الإنسان يبرأ من عضة الكلب الكلب، ولسان الكلب الأسود يحمله إنسان لا تنبح عليه الكلاب. هكذا تعمل اللصوص.

مرارته: تنفع من ظلمة العين إذا اكتحل بها.

كبده: يؤكل مشويًا ينفع من عضة الكلب الكلب.

شحم الكلب الميت: يطلى به الخنازير يحللها، سيما إذا كان فى الحلق ومخه أيضًا يفعل ذلك.

قضيبه: يجففه ويستصحبه الإنسان يكثر من الوقاع.

شعره: يشد على المصروع يخفف صرعه وشعره الكلب البهيم أقوى تأثيرًا.

بوله: يقطع الثآليل إذا طلى به. قال ابن سينا: قردان الكلب يسقى منه صاحب القولنج فى الحال.

زبله: إذا كان أبيض اللون من أكل العظم دون اللحم فإنه دواء جيد للذبحة والخوانيق، وزبل الكلب الأسود تحمله المرأة تأمن من إسقاط الجنين.

● نمر:

حيوان ذو قهر وقوة وسطوة صادقة ووثبات شديدة، وهو أعدى عدو للحيوانات لا

تردعه سطوة أحد ولا ينصرف عن العسكر الدهم، وهو ذو وشى وألوان حسنة.

وخلقه فى غاية الضيق لا يتأدب ألبته، وهو معجب بنفسه فإذا شبع نام ثلاثة أيام ورائحة فمه طيبة بخلاف الأسد، وخرزات فقاره ضيقة تنكسر بأدنى شىء أصابها، وبينه وبين الأفعى صداقة، وعند ولادتها تسير الأفعى حلقة فى عنقها، وإذا خدش النمر إنسانًا ينثر عليه التراب حتى يموت الإنسان، وإذا مرض يأكل الفأر يزول مرضه، والنمر يتعرض لكل شىء يراه حالة جوعه وشبعه بخلاف الأسد فإنه لا يتعرض إلا فى حالة الجوع.

فصل فى خواص أجزائه:

رأسه: إذا دفن فى موضع يجتمع فيه من الفأر شىء كثير.

مرارته: يكتحل بها تزيد فى ضوء البصر ويمنع من نزول الماء.

شحمه: يذاب ويجعل على الجراحات العتيقة ينفعها ويبرئها.

لحمه: من أكل منه خمسة دراهم لا يضره سم الحيات والأفاعى.

قضيبه: يطبخ ويشرب من مرقه ينفع من تقطير البول وأوجاع المثانة.

جلده: يتخذ منه طرحة يجلس عليها صاحب البواسير يزول عنه، وإذا حمل معه شيئًا من جلد النمر يبقى مهابا بين الناس، وأجزاؤه كلها تفعل فعل السم القاتل.

● نامور:

حيوان وحشى نفور له قرنان كالمنشارين أكثر أحواله تشبه أحوال بقر الوحش يأوى إلى الدوحات التى التفت أشجارها، وإذا شرب الماء ظهر به النشاط يعدو ويثب على الأشجار وربما تشعب قرناه بشعب الأغصان ولا يقدر على استخلاصها فيصيح والناس إذا سمعوا صياحه ذهبوا إليه فيصيدوه.

لحمه: يطبخ بالنبيذ ويأكل منه الصبى تزول عنه البلادة، جلده يتخذ منه مطرحًا يجلس عليه صاحب البواسير يزول عنه.

كعبه: يشد على البريد على الساق يأمن من تعب السير.

* * *

النوع السادس من الحيوان: الطير

هذا النوع من الحيوان مختص بخفة البدن وفقد أعضاء كثيرة توجد فى غيره. والحكمة فى ذلك أن الله تعالى لما خلق الحيوان وجعل بعضها عدوًا لبعض أعطى كل واحد إما قوة أو سلاحًا يدفع بها عدوه كما للدواب وللسباع، أو آلة يهرب بها كما للوحوش والطيور، أما الوحوش فآلاتها قوائمها وأما الطيور فأجنحتها، ثم إن هذه الآلة اقتضت خفة الجثة إذ لو كانت الجثة كبيرة اقتضت كبر الجناح، والجناح الكبير لا يحصل معه سرعة الطيران بل يكون طيرانه بطيئًا لا يزيد على سرعة المشى. فلا يحصل الغرض المطلوب. ومن العجب طيران الطير فى الهواء وعدم سقوطه، والهواء أخف منه وهو أثقل منه كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [النحل:٧٩] فلما اقتضت هذه الآلة خفة الجناح والجثة نقص منها أعضاء كثيرة توجد فى غيرها من الحيوانات التى تلد وترضع ويخف عليها النهوض ويسهل الطيران كالأسنان والآذان والكرش والمثانة وخرزات الظهر والجلد الثخين، وإذا تأملت خلقة الطير وجدت نسبة قدامه إلى أسفله كنسبة يمينه إلى شماله فإن كان طويل الرقبة تطول أيضًا رجلاه وإذا قصرت رقبته قصرت رجلاه، ولو نتف ذنب الطير لمال إلى قدام كالسفينة التى خف مؤخرتها. قال الجاحظ: كل طائر جيد الجناح يكون ضعيف الرجلين كالزرازير والعصافير، وإذا قطعت رجلاه لا يقدر على الطيران كما إذا قطعت يد الإنسان فإنه لا يقدر على العدو، وكل طائر يعب الماء يزق فرخه. ومن الطيور ما أعطى العجب فى لونه كالطاوس والببغاء والنعام وأبى براقش. ومنها ما أعطى فى حلقه كالحمام، ومنها ما أعطى فى حنجرته كالبلابل والقنابر، ومنها ما أعطيت العجب فى تركيب أعضائها كالديكة واللقالق والكراكى والنعائم، ومنها ما أعطى فى صنعته كالخطاف واليقوط والقنبرة

وسنذكر بعض ما يتعلق بها من العجائب وترتيب أسماء الطيور على حرف المعجم إن شاء الله تعالى:

● أبو براقش:

طائر حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار فى حجم اللقلق يتلون كل ساعة بلون من أحمر وأخضر وأصفر وأزرق، وفيه يقول الشاعر:

كأبي براقش كل لو ن لـونـه يتخيـــل

وعلى لون هذا الطائر نسجت ثياب تسمى أبو قلمون تجلب من بلاد الروم، ولم يحضرنى شىء من خواصه.

• أبو هارون:

طير فى حنجرته أصوات مليحة شجية يفوق النوائح ويروق كل معنى لا يسكت بالليل ألبتة ويصيح إلى وقت الصباح وتجتمع عليه الطيور لالتذاذها باستماع صوته وربما يمر العاشق عليها فلا يقدر على العبور بل يقعد ويبكى على صوته.

• إوز:

طير يحب السباحة وفرخه يخرج من البيض ينزل فى الماء ويسبح فى الحال، والأنثى إذا حضنت لا تقبل إلا بيض نفسها ولا تقبل إلا تسعًا أو إحدى عشرة، وإذا حضنت الأنثى قام الذكر يحرسها لا يفارقها طرفة عين وتخرج أفراخها يوم التاسع عشر فإن أبطأ فإلى آخر الشهر، وفى جوف الإوز حصاة تنفع من الاستطلاق إذا سقى المبطون.

فصل فى خواص أجزائه:

لسانه: ينفع من تقطير البول إذا أكل.

مخه: يكمد به الرأس ينفع من الصداع.

مرارته: تذاب بدهن البنفسج ويسعط به صاحب الشقيقة فى المنخر الذى يلى الألم ينفعه.

شحمه: ينفع الشقاق العارض من البرد وداء الثعلب. قال ابن سينا: شحم الإوز يصفى اللون ومخه يسمن ويصفى الصوت ويزيد فى الباه.

خاصة عينه اليسرى: تشد على يمين صاحب الحمى الربع تذهب عنه. وتنفع من وجع الأعضاء كلها.

عظمه: يحرق ويذر على جراحات النصول ينفعها نفعًا بينًا.

بيضه: يزيد فى الباه أكلاً.

زرقه: يجفف ويسحق ويشرب ينفع السعال اليابس، والله الموفق.

• بازى:

هو أشد الجوارح تكبرًا وأضيقها خلقًا يوجد بأرض الترك. قالوا: البازى لا يكون إلا أنثى، وذكرها يكون من نوع آخر من الحدأة والشاهين، ولهذا ترى الاختلاف فى أشكال البازات وذلك بحسب الذكر، فإن كان الغالب عليه بياض اللون فهو أحسن البزاة

وأملؤها جسمًا وأجرؤها قلبًا وأسهلها رياضة، والأشهب لا يوجد إلا بأرض أرمينية وأرض الخزر. وجاء فى أخبار الرشيد أنه خرج ذات يوم إلى الصيد فأرسل بازيًا أشهب فلم يزل يعلو حتى غاب فى الهواء، ثم عاد بعد اليأس منه وقد تعلق بشبه سمكة لها ريش كأجنحة السمكة، فأحضر الرشيد العلماء وسألهم هل تعلمون فى الهواء شيئًا؟ قال مقاتل: يا أمير المؤمنين روينا عن جدك عبد الله بن عباس أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق فكان فيه أقربها منا ذوات بيض تفرخ فيه يرفعها الهواء فينشأ فى هيئة الحيات والسمك، لها أجنحة ليست بذات ريش يأخذها بزاة بيض تكون بأرمينية، فأمر الرشيد بإخراج طشت وأراهم فإذا فيه البازى الأشهب وذلك الحيوان، فأجاز مقاتلاً.

والبازى لا يتخذ الوكر إلا على شجرة لها أغصان لدفع ألم الحر ودفع البرد، وإذا أراد أن يبيض يبنى بيتًا مسقفًا لئلا يقع على فرخه المطر والثلج. ويأتى بخشبة يقال لها المرار يتركها فى وكره لدفع العدو. وإذا مرض يأكل لحم العصفور يبرأ، وإذا كان فى التحشير يعطى لحم الفأرة لينبت ريشه حسنًا.

فصل فى خواص أجزائه:

مرارته: من اكتحل بها يأمن من نزول الماء إذا رأى آثار نزول الماء الذى كشبه ذباب يطير بين عينيه أو مثل دخان ويسعط صاحب اللقوة بقدر حبة تنفعه نفعًا جيدًا. قال ابن سينا: مرارة الجوارح كلها تنفع من ظلمة البصر اكتحالاً.

عظمها: يحرق ويذر على الموضع المحرق ينفعه نفعًا بينًا.

مخلبها: يعلق على شجرة لا يصيبها شىء من الطيور ولا يصيبها ضرر من الطير ألبتة.

• باشق:

طائر حسن الصورة أصغر الجوارح جثة، يصطاد العصافير وما فى حجمها.

دماغه: ينفع الخفقان العارض من السوداء إذا سقى منه درهم بماء ورد.

مرارته: تنفع من ظلمة العين اكتحالاً.

• ببغاء:

يقال له بالفارسية طوطوطير: حسن اللون جدًا والشكل أكثرها أخضر اللون وقد يكون أحمر وأصفر وأبيض له منقار عريض ولسان كذلك يسمع كلام الناس ويعيده ولا يدرى معناه ويأتى بحروف مستقيمة، إذا أرادوا تعليمها أخذوا مرآة فى قفصها فإنها ترى صورة نفسها فيها ويتكلم أحد خلف المرآة فإنها إذا سمعت أعادت لأنها تريد أن تأتى بما

أتى به مثلها فتتعلم سريعًا. ومن عجائبها أنها لا تشرب الماء أبدًا، فإنها إن شربت هلكت.

فصل فى خواص أجزائه:

من أكل لسانها يصير فصيحًا جريئًا فى الكلام.

مرارتها: تثقل اللسان أكلاً.

دمها: يجفف ويسحق وينثر بين صديقين تظهر بينهما العداوة.

وزرقها: يخلط بماء الحصرم ينفع من الظلمة والرمد اكتحالاً.

● بلبل:

يقال له بالفارسية هزارستان طائر صغير الجثة سريع الحركة فصيح اللسان كثير الألحان يسكن البساتين وله مغنى ويوجد أيام الورد، يقولون إنه يحب الورد، فإذا رأى من يقطفه يكثر صياحه ولا يصبر عن الماء ساعة لفرط حرارته ولا يتراوح إلا فى البساتين والريح يعصف به من صغره وهو يعلم ذلك، فإذا كان يوم الريح لم يخرج أصلاً.

لحمه مع عين السرطان: يشد فى جلد الإبل على ذراع إنسان لا يغلبه النوم ما داوم معه.

● بوم:

طائر معروف لا يبرز بالنهار لضعف بصره ويحب الوحدة وتتشاءم الناس به، والحيات والأفاعى تهرب من صوته، وتصطاد السنانير الضعاف وتعادى الغراب، وهو ذليل بالنهار أما بالليل فلا يقدر عليه شىء من الطيور والطير تعرف ذلك منه. فإذا كان النهار تجتمع عليه الطير وتنتف ريشه ولهذا ينصب الصياد فى الشبكة البومة.

فصل فى خواص أجزائه:

يكتحل بمرارته تنفع من ظلمة العين، زعموا أن إحدى عينيه تنام والأخرى تسهر وسبيل معرفتها أن الراسبة فى الماء تنوم تجعل تحت وسادة من أردت فإنه لا يستيقظ ما دامت تحت وسادته، والطافية تسهر، فالتى تسهر تجعل تحت فص الخاتم من تختم به لا يغلبه النوم.

عيناه: تخلط بالمسك ويستصحبه فكل من شم رائحته يحبه محبة شديدة.

قلبه: يطعم صاحب القولنج واللقوة يزيلهما وليكن مشويًا.

مرارته: تخلط برماد خشب البلوط يأكله من فى مثانته حصاة يفتتها، وتخلط برماد خشب الطرفا يأكله صاحب البول فى الفراش يزول عنه ذلك.

كبده: سم قاتل يورث القولنج ولا دواء له والعياذ بالله.

لحمه: يورث الغثيان ويجفف ويجعل فى طعام ويطعم جماعة تقع بينهم الخصومة.

دمه: يلطخ به طريًا وجه الملوق يزول عنه ذلك.

قانصته: تعمل عمل كبده.

عظمه: يدخن به بين ندمان الشراب يعربد بعضهم على بعض. قالوا إنها تبيض بيضتين إحداهما منبتة للشعر والأخرى مزيلة، ومن أراد أن يعرف ذلك فليغسلها بالماء ويعصرها فالمنبتة تميل إلى السواد والمزيلة إلى الصفرة.

• تدرج:

طائر يقال له بالفارسية مدور يغرد فى البساتين بألحان طيبة يسمن عند صفاء الهواء وهبوب الشمال ويهزل عند كدورتها وهبوب الجنوب، ووقت البيض يتخذ دائرة من التراب اللين ويضع البيض فيها لئلا تتعرض له الآفات، وإذا كان وقت الزلزلة تجتمع التداريج وتصيح قبل ذلك بساعة ثم تقع الزلزلة، نعوذ بالله من ذلك.

• تبوط:

طائر يقال له بالفارسية كسوا تتخذ من لحا الأشجار شبه الليف وتتخذ منه كهيئة القفة ويفتل خيطًا تشد القفة به وتدليها من بعض الأغصان ثم تبيض فيها.

فصل فى خواص أجزائه:

يذبح بسكين من الشبة ويسقى لمن يعربد فى سكره فإنه يتأدب ولا يرجع إلى ذلك.

مرارته: تطعم للصبى بالسكر يحسن خلقه.

عظمه: يعلق على الصبى وقت زيادة نور القمر يبقى محبوبًا إلى الناس ولو كان كريه الملقى.

• حبارى:

طائر يقال له بالفارسية حور. قالوا: ما فى الطيور أشد بلهًا منها لأنها تترك بيضها وتحضن بيض غيرها. وفى المثل: كل شىء يحب ولده حتى الحبارى، وإذا وقع زرقه على شىء من الطيور يعمل عمل الدبق، والعرب تقول: الحبارى سلاحه لأنها إذا قصدها الصقر لا تزال تعلو وتنزل مع الصقر حتى تجد فرصة فترميه بزرقها فيبقى الصقر مقيدًا مثل المكتوف فعند ذلك تجتمع عليه الحبارات وتنتف ريشه وفى ذلك هلاك الصقر. والحبارى إذا حبس وحبس معه شىء من الطير ونتف ريش صاحبه قبله يموت كمدًا. ويقال فى المثل: مات كمدًا الحبارى.

فصل فى خواص أجزائه:

داخل قانصته: يجفف ويسحق مع الملح الأندرانى والخبز المحرق أجزاء سواء يزيل بياض العين اكتحالا. قال ابن سينا: بيض الحبارى خضاب جيد فيما يقال، فليجرب بصوفة بيضاء.

زبله: نافع للقوابى.

• حدأة:

طائر يقال له بالفارسية زعق وهو خسيس يغلبه أكثر الطيور. قيل إنه ذكر فى سنة وأنثى فى سنة، والغراب يسرق بيض الحدأة ويترك مكانه بيضه، فالحدأة تحضنها فإذا فرخت فالحدأة الذكر تعجب من ذلك ولا يزال يزعق ويضرب الأنثى حتى يقتلها وإذا مرض يأكل شيئًا من ريشها، وإذا رأت الحدأة شيئًا أحمر تحسبه لحمًا تسلبه. قال صاحب الفلاحة: الحدأة والعقاب يتبدلان فيصير العقاب حدأة والحدأة عقابًا.

فصل فى خواص أجزائه:

مرارته: إن جففت وسحقت وذرت فى جونة الحواء ماتت الحيات التى وقع عليها، ويكتحل بها من لدغته العقرب فى العين التى من جانب اللدغة ينفعه.

دمه: ينفع من السموم القاتلة شربًا.

عظمه: يحرق ويسحق ويضمد به الدماميل ينضجها، وكذلك الجراحات.

• حمام:

هو الطير المشهور الهادى إلى أوطانه من المسافة البعيدة، وهو أشد الطيور ذكاء فإذا أرسل من موضع بعيد يصعد نحو الهواء ويكون صعوده مدورًا كما أخذ المنارة فلا يزال يصعد وينظر حتى يرى شيئًا من علامات بلده فعند ذلك يهبط إليها فى أدنى زمان وربما تغيمت السماء فيصير الغيم حائلاً بينه وبين الأرض فيقع فى بلاد شاسعة أو يصيده شىء من الجوارح، وترى عجبًا بين زوج الحمام من الملاعبة والغنج مثل ما يجرى بين الناس من القبلة والمعانقة وغيرهما، ورأيت حمامة تسجد لذكرها حال طلبه وحمامة رأيتها لا تسجد إلا مع شدة الطلب ورأيت ذكرًا له أنثيان يحضن بيض هذه وهذه وأنثيين يتساحقان كسحاق النساء يبيضان أربع بيضات ولا يفقسان، ومن العجب أن الحمام الذكر يحس بما أودع رحم الأنثى فعند ذلك يهتم بعمل الأفحوصة فيتخذانها على قدر بدنهما، فإذا شخصا لتلك الأفحوصة جوفاها حتى يظهر فيها مقعد تبقى البيضة فيه مصونة، فإذا وضعته يتناوبان عليه الحضن بعدما سخنا موضعهما وأحدثا له رائحة أخرى

مستحدثة من طبيعة أبدانهما ويقلبان البيض فى أيام الحضن وساعاتها وأكثرها على الأنثى كالمرأة التى تتكفل بالحضانة، فإذا صارت فراخًا فأكثر الزق على الذكر كالرجل الذى يتكفل بالنفقة، وإذا خرج الفرخ نفخا فى حلقه، حتى يتسع ممر الغذاء لعلمهما بأن آلات ممر غذاء الفرخ لا تحتمل الطعام فيزقانه أولاً باللعاب المختلط بالطعام مكان اللبن ويعلمان أن حوصلته تحتاج إلى دبغ فيأكلان سوارح الحيطان. قالوا: من أراد لونًا من الحمام كأسود الرأس أو الذنب أو مثل ذلك فليتخذ حمامًا من الخرق على ذلك اللون ويتركها عند مسقى الحمام فإذا كان حمامة وقعت عينها عليها حالة التزاوج يأتى فرخها على ذلك اللون، وحمام البر إذا مرض يأكل الجراد يزول مرضه، والمتروك الذى يقال له اليمامة يأكل أطراف القصبة يزول مرضه. ومن ذكاء الحمام أن جوازلها إذا رأت النسر لا تخاف، وإذا رأت العقاب خافت، وكذلك تفرق بين الغراب والصقر وإذا رأت الشاهين رأت السم الناقع كما أن الشاة لا تفزع من الفيل والجاموس وتفزع من الذئب.

قال الجاحظ: الحمام أسرع طيرانًا من سباع الطير إلا أنه إذا رأى الجوارح يعتريه ما يعترى الشاة عند رؤية الذئب والفأرة إذا رأت السنور.

فصل فى خواص أجزائه:

عينه: من أكلها يصيبه الغشى.

مرارة الحمامة البيضاء: تزيل الغشاوة والظلمة من العين اكتحالاً.

دمه: يطلى به الكلف يقلعه.

دم الجوازل: يطلى به الجراحة يبرئها سريعًا، ويطلى به الموضع الذى أصابه صدمة أو ضربة تصلحه، ويزيل الزرقة من آثار الضربة والصدمة، وينفع من الغشاء اكتحالاً.

لحمه: من داوم على أكله يدفع عنه البلادة ويورث الذكاء.

عظمه: يحرق ويذر على الجراحة يلتئم شقها ويصلح بإذن الله تعالى.

زرقه: تحمله المرأة التى أضر بها الطلق يسهل ولادتها ويقلع الخشركشات والنار الفارسية إذا طلى به، وزرق الحمام الأحمر يفتح أثر البول ويفتت الحصاة والدمل ويطرح زرق الحمام فى أودية الحقنة يفتح القولنج.

رجل الحمام والإصطرك وحب النيل: أجزاء سواء يسحق وتخلط بدهن الجوز ويطلى به البرص يغير لونه.

● خطاف:

طائر لا يزال ينتقل من الضروب إلى الحروم ويتبع الربيع وإذا عرف استقبال الصيف

يأخذ فراخه ويمشى بها إلى الوكر الذى تركه فى البلد الآخر ولا يبقى منها واحد إلا رجع إلى وكره القديم. ويتخذ الوكر من الطين المخلوط بالشعر ليبقى بعضه على بعض ويقوى كطين الحكمة. ومن العجائب أن يعمل بعضه ويتركه حتى يجف ثم يعمل البعض الآخر فلو عملت البيت كله دفعة واحدة لتثاقلت وسقطت، وإذا أرادت اتخاذ الوكر عاونته الخطاطيف فإذا فرغت تأتى بالماء فى أفواهها وتسوى به باطن الوكر وتملسه وتزيل خشونته، وتضع السذاب فى أوكارها لدفع الحيات والبعوض والذباب، ومن المشهور أن عش الخطاف يحل فى الماء ويسقى صاحبة الطلق تضع بسهولة.

فصل فى خواص أجزائه:

ريش رأسه: يجعل تحت وسادة إنسان لا ينام ما دام تحت رأسه.

دماغه: ينفع من ظلمة العين اكتحالاً، ولو خلط بدهن ورد ودهن به الإنسان رأسه لا يتولد فيه القمل.

عينه: تشد فى خرقة وتعلق فى سرير، كل من نام عليه سهر.

قلبه: يجفف ويسحق ويسقى فى شىء من الأنبذة يعين على الجماع معاونة عظيمة.

لحمه: يحد البصر جدًا.

دمه: يسقى المرأة تذهب شهوتها بحيث لا تريد الرجال ألبتة.

زرقة: ينضج الدماميل إذا ضمدت به.

● خفاش:

طائر مشهور، بصره ضعيف يسوؤه شعاع الشمس لا يخرج إلا بين الضياء والظلام يشبه الفأر.

جناحه: جلدة رقيقة وله أسنان وللأنثى ثدى كما للفأر يرضع ولده، وإنما طالب بنو إسرائيل عيسى صلوات الله عليه بخلق الخفاش لأنه أتم الطير خلقة لأن له أذنين وأسنانًا وثديًا فاتخذ من الطين كما أخبر الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠] يقصد الذباب والبق والبعوض وأمثالها، وربما تأخذ ولدها فى فمها وتطير وترضع ولدها، وتأكل الرمان على الشجرة وتتركه قشرًا مجوّفًا وتهرب من ورق الدلب إذا ترك فى مكانها، وإذا علقت خفاشة فى شجرة من قرية جاوز الجراد عنها.

فصل فى خواص أجزائه:

رأسه: يترك فى برج الحمام يألف إليها، وإذا ترك تحت وسادة إنسان لا ينام.

دماغه: قال ابن سينا: ينفع من نزول الماء اكتحالاً.

قلبه: يعلق على من هاجت به شهوة الوقاع يسكن.

دمه: يزيل الغشاء اكتحالاً ويطلى به الإبط والعانة بعد النتف فإنه لا يرجع ينبت الشعر بعد ذلك.

زرقه: يزيل الظفرة وبياض العين اكتحالاً ويلقى فى جحر النمل تهرب كلها، ويطلى العضو الذى أريد إزالة شعره بماء الزرنيخ والنورة وزرق الخفاش فإنه لا ينبت إلا بعد مدة طويلة وإذا فعل ذلك مراراً لا ينبت ألبتة.

● دراج:

طير مبارك كثير النتاج محدب الظهر مبشر بالربيع، ويؤكل لحمها وتحسى مرقتها فإنها تزيد فى الباه وتقوى الشهوة، والمداومة على أكل لحمه يزيد فى الدماغ والفهم قاله ابن سينا، وهو القائل: بالشكر تدوم النعم. وصوته على وزن هذه الكلمات وتطيب نفسه فى الهواء الصافى وهبوب الشمال ويسوء حاله بهبوب الجنوب حتى لا يقدر على الطيران، وذكر الجاحظ أن الدراج من الطيور التى لا تسافد فى البيوت إنما تسافد فى البساتين. وذكر بعض البازدارية أنه أرسل بازًا على دراج فألقى الدراج نفسه على شوك كان هناك وأخذ من الشوك أصلين فى رجليه واستلقى على قفاه وتستر بذلك عن الباز فعجز الباز عنه، قال ابن سينا: يزيد فى مادة المنى.

● ديك:

أكثر الطيور شهوة وعجبًا بنفسه يبشر بطلوع الفجر، ومن العجائب معرفته ساعات الليل فإن الليل إذا كان خمس عشرة ساعة يقسط أصواته عليها كما كان يقسطها والليل تسع ساعات وذلك بإلهام من الله تعالى. وزعموا أن من أيقظه الديك فقام لا يبقى معه شىء من ثقل النوم، والأسد يهرب من الديك الأبيض والمهارش خيرها وعلامة ذلك حمرة العرف وغلظ الرقبة وضيق العين وسوادها وحدة المخالب ورفع الصوت. والديك يحب الدجاج محبة شديدة يؤثر الدجاج على نفسه وربما يأخذ الحب بمنقاره ويرميه إلى الدجاجة ويهارش عليها وهذا كله فى زمن شبابه وكثره نشاطه، وأما إذا هرم فتكون همته مقتصرة على نفسه وإذا جاء للدجاج عدو دفعه الديك عن الدجاج، وبالليل يجتمع الدجاج فى موضع حريز ويقف الديك على بابه يحرسها، والديك يبيض بيضة فى عمره صغيرة تسمى بيضة العقد، وزعموا أن من ذبح الديك الأبيض الأفرق ينكب فى ماله وأهله وأن الشيطان لا يدخل بيتًا فيه ديك أبيض أفرق.

فصل فى خواص أجزائه:

عرفه: يجفف ويسحق ويسقى من يبول فى فراشه يزول عنه ذلك، وعرف الديك الأبيض أو الأحمر يبخر به المجنون ينفعه نفعًا بينًا.

مرارته: تنفع من الغشاوة وظلمة البصر اكتحالاً. قال: بليناس: مرارة الديك الأبيض تخلط بمرق صاف وتؤكل على الريق تذهب النسيان ويذكر ما كان نسيه. وقال بعضهم: مرارة الديك تجعل فى إناء من فضة ويداوم على الاكتحال بها فإنه يزيل بياض العين.

عظم جناحه: يشد على صاحب الحمى الورد تذهب عنه، ويشده الفارس على وسطه لا يتعب فى السوق.

دمه: ينفع من بياض العين اكتحالاً ويخلط دمه بالعسل ويعرض على النار فإنه يقوى الباه واللذة طلاء على القضيب ودمه الذى يخرج من المهارشة إن جعل فى طعام وأكله قوم يقع بينهم الخصومة.

لحمه: يأكله العقاب على جوعه يسقط، ويؤخذ من لحم الديك ويجفف ويسحق مع العفص والسماق بالسوية ويتخذ حبوبًا على مثال الحمص ويسقى المبطون يبرأ فى الحال، ويوجد فى بطن الديك أحجار منها على لون السماء ومنها على لون البلور فإذا علق منها على المجنون يبرأ ويعلق على غير المجنون تزيد شهوته، خصية الديك تعلق على الديك المهارش لا يغلبه ديك فى المهارشة.

• دجاجة:

أعجب ما فيها أنها إذا تشبهت بالديك فى الصياح والمهارشة ينبت لها شوكة كشوكة الديك وربما باضت من لعبها فى التراب ومن الريح الجنوب من غير ركوب الديك لكن لا تفرخ تلك البيضة ويطيب طعمها، وإذا حصل فى ظهرها بيض كثير من هذا السبب وركبها الديك ولو مرة واحدة صلحت كلها، .وإذا حضنت الدجاجة وسمعت صوت الرعد يفسد بيضها وكذلك عند هبوب ريح الجنوب يكون فسادها أقوى، والدجاجة إذا سمنت لا تبيض؛ قال الجاحظ: إذا كبرت الدجاجة قل بيضها كما ترى من أمر النخل إذا تزاحمت لا تحمل.

فصل فى خواص أجزائه:

تطبخ الدجاجة البيضاء بعشر بصلات وكف سمسم مقشر حتى تتهرى ويؤكل لحمها ويحتسى مرقها فإنه يزيد فى الباه ويقوى الشهوة، والمداومة على أكل لحم الدجاج يورث البواسير والنقرس.

شحمه: يتخذ طلاء يذهب الكلف الأحمر من الوجه، وينفع من الشقاق فى القدم العارض من البرد.

ومرارتها: تمنع من نزول الماء اكتحالاً.

قانصتها: قال بليناس: تشوى وتطعم من يبول فى الفراش يذهب عنه ذلك.

بيضها: يؤخذ منه ثلاث حبات وينقع فى خل ثلاثة أيام ثم يترك فى الشمس ليجفف ويطلى به البهق يذهب به، والنيمرشت يعمل فى تكثير مادة المنى وزيادة الشهوة فعلاً عجيبًا، والبيض يترك فى وسط التبن فى الشتاء، وفى الصيف فى النخالة يبقى زمانًا طويلاً لا يفسد.

دهن البيض: يطلى به النقرس فيسكن وجعه.

زرقها: ينفع من القولنج إذا شرب بخل أو نبيذ وكذلك ينفع صاحب الحصاة. قال بليناس: زرق دجاجة سوداء يلصق على باب قوم يقع بينهم شر وخصومة.

• رخمة:

طائر يشبه النسر فى خلقته يختار لبيضه أطراف الجبال الشاهقة ليصعب الوصول إليه. يقال: أعز من بيض الأنوق، فإذا حان أوان بيضها ذهبت إلى الهند وأتت بحجر يقال له: أبو طفيون وهو حجر مدور مثل الخرزة إذا حرقته يقرقع فى جوفه حجر آخر ويترك ذلك الحجر تحتها فتبيض من غير وجع. ويطير خلف العساكر ليأكل من جيف القتلى، ويتبع الحاج أيضًا لطمعه فى خرء الدواب: ويتبع النعم أيضًا زمان وضعها أو حملها طمعًا فى الجنين المجهض.

فصل فى خواص أجزائه:

مرارته: تقطر فى الأذن مع الزيت يزول طرشها، ويكتحل بمرارتها وحدها لبياض العين.

دمه: يسقى من به حمى الربع تذهب عنه، وإن خلط بدهن زنبق ومسح به الوجه يكون مقبولاً عند السلاطين.

عظم جناحها اليمنى: يحرق ويسقى إنسانًا يحب من فعل ذلك حبًا شديدًا.

وعظم جناحها اليسرى: يفعل مثل ذلك فى البغضة.

زرقها: إن احتملته المرأة ألقت جنينها.

• زاغ:

هو الغراب الكبير. قالوا: إنه يعيش أكثر من ألف سنة. قال الجاحظ: سائر الطيور

تطرد أولادها ولا تعرفها إلا الغراب فإنها لا تبرح تتفقد أولادها. والغراب نفسه يحرق ويسحق بالزيت وتطلى به الموضع الذى تريد أن ينبت فيه الشعر ينبت.

فصل فى خواص أجزائه:

لسانه: يجفف ويأكله العطشان يزول عطشه ولو فى وسط تموز.

قلبه: يجفف ويسحق ويذاب بالماء ويشربه الإنسان لا يعطش فى سفره، فإن الغراب لا يشرب الماء فى تموز. وقال بعضهم: لو أخذه الإنسان معه زال عطشه.

ومرارته: تخلط بمرارة الديك ويكتحل بها تذهب ظلمة العين، ويسودّ الشعر إذا طلى به سوادًا عجيبًا.

شحمه وحوصلته: تمنع من نزول الماء أكلاً عند مباديه. قال بليناس: إذا أخذت شحم الغراب مع دهن الورد ودهنت به وجهك ودخلت على السلطان قضى حوائجك.

دمه: يجفف ويذر على البواسير يصلحها.

بيضها: إذا شربه من سقى الزرنيخ أو النورة يدفع غائلتها، وإذا أكلها إنسان ثم استعمل الزرنيخ أو النورة لا يزول شعره، ولو سقيه إنسان فى النبيذ لا يرجع يشربها.

دمه: يجفف ويذر على البواسير يقلعها وينفعها ويصلحها.

زرقه: يخلط بالخل ويطلى به موضع طحال المطحول ينفعه: ويضمد به حلق صاحب البحة يزيلها.

• زرزور:

طائر يقال له بالفارسية «سار» يتبع الربيع وطيب الهواء ويأتينا من بلاد الهند ويقع منها فى البحر شىء كثير تذهب الأمواج بها إلى السواحل وسكان السواحل تجمعها وتحرقها مكان الحطب. قال أبقراط: يؤخذ من فراخ الزرزور وتطلى بالزعفران وتترك مكانها فإذا رجعت إليها أمهاتها تحسبها أنها مريضة فتأتى بحصى أصفر اللون لمعالجتها فتسحق تلك الحصاة وتعطى صاحب اليرقان يبرأ فى الحال.

لحمه: يزيد فى ضوء البصر أكلاً، ويجفف ويسحق ويسقى صاحب الخناق على الريق ينفتح فى الحال.

رماده: يذر على الجراحات يصلحها. قال ابن سينا: زرق الزرزور المعتلف بالأرز نافع من القوابى.

• زمج:

طائر يقال له بالفارسية زمك.

مرارته: تجعل فى الأكحال تنفع من غشاوة العين وظلمة البصر، وذكر أنه مجرب، والله أعلم.

● سمانى:

طائر صغير وهو السلوى الذى كان ينزل على بنى إسرائيل فى التيه، ومن عجيب شأنه أنه يسكت طول الليل زمن الشتاء فإذا أقبل الربيع يصيح مع انبلاج الصبح، يغتذى بالبيش، والبيش سم قاتل.

● سقر:

طائر من جوارح الطير فى حجم الشاهين إلا أن رجليه غليظتان جدًا ولا يعيش إلا بالبلاد الباردة ويوجد ببلاد الترك، إذا أرسل إلى الصيد أشرف عليها ويطير حولها على شكل دائرة فإذا رجع إلى المكان الذى ابتدأ منه يبقى الطير جميعًا فى وسط الدائرة لا يخرج منها واحد ولو كانت ألفا، والجارح يقف عليها وينزل يسيرًا يسيرًا وينزل الطير بنزوله حتى يلتصق بالتراب فيأخذها البازدارية فلا يفلت منها شىء أصلاً.

● شاهين:

طير من جوارح الطير عدو الحمام إذا رآه الحمام يعتريه ما يعترى الشاة من الذئب، والفأر من الهرة، والحمام أسرع طيرانًا منه إلا أنه إذا رآه يضعف عن الطيران خوفًا، وإذا رأته السلحفاة تقنع وتعطيه ظهرها ولا يعمل منقار الشاهين فيها فيحملها الشاهين ويصعد بها نحو السماء ويرميها على حجر صلد لتنكسر فيأكلها، وإذا مرض الشاهين أكل الدراريج يزول مرضه.

● شفنين:

طائر معروف لا يزاوج إلا أنثاه فإن هلكت لا يزاوج غيرها وكذلك الأنثى قاله الجاحظ.

شحمه: يذاب بالشيرج ويقطر فى الأذن يذهب طرشها. وإذا اكتحل به يذهب الرمد وجراحات العين والغشا.

زرقه: يسحق ويذاب بدهن الورد وتحتمله المرأة على صوفة ينفعها من أوجاع الرحم.

● شقراق:

طائر يقال له بالفارسية كاسكينة أخضر اللون أحمر المنقار وقد يكون أصفر عدو النحل يأكل منها ويقتل ما لا يأكله.

مرارته: ذكر صاحب المثل أن الذهب إذا كان ناقص العيار يذاب ويفرغ فى مرارة

الشقراق فإنه يحمر ويزيد عياره كما لو فرغت فى مرارة الثعلب ينقص عياره ويظهر نقصانه.

• صاف:

طائر لا ينام شيئًا من الليل أصلاً، فإذا أظلم الليل يتدلى من شجرة ويقبض على شيء من أعوادها برجليه متنكسًا ولا يزال يصيح حتى يشرق الصبح، قالوا إنه يخاف من وقوع السماء عليه.

• صقر:

هو الجارح المعروف الذى يقال له بالفارسية جزع، وصيده أعجب من جميع الجوارح وهو أنه إذا أرسل الصقران إلى ظبية نزل أحدهما على رأسه ويضرب عينيه بجناحه ثم يعلو وينزل الآخر ويفعل مثل ذلك هكذا يشغلانه عن المشى حتى يدركه من يبطش به، ومن العجب أن الصقر مع صغر جثته يثب على الكركى مع ضخامته ويغلبه وذلك لشجاعته التى خلقها الله تعالى فيه فلم يعبأ بعظم جثة الكركى لضعفه عنه مع زيادة قوته وجثته.

• طاوس:

أحسن الطيور جمالاً وحسنًا وأروقها لونًا ولله تعالى فى خلقه حكمته فى اختلاف ألوانها فترى فى وسط كل ريشة دائرة من الذهب مختلطة بالزرقة والخضرة وغيرهما من الألوان التى يلائم بعضها بعضًا، ينشأ من تركيبها زيادة حسن فإن الذهب إذا جعلته على الحمرة أو الصفرة أو البياض لا تجد مثل حسنها على الزرقة والخضرة والكحلية، فانظر إلى قدرة الصانع كيف خلق فى بيضة تلك النقوش العجيبة والألوان الحسنة، ثم إن الذهب الذى يولدها فى الحجر لا يخرج إلا بالحيلة الشديدة ولا يصلح للتزويق إلا بعد أن يعمل عليها صناع كثيرة مختلفو الصناعات، وكيف خلق الله فى البيضة خاصية يتبين منها لون الذهب فسبحانه ما أعظم شأنه وأوضح برهانه. قالوا: عمر الطاوس خمس وعشرون سنة وفى هذه المدة يتلون بألوان كثيرة وفى كل سنة يلقى بريشه وقت الخريف وإذا بدت الأشجار بالأوراق يكتسى الطاوس أيضًا بريشه. قال ابن سينا: من أراد أن يظفر بإبعاد الهوام يقتنى طاوسًا فى مكانه.

فصل فى خواص أجزائه:

مخه: بالسذاب والعسل ينفع من القولنج وأوجاع المعدة.

دمه: من سقى منه يجن.

مرارته: يشرب منها وزن دانق بالسكنجبين نافع للمبطون ويذهب بثقل اللسان.
لحمه: يزيد فى الباه وينفع من وجع الركبتين.
شحمه: يطلى به العضو المبرود يصلحه.
عظمه: من أخذ معه يأمن من العين السوء.
مخلبه: يشد على فخذ صاحبة الطلق تضع فى الحال وكذلك لو دخن تحت ذيلها.

• طهوج:

لحمه يعقد البطن ويزيد فى الباه.

• عصفور:

قالوا: الطير ضربان: أحدهما بهائم الطيور وهى التى تلقط الحب الآخر. وسباع الطيور وهى التى تتغذى باللحم، والعصفور يشبههما جميعًا لأنه ليس بذى مخلب ويلقط الحب وكذلك يأكل اللحم ويصطاد الجراد والصرصر، ويتخذ وكره فى العمران تحت السقوف خوفًا من الجوارح ولو خلت مدينة عن أهلها ذهب العصافير عنها فإن عاد أهلها عادت، وبينها وبين الحية عداوة إذا قصدت الحية وكرها اجتمعت العصافير ورفعت شقاشقها ولا تبقى عصفورة سمعت صاحبتها إلا جاءت إليها وصاحت معها وربما تقرض الحية بمنقارها فتجرحها فيجتمع النمل عليها فتكون سببًا لهلاك الحية، وإذا نهقت الحمير فسد بيض العصافير، وليس شيء من الحيوان أكثر سفادًا من العصفور، فلهذا قالوا عمره قصير.

فصل فى خواص أجزائه:

دمه: يخلط بدقيق العدس ويتخذ بنادق ويطلى به القضيب ولا يضع قدمه على الأرض فإنه يرى شيئًا عجيبًا من إفراط اللذة وكثرة الشهوة.

لحمه: يهيج الباه ويكثر الرياح.

بيضها: من يتحسى به يكثر جماعه، ويدفن تحت الزبل ثلاثة أيام ثم يخرجه ويطلى به الناصور ينفعه نفعًا بينًا.

زرقه: يكتحل به يزيل الغشاوة، وإن شربه الإنسان فى النبيذ يخر كالميت.

• عقاب:

من صغار جوارح الطير يصيد الطير كالأرنب والثعلب ويأكل من كل حيوان كبده لأن الكبد ينفعه من أمراضه. قال الجاحظ: لمخلب العقاب خاصية فى تقطيع الذئب فينقض على الذئب فيقده نصفين، ويتبع العساكر لطمعه من لحوم القتلى. قال أصحاب

القنص: إن العقاب لا يروع الصيد ولا يعانى ذلك بل يكون على المرقب الأعلى فإذا رأى شيئًا من الجوارح قنص صيدًا انقض عليه فالجارح ينجو بنفسه ويترك الصيد للعقاب ولا يفرخ إلا بيضتين والزيادة يرميها لأنها أكولة لا يتفرغ للأولاد الكثيرة لقساوة قلبها وسوء خلقها، وإذا هرمت وعجزت عن الطيران تراعيها أفراخها وإذا أظلم ضوء عينها من الهرم تصعد نحو الهواء إلى أن يخرق بريشها. ثم تنزل وتغوص فى شىء من عيون الماء فيذهب هرمها وتعود إليها قوتها، وهو طويل العمر بعيد التسافر يتغذى بالعراق ويتعشى باليمن، والعرب تقول: فلان أحزم من فرخ العقاب، لأن العقاب، وسائر فراخ الطير تتخذ أوكارها فى عروض الجبل وربما كان الجبل أملس بحيث لو تحرك الفرخ من مجثمه لهوى من رأس الجبل إلى حضيضه، والفرخ يعرف ذلك مع صغره وقلة تجربته لا يتحرك أصلاً ولو وضع شىء من أفراخ الأهلية كالدجاج والحجل والقطا فى أوكار الوحشيات لتهافت فى الحال وسقط عنها، وأعجب من هذا أن الفرخ لا يطير حتى تستوى قصبة ريشه فسبحان من ألهم كل حيوان مصالح نفسه ومفاسده.

فصل فى خواص أجزائه:

مرارته: تنفع من ظلمة العين اكتحالاً ويطلى به ثدى النساء اللاتى انعقد اللبن فى ثديهن فإن ألمها يسكن فى الحال ويفتحها ويكثر لبنها.

دمه: يجفف ويخلط بالإهليلج الأصفر مسحوقًا ويكتحل به ينفع من جرب العين ولو طلى به من خارج كان أيضًا نافعًا.

شحمه: يذاب بالزيت ويطلى به رجل المنقرس يزول ألمها وكذلك وجع المفاصل، وشحمه أيضًا يخلط بالصبر والعسل ويجعل على الناصور مرتين وثلاثًا يصلحه.

• عقعق:

طائر معروف كثير الخيانة يسلب الأشياء النفيسة من الحلى والجواهر ويرميها موضعًا آخر ولا يتخذ العش إلا فى ظلمة أو تحت سقف، ويأتى بورق الدلب يتركه فى عشه كيلا يقصد الخفاش بيضه وكثيرًا ما تنسى عشها وأفراخها فما لها ذكاء كما لغيرها من الطيور.

فصل فى خواص أجزائه:

دماغه: يخلط بالغالية ويسعط بها صاحب اللقوة والفالج يذهب ما به من الأذى.

دمه: يجفف ويخلط بماء الورد ويسقى إنسانًا يبقى ثرثارًا مكثارًا، وطريه: يطلى به الموضع الذى فيه نصل أو شوكة يخرجها بسهولة.

شحمه: يطعم لصبى بالسكر يكون فصيحًا حافظًا.

ريشه: يحرق ويذر فى جحر النمل تهرب كلها بحيث لا يبقى منها شىء.

مخ رأسها: يكتحل به بعد الخروج من الحمام مرتين أو ثلاثة يزيل بياض العين بالكلية.

• عنقاء:

أعظم الطيور جثة وأكبرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفأر. كان فى قديم الزمان يختطف من بيوت الناس فتأذوا منه من جناياته إلى أن سلب يومًا عروسًا مجلوة فدعا عليه حنظلة النبى ﷺ فذهب الله به إلى بعض جزائر البحر المحيط تحت خط الاستواء وهى جزيرة لا يصل إليها الناس وفيها حيوانات كثيرة كالفيل والكركند والجاموس والنمر والسباع وجوارح الطير، والعنقاء لا تصيد منها لأنهم تحت طاعتها وإذا أتى بشىء من الصيد يأكل منه والباقى تأكل منه الحيوانات التى تحت طاعتها ولا تصيد إلا فيلاً أو سمكًا عظيمًا أو تنينًا فإذا فرغ منه يخلى البقية لها ويصعد إلى موضعه ويتفرج على أكلها، وعند طيرانه يسمع من ريشه صوت كهجوم السيل أو صوت الأشجار عند هبوب الريح.

وحُكى عن بعض التجار قال: ضللنا الطريق فى البحر المحيط وتحيرنا فإذا نحن بسواد عظيم كغيم مظلم فذكر الملاحون أنه العنقاء فتبعناه حتى دخلنا تحت ذلك السواد ثم فتحنا اللسان بالدعاء فلا يزال يمشى بنا حتى وجدنا الطريق ثم غاب عنا، وذكروا أن عمر العنقاء ألف وسبعمائة سنة ويتزاوج إذا أتى عليه خمسمائة سنة، فإذا حان وقت بيضها يظهر بها ألم شديد فيأتى الذكر بماء البحر فى منقاره ويحقنها به فتخرج البيضة عنها فيحضن الذكر والأنثى تمشى وتصيد ويفرخ البيض بمائة وخمس وعشرين سنة، فإذا كبر الفرخ فإن كان أنثى فالعنقاء الأنثى تجمع حطبًا كثيرًا والذكر يوقد بمنقاره نارًا ويضرم ذلك الحطب والأنثى تدخل تلك النار وتحترق والفرخ يبقى زوج الذكر، وإن كان الفرخ ذكرًا فالعنقاء الذكر يفعل مثل ذلك ويبقى الفرخ زوج الأنثى، وقد ذكروا فى العنقاء أقوالاً عجيبة أعجب مما ذكرنا لكنها لم تكن مستندة إلى قائل يعتمد فاعتمدنا على هذا القدر.

• غراب:

طائر كثير الأسفار بعيد التطواف أول ما يطير يسرع فى الطيران بعد انبلاج الفجر يحب الجوز يجمع منه كثيرًا فيدفن للذخيرة ويجتمع على كل الحيوانات الكبار بالبادية

كالجمل والفرس وكذا الآدمى ويقصد قلع عينها ولا يمتنع بالدفع والضرب لشدة جوعه وينقر ظهر السلحفاء فيأكلها والبعير إذا عقر وحدث فى ظهره لحم ميت فلا بد من أخذ اللحم الميت من ظهره فيرسلونه إلى الصحراء ليجتمع عليه الغربان وتقلع اللحم الميت من ظهره، وإذا تفرخ بيضها يكون الفرخ أبيض بلا ريش فتفزع الأم منه وتتركه فيبعث الله تعالى إليه ذبابًا كثيرًا فيأكل الفرخ منها حتى ينبت ريشه ويسود. قال مكحول: من دعاء داود النبى عليه الصلاة والسلام: يا رازق الغراب فى عشه. والفرخ إذا اسود عادت إليه أمه وحينئذ تغيب عنه الذباب والبق. قال خلف الأحمر: رأيت فرخ الغراب فلم أر صورة أقبح منه ولا أقذر ولا أنتن، رأيت رأسًا كبيرًا ومنقارًا طويلاً وذلك مع صغر البدن وقصر الجناح وهو أمرط منتن الريح، والغراب إذا مرض يأكل رجيع الإنسان يهدأ، ومن الغربان من يأتى بألفاظ فصيحة أفصح من الببغاء.

فصل فى خواص أجزائه:

قال بليناس: الغراب يجفف ويسحق ويسقى الإنسان لا يعطش ولو فى تموز.

مرارته: تسقى لإنسان فى النبيذ يسكر بالقدح الواحد.

طحاله: إذا علق على إنسان هاج به العشق، رأس الأبقع ينضج ويأكله من به صداع عتيق يزول عنه.

دمه: يخلط بشىء من النورة ويطرح فى النبيذ ويشربها إنسان يبغضها ولا يرجع إليها.

زرقه: يلف فى شىء من العهن ويدفع إلى صاحب السعال ينقطع سعاله.

• غرنيق:

طائر من طيور الماء. قال صاحب المنطق: إن الغرنيق من الطيور القواطع وإنها إذا أحست بتغير الزمان عزمت على الرجوع إلى بلادها فعند ذلك تتخذ قائدًا أو حارسًا ثم تنهض معًا فإذا طارت ترتفع فى الهواء جدًا كيلا يعرض لها شىء من سباع الطير، وإذا رأت غيمًا أو غشيها الليل أو سقطت للطعم أمسكت عن الصياح كيلا يحس بها العدو، وإذا أرادت النوم أدخل كل واحد رأسه تحت جناحه لعلمها أن الجناح حمل للصدمة من الرأس لما فيه من العين التى هى أشرف الأعضاء والدماغ الذى هو ملاك البدن ونام كل واحد منهما قائمًا على إحدى رجليه حتى لا يكون نومها ثقيلاً. وأما قائدها وحارسها فلا ينام شيئًا ولا يدخل رأسه تحت جناحه ولا يزال ينظر من جميع الجوانب فإن أحس بأحد صاح بأعلى صوته وأخبر أصحابه بالعدو. وأما زرقه فيسحق بالماء ويقتل فتائل

ويجعل فتلة فى الأنف ينفع من كل قرحة تكون فى الخيشوم.

• غواص:

طائر يقال له بالفارسية ماهى خوار يوجد بالبصرة على طرف الأنهار يغوص فى الماء معكوسًا بقوة شديدة ويلبث تحت الماء إلى أن يرى شيئًا من السمك فيأخذه ويصعد به والعجب للبثه تحت الماء والماء لا يغلبه مع خفة بدنه.

وحكى بعضهم قال: رأيت غواصًا غاص وطلع بسمكة فغلبه الغراب وأخذ الغراب السمكة منه فغاص مرة أخرى وطلع بسمكة وقربها من الغراب فأخذ الغراب السمكة واشتغل بها فوثب الغواص وأخذ برجل الغراب وغاص به ووقف به تحت الماء حتى أغرق الغراب وخرج سالمًا. قالوا: دمه يجفف ويسحق مع شعر الإنسان فإنه لا يصبر عن مطلوبه وكذلك عظمه يفعل به مثل هذا.

• فاختة:

طائر معروف يتبرك به الناس، زعموا أن الحيات تهرب من صوته.

وحُكى أن الحيات استولت على أرض فكثرت حياتها فشكوا إلى بعض الحكماء فأمرهم بنقل الفواخت إليهم ففعلوا ذلك فانقطعت الحيات عنهم.

دمه: مع دم الحمام والزفت والقطران أجزاء سواء يتخذ دخنة لا ينام من شمه البتة.

• قبج:

طائر يقال له بالفارسية كبك يسكن الجبال إذا قصده الصياد يخبئ رأسه تحت الثلج ويحسب أن الصياد لا يراه كما أنه لا يرى الصياد، ذكورها شديدة الغيرة على إناثها فإذا اجتمع ذكران على أنثى تهارشا فإذا انهزم أحدهما يتبع الأنثى الآخر الغالب، ومن أعجب أمرها أن الذكر إذا صاح وحمل الهواء صوته إلى الأنثى يتولد البيض منه كما أن النخلة إذا حملت الريح إلى رائحة الذكر تحمل من رائحة كافور الفحال إذا كانت تحت الريح، وتبيض خمس عشرة بيضة وتجعلها فى موضعين أحدهما للذكر والآخر للأنثى وكلاهما يحضنان، وإذا قصده الصياد يريه كأنه ضعيف عن الطيران ويشتغل به عن فراخه فإذا طارت الفراخ يطير القبج أيضًا ويرجع الصياد خائبًا منه، والقبج من الطيور التى لا تسافد إلا فى الجبال ويترك فى عشه رؤوس القصب لدفع الأعداء، ويحب الغناء والأصوات الطيبة وربما وقعت حتمًا عند سماعها ذلك شوقًا فيأخذها الصياد.

فصل فى خواص أجزائه:

مرارته: من يسعط بها فى كل هلال يجود ذهنه ويحد بصره وإذا اكتحل بها تنفع من

ابتداء نزول الماء

كبده: يشوى ويطعم للصبى يأمن من الصرع

دمه: يكتحل به يأمن من جراحات العين والغشى.

لحمه: ينفع من الاستسقاء ويزيد فى الباه.

• قنبرة:

طائر معروف يقال له بالفارسية جلودا، ويحب الأصواب المطربة والنغمات اللذيذة على رأسه قنزعة شبيهة بما للطاوس وهو شديد الاحتياط إذا وقع على شىء لا يزال ينظر يمينًا وشمالاً ووراء ومع ذلك هى كثيرة الوقوع فى الفخ، تتخذ عشا عجيبًا يعمد إلى ثلاثة أعواد على شجرة على شكل سفنجة معكوسة ويأتى بنوع من الحشيش فى غاية اللطافة وينسج من تلك الأعواد سليلة لطيفة عجيبة التأليف لا يقدر البشر أن يأتى بمثلها ثم تضع بيضها فيها والسليلة تكون مستترة بأوراق الشجر حتى لا يراها الجوارح

لحمها: يؤكل مشويًا ينفع من القولنج نفعًا بينًا.

• قطا:

طائر معروف يتيمن بصوته. يقال: فلان أصدق من القطا تبيض فى البرارى وتغيب عنها أيامًا وتعود إليها. يقال: فلان أهدى من القطا ولا ينام الليل ويأتى الجادة ليكون عنده من المارين خير، ولها أفحوصة عجيبة فى وسط الحشيش مثل بها النبى ﷺ فى وهنها حيث قال: «من بنى لله مسجدًا ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتًا فى الجنة»

فصل فى خواص أجزائه:

دمه: يطلى به البدن ينفع من داء الثعلب

لحمه: ينفع من الاستسقاء وسدة الكبد

عظمه: يحرق ويخلط بالزيت ويطلى به الموضع الذى أريد نبات الشعر عليه ينبت شعرًا كثيرًا.

أحشاؤه: يطلى به العظم المنخلع يرجع إلى مكانه

ومرارته: يكتحل بها تنفع من جراحات العين والغشاء.

• قمرى:

طائر مشهور يتغنى بصوته. ذكروا أن إناث القمارى إذا مات زوجها لا تزاوج غيره وتنوح عليه إلى أن تموت، ومن العجب أن بيض القمارى يجعل تحت الفواخت وبيض الفواخت تحت القمارى كلاهما يفقسان قمارى كافورية مطوقة، وذكروا أن الهوام تهرب

من صوت القمارى، والله الموفق.

• فوقيس:

طائر بأرض الهند قال صاحب «تحفة الغرائب» عند التزاوج يجمع حطبًا كثيرًا للعش ولا يزال الذكر يحك منقار الأنثى حتى تتأجج النار من حكهما فى ذلك الحطب وتشتعل ويحرقان منها فإذا سقط المطر على رمادها يتولد منه الدود ثم ينبت جناحها ويصير طيرًا كالأصل وتفعل فعل الأصل.

• كركى:

طائر معروف يقال له بالفارسية كنك له اجتماع فى الطيران لا يفارق بعضها بعضًا، وله مقدم تتبعه الجماعة وذلك بالنوبة، ولها حراس بالليل تدور حول الكركى فإذا أحس بعدو زعق ونبه أصحابه والحراسة أيضًا بالنوبة فإذا انتهت نوبته يقيم غيره مكانه، والحارس يقوم على إحدى رجليه حتى لا يغلبه النوم. قال الجاحظ: لا يضع رجليه مخافة أن تخسف به الأرض، وإذا مشى على وجه الأرض يمشى رويدًا خائفًا.

فصل فى خواص أجزائه:

عينه: تسحق ويكتحل بها الإنسان لا ينام

مرارته: تنفع اكتحالاً من نزول الماء

لحمه مع شحمه: يطبخان جميعًا ويقطر فرقهما فى أذن من به طرش ينفعه

مخه: يذاب بخل العنصل ويسقى به وجع الطحال فى الحمام ينفعه

قانصته: تجفف وتسحق ويسقى درهمان منها لمن به وجع الكليتين والمثانة بماء الحمص ينفعه.

• كروان:

شحمه ولحمه يحرك شهوة الباه تحريكًا شديدًا.

• اللقلق:

طائر معروف يأكل الحيات لا يزال يتبع الربيع، وله وكران أحدهما بالحروم والآخر بالصروذ ويتحول من أحدهما إلى الآخر، ولا يأخذ الوكر إلا فى مكان عال كمنارة أو شجرة فيأتى بالأعواد والحشيش ويركب بعضها فى بعض تركيبًا عجيبًا كالبناء فإذا أراد الإنسان أن يخربها بالمعول يصعب عليه. قال ابن سينا: من ذكاء هذا الطير أنه إذا أحس بتغير الهواء وقت حدوث الوباء تترك عشها فى أوائل التغير وتهرب من تلك الديار وربما تركت بيضها أيضًا؛ وقال أيضًا: بيض اللقلق خضاب جيد.

● مالك الحزين:

طائر طويل الرقبة والرجلين يقال له بالفارسية لو هماز. وقال الحافظ من عجائب الدنيا أمر مالك الحزين فإنه لا يزال يقعد بسوق المياه وإذا انحرقت يحزن عليها ولا يشرب خوفًا أن تقل فيعطش فيموت عطشًا.

● مكاء:

طائر من طيور البادية يتخذ أفحوصه عجيلة من العوسج ويبيض فيها، ورأى بعض الأعراب مكاء بالشام سائرًا فحن إلى وطنه وقال: فدى لك يا مكاء ما لك ههنا عمارة أفحوص فكيف تبيض مكاء، وبينها وبين الحية معاداة لأن الحية تأكل بيضها وفراخها وحدث هشام بن سالم أن حية أكلت بيض مكاء فجعل المكاء يشرشر على رأسها ويدنو منها حتى إذا فتحت فاها وهمت تريده رخمة ألقت فى فيها حسكة فأخذت بحلق الحية وماتت.

● نسر:

هو سيد الطيور وله قوة على الطيران حتى قيل إنه يقطع من المشرق إلى المغرب فى يوم واحد، وجثته عظيمة حتى قيل إنه يحمل أولاد الأفيلة، وله قوة حارة حتى قيل إنه يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ فإذا سقط تباعد الطير هيبة له حتى يفرغ من الأكل قيل إنه لا يأكل حتى يضعف فى الحركة، حتى لو أن أضعف الناس إذا أراد مسكه فى هذه الحالة مسكه، وإذا باض أتى بورق الدلب كما فى الأصل، وهو لا يحضن البيض وإنما يبيض فى الأماكن العالية ويلقيه فى الشمس فتكون حرارتها بمنزلة الحضن ومن طبعه أنه لو شم رائحة الطيب مات لوقته، وعنده الحزن على فراق إلفه حتى قيل إنه ليموت أسفًا وكمدًا، ويقال للأنثى منه أم قشعم، وفى الحديث «أتانى جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن لكل شىء سيدا وآدم سيد البشر وسيد ولده أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبشة بلال وسيد الطير النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الأيام الجمعة وسيد الكلام العربى القرآن وسيد القرآن سورة البقرة» والنسر: طائر يقال له بالفارسية كركس يأكل الجيف حتى لا يقدر على الطيران. قالوا: يعيش ألف سنة، وأكثر ما يأتى بورق الدلب يتركه فى عشه لئلا يأكل الخفاش بيضها. قال جالينوس: قولوا لنا: من علم النسر إذا خاف على بيضها من الخفاش يفرش عشه بورق الدلب حتى لا يقربه الخفاش؟ وهذا شىء يعرفه أكثر الأطباء. وإذا حان أوان بيضها فالنسر الذكر يمشى إلى بلاد الهند ويأتى بحجر يوجد فى بعض جبال

فى الهند ويتركه تحت الأنثى ليخف عليها الألم، وإذا مرض يأكل من لحم الناس، وإذا أظلم ضوء عينيه يمسحهما بمرارة الناس، ولا طاقة له على شيء من الطيب وحياتها من النتن، والنسر يتبع العساكر لطمعه من لحم القتلى.

فصل فى خواص أجزائه:

مرارته: تقطر فى الأذن يذهب الطرش العتيق، ويكتحل بها سبعًا ينفع من ظلمة العين والغشاء ويمنع من نزول الماء

شحمه: يخلط بالعسل ويكتحل به للرمد يبرأ

لحمه: يطبخ ويخلط بالورس والملح والكمون والعسل ويسقى للسع الهوام

شحمه: يذاب ويقطر فى الأذن أيامًا متوالية وليالى يزيل الطرش.

• نعامة:

حيوان مركب من خلقة الطير والجمل يقال له بالفارسية إسترموع أخذ من البعير العنق والوظيف والمنسم ومن الطير المنقار والجناح والريش، وهو صحيح حاسة الشم والسمع يأكل الحصاة وتذوب فى قانصته حتى تصير كالماء لخاصية خلقها الله تعالى فيه كما أنا نرى جوف الكلب يذيب العظام دون النوى، وأيضًا تبلع الجمر ولا يضرها وتحمى صنجة مائة درهم من الحديد حتى تحمر وترمى إلى النعامة فتبلعها وتستمرئها. وإذا باضت تدفن البيضة تحت التراب لئلا يقع عليها الذباب والبق والنمل وغيرها وإذا عدت النعامة أرخت جناحها إلى رجليها فلا يسبقها شيء من الحيوانات. ومن العجب أنها إذا استقبلت الريح كان عدوها أشد مما إذا استدبرتها. وسئل أبو عبيدة عن ذلك فقال إذا عدا كان بين الوثب والحفز والطيران كالريح إذا عصفت من خلفه وإذا استقبلها وضع عنقه على ظهره ثم خرق الريح لا يخاف أن يكبه على وجهه، وإذا دخل الصيف وابتدأ البسر بالحمرة ابتدأ لون النعامة بالحمرة أيضًا ولا يزالان يزدادان حمرة إلى أن تنتهى حمرة البسر ولا مخ لعظمها فإذا أصاب إحدى رجليها آفة وقفت لا تقوم على الأخرى، وإذا باضت تبيض عشرين بيضة أو أكثر فتجعلها ثلاثة أقسام تدفن ثلثها فى التراب وتترك ثلثها فى الشمس وتحضن ثلثها فإذا خرجت أفراخها كسرت ما كان فى الشمس وغذتها بما فيها من الرطوبات التى ذوبتها الشمس ورققتها فإذا اشتدت فراريجها وقويت أخرجت المدفون وفتحت لها ثقبًا فيجتمع عليها الذباب والبق والنمل وغيرها من الهوام فتأكلها فراريجها إلى أن تقوى فغذت ورعت فانظر إلى هذه التربية العجيبة من غير تعليم من أستاذ ولا آباء، فسبحانه من حكيم ما أعظم شأنه.

فصل فى خواص أجزائه:

مرارتها: تنفع من ظلمة العين اكتحالاً.

لحمه: يزيل الرياح الكريهة إذا داوم على أكله ويدفع الثآليل والحكة

شحمه: يطلى به الأورام يردعها.

قشر بيضه: يلقى فى القدر ينضج سريعًا.

• هدهد:

طير نتن الرائحة، عن النبى ﷺ «لا تقتلوا الهدهد فإنه كان دليل سليمان عليه السلام على قرب الماء وبعده وأحب أن يعبد الله ولا يشرك به شيئًا فى أقطار الأرض»، وحكى أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام: أريد أن تكون فى ضيافتى قال أنا وحدى؟ قال لا بل العسكر كله فى جزيرة كذا وكذا فى يوم كذا، فحضر سليمان عليه السلام بجنوده هناك فصاد الهدهد جرادة وخنقها ورماها فى البحر وقال: كلوا يا نبى الله من فاته اللحم نال من المرق. فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولاً كاملاً، والهدهد يلطخ عشه برجيع الإنسان فيحتمل أن يكون نتنه من ذلك، وتراه فى الربيع فاتحًا فاه يخرج الذباب من حلقه ويطير وكل مكان به الهدهد لا يوجد به الأرضة، وإذا مرض الهدهد يأكل العقارب الجبلية يزول مرضه.

فصل فى خواص أجزائه:

قنزعته: تعلق على من به وجع الرأس يبرأ.

قال بليناس: إذا أخذت عينه وجففتها وجعلتها فى دهن ودهنت به وجهك لم يرك أحدًا إلا أحبك، ويجعل عينه تحت رأس إنسان يغلب عليه السهر ما دامت تحت رأسه، وإذا شددتها على أحد يذكر جميع ما نسيه، ويعلق فى رقبة صاحب الجذام ينفعه نفعًا بينًا

لسانه: يأخذه الإنسان معه لا يظفر به عدو البتة ما دام اللسان معه، ولو علق على إنسان مع عينيه يدفع عنه غلبة النسيان، وإذا سقى إنسانًا زاد فى علمه وفهمه وذكائه

قلبه: يعلق على إنسان يزيد فى قوة الباه، ولو شوى ودق مع السكر وجعل فوق رغيف وأطعمه شخصين يتحابان بحيث لا يصبر أحدهما عن الآخر.

مرارته: يسعط بها صاحب اللقوة ثلاثة أيام ويقعد فى مكان مظلم ينفعه نفعًا بينًا

جناحه اليمنى: يجعل تحت رأس النائم يثقل نومه. ولو ضممت إليه سنا قلعت من الألم يطول نومه، ولو دخن بجناح الهدهد فى برج ينفر عنه الحمام، ولو وضع على

أذنه ريشة من الهدهد وخاصم تكون الغلبة له

لحمه: يقدد فى الظل ويسحق ويخلط بالدقيق ويتخذ منه خبيصًا ويطعم لمن أراد فإنه يحبه محبة عظيمة

عظمه: يدخن به البيت يموت من دخانه الأرضة والنمل والعقرب وأشباهها ولا ترى الهوام فى ذلك الموضع إلى مدة مديدة

أظافيره: تحرق وتدق وتسقى للمرأة فإنها تحبل إذا باشرها زوجها بإذن الله تعالى.

• وطواط:

طائر يقال له بالفارسية بالواية. قال بليناس: إن غرق الوطواط فى ماء ومات وشرب من ذلك الماء إنسان لم ينم البتة، وإن أخذ وطواط وعلق فى عنقه شعر إنسان وأرسل حتى يطير لا ينام ذلك الإنسان حتى يموت ذلك الوطواط أو يؤخذ الشعر من عنقه.

فصل فى خواص أجزائه:

رأسه: تجعل فى حشو مخدة فمن وضع رأسه عليها نام

دماغه: يكتحل به مع العسل ينفع من نزول الماء، ويطبخ بدهن ورد يدهن به النسا يسكن وجعه.

• براعة:

طائر صغير إن طار فى النهار كان كبعض الطيور وإن كان فى الليل فكأنه شهاب ثاقب أو مصباح طائر.

* * *

النوع السابع من الحيوانات: الهوام والحشرات

هذا النوع لا يمكن ضبط أصنافه لكثرته: قال بعض المفسرين: من أراد أن يعرف تحقيق قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٨] فليوقد نارًا فى وسط غيضة بالليل وينظر ما يغشى تلك النار من الحشرات فإنه يرى صورًا عجيبة وأشكالاً غريبة لم يكن يظن أن الله تعالى خلق شيئًا من ذلك، على أن الخلق الذى يغشى ناره مختلف باختلاف مواضع الغياض والجبال والسهول والبرارى فإن فى كل بقعة من هذه البقاع ألوانًا من المخلوقات مخالفة لما فى البقعة الأخرى. ومن الناس من يقول أى فائدة فى هذه الهوام مع كثرة ضررها؟ ولم يدر أن الله تعالى يراعى المصالح الكلية كإرسال المطر فإن فيه مصالح البلاد والعباد وإن كان فيه خراب بيت العجوز فهكذا خلق هذه الحشرات من المواد الفاسدة والعفونات الكامنة لتصفو لحومها ولا يعرض لها الفساد الذى هو سبب الوباء وهلاك الحيوان والنبات وإن كان يتضمن لسع الذباب والبق. والذى يحقق ذلك أنا نرى الذباب والديدان والخنافس فى دكان القصاب والدباس أكثر ما يرى فى دكان البزار والحداد فاقتضت الحكمة الإلهية صرف العفونات إليها ليصفو الهواء منها وتسلم من الوباء ثم جعل صغارها مأكولاً لكبارها وإلا امتلأ وجه الأرض منها فليس فى ملكوته ذرة إلا وفيها من الحكمة ما لا يحصى. وأعجب من هذا أن كل ما جعل سببًا لهلاك حيوان جعل لحمه سببًا لدفع ذلك السم فإن الأطباء الأقدمين جعلوا فى لحم الحية قوة تقاوم سمها فأدخلوا لحمها فى الترياق. والتجربة تشهد أن من لدغته العقرب يلطخ الموضع برطوبة العقرب يسكن ألمها فى الحال. ثم إن هذا النوع من الحيوانات يختلف حالها عند الشتاء فمنها ما يموت من برد الهواء كالديدان والبق والبراغيث ومنها ما يكمن فى الشتاء لا تعيش بلا طعم.

ولنذكر بعضها مرتبًا على حروف المعجم إن شاء الله، والله الموفق للصواب:

● **أرضة:**

دودة بيضاء صغيرة تبنى على نفسها أزجًا شبه دهليز خوفًا من عدوها كالنمل وغيره، وإذا أتت عليها سنة ينبت لها جناحان طويلان تطير بهما وهى التى دلت الشياطين على موت سليمان عليه السلام وإذا خرب أزجها اجتمعت كلها على إعادته ولها مشفران حادان تثقب بهما الحجارة والآجر والنمل عدوها وهى أصغر من الأرضة جثة فيأتى من

خلفها ويحملها ويمشى بها إلى جحره وإذا أتاها مستقبلاً لها لا يغلبها لأنها تقاومه. قال صاحب المنطق: أفسدت الأرضة على كثير من أهل القرى منازلهم وأكلت كل ما لهم إلى أن سلط الله تعالى عليها النمل فأتت على آخرها.

● أفعى:

حية قصيرة الذنب من أخبث الحيات عيناها طولانية مخالفة لصور سائر الحيوانات وحدقتها بارزة كالجراد إذا فقئت عينها تعوض ولا تغمض عينها البتة. قالوا: تختفى فى التراب أربعة أشهر البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها تطلب شيئًا من الرازيانج وتحك عينها به يرجع إليها ضوؤها، ولو قطعت ذنبها يرجع إليها كما نبت، ولو قلع نابها رجع إليها أيضًا بعد ثلاثة أيام، ولو ذبحت تبقى تتحرك ثلاثة أيام، وهى أعدى عدو للإنسان والبقر الوحشى يأكلها أكلاً ذريعًا.

وحكى أنها نهشت ناقة فى مشفرها ولها فصيل فرضعها فمات الفصيل فى الحال قبل موت أمه، وإذا مرضت أكلت ورق الزيتون.

فصل فى خواص أجزائه:

دمها: يكتحل به يحد البصر ويمنع العشا

شحمها: يذاب يمنع من نزول الماء اكتحالاً، وينتف شعر الإبط ويطلى شحم الأفعى لا يرجع ينبت

قلبها: يجفف ويشد على إنسان لا يؤثر فيه السحر ويذهب حمى الربع

لحمها: قال أبقراط: من أكله أمن من الأمراض الصعبة ويقوى الأعصاب ويبطئ الشيب. حكى عمر بن يحيى العلوى قال: كنا فى طريق مكة فأصاب رجلاً منا الاستسقاء والعياذ بالله فسلب العرب قطارًا فيه ذلك الرجل العليل ورجعنا بعد الحج إلى الكوفة فإذا هو بالكوفة معافى، فسألته عن حاله فقال: إن الأعراب لما سلبوا القطار ساقوه إلى مسكنهم وكان على فراسخ فطرحونى فى أواخر بيوتهم وكنت أتمنى الموت إلى أن رأيتهم يومًا قد أخرجوا أفعى صادوها فقطعوا رأسها وذنبها وشووها وكانوا يأكلوا منها، فقلت فى نفسى: هؤلاء قد اعتادوا أكل هذا فلا يضرهم فلعلى أنا إن أكلت منه مت فاسترحت، فاستطعمتهم فرمى إلى بعضهم واحدة وزنها أرطال فألكتها فأخذنى نوم ثقيل فانتبهت وقد عرقت عرقًا شديدًا واندفعت طبيعتى فقمت فى يومى وليلتى أكثر من مائة مرة، فتقطعت قوتى وقلت هذا طريق الموت وأقبلت أتشهد وأدعو الله المغفرة إلى أن أصبحت فوجدت بطنى قد ضمرت وانقطع الألم فطلب منهم مأكولاً

فاطعمونى وأقمت عندهم إلى أن وثقت من نفسى ثم أخذت الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة، ولحمها أيضا ينفع من الجذام والله الشافى.

وحكى بعضهم قال: فتحت بستوقة خضراء فيها شراب وهى مطينة الرأس فلما فتحت رأسها رأيت فيها أفعى قد تهرى لحمها وكان ثم مجذوم يتمنى الموت لشدة ما به فحملت تلك البستوقة إليه ليتخلص من الألم، فلما شربها انتفخ انتفاخًا عظيمًا وبقى على ذلك أيامًا ثم انسلخ من جلده الخارج وظهر الجلد الداخلى الأحمر وصلب وعاش بعد ذلك زمانًا طويلاً.

طبيخ الأفعى: قال بليناس نافع من الجذام ومن ظلمة البصر وهيجان شهوة الجماع، فإن طبخ بالزيت وطلى به موضع من البدن لا ينبت الشعر فيه وهو أنفع شىء للسع الأفاعى والحيات

جلدها: مع رأسها يعلق على الحبلى تأمن من إسقاط الجنين. قال ابن سينا: جلدها محرقًا دواء جيد لداء الثعلب وقال: تشق الأفعى وتوضع على نهش نفسه يسكن وجعه. وذكروا أن من أخذ خيطًا أنجوانيًا أو أرعوانيًا وشد به حلق أفعى لتختنق ثم شد ذلك الخيط على صاحب الخناق ينفتح فى الحال بإذن الله تعالى.

● برغوث:

هو أسود أحدب ضامر إذا وقع نظر الإنسان عليه أو أحس به فيثب تارة إلى اليمين وتارة إلى الشمال حتى يغيب عن نظر الإنسان. قال الجاحظ: إنها تبيض وتفرخ قالوا عمره خمسة أيام وزعموا أن البراغيث من الخلق الذى يعرض له الطيران فيصير بقًا كما يعرض للدعاميص الطيران فتصير فراشًا، وذكروا أن البراغيث تأكل القمل الذى يكون فى الثياب ويموت من رائحة ورق الدفلى، والله أعلم.

● بعوض:

حيوان فى غاية الصغر على صورة الفيل فكل عضو خلق للفيل فللبعوض مثله مع زيادة جناحين، فسبحان من قسم له الأعضاء الظاهرة والباطنة والقوى كذلك كما للحيوان الكبير فانظر إلى صغر جسمه فإن الطرف يدركها بالشدة لصغره، ثم إلى رأسه لأن رأسه لم تكن من جسمه وفيه القوة الباصرة والسامعة ثم إلى دماغه وانظر كم يكون دماغه من رأسه فإن فيها القوى الباطنة الخمسة لأن فيها الحس المشترك لأنها ترى الحيوانات فتمشى إليها، وفيها الخيال لأنها إذا وقعت على الحيوان تغمس خرطومها وإذا وقعت على الحائط لا تفعل ذلك، وفيها الوهم لأنه يفرق بين من يقصدها فتهرب وبين

من لا يقصدها فتبقى، وفيها الحافظة لأنها تجذب الدم وتهرب فى الحال لعلمها بأنها أوجعت فيأتيها صدمة المتألم، وفيها المفكرة لأنها إذا أحست بحركة يد الإنسان تهرب لعلمها أنها مهلكة وإذا سكنت يده عادت إلى مكانها لعلمها أن المنافى ذهب وأن محل الغذاء قد خلا، ولها خرطوم أدق شىء يمكن أن يقال ومع دقته مجوف حتى يجرى فيه الدم الرقيق، وخلق فى رأس ذلك الخرطوم قوة يضرب بها جلد الفيل والجاموس ينفذ فيهما والفيل والجاموس يهربان من البعوض فى الماء، فسبحان من لا يعرف دقائق حكمه إلا هو، يؤخذ من البعوض ثلاث وشىء من الصمغ ويحبب ويجعل فى كل حبة منه واحدة ويبلعها صاحب حمى الربع يوم النوبة ولا يضع قدمه على الأرض فإنها تزول بإذن الله تعالى.

• ثعبان:

حيوان عظيم الهيئة ذو شكل هائل ومنظر مهاب، قال ابن سينا: أصغر أصنافها على ما ذكر خمسة أذرع، وأما الكبار فمن ثلاثين ذراعًا إلا ما فوق ذلك ويكون له عينان كبيرتان وتحت الفك الأسفل شعر كالذقن وله أنياب كثيرة، وقال قوم: إنها تكثر بناحية النوبة والهند والهندية كبيرة جدًا ولها وجوه صفر وسود وأفواه شديدة اللسعة وحواجب تغطى عيونها وأعناقها مفلسة.

قال ابن سينا: قد رأينا من هذا القبيل ما على حاجبها ورقبتها شعر غليظ وذكورها أخبث من إناثها تبتلع ما تجده من الحيوانات فربما كان فى الشىء الذى ابتلعته عظم فيأتى جرم شجرة أو حجرًا شاهقًا فينطوى عليه انطواءً شديدًا فيتكسر ذلك العظم، وإذا صار إلى الماء يعيش فيه ويصير مائيًا، وإذا صار إلى البر صار بريًا بعد أن طال مكثه فى الماء، ويأوى إلى الجبال الشامخة ليستروح ببرد الهواء من شدة وهج حرارة السم.

فصل فى خواص أجزائه:

قلبه: إذا أكل يورث الشجاعة، وفى بلاد الهند يأكلونه لذلك. قيل من أكل قلبه تسخر له الحيوانات

جلده: يشد على العاشق يزول عشقه، ومن استصحب منه شيئًا تسخر له الحيوانات

رأسه: تدفن فى موضع تتوجه إليه الخيرات.

• جراد:

هو صنفان: أحد الصنفين يطير فى الهواء ويقال له الفارس والآخر ينزو نزوانًا ويقال له الراجل، فإذا رعت أيام الربيع طلبت أرضًا طيبة التربة رخوة ونزلت هناك وحفرت

بأذنابها حفرًا وباضت فيها كل واحدة مائة بيضة إلا بيضة وطارت، وآفتها الطيور والبرد ثم إذا أتت أيام الربيع واعتدل الزمان يفقس ذلك البيض المدفون ويظهر مثل الذباب الصغار على وجه الأرض وأكلت زرعها حتى قويت ثم تنهض إلى أرض أخرى وباضت كما فعلت فى عامها الأول وهكذا دأبها: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت:١٢]. قال صاحب الفلاحة: إذا رأيت الجرادة مقبلة نحو القرية فليتوار أهلها عنها بحيث لا يظهر أحد منهم فإذا لم ير الناس جاوزت القرية ولم يقع بها شىء منها، وإذا أحرقت شيئًا منها فإن البقية تعدل عن القرية إذا شمت قيادها أو تسقط وتموت، والجراد الطوال.

الأرجل: تشد على رقبة صاحب الحمى الربع تزول حماه، ويدخن بها صاحب البواسير ينفعه وكذلك صاحب عسر البول

رماده: ينفع من الناصور، قال ابن سينا:

أرجلها: تقلع الثآليل فيما يقال.

• حرباء:

هو حيوان أعظم من العظاية يقال له بالفارسية أقباب برشت، يدور مع الشمس ووجهه لها كيفما دارت حتى تغرب ويكون رمادى اللون ثم يصفر. وإذا أثرت فيه حرارة الشمس احمر، وقيل يختلف لونه باختلاف ساعات النهار كل ساعة لون، وإذا رأى من يقصده كبر نفسه وليس فيه شىء من الضرر. قال الجاحظ: سمعنا ذلك فى الورل ولم نسمعه فى الحرباء، وتجعل الحرباء فى وسط الطين وتترك تحت النار ثلاثة أيام بلياليها ثم تشد على رقبة المصروع يزول صرعه.

فصل فى خواص أجزائه:

جلدها: يطاف به خارج القرية والمزرعة ثم يعلق على وسط القرية أو المزرعة فإنها تأمن من آفة البرد والجراد

أحشاؤها: يجمع فى كوز جديد ويعرض على النار حتى يجف ثم يشد فى خرقة ويعلق على المسحور أو على من ظن أنه مسحور فإنه ينحل بإذن الله تعالى.

• حلزون:

دودة فى جوف أنبوبة حجرية تنبت على الصخرة التى فى سواحل البحار وشطوط الأنهار وتلك الدودة تخرج نصف بدنها من جوف تلك الأنبوبة الصدفية وتمشى يمنة ويسرة تطلب مادة تغتذى بها، فإذا أحست برطوبة ولين انبسطت إليها وإذا أحست بخشونة أو صلابة انقبضت وغاصت فى جوف تلك الأنبوبة حذرًا من المؤذى لجسمها

وإذا انسابت جرّت بيتها أيضًا معها. قال ابن سينا: تطلى الجبهة بالحلزون تمنع انصباب المواد إلى العين.

• حية:

من أعظم الحيوانات خلقة وأشدها بأسًا وأقلها عددًا وأطولها عمرًا. قالوا: ليس من حيوانات البر شىء أعظم من التنين ولا شىء يقتل نهشه أسرع من الحية ولهذا أمر النبى ﷺ بقتلها فى الحل والحرم، وقال النبى ﷺ: «من قتل حية فله عشر حسنات» ولما حرمت الحية آلة الهرب أعطاها الله تعالى سلاحًا تدفع عن نفسها فلأجل ذلك إذا سمع الإنسان بوجودها فى بقعة هرب عنها ولا يقربها ولولا نابها لاتخذها الناس حبلاً ولعبت بها الصبيان. وذكروا أن الحية تتولد من شعر الإنسان إذا وقع فى الماء وأثرت الشمس فيه وأنها يكثر اختلاف أصنافها فى الكبر والصغر والتعرض للإنسان والهرب منه، فمنها ما لا يؤذى إلا إذا وطئها واطئ، ومنها ما لا يؤذى إلا إذا وطئ حماها ومنها ما لا يؤذى إلا على بيضها وفرخها، ومنها ما لا يؤذى إلا إذا آذاها الناس مرة، ومنها الأسود الذى يحفر ويكمن حتى يدرك الفرصة، ومنها الحفاف وهى دابة تشبه الحية ولها نفخ ورعيد وتقريب وهى أشر هيئة من الأفعى والثعابين وإنها لا تضر ولا تنفع والحيات تقتلها، ومنها حية ويقال لها الملكية طولها شبر وأكثر وعلى رأسها خطوط بيض تشبه التاج فإذا انسابت على الأرض أحرقت كل شىء مرت عليه، وإن طار طائر فوقها يسقط عليها وإذا بدت تنساب هرب من بين يديها جميع الدواب، وإذا صفرت يموت من صفيرها كل حيوان سمع ذلك بعد ما ينتفخ ويسيل منه الصديد وإن أكل من تلك الجيفة شىء من السباع يموت. قال جالينوس: إنها حية شقراء على رأسها ثلاث قبازع مثل التاج وهى قليلة الظهور للناس. وزعموا أن الحية تعيش ألف سنة وأكثر وكل سنة تسلخ جلدها وكلما انسلخ يظهر على قفاها نقطة، فنقط قفاها عدد سنينها، وإذا دخل بعضها فى الجحر وبقى بعضها خارجًا لا يمكن جذبها إلى خارج البتة حتى لو شد البقر فى ذنبه ينقطع ولا تنجذب وتبيض ثلاثين بيضة على عدد أضلاعها فيجتمع عليها النمل والبق فيفسدها ولا يصلح منها إلا القليل، وإن لدغتها العقرب ماتت إن لم تجد ملحًا تنام عليه وإن وجدت سلمت. وقالوا: من الحيات حية إذا ضربت بعصا مات الضارب، ومن عجائب الحية أنها إذا علمت أنها مقتولة احترزت على رأسها وانطوت أشد الانطواء على الرأس وجعلت بدنها وقاية للرأس ولا تزال تفعل ذلك حتى تصيب الضربة رأسها. وذكروا أن فى تربة الأهواز حية حمراء دقيقة إذا رأت الإنسان وثبت عليه كالطير ولسعته

فيموت فى الحال. وذكروا أيضًا أن الحية عند انتصاف النهار واشتداد الحر وامتناع الحافى من الأرض والمنتعل يغور ذنبها فى الرمل وتنصب كأنها عود مركوز أو ثابت، فإذا رأى الطائر عودًا مركوزًا كره الوقوع إلى الأرض من شدة الحر ووقع على رأس الحية على أنها عود فتقبض عليه.

فصل فى خواص أجزائه:

نابها: يقلع حال حياتها ويشد على صاحب حمى الربع تزول عنه الحمى قال ابن سينا: يقوى القوة ويحفظ الحواس والشباب وينفع من الجذام وداء الثعلب، وقال محمد ابن زكريا: ذكر الأوائل أن المستسقى إذا أكل من لحم حية عتيقة لها مئون من السنين يبرأ وقال أبقراط:

لحم الحية: أمان من الأمراض الصعبة.

شحمها: يذاب ويطلى به البواسير مع الملح ينفعه نفعًا بينًا.

وسلخها: يطبخ بالخل ويتمضمض به ينفع من وجع السن وإذا أحرق فى إناء نحاس وسحق نفع من أوجاع العين كلها ويسرد العين الزرقاء، وقد اشتهر بين الناس أن من أكل منها فلسًا لا يرمد سنة ومن أكل فلسين لا يرمد سنتين وهكذا. وإن علق على صاحبة الطلق وضعت فى الحال.

وجلدها: يحرق ويكتحل برماده ينفع من السبل وتقاطر الماء فى العين ويذهب الظلمة. وقال جالينوس: مرق الحية يقوى البصر

وبيض الحية: يسحق فى الهاون ويطلى به المرض يزول.

● خراطين:

دودة طويلة حمراء تسمى شحمة الأرض، وتوجد فى المواضع الندية تشوى وتؤكل بالخبز تفتت الحصاة من المثانة وتجفف وتعطى صاحب اليرقان تذهب صفرته، تجفف وتسقى باللبن للتى تعسرت ولادتها تضع فى الحال بإذن الله.

ورمادها: يخلط بدهن الورد ويطلى به رأس الأقرع ينبت شعره، ويحنك به مع العسل ينفع من الخناق وإذا أخذت هذه الدودة وشدتها فى مقنعة امرأة حملت وهاجت بها شهوة الجماع.

● خنفساء:

هى الدويبة السوداء التى تتولد فى الأرواث ذات الرائحة النتنة تغلى بالزيت ويطلى به محل البواسير يذهبه، وإذا كسرت خنفساء نصفين وغمست مياه فى رطوبتها واكتحلت

به ينفع من الرمد ويبرأ سريعًا ويطبخ بشىء من الأدهان ويقطر فى الأذن يزيل الطرش، والبعير إذا أكل خنفساء فى علفه يموت وتوجد الخنفساء فى بطن حية، ومنها صنف يقال له الجعل يدور على السرجين، إن ألقيت فى الورد سكنت كأنها ميتة، وإن ألقيتها فى الروث عادت إلى حالها.

وحكى أن رجلاً رأى خنفساء فقال ماذا يريد الله من خلق هذه حسن شكلها أو طيب رائحتها؟ فابتلاه الله بقرحة حتى عجز الأطباء عنها فترك العلاج، فسمع ذات يوم صوت طبيب من الطرقيين ينادى فى الدرب فقال: هاتوه حتى ينظر فى أمرى، فقالوا له ماذا تصنع برجل طرقى وقد عجز عنك حذاق الأطباء؟ فقال: هاتوه ونسمع قوله وليس فيه ضرر، فلما رأى الطبيب القرحة وسأل عنها قال علىَّ بالخنفساء، فضحك الحاضرون من قوله فتذكر العليل القول الذى سبق منه فقال: هاتوا ما طلب فإن الرجل على بصيرة فأحرقها وذر رمادها على القرحة فبرأت بإذن الله تعالى فقال للحاضرين: إن الله أراد أن يعرفنى أن أخس الأشياء أعز الأدوية.

● دودة القز:

دويبة إذا شبعت من الرعى طلبت مواضعها من الأشجار والشوك ومدت من لعابها خيوطًا رقاقًا ونسجت على نفسها كنا مثل الكيس ليكون حرزًا لها من الحر والبرد والرياح والأمطار ونامت إلى وقت معلوم كل ذلك بإلهام من الله تعالى. وأما كيفية اقتنائها فمن عجائب الدنيا وهى أنهم أول الربيع يأخذون البزر ويشدونها فى خرقة وتجعل تحت ثدى امرأة ليصل إليها حرارة البدن إلى أسبوع ثم ينثر على شىء من ورق التوت المقصوص بالمقراض فتتحرك الدودة وتأكل من ذلك الورق ثم لا تأكل ثلاثة أيام، ويقال إنها فى النوبة الأولى ثم ترجع إلى الأكل فتأكل أسبوعًا ثم تترك الأكل ثلاثة أيام، ويقال إنها فى النوبة الثانية وهكذا فى المرة الأخرى، ويقال إنها فى النوبة الثالثة وبعد النوبات يطلق لها العلف لتأكل أكلاً كثيرًا وتسرع فى عمل الفيلجة فيظهر عند ذلك على جسمها مثل نسج العنكبوت ويزداد شيئًا فشيئًا فإذا مطر فى هذا الوقت مطر تلين الفيلجة من رطوبة النداوة ويثقبها الدود ويخرج منها وقد نبت لها جناحان فتطير ولا يحصل شىء من الإبريسم، وإذا فرغت الدودة من عمل الفيلجة عرضت على الشمس لتموت الدودة فيها ويحصل من الفيلجة الإبريسم ويترك بعض الفيلجة ليثقبها الدود ويخرج ويبيض وبيضها يحفظ للسنة الآتية فى ظرف نقى من الخرقة أو الزجاج، والثياب الإبريسيمية تنفع من الحكة والجرب ولا يتولد القمل لمن يلبسها، والله الموفق.

• **ديك الجن:**

دويبة توجد فى البساتين. قال بليناس: يلقى فى خمر عتيق حتى يموت ويترك فى فخارة ويشد رأسها ويدفن فى وسط الدار فإنه لا يرى فيها شىء من الأرضة أصلاً، والله الموفق للصواب.

• **ذباب:**

هى أصناف كثيرة تتولد من العفونة لم يخلق لها أجفان لصغر حدقتها ومن شأن الأجفان تصقيل الحدقة من الغبار فخلق لها يدان يقومان مقام الأجفان، فلهذا ترى الذباب على الدوام يمسح بيديه حدقتيه. وله خرطوم يخرجها إذا أراد مص الدم ويدخلها إذا روى، ولها بطن وفيها يجرى الصوت كما يجرى فى العصب من النفخ، ولا يقدر على المشى إذ ليس له مفصل، وخلق رءوس أرجلها خشنة لئلا تنزلق إذا وقعت على الأشياء الملسة، والذباب يصيد البق فلذلك لا يرى البق إلا فى الليل عند سكون الذباب.

قال الجاحظ: لولا أن الذباب يأكل البق ويطلبها فى زوايا البيت لما كان لأهلها فيها قرار، وإذا أصاب الحيوان جرحه وسقط عليها الذباب فيفضى إلى هلاكها إن لم يكن فى موضع يصل إليه فم الحيوان لأن الذباب إذا وقع على الجراحة ونم عليها يتولد من ونيمها الدود، والجراحة إذا تولد فيها الدود أهلكت ونيم الذباب على الأبيض أسود وعلى الأسود أبيض، ونيمه ذو لونين كزرق العصفور فيظهر على كل لون ما يخالفه.

قالوا: تؤخذ ذبابة ويفصل رأسها عن بدنها ويدلك بها لسع الزنبور يسكن وجعه، ويحرق الذباب ويسحق ويخلط بعسل ويطلى به داء الثعلب ينبت الشعر، ويجفف الذباب ويسحق مع الكحل ويكتحل به ينفع من وجع العين ويزيد فى الضوء وينبت شعر الأهداب، والذباب يشوى ويؤكل يفتت حصاة المثانة. وقال ﷺ «إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر دواء» ويدق الذباب فى اللبن ويطلى به لدغ العقرب يزول وجعه. ومنها صنف يقال له ذباب الحمر كبير جدًا لا يقع إلا على الحمير وصنف آخر يقال له ذباب الكلاب لا يقع إلا على الكلاب، وصنف آخر يقال له ذباب الأسد لا يقع إلا على الأسد، وإذا رأت بالأسد دمًا أو خدشًا لا تنقلع عنه حتى تهلكه كما ذكرنا فى الذر مع الحية فإنه يهلكها.

• **الدرحرج:**

هى دويبة مبرقشة بحمرة وسواد يقال إنها سم، من أكلها تقرحت مثانته ويسد بوله

ويظلم بصره ويتورم القضيب والعانة ويعرض مع ذلك اختلاط فى العقل، قال ابن سينا: من سقى منها يجد فى فمه رائحة القطران والزفت. والدراريج تموت من الرائحة الطيبة والتى هى شديدة الحمرة تشد على صاحب حمى الربع ثلاث مرات يوم النوبة تزول حماه والتى يوجد منها فى المقبرة يطلى بها الكلف تزيله، والتى توجد فى وسط الورد تلقى فى زيت وتترك حتى تتلاشى ويطلى بها المناجل التى يقطع بها الكروم فإنها لا يصيبها دودة ولا دابة مضرة. قال ابن سينا: الدراريج دواء للجرب والقوابى وتقلع الثآليل ويزيل البهق والبرص طلاء بالخل ويطلى بالخردل ينبت الشعر ويطلى به على السرطان يحلله.

● رتيلاء:

قال ابن سينا: هى دويبة تشبه العنكبوت التى يسمى الفهد وهو صياد الذباب وأصنافها كثيرة وشرها المصرية وهى ذات رأس وبطن كبيرين، وقالوا: يعرض لمن لسعته وجع شديد وصفرة لون وربما يعرض للملسوع توتر القضيب والنعوظ وقذف المنى من غير إرادة، وأما المصرية فإنه يعرض لملسوعها صداع شديد وسبات ويعقبها الموت الوحى. وذكر الأطباء أن دواء لسعتها رجيع الإنسان. وقد لسعت الرتيلاء الجلال الريحانى وكان طبيبًا عظيم المنظر وكان طبيب أزبك بن محمد صاحب أذربيجان فخافوا عليه الهلاك فأمر أزبك أن يسقى رجيع الإنسان فقال الجلال: إن كان ولا بد فهاتوا رجيع أيبك الأنابيلى وكان مملوكًا مثل القمر فسقى منه وعوفى وعاش بعد ذلك مدة طويلة.

● زنبور:

يشبه النحل فى أكثر حالاته، وإذا جاء الشتاء يدخل بيته ولا يخرج حتى يعتدل الهواء ويصيد الذباب، وإذا تعرض أحد لبيتها تقوم كلها عليه وتلسعه ولا تكاد تتعرض لمن يقصدها، فإذا ألقى فى الدهن يبقى كالميت فإذا رش عليه الخل يتحرك. قالوا: الشىء الذى يتخذ الزنابير منه بيوتها كالكاغد لم تعرف أى شىء هو ومن أى شىء أخذته فإذا أحست بمجىء الشتاء ذهبت إلى المواضع الدفئة وتنام فيها طول الشتاء كالميت، ولا تجمع القوت للشتاء بخلاف النحل فإذا جاء الربيع وقد صارت من مقاساة البرد وعدم الغذاء كالخشب اليابس نفخ الله فى تلك الجثث الحياة فعاشت وخرجت وبنت البيوت وباضت وأخرجت أفراخها مثل العام الأول وذاك دأبها أبدًا بتقدير العزيز العليم.

• سام أبرص:

هو الوزغ الصغير الرأس الطويل الذنب. قال يحيى بن يعمر: لأن أقتل مائة وزغة أحب إلىّ من أن أعتق مائة رقبة، وإنما قال ذلك لأنها دابة سوء، زعموا أنها تشرب من المياه وتمج فى الإناء فينال الإنسان من ذلك مكروه عظيم، قالوا: إنها تشد على من به حمى الربع يبرأ، وإن شدت على امرأة لا تحبل، ويقتل سام أبرص ويلقى فى جحر الحيات تهرب جميعًا وسام أبرص إذا تمكن من الملح تمرغ فيه فيصير مادة لتولد البرص، ولا يدخل بيتًا فيه الزعفران، ويسحق ويجعل على موضع النصل والشوك يخرجهما، ويدق ويضمد به الثآليل المسمارية يقلعها، ويجفف ويسحق ويخلط بالزيت ينبت الشعر على القرع.

فصل فى خواص أجزائه:

دمه: عجيب فى نتق الصبيان: ويطلى لداء الثعلب والقرع ينبت الشعر

كبده: يسكن وجع الرأس

شحمه: يوضع على لسع العقرب ينفع نفعًا بينًا

جلده: يوضع على موضع الفتق يذهب.

• سلحفاة:

يقال لها بالفارسية كشف وهو حيوان برى بحرى. قالوا: إذا خيف على زرع أو بستان من البرد تؤخذ سلحفاة وتلقى على ظهرها بحيث تبقى رجلاها شائلة نحو السماء فإن البرد لا يضر ذلك الموضع؛ وتؤخذ سلحفاة كبيرة برية ويخرج حشوها ويجعل الصبر فى جوفها مكان الحشو وتعلق على المصروع يزول صرعه.

فصل فى خواص أجزائه:

زعموا أن كل عضو يتألم من الإنسان يشد عليه مثل ذلك العضو من السلحفاة يسكن ألمه.

مرارته: يسعط بها صاحب الصرع ينفعه ويستعمل لطوخًا للخنادق، ومنها ما ينفع من الصرع نشوقًا وهو جيد لنهش الهوام، وإذا جعلت غطاء للقدر لا يغلى ولو أوقدت تحتها حطبًا كثيرًا.

رجلها: تشد على صاحب النقرس يزول وجعه، اليمين على اليمين واليسرى على اليسرى.

بيضها: نافع لسعال الصبيان والصرع أيضًا.

• صرصر:

هو بنت ردان، قال ابن سينا: إنه مع القردمانا نافع من البواسير والنافض وسموم الهوام، يحرق ويسحق ويضاف إلى الإثمد ويكتحل به يحد البصر ومع مرارة البقر ينفع من ظلمة العين اكتحالاً.

• صناجة:

حيوان لا يقبل، وصفه كثير ما لم يره الإنسان. قالوا: ليس شيء من حيوانات الأرض أكبر من صناجة. قالوا: يوجد بأرض التبت يتخذ بيتًا لنفسه قرب فرسخ، ومن خواصه أن نظره إذا وقع على حيوان مات ذلك الحيوان، وإذا وقع نظر شيء من الحيوان عليه تموت الصناجة أيضًا، ثم إن الحيوانات عرفت ذلك فى تلك البلاد فتعرض نفسها على الصناجة غامضة عينها ليقع نظر الصناجة عليها فتموت فتبقى طعمة للحيوانات زمانًا طويلاً، والله أعلم.

• ضب:

يقال له بالفارسية سوسمار، وهو حيوان كيس إلا أنه كثير النسيان ومن كيسه أنه لا يتخذ البيت إلا فى موضع صلب لئلا ينهال عليه من حوافر الدواب، ولما علم أنه ينسى لم يتخذ البيت إلا عند أكمة أو صخرة عظيمة أو شجر يستدل بها على بيته إذا غاب وتباعد عنه، وإذا أرادت الأنثى أن تبيض حفرت فى الأرض حفرة وترمى فيها ثمانين بيضة وتدفنها فى التراب وبيضها مثل بيض الحمام وتدعها أربعين يومًا ثم يأتى والحسول قد خرجت منها يتعادون فيأكل منها ما قدر عليه، وإذا لسعتها العقرب أكلت من حشيشة تسمى آذان الفار يزول عنها اللسع، وإذا جاعت تتعرض للنسيم وتعيش به ويكون ذلك غذاؤها. قالوا: إذا خرج ضب من بين رجلى الإنسان لا يقدر على مباشرة النساء، وقيل ينتفخ ذلك الإنسان.

فصل فى خواص أجزائه:

إذا سقى إنسان عينه بماء السذاب يقطع عنه مادة المنى وينقصه

قلبه: من أكله يذهب عنه الحزن والخفقان

طحاله: من أكله يمنع عنه وجع الطحال ويأمن منه أبدًا

دمه: يطلى به الكلف مع البورق يزيله ويصفى لون الوجه

لحمه: ينفع من الأمراض المزمنة مقليًا ويزيد فى ضوء البصر ويقوى البدن ويعين على الباه

شحمه: يذاب ويطلى به القضيب يقوى شهوة الباه، ومن أكل منه لا يعطش زمانًا طويلاً

خصيته: من استصحبها تحبه الخدم محبة شديدة

كعبه: يشد على وجه الفرس لا يسبقه شيء من الخيل عند المسابقة.

جلده: يتخذ على نصل سيف يشجع صاحبه، ويتخذ ظرفا للعسل من لعق منه تهيج شهوته ويورث إنعاظًا شديدًا

بعره: ينفع من البرص والكلف والحزازة طلاء ومن بياض العين اكتحالاً ومن نزول الماء أيضًا، والأعراب يداوون به وجع الظهر.

● ظربان:

دويبة كالهرة منتنة الريح ليس فى الدنيا نتن أشد من نتنها، لو شمت الإبل رائحتها فى منامها شردت وتفرقت بحيث يصعب جمعها، ولو فست على ثوب لا تزول عنه الرائحة إلى أن يبلى ولو غسل خمسين مرة وهو عدو الضب. قال الجاحظ: إذا أراد الظربان أكل الضب وحسولها يدخل جحر الضب مستديرًا ويلتمس أضيق موضع فيه حتى يحول بينها وبين النسيم ثم يفسو عليه فلا يتجاوز ثلاث فسوات حتى يغشى على الضب فيأكلها بحسولها.

● عقرب:

أخبث الهوام العقارب يلدغ كل شيء يلقاه، عينها على بطنها وولدها يخرج من ظهرها فإذا ولدت ماتت وإذا لسعت هربت ولا تقف والعقرب: إذا خرجت من بيتها أول الليل ولها نشاط أول شيء لقيته ضربته قال بعضهم: لقيت العقرب قمقمًا فضربته بإبرتها فسال منه الماء. والعقرب إذا لقيت الحية لدغتها والحية تسعى فى طلبها فإذا وجدتها أكلتها تبرأ وإن لم تجدها تموت الحية. والعقرب إذا لدغت يمسح مكان لدغها برطوبتها يسكن ألمها فى الحال، وتجعل العقرب فى فخارة مسدودة الرأس وتترك فى تنور مسجور حتى تصير رمادًا ويسقى من ذلك من به حصاة المثانة تفتتها. والعقرب إذا لسعت صاحب الحمى العتيقة تقلع عنه الحمى وإذا لدغت المفلوج يزول عنه الفالج، وإذا حرقت عقرب ودخن بها البيت لم يبق فى البيت عقرب إلا هلك أو هرب ويشق بطنها ويوضع على موضع اللسعة فإنه ينفع فى الحال، وإذا أخذت عقربًا كبيرًا أسود وجففتها وعجنتها بالخل وطلى به البرص أزاله ورماده يذاب بدهن ويطلى به ينبت الشعر.

• عنكبوت:

فائدة: نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع: على غار النبى ﷺ، وعلى غار عبد الله لما بعثه النبى ﷺ لخالد الهمدانى فقتله وحمل رأسه ودخل فى غار خوفًا من أهله، ونسج على زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم أجمعين لما صلب عريانًا. وقيل إنها نسجت مرتين على نبيين على داود حين كان يطلبه جالوت، وعلى النبى ﷺ فى الغار. والعنكبوت أصنافه كثيرة لكل صنف فعل عجيب منها الطويلة الأرجل؛ فإنها لما عرفت ضعف قوائمها وأنها تعجز عن الصيد أعدت للصيد مصايد وحبالا من الخيوط فعمدت إلى فرجة بين حائطين متقاربتين وتلقى لعابها الذى هو خيطها ليلصق به ثم يعدو إلى الجانب الآخر ويحكم الخيط فى الطرف الآخر وهكذا ثانيًا وثالثًا وهذا هو السدى ثم يحكم لحمته حتى يتم النسج وكل ذلك على تناسب هندسى حتى يصح النسج ثم يقعد فى زاوية مترصدًا وقوع الصيد فيها فإذا وقع فيها شىء من الذباب أو البق بادر إلى أخذه، ومنها صنف آخر قصار الأرجل يسمى الفهد فإنه يصيد الذباب على شبه صيد الفهد؛ وذلك أنه يكمن فى زاوية فإذا طارت ذبابة بقربه وثبت إليها وربما مد خيطًا من السقف وعلق نفسه فيه منكسًا فإذا طار ذباب بقربه رمى بنفسه إليه وأخذه. ومنها صنف آخر يقال له الليث وله ست عيون فإذا رأى الذبابة لطئ بالأرض ثم وثب ولم تخطئ وثبته وهو آفة الذباب، ومنها صنف يقال له الرتيلا إذا مشى على الإنسان يموت الإنسان من لعابه وقد مر ذكره ويسمى عقرب الثعبان لأنه يقتل الثعبان، ومنها صنف دقيق الصنعة يهيئ نسجه ويصعد بيته فإذا وقعت فى مصيدته ذبابة يضرب فيها فتمشى إليها وتمص رطوبتها والذباب يطن من الألم إلى أن يموت ويحملها إلى خزانته للذخيرة وأكثر ما يقع فى مصيدته فى غيبوبة الشمس. وزعم بعضهم أن العناكب الإناث هى العوامل والذكور لا تعمل شيئًا. ومنهم من قال إن السدى من الإناث واللحمة من الذكور لأن اللحمة أقوى من السدى وهما كالشريكين فى العمل أو هما كالأستاذ مع تلميذه. قالوا: وإذا شددت عنكبوتًا فى خرقة سوداء وعلقتها على صاحب الحمى تزول عنه، وزعموا أنه مجرب. قال بليناس: يسحق العنكبوت ويسقى فى شىء من الأشربة لصاحب الحمى البلغمية تزول من ساعتها مجرب

رجل العنكبوت: تشد على من يحم بالليل تذهب عنه.

نسجه: يوضع على الموضع الذى يسيل منه الدم يقطعه، وإن بخر به طرد البق من البيت.

● فأر:

حيوان كثير الفساد كثير الحيلة من الفواسق الخمس أمر النبى ﷺ بقتلها فى الحل والحرم، وربما يجذب الفتيلة من السراج ويحرق بذلك الدور بما فيها من الحيوان والأموال، ويقرض دفاتر الحساب والعلوم والوثائق والصكاك فتفوت حقوق الناس، وتقرض الثياب النفيسة والجراب والزق فيسيل ما فيها، ويأكل المائعات ويرمى فيها بعره حتى يفسدها على الناس، وربما وقعت فى بئر فماتت فيها فتحوج الناس إلى مشقة عظيمة، وإذا خدش الإنسان نمر أو سبع يطلب الفأر، فإن كان من النمر يذر عليه التراب وإن كان من الكلب يبول عليه فإن ذلك الإنسان يموت عاجلاً. وذهب بعامتهم إلى أن الفأرة عدمت قوة الحافظة لأنها تخرج من بيتها ترى السنور فترجع ثم تخرج عقبها ولم يبق معها علم أن السنور على باب بيتها. وقال بعضهم: كيف يصح أن يقال لا حافظة لها مع لطائف حيها وشدة اهتمامها بأمر المعيشة وادخارها ليوم الحاجة وعلمها بأن الغلال لا تترك فى الآبار فتأخذ منها ما تقدر عليه لوقت عجزها عن الكسب. ومن لطائف حيلها أن الدهن إذا كان فى قارورة ضيقة الرأس تجعل ذنبها فيها وتلطخه بالدهن حتى تلحس جميع ما فيها، ومنها أن الدهن إذا كان فى القارورة إلى نصفها ترمى فيها الحصاة حتى يخرج إلى رأسها وتشربه. ومنها إذا أرادت أخذ البيضة تحضن البيضة وتمسكها بأربعتها وتأخذ فأرة أخرى بذنبها تجذبها إلى البيت ومنها إذا أرادت أخذ الجوز تأخذها فأرة وتجعلها على ظهر أخرى وتلف عليها ذنبها وتحفظها بالذنب وتمشى بها إلى بيتها. ومنها أن إحداها إذا وقعت فى ظرف فيه ماء لا تقدر على الخروج منه فتأتى الأخرى وتمسك بيدها طرف الإناء وترسل ذنبها إليها حتى تتعلق بها وتخرج، ولم نر قتالاً بين بهيمتين أشد مما يجرى بين جرذين إذا ربط أحدهما فى طرف خيط والآخر فى الطرف الآخر فعند ذلك يظهر لهما الخدش واللغط فإذا انحل الخيط ولى كل واحد منهما عن صاحبه، ومنها صنف يقال له العربى يحب الدراهم والدنانير ويلعب بها وكثيراً ما يخرجها واحداً واحداً ويتمرغ عليها ويعيدها واحداً واحداً.

وحكى بعضهم أنه كان فى بيته فأرة لقى منه التباريح. قال: فنصبت لها مصيدة فوقعت فيها فانتظرت سنوراً يصطادها فاستبطأ زوجها رجوعها فخرج خلفها فى طلبها فرآها فى المصيدة فعاد وأتى بدينار وتركه عند المصيدة ثم تأخر وانتظر ساعة ثم ذهب

وأتى بآخر وتأخر وهكذا كلما أتى بدينار لبث زمانًا يطمع أنى آخذ الدنانير وأخلصها له فلما رآنى لم أخلصها أتى بآخر حتى أتى فى المرة الأخيرة بخرقة فعلمت أنه أخرج جميع ما كان عنده من الدنانير فخلصتها وأخذت الدنانير. ومنها نوع يقال له اليربوع وهو الفأر البرى صاحب النافقاء والقاصعاء يحفر جحرًا ذا عطفات كثيرة يمينًا وشمالاً وصعودًا ونزولاً تخفى مكانها، فإن دخل عليها ابن عرس أو ضب أو ظربان لا يظفر بها لكثرة عطفاتها واعوجاجها وبحجرها أبواب كثيرة. ولليرابيع رئيس يخرج من البيت أولاً ويرى الفضاء فإن لم يكن عدو صاح حتى يخرج الفأر كلها وإن رأى عدوًا عاد وأخبر الباقين حتى لا يخرج شيء منها وإن لم يكن عدو خرج الرئيس وصعد موضعًا عاليًا كالديوان والفأر تخرج بعده تذهب يمينًا وشمالاً تطلب القوت فما حصل لها تأتى منه بنصيب للرئيس وإذا رأى الرئيس عدوًا صاح برفع صوته حتى يرجع الفأر إلى بيوتها فإن غفل الرئيس حتى أتى العدو وأخذ منها شيئًا بغتة اجتمعت الفأر كلها على الرئيس وأكلته. ومنها صنف يقال له الخلد خلقه الله تعالى أكمه يكون فى البرارى حاسة سمعها شديدة إذا أحست بشيء عادت إلى بيتها. وذكروا أن الخلد الأنثى إذا حبلت يموت الذكر، وإذا أرادوا صيدها تركوا على باب بيتها شيئًا من البصل فإنها تخرج لرائحته فيأخذها الصياد. ومنها صنف يقال له فأرة المسك توجد فى أرض تبت فى موضع يقال له إندفر. سرة هذه الفأرة مسك كما للغزلان فالصياد إذا صادها يشد صرتها حتى يجتمع فيها الدم وذلك خير من مسك الغزال حتى قالوا يسوى عشرة من أمثالها لما فيها من طيب الرائحة وحدتها، ومنها صنف يقال له ذات النطاق وهى فأرة مشهورة منقطة ببياض أعلاها أسود شبهوها بالمرأة ذات النطاق وهى التى تلبس قميصين ملونين وتشد وسطها ثم ترسل الأعلى على الأسفل ومنها صنف يسمى فأرة البيش. قال بعضهم: إنها دويبة تشبه الفأر وليست تسكن إلا منابت البيش تأكل منه وتتغذى به، والبيش سم قاتل منه شيء يسير وهو حشيش ينبت بأرض الهند. ومنها صنف يقال له اليربوع وهو الفأر البرى صاحب القاصعاء والنافقاء يحفر جحرًا فيه عطفات كثيرة ويحفرها إلى أسفل مستقيمة ثم يذهب يمينًا وشمالاً وصعودًا ونزولاً ويخفى مكانه فيه بسبب اعوجاجه وعطفاته فإذا قصده شيء من أعدائه كابن عرس أو ضب أو ظربان لا يظفر به لأنه متى أحس بالشر من جهة ذهب إلى خلاف تلك الجهة، ولجحره أبواب .ولليرابيع رئيس إذا أرادت اليرابيع الخروج من أجحرتها خرج الرئيس أولاً ونظر فإن لم يرعدوا رفع صوته ليخرج الفأر وإن رأى عدوًا رجع إلى جحره ومنعها من الخروج وإذا

خرج يصعد موضعًا عاليًا كالديوان، واليرابيع تسعى يمينًا وشمالاً تطلب القوت فما وقع بيده من الحب وغيره يأتى بنصيب منها للرئيس، وإذا رأى الرئيس عدوًا رفع صوته حتى يرجع كل واحد إلى بيته فإن غفل الرئيس عن العدو حتى أتاه العدو بغتة وأخذ من اليرابيع شيئًا هربت البقية وعادت إلى أماكنها سالمة ثم اجتمعت على عزل رئيسها وإهلاكه ونصبت رئيسًا غيره. ومنها صنف يقال سمندل يشبه الفأر يوجد ببلاد غور تدخل النار ولا تحترق ثم تخرج من النار وقد ذهب وسخها وصفا لونها وزاد بريقها ولا يتأذى شعرها ولا جلدها ولا لحمها من النار، فسبحان من لا يعرف دقائق حكمته ولطائف صنعه إلا هو، والملوك يتخذون من جلودها منديل الغمر لأنه فى غاية النعومة يمسحون به أيديهم فإذا توسخ يلقونه فى النار ليذهب وسخه ويخرج نظيفًا. وذكروا أن من أخذ جرذًا وقطع ذنبه وخصاه ثم أطلقه يأكل الجرذان والفيران أكلاً ذريعًا لا يغلبه شيء حتى الهرة وابن عرس وتحدث فيه شجاعة وجرأة وإقدام، وأصحاب الأنابير والبيادر عرفوا ذلك فيأخذونه ويقطعون ذنبه ويسيبونه فلا يترك جرزًا ولا فأرًا. ومن شق فأرة وجعلها على موضع النصل أو الشوك يخرجه وتحرق الفأرة وتسحق وتخلط بالدهن ويطلى به الموضع الصلع ينبت الشعر.

فصل فى خواص أجزائه:

رأسه: يشد فى خرقة كتان على رأس المتألم يسكن وجعه وينفع من الصرع

عينه: تشد على قلنسوة إنسان يسهل عليه المشى، وإذا دخل على أحد يغفل عنه أكثرهم، وإذا علقت على من به حمى الربع أبرأته.

مرارة السمندل: تسقى لمن به جذام يزول عنه

دمه: يطلى به القضيب يقوى على الباه تقوية عظيمة.

دم الفأر: ينتف الشعر الذى على الأجفان ويطلى بهذا الدم لا يرجع ينبت

شحمه: يذاب ويخلط بدهن الورد ويطلى به الكلف يزيله

لحمه: إذا شوى وأطعم لصبى انقطع سيلان اللعاب من فمه

خصيته: تشد على المرأة لا تحبل ما دامت معها

ذنبه: يشد على المصروع يزيله

جلد الفأر: يحشى بالتبن ويعلق فى البيت يهرب الفأر عنه.

بعره: يحل بالزيت ويطلى به الرأس يذهب بداء الثعلب ويتخذ من بعر الفأر والحنظل والبورق والسكر الأحمر أشياء يحتمله صاحب القولنج ينفتح فى الحال.

الفأر مع العسل يطلى به على الطفرة التى فى عين الفرس تزول بالكلية، ويسقى الصبى الذى فى مثانته حصاة يفتتها، ويسقى صاحب عسر البول يطلق، وإذا اكتحل ببعر الفأر نفع من بياض العين

سؤر الفأر: يورث النسيان كما قال ﷺ «خمس تورث النسيان، وعد منها سؤر الفأر» والله أعلم.

• فراش:

هو الحيوان الذى يتهافت على السراج ويحترق. زعموا أنها دعموص فى أول أمرها فإذا نبتت أجنحتها صارت فراشًا، والدعموص هو العلق الصغير، وقال آخرون: إنها دودة حمراء توجد فى البقل يقال لها اليرسوع تنسلخ فتصير فراشًا، وسبب وقوعها على النار ما ذكر بعضهم أن بصرها ضعيف فإذا رأت السراج تظن أنها فى بيت مظلم وأن السراج كوة فى البيت المظلم إلى الموضع المضىء فلا تزال تطلب الضوء وترمى نفسها إلى الكوة فإذا جاوزتها ورأت الظلام ظنت أنها لم تصل الكوة فتعود إليها مرة ثانية فتفعل ذلك إلى أن تحترق.

حَدَّث خفيف السمرقندى صاحب المعتضد بالله أمير المؤمنين أنه كثر الفراش على الشمع المسرج بين يدى الخليفة فى بعض الليالى فجمعناه فكان مكومًا ثم ميزناه فكان اثنين وسبعين شكلاً.

• فسافس:

قال الشيخ الرئيس: هو حيوان كالقراد يكون فى الأسرة شديد النتن جدًا يشبه أن يكون المعروف عندنا بالبق. قال: إذا أشرب بالخل أخرج العلق المتشبث فى الحلق وإذا شمت المرأة منه نفع من اختناق الرحم، وإذا سحقت وجعلت فى ثقب الإحليل نفعت من عسر البول، وإذا أخذت منها سبعًا وجعلتها فى باقلا وابتلعت قبل نوبة حمى الربع نفعت أو إن جعلت من غير باقلا نفعت من لسع جميع الهوام.

• قمل:

يتولد من العرق والوسخ فى بدن الإنسان إذا علاه ثوب أو شعر لأن العرق يتعفن من دفاء الثوب أو الشعر فيتولد منه القمل، ثم القمل يبيض وبيضه الصئبان فإذا باضت التصقت بيضتها بالموضع التصاقًا لا يمكن إزالتها إلا بالشدة، ويتولد فى الشعر الأسود قمل أسود وفى الشعر الأبيض قمل أبيض وفى الشعر الأحمر قمل أحمر وفى الأشمط شىء أسود وشىء أبيض، وإذا تولد فى شعر رأس الإنسان يصفر لونه. قالوا: من أراد

أن يعلم ما فى بطن الحامل غلامًا أو جارية يحلب شيئًا من لبنها على الكف ويلقى فيه قملة فإن لم تقدر على الخروج ففى بطنها غلام وإن قدرت على الخروج ففى بطنها جارية، لأن لبن الغلام غليظ ولبن الجارية رقيق لا يمنع القمل من الخروج.

• قنفذ:

الحيوان الذى يقال له بالفارسية خاريشت سلاحه على ظهره وهو الشوك الذى عليه ويتقنع بحيث لا يبين من أطرافه شيء ويستطيب الهواء ويتخذ لمسكنه بابين أحدهما مستقبل للشمال والآخر مستقبل الجنوب، ويعادى الحية فإن ظهر بقفاها قتلها بأسهل طريق وإن ظفر بذنبها عض ذنبها ويتقنع ويعطى الحية ظهره ويمضغ ذنبها والحية تضرب نفسها على شوكه حتى تهلك، ويصعد الكرم ويرمى حبات العناقيد إلى الأرض ثم ينزل ويتمرغ فيها ليدخل شوكه فى الحبات فيحملها ويذهب بها إلى أولاده، ومنها صنف يقال له الدلدل هو أكبر جسمًا من القنفذ وأطول جسمًا، نسبته إلى القنفذ كنسبة الجاموس إلى البقر. قالوا: أى موضع أراد أن يرمى إليه شوكة يرميه كرمى النشاب ولا يخطئ شيئًا فتمر الشوكة كمر السهم المشدد وتثبت فيه.

فصل فى خواص أجزائه:

عينه اليسرى: تقلى بالزيت وتؤخذ بطرف الميل وتصب فى أذن الأطرش يزول طرشه.

مرارته: ينتف الشعر ثم يطلى موضعه بها فإن الشعر عليه لا ينبت أبدًا وتخلط هذه المرارة بشيء من الكبريت ويطلى به البهق يزيله

طحاله: يشوى ويطعم المطحول فإنه على قدر ما يطعم منه يخف طحاله

كليته: تجفف وتسحق ويسقى منها قدر درهم بماء الحمص الأسود المغلى المصفى فإنه ينفع لعسر البول

دمه: يطلى به عضة الكلب الكلب فإنه يسكن ألمه ويأمن صاحبه من الموت

لحمه: قال الشيخ الرئيس: المصلح منه ينفع من داء الفيل والجذام، وهو جيد لمن يبول فى الفراش من الصبيان، وينفع من نهش الهوام كلها ومن البرص والسل والتشنج والرياح كلها

جلده: يحرق ويخلط بالزفت ينفع من داء الثعلب

خصيته: إن كانت الدلدل يؤخذ نضيجًا وتخلط بالعسل الشهد وتؤكل منها فإنها تزيد الباه وتعين عليه

وظفره: من يده اليمنى يدخن به تحت ذيل صاحب حمى الربع تزول حماه، ورماد القنفذ إذا أحرق كما هو ويحشى به الناصور فإنه يبرأ.

● نبر:

دويبة إذا دبت على البعير تورم جلده وينتفخ وربما يكون ذلك سبب هلاكه، ولما أراد الشاعر أن يذكر مسمن إبله قال:

حمر تخقنت النجيد كأنما   بجلودهن مـدارج الأنبـار

● نحل:

حيوان ذو هيئة ظريفة وخلقة لطيفة وبنية نحيفة وسط بدنه مربع مكعب ومؤخره مخروط ورأسه مدور مبسوط وركب فى وسط بدنه أربعة أرجل ويدان متناسبة المقادير كأضلاع الشكل المسدس فى الدائرة وقد جعل فى هذا النوع الملك المطاع يقال له اليعسوب يتوارث الملك عن آبائه وأجداده فإن اليعاسيب لا تلد إلا اليعاسيب ومن العجب أن اليعسوب لا يخرج من الكور لأنه إن خرج خرج معه جميع النحل فيقف العمل وإن هلك اليعسوب وقفت النحل لا تعمل شيئًا فتهلك عاجلاً، واليعسوب أكبر جثة يكون بقدر نحلتين وهو يأمرهم بالعمل يرتب على كل أحد ما يليق به، يأمر بعضها ببناء البيت، ويأمر بعضها بعمل العسل، ومن لا يحسن العمل يخرجها من الكور ولا يخليها فى وسط النحل، وينصب بوابًا على باب الخلية يمنع دخول ما وقع على شىء من القاذورات.

وأما اتخاذ بيوتها مسدسة فمن أعجب الأشياء والغرض من المسدسات المتساوية الأضلاع لخاصية يقصر فهم المهندس عن إدراكها، ولا توجد تلك الخاصية فى المربع ولا فى المخمس ولا فى المستدير، وهى من أوسع الأشكال وأجودها المستدير وما يقرب منه، أما المربع فيخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى خالية، ولو بناها مستديرة لبقى خارج البيوت فرج ضائعة، فإن الأشكال المستديرة إذا جمعت لا تجتمع متراصة ولا شكل من الأشكال ذوات الزوايا يقرب فى الاحتواء من المستدير ثم يتراص الجملة منه بحيث لا تبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس، فانظر كيف ألهمها الله تعالى ذلك وجعل لها اتخاذ هذه الأشكال المتساوية الأضلاع بحيث لا يزيد ضلع على ضلع ولا ينقص، ويعجز عن هذا التساوى المهندس الحاذق بالفرجار والمسطرة فتعمل النحل فى فصلين فى الربيع والخريف، فتأخذ بالأيدى والأرجل من ورق الأشجار وزهر الثمار والرطوبات الدهنية التى تبنى بيوتًا، ولها شفران

حادان تجمع بهما من ثمرة الأشجار والرطوبات.

لطيفة: عجزت عقول الأكثرين عن معرفتها على طبائع وخلق فى جوفها قوة طابخة تصير تلك الرطوبات عسلاً حلوًا لذيذًا غذاء لها ولأولادها وما فضل عن غذائها تجعله مخزونًا فى بعض البيوت وتغطى رأسها بغطاء رقيق من الشمع حتى يكون الشمع محيطًا به من جميع جوانبه كأنه رأس البرنية مسدودة بالقراطيس وأخر ذلك لوقت الشتاء، وتبيض فى بعض البيوت وتحضن وتفرخ وتأوى إلى بعض بيوتها وتنام فيها أيام الصيف والشتاء ويوم المطر والريح والبرد، وتتقوى من ذلك العسل المخزون هى وأولادها يومًا فيومًا لا إسرافًا ولا تقتيرًا إلى أن تنقضى أيام الشتاء ثم تأتى أيام الربيع ويطيب الزمان ويخرج النور والزهر فترعى منه وتفعل كما فعلت عام الأول ولم يزل هذا دأبها بإلهام من الله تعالى كما قال: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل:٦٨، ٦٩]، فسبحان من جعل فضائل غذائها سببًا لشفاء الأبدان وجعل وسخ غذائها ضياء فى ظلم الليالى، ومن العجب أن الخلية إذا دخن عليها لأخذ العسل أحست النحل بذلك وبادرت إلى أكل العسل تأكله أكلاً ذريعًا.

وحكى بعضهم أن خلية من خلايا العسل مرض نحلها فجاء نحل خلية أخرى يقاتلها على العسل الذى فى بيوتها يريد إخراجها من الخلية ليستولى على عسلها فأقبل قيم الخلايا يعاون النحل الغريب فكان يلسعه النحل الغريب دون المريض كأنها عرفت أنه يدفع عنها أما العسل فإنه رطوبة فى أعماق الأنوار ولطيف الثمار يرشفها النحل يتغذى ببعضها ويدخر بعضها لأيام الشتاء وقت لا يجد الغذاء خارجًا، وقالوا: إن العسل الأبيض عمل شبابها والأصفر عمل كهولها والأحمر عمل شاباتها، وهو شفاء للناس على ما قال تعالى، فالمحرور المزاج يتخذه مع غيره لدفع الحرارة كالسكنجبين والمبرود المزاج يتخذه وحده لدفع البرد.

ومن خواص العسل: أن كل شيء يتسارع الفساد إليه فإذا تركته فيه يبقى بحاله ولا يتعفن ولا يؤثر فيه الفساد، بل يؤخذ العسل الذى لم يصبه ماء ولا دخان ويخلط بشيء من المسك يمنع من نزول الماء اكتحالاً، والتلطخ به يقتل القمل والصئبان، ولعقه علاج لعضة الكلب الكلب والمطبوخ منه نافع للسموم القتالة، ومن العسل صنف حريف، قالوا إنه سم وشمه يذهب العقل فكيف أكله، وأما الشمع فإنه حدرات بيوت النحل

التى تبيض وتفرخ فيها وتجعلها خزانة للعسل، وأما الموم فإنه وسخ كور النحل من خاصيته جذب السلاء والشوك، وزعموا أن من استصحب الموم يورثه الغم ولا يحتلم.

● نمل:

حيوان حريص على جمع الغذاء ولغاية حرصه يحمل ما يكون أثقل منه ويعاون بعضها بعضًا على الجذب ويجمع من الغذاء ما يكفيه سنين لو عاش، ولكن عمره لا يكون أكثر من سنة، قال النسابة البكرى: للنمل جدان فارز وعقفان ففارز جد السود وعقفان جد الحمر، ومن عجائبه اتخاذ القرية تحت الأرض وفيها منازل ودهاليز وغرف طبقات منعطفات يملؤها حبوبًا وذخائر للشتاء تجعل بعض بيوتها منخفضًا لينصب إليها الماء وبعضها مرتفعًا، عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال «لا تقتلوا النمل فإن سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقى فإذا هو بنملة قائمة على رجليها باسطة يديها تقول: اللهم إنا خلق من خلقك ولا غنى لنا عن فضلك اللهم لا تؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين واسقنا مطرًا ينبت لنا شجرًا وتطعمنا منه ثمرًا، فقال سليمان عليه السلام لقومه: ارجعوا فقد سقيتم بغيركم» ومن عجائبه أنه مع لطافة جسمه وشخصه وخفة وزنه له شم ليس لشىء من الحيوان مثل ذلك فإذا وقع شىء من يد الإنسان فى موضع لا يرى فيه شىء من النمل فلا يلبث أن يقبل النمل كالخيط الأسود الممدود إلى ذلك الشىء وإذا وجدت واحدة شيئًا لا تقدر على حمله أخذت منه قدر ما تقدر عليه وأخبرت الباقين، فتجتمع عليه جماعة يجرونه بجد وعناء، وإذا جمعت الحب فى بيتها خافت أن ينبت فتقطع الحبة قطعتين لتذهب عنها قوة النبت وتقطع حبة الكزبرة أربع قطع لأن نصفها ينبت، وإذا كان عدسًا أو شعيرًا أو باقلا تقشرها ولا تكسرها فإن بالتقشير يذهب عنها قوة النبت ثم تأتى بقطعها وتبسطها فى الشمس حتى تزول عنها النداوة فلا يتعفن، وإذا أحست بالغيم ردتها إلى مكانها خوفًا من المطر، وإذا ابتل شىء منها بالمطر تنشرها يوم الصحو لتزول عنه النداوة، ومن عجائبه أنه لا يتعرض لجعل ولا جرادة ولا صرصر ولا عقرب ما لم يكن به عقر أو قطع يد أو رجل فإن أصابه شىء منها وثبت عليه وهو حى ولا يفارقه حتى يقتله وهكذا تفعل بالحيات والثعابين إذا أصابها خدش أو جراحة، وإذا أحرق النمل يموت من دخانها الباقى أو تهرب وعند هلاكها ينبت لها جناحان لأن العصافير يصطادها، ومن سقى من بيظ النمل نصف درهم لا يملك أسفله. ويغلبه الضراط وإذا طلى البدن بمسحوقه مخلوطًا بالماء لا ينبت الشعر، وإذا نثرت بيظ النمل بين قوم تفرقوا شذر مذر.

● **ورل:**

هو الحيوان العظيم من أشكال الوزغ وسام أبرص الطويل الذنب الصغير الرأس، وهو سريع السير خفيف الحركة عدو للضب والحية يدخل بيتها ويأكلها، وليس شىء أقوى على قتل الحيات منه ولا يحتفر لنفسه بيتًا بل يغتصب من كل حيوان بيته لأنه أى بيت دخله هرب ساكنه. ويغصب بيت الحية من الحية كما تغتصب الحية بيت سائر الأجناس الأخرى.

فصل فى خواص أجزائه:

لحمه وشحمه: يسمن طبقات النساء وفيه قوة جذب للسلا والشوك.

جلده: يحرق ويخلط رماده بدردى الزيت ويطلى به العضو الخدر يذهب عنه ذلك.

زبله: ينفع من الكلف والنمش ويكتحل به ينفع من بياض العين ويقلع الثآليل، والله الموفق للصواب بمنه وكرمه.

* * *

خاتمة: فى حيوانات عجيبة الأشكال

وهى حيوانات يخالف أشكالها الحيوانات المعهودة أذكر بعضها فى أقسام ثلاثة:

القسم الأول: أمم غريبة الأشكال خلقها الله تعالى فى أكناف الأرض وجزائر البحار

منها: يأجوج ومأجوج وهم أمم لا يحصيهم إلا الله تعالى طول أحدهم نصف قامة رجل ولهم أنياب كما للسباع ومخاليب مكان الأشفار وهلب عليه شعر.

ومنها: منسك وهم فى جهة المشرق بقرب يأجوج ومأجوج لهم آذان مثل آذان الفيلة كل أذن مثل كساء يفترش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى.

ومنها: أمة فى بعض الجبال بقرب سد الإسكندر قصار القدود عراض الوجوه سود الجلود فيها نقط بيض وصفر طول كل واحد خمسة أشبار يتوحشون من الخلائق ويتسلقون الأشجار.

ومنها: أمة بجزيرة الزنج على صورة الإنسان يتكلمون بكلام لا يفهم ويأكلون ويشربون كالإنسان ولهم أجنحة يطيرون بها وهم بيض وسود وخضر.

ومنها: أمة بجزيرة الرامنى عراة لا يفهم كلامهم شبيهة بالصفير طول أحدهم أربعة أشبار ولهم شعور زغب أحمر.

ومنها: أمة فى بعض جزائر الزنج قاماتهم قدر ذراع وأكثرهم عور وعورهم لمحاربة الغرانيق تأتيهم وتحاربهم كل سنة فتقتل منهم ما شاء الله.

ومنها: أمة فى جزائر البحر وجوههم كوجوه الكلاب وسائر بدنهم كبدن الناس يتقوتون بثمار أشجار تلك الجزيرة. فإن وجدوا شيئًا من الحيوانات أكلوه.

ومنها: أمة فى هذه الجزيرة على صورة الناس كأحسن ما يكون ولا عظم فى أرجلهم فيزحفون زحفًا فإذا وجدوا إنسانًا ماشيًا قفزوا على رقبته ولوى من الرقبة رجليه على ذلك الماشى فإذا عالجه طرحه وخمشه فى وجهه وسخره كما يسخر أحدنا دابته.

ومنها: أمة فى بعض الجزائر لها أجنحة وخراط دقيقة وشعور يمشى على رجلين وعلى أربعة ويطير أيضًا قيل إنهم صنف من الجن.

ومنها: أمة طوال القدود زرق العيون ذوات أجنحة خفاف النهضة رؤوسهم كرؤوس

الخيل وأبدانهم كأبدان الناس.

ومنها: أمة لها رأسان وثمانى أرجل رأس وأربع نحو الأرض ورأس وأربع نحو الهواء.

ومنها: أمة على صورة النساء لها شعور وثدى لا فحل فيهن يلقحن من الريح ويلدن أمثالهن ولهن أصوات مطربة يجتمعن عليهن الحيوانات لطلب أصواتهن.

ومنها: أمة رؤوسها رؤوس الناس وأبدانها أبدان الحيات.

ومنها: أمة فى بعض جزائر الصين لا رأس لأبدانهم وأفواههم وعيونهم على صدورهم وسمعت أن واحدًا من هذه الأمة جاء رسولاً إلى عظيم التتار.

ومنها: أمة لها وجوه كوجه الإنسان وظهورهم كظهر السلحفاة وعلى رؤوسها قرون طوال.

ومنها: أمة يقال لها النسناس لأحدهم نصف رأس ونصف بدن ويد ورجل واحدة كأنه إنسان قد نصفين يقفز قفزًا شديدًا وإنه يوجد فى غياض أرض اليمن وهو ناطق، والله الموفق.

* * *

القسم الثانى: فى الحيوانات المركبة

التى تتولد من حيوانين مختلفى النوع ولذا يكون شكلاً عجيبًا بين هذا وذاك فاعتبر حال البغل فإنه ما من عضو منه إلا وهو دائر بين عضو الفرس وعضو الحمار فإذا كان الذكر حمارًا كان بالفرس أشبه، وإن كان الذكر فرسًا كان بالحمار أشبه.

ومنها: المتولد بين الضبعان والناقة والبقر الوحشية وهو الزرافة فإنه متولد بين الثلاثة، وقد جرى ذكرها فى ذكر الحيوانات فلا نعيده.

ومنها: المتولد من الخيل وبقر الوحش وقد رأيته وكان بغلة فى غاية الحسن.

وحكى أنه كان لكسرى أزدشير حصان اسمه أجدر توحش ولحق بالغابات وضرب فيها فأتت بنوع من الحمير يقال له الأجدرية.

ومنها: المتولد من الإبل الفالج والغراب وتسمى البختى وهو أحسن أنواع الإبل صورة والفالج هو الذى له سنامان.

ومنها: المتولد من الإنسان والدب. حدثنى من رآه أن جميع أعضائه كأعضاء الإنسان إلا أنه يكون عليه شعر كما يكون على الدب ويكون ناطقًا.

ومنها: المتولد بين الذئب والضبع وهو شكل عجيب جدًا إن كان الذكر ضبعًا يقال له السمع وإن كان الذكر ذئبًا يقال له العسبارة.

ومنها: المتولد بين الكلب والذئب يقال له الديسم: قيل إن الكلاب يفسدها الذئاب بأرض سلوقة باليمن فيتولد منها الكلاب السلوقية.

ومنها: المتولد من الحمام الورشان وهو أيضًا شكل عجيب يقال له الراعبى، والله أعلم.

* * *

القسم الثالث: فى حيوانات عجيبة الصور

زعم الأطباء أنه إذا تولد من الحيوانات شكل غريب يكون ذلك مقتضى مزاج غريب لا يحدث إلا نادرًا، وزعم المنجمون أنه مقتضى مزاج غريب.

منها: ما روى عن وهب بن منبه فى عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجملهم وكان لا يوصف طوله وعظمه، وعمره الله عمرًا طويلاً حتى أدرك زمان موسى عليه الصلاة والسلام، وكان قد أدرك نوحًا عليه الصلاة والسلام أيضًا قبل ذلك وسأل نوحًا أن يحمله فى السفينة فقال له من يحملك؟ اغرب يا عدو الله عنى فكان ماء الطوفان إلى وسطه، وكان جبارًا فى خلقته وأفعاله يسير فى الأرض برًا وبحرًا ويفسد ما شاء. ولما حصل بنو إسرائيل بأرض التيه اطلع عليهم ووقف مشرفًا على عسكرهم حتى عرف طوله وعرضه فمضى إلى أعظم جبل بقربهم ونقر منه دومة على قدرهم ثم احتملها على رأسه يريد أن يطبقها على بنى إسرائيل ليهلكوا جميعًا فبعث الله طيرًا فى منقاره حجر فوضعه على الحجر الذى على رقبة عوج فنقب وسطه فنزل فى عنق عوج، فأخبر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام بذلك فخرج إليه بعصاه وضربه بها فقتله.

ومنها: ما حدثنى بعض الفقهاء بالموصل أنه شاهد فى الأكراد وهم جيل يسكنون بعض جبال الموصل فى زماننا إنسانًا طوله تسعة أذرع وهو بعد صبى ما بلغ الحلم، وكان يأخذ بيد الرجل القوى فيرميه خلفه. وأراد صاحب الموصل أن يستخدمه فذكروا له أن فى عقله خبلاً لا يصلح لذلك.

ومنها: ما ذكره أبو سعيد الشيراجى عن بعض الكتاب أنه قال: دخلت على يحيى ابن أكثم القاضى وإلى جانبه قمطر فيه طائر على صورة الزاغ برأس كرأس الإنسان على صدره وظهره سلعتان، فقلت له ما هذا أصلحك الله؟ فقال لى سله عنه،

فقلت: ما أنت؟ فانتهض وأنشد بلسان فصيح وجعل يقول:

أنا الزاغ أبو عجـــــوه   أن ابن الليـث واللبــوه
أحـب الراح والريحـــا   ن والنشــوة والقهـــوه
ولى أشيــــاء تستظـــر   ف يوم العرس والدعوه
فمنهـــا سلعـــة الظهـ   ـر لا تسترهـــا الفـروه
وأمـا السلعـــة الأخرى   فلو كـانت لهــا عـروه
لمـا شـك جميـع النـــا   س فيهـــا أنهـــا ركــوه

ثم صاح ومد صوته زاغ زاغ وانطرح فى القمطر، فقلت أيها القاضى هو عاشق؟ قال هذا ما ترى لا علم به حمل إلى أمير المؤمنين مع كتاب مختوم فيه ذكر حاله.

ومنها: ما روى عن الشافعى رضى الله تعالى عنه قال: دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت فيها إنسانًا من وسطه إلى أسفله بدن امرأة ومن وسطه إلى فوقه بدنان مفترقان بأربع أيد ورأسين ووجهين وهما متقابلان ويأكلان ويشربان ويغضبان ويصطلحان، ثم غبت عنهما سنين ورجعت فقيل لى أحسن الله عزاءك فى أحد الجسدين، فتوفى وربط من أسفله بحبل وشد وترك حتى ذبل ثم قطع فعهدى بالجسد الآخر فى السوق ذاهبًا وجائيًا.

ومنها: دجاجة برأسين ودجاجة بأربع أرجل فسبحان القادر على ما يشاء.

وليكن هذا آخر الكلام فى عجائب المخلوقات والحيوان والله تعالى أعلم، وأسأله سبحانه أن يجعل عاقبته إلى خير بمحمد ﷺ وعلى آله وأصحابه الطاهرين وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

* * *

ولنذكر:

صور الملائكة وملابسهم وألوانهم

عما ورد من مؤلف الكتاب يحيى بن زكريا القزوينى رحمه الله تعالى

الباب الأول: حملة العرش صلوات الله عليهم أربع صور: آدمى وبقر ونسر وأسد:

● **فالآدمى:** ملبوسه جبة خضراء وفوق الجبة الخضراء جبة حمراء قصيرة وبسراويل من الذهب ومشد فى وسطه وردى اللون وجناحاه واصلة إلى رجليه وذؤبتا شعر أسود إلى جناحيه ولجناحيه ثلاثة ألوان كل واحد منها أزرق وأحمر وأصفر، وعمامته بيضاء مرصعة بالذهب وله ذؤابة منها من قفاه إلى رأس جناحه وزيق جبهته الحمراء مرصع بالذهب، وصورته أبيض اللون يميل إلى الحمرة ورجل من رجليه على رقبة الأسد والأخرى على ذنبه، والله أعلم بصحته.

● **وأما البقر:** فهو كبقر الدنيا إلا أنه أزرق اللون تميل زرقته إلى الغبرة شيئًا يسيرًا، وظهره أسود ومن بين قرنيه إلى إحدى أذنيه نقطة سوداء، ورقبته من بين يديه وهو الزور إلى تحت حنكه أسود من أسفل لا كل رقبته، ويد من يديه مطوية والأخرى مستقيمة كالذى يريد النهوض بعدما اعتزل، وقرناه أخضران فى غاية الطول والحسن، وذنبه طويل معكوف ثلاث طيات فوق ظهره ونازل من فوق ظهره إلى طرفة إلى بين فخذيه، ويده المستقيمة فوق رقبة الأسد لكن ما هى واصلة إلى رقبته ورجلاه فوق ظهر النسر لكن مرتفعة عنه لا ملاصقة، والله أعلم بصحته.

● **وأما النسر:** فهو لا أحمر اللون ولا أسود اللون لكنه أسود يميل إلى الحمرة شيئًا يسيرًا ورؤوس أجنحته من الذهب، وصدره أيضًا ومنقاره أزرق، والله أعلم بصحته.

● **وأما الأسد:** فهو أصفر اللون يميل إلى الحمرة شيئًا يسيرًا وفوه مفتوح وخشمه عند منقار النسر. والله أعلم بصحته، والنسر والأسد وقوفهما على غاية الوقوف وغاية الاعتدال والله أعلم بصحته.

الباب الثانى: صورة الملك الذى يقوم صفًا والملائكة صفًا:

ويسمى الروح العظيم جدًا ما يعلم كبر بدنه إلا الذى خلقه وهو أبيض اللون يميل إلى الحمرة وملبوسه أحمر وفوق الأحمر ثمتانة وتاج وردى وخارج يديه منها. وسرواله

أخضر وليس لرجليه نعل، بل حاف، وله جناحان إلى أصل ساقه أطرافهما وكل واحد منهما به من الألوان أحمر وأصفر وأخضر وردى، وعلى رأسه عمامة عظيمة بيضاء مرصعة بالذهب وبوسط العمامة من أعلى كتابة بالسواد ليس يعرفها إلا الذى صورها، وله أيضًا غرزة من قفاه، وله قصيبتا شعر أسود كالحبر وفى أطراف أجنحته نقص شيئًا يسيرًا عنها وزيق نمتانته من الذهب وبرأس كل قصيبة من تحت أذنه كالعين مكتوبة من الذهب، وله عينان وجناحان سود تبارك وتعالى من خلقها وهو أعلم بذلك.

الباب الثالث: إسرافيل:

لونه كلون من قبله فى الباب الثانى لكنه أطول وجهًا وعيناه كعينه وملبوسه أخضر، ومن فوق الأخضر نمتانة حمراء، وله أربعة أجنحة مضى ذكرها قبل فلا نعيده لكن الربع منها التثم به من تحت حنكه والصور قابضه بيديه ورأسه بفمه وعمامته كما للملك الذى يقوم صفًا لكن غرزته من قبل وجهه وله قصيبة واحدة من قفاه واصلة إلى طرف جناحه الذى التثم به وبرأس القصيبة كالعين مكتوبة بالذهب وهو رافع رأسه بالصور إلى ربه والله أعلم بذلك.

الباب الرابع: جبرائيل صلوات الله عليه:

أبيض الوجه يميل إلى الحمرة بشيء يسير، وله قصيبات إلى أطراف أجنحته من كل جانب واحدة، وهو ليس له نعال برجليه وملبوسه لا يوصف من كثرة ألوانه وحسن صنعته، وعلى رأسه عمامة بيضاء كما للملك الذى يقوم صفًا ولها من الوجه طرف ومن القفا طرف، وعينان وجناحان كما للملك الذى يقوم صفًا، تبارك الله أحسن الخالقين، وما أحسن خلقته، والله أعلم بذلك.

الباب الخامس: ميكائيل صلوات الله عليه:

ولونه كلون جبرائيل ملبوسه أحمر وفوق الأحمر أزرق ونمتانته منقشة بنقش كالتاج وهو متكئ وجهه على كتفه الأيسر وعيناه وجناحاه وذوائبه كما للملك الذى يقوم صفًا، وعمامته كعمامته لكن غرزته من قبل وجهه، والظاهر من أجنحته أخضر وودى وأبيض وأحمر والخفى لا يعلمه إلا الله، وعلى كتفه الأيمن تحت صليف أذنه بأصل قصيبته عين مكتوبة ومنحدرة إلى صدره على إبطه الأيسر بالذهب؛ والله أعلم بذلك.

الباب السادس: عزرائيل صلوات الله عليه:

لونه أبيض لكن يضرب إلى السمرة شيئًا يسيرًا وملبوسه وردى مخطط بأحمر وفوق هذا الملبوس نمتانة خضراء تميل للدكونة شيئًا يسيرًا وشد وسطه أحمر وعمامته كما الملك،

الذى يقوم صفًا لكن أصفر شيئًا يسيرًا، سرواله أزرق وأجنحته جناحان على ما رأينا فى الكتاب وألوانها أحمر وأصفر وأزرق وأبيض، وله قصيبتا شعر أسود اليمنى نازلة على كتفه الأيمن خارجة من خارج جناحه إلى طرفه باعوجاج والأخرى على الأيسر من داخل جناحه تقصر شيئًا يسيرًا عنه وبيده رمح برأسه خمس أسنة وهو جالس به كجلوس القواس الذى يرمى النشاب، وهون الله علينا وعلى أمة سيدنا محمد جميعًا من غصص الموت، والله أعلم.

الباب السابع: ملائكة السماء الدنيا:

على صورة البقر ألوانها أسود وأبيض وقرونه زرق وطرف ذيله أسود، وجميع محاركه سود والباقى أبيض، والله أعلم.

الباب الثامن: ملائكة السماء الثانية:

على صورة العقاب أسود اللون ليس بحالك السواد ورجلاه ومنقاره ورق وصدره ورؤوس أجنحته ذهب، والله أعلم.

الباب التاسع: ملائكة السماء الثالثة:

على صورة النسر وردى اللون أطراف ريشه سود لكن ورديته تميل إلى السواد شيئًا يسيرًا صدره وصدر أجنحته ذهب منقط ريشها بسواد ومنقاره ورجلاه زرق، والله أعلم بذلك.

الباب العاشر: ملائكة السماء الرابعة:

على صورة الخيل زرق الألوان وصفتها مثل الفرس الذى أراد النهوض فرفع يده ووضع الأخرى فى الأرض، والله أعلم بذلك.

الباب الحادى عشر: ملائكة السماء الخامسة:

على صورة الحور العين ملبوسها جميع الألوان الحسنة ووجوهها بيض وحمر ولها عينان وجناحان وقصيبتان كالحبر الأسود ونعالها سود وأجنحتها كل جناح ثلاثة ألوان أحمر وأزرق وذهبى قصيباتها طوال إلى الرجلين بل أزيد والله أعلم وعلى رؤوسها معاصب بيض مرصعة بالذهب. سبحان الخالق على ما خلق وهو الذى خلقهم وهو أعلم بهم.

الباب الثانى عشر: ملائكة السماء السادسة:

على صورة الولدان ملبوسهم أحمر وردى اللون وتحت ذلك نوع آخر أزرق وقصيبته واحدة وعمامته بيضاء، وله جناحان لونهما أخضر ورؤوسها ذهب ومحازم ونعال

فالمنشد وردى اللون يميل إلى السواد شيئًا يسيرًا والنعل أسود، والله أعلم بذلك.

الباب الثالث عشر: ملائكة السماء السابعة:

على صورة بنى آدم ملبوسهم أصفر وفوق الأصفر كالنمتانة وردى تميل إلى الحمرة والدكنة وقصائب سود غاية السواد وجناحان كل جناح لونان أحمر وأزرق وعمامة بيضاء والله أعلم بذلك، وأجنحتها على أكتافها، سبحان الذى خلقهم ما أعظم سلطانه وأوضح برهانه وشداد أوساطها أزرق.

الباب الرابع عشر: الحفظة:

وهم الكرام الكاتبون كل واحد منهم بيده دفتر وبالأخرى قلم وهو على كتف الإنسان وجوههم بيض تميل إلى الحمرة، وملبوسهم أزرق ولكل واحد منهم قصيبة شعر من ورائه لا غير وعمامة بيضاء ونعلان برجليها سود وأجنحتها كل جناح لونان أعلى الجناح ذهب مخطط بشىء من السواد شيئًا يسيرًا وباقى الجناح أحمر وخطط بيض فى وسطه، وكل منهم واضع رأس قلمه بدفتره ينتظر الحسنات والسيئات، والله أعلم.

الباب الخامس عشر: هاروت وماروت:

فى بابل صفر الأجساد عراة كل منهما بنيان إلى ركبته أزرق اللون مشدودان بالحديد من أصول ساقيهما، رؤوسهما إلى تحت وأرجلهما إلى فوق، والله أعلم.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع | الصفحة

النظر فى الكائنات وهى الأجسام المتولدة من الأمهات

* * *